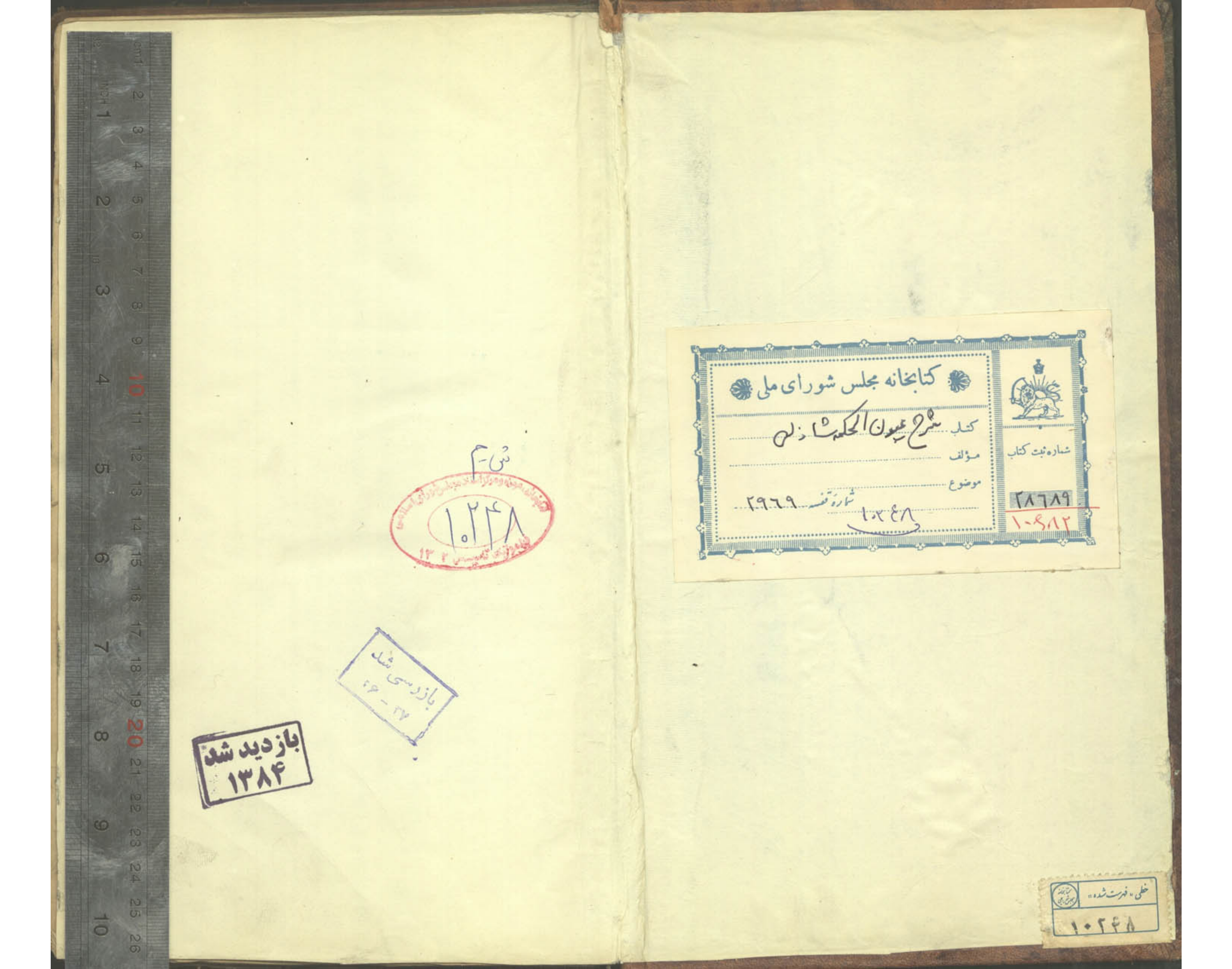
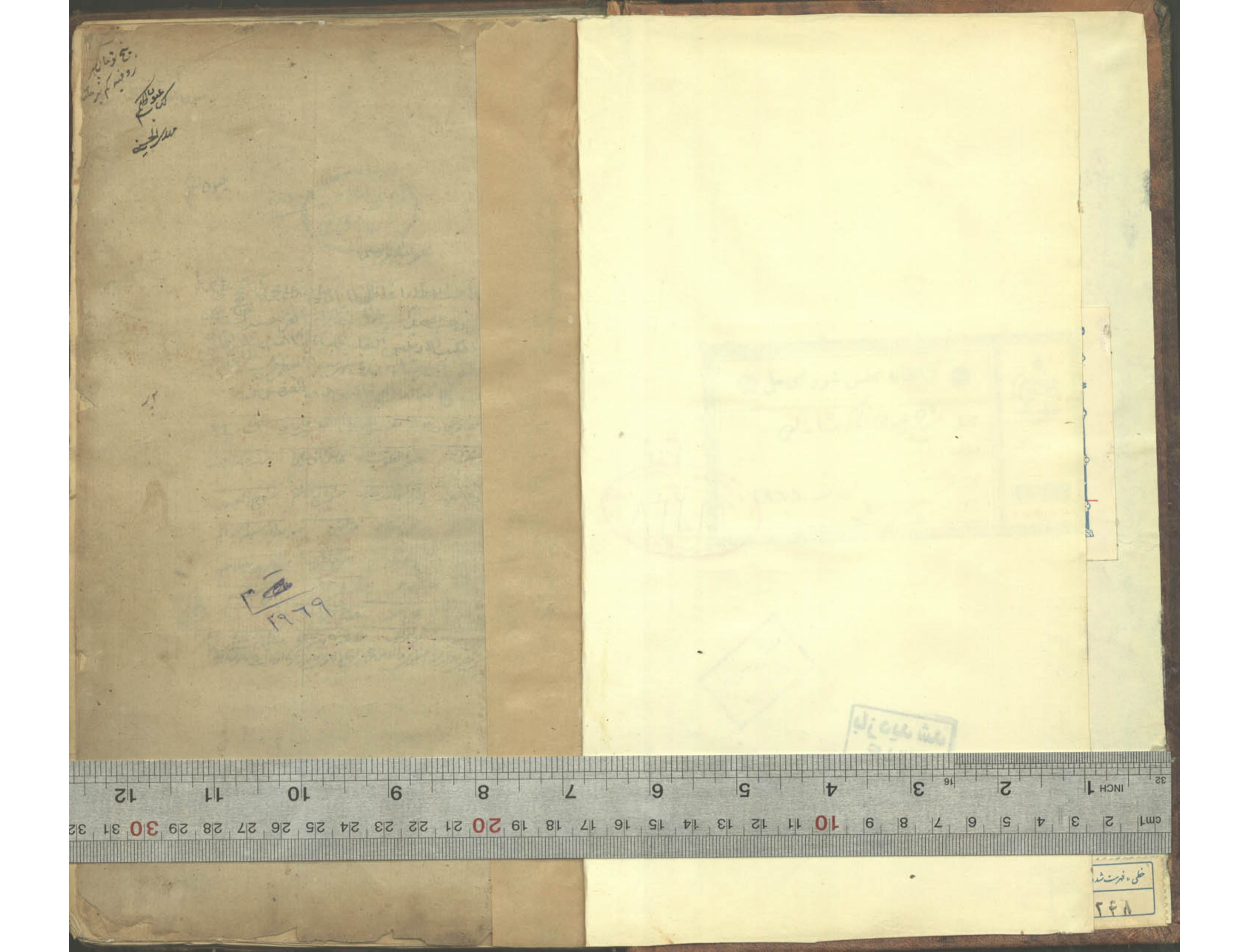

کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب شرح عیون الحکمه شاذلی
مؤلف
موضوع
شماره ثبت کتاب
۲۸۶۸۹
۱۰۶۸۱۲
شماره قفسه ۲۹۶۶۹
۱۰۲۴۸
بازدید شد ۱۳۸۴
بازرسی شد
۱۰۲۴۸
خطی «فهرست شده»
۱۰۲۴۸



٢ فارسی

عیون الحکم شرح کلمات

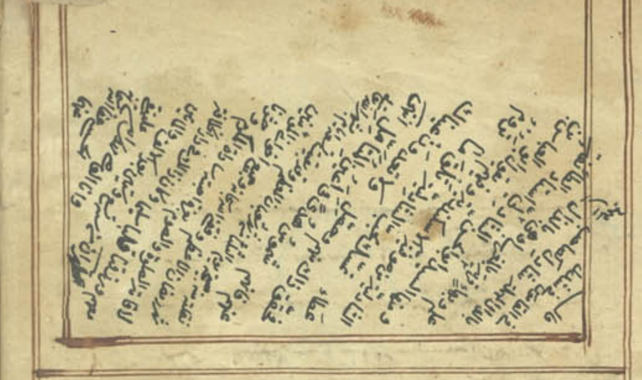
عیون الحکم

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله واهب العطایا وغافر الخطایا والصلوة على محمد وآله الحجج على البرایا
وبعد فقد وهب العبد الكثير محمد حسين [illegible] عن [illegible]
مجموع هذه الكتب الاربعين البقاع [illegible] الرضا [illegible]
الله [illegible] للتقرب [illegible] الله في شهر شعبان المعظم [illegible]
بعد الالف [illegible] ثلثمائة [illegible] الهجرة النبوية [illegible]

١ صحیفه علویه	٢ صحیفه سجادیه	٣ تفسیر الصافی	٤ تفسیر القاضی	٥ کافی ٢ جلد
٦ معالم الزلفی	٧ کشف الغمة	٨ حیوة القلوب ٣ جلد	٩ مجالس المؤمنین	١٠ زبدة المعارف
١١ روضة الانوار	١٢ شرح ابن ابی الحدید	١٣ اسرار الشهادة [illegible]	١٤ شرایع الکلام	١٥ شرح اللمعة
١٦ سیف الواعظین	١٧ شرح [illegible]	١٨ [illegible] توضیح	١٩ قوانین	٣٠ ضوابط [illegible] ابراهیم
٢١ [illegible]	٢٢ حاشیه ملا [illegible]	٣٣ صحیح بخاری	٢٣ شرح قاموس	٣٥ شرح [illegible] خلاصه
٢٦ [illegible]	٢٧ مطرزی [illegible]	٢٨ مقامات بدیع	٢٩ جنگ [illegible]	٣٠ شرح شمسیه
٣١ [illegible]	٣٢ کتاب [illegible]	٣٣ صحاح اللغة	٣٤ اعضاء [illegible]	٣٥ متن خاذلی
٣٦ الفیه ابن مالک	٣٧ جامع النوادر	٣٨ مجمع الغرائب	٣٩ خلاصه [illegible]	٣٥ مناجات [illegible]

والمرجو [illegible] ملازمة التقوی والاعراض عن اتباع الهوی [illegible] الدعاء [illegible]



بسم الله الرحمن الرحيم

قال العبد الفقير الى الله تعالى المعتمد فى غفران ذنوبه على الله
تعالى محمد بن ابرهيم بن عباد النفزي المغربي الشاذلي لطف الله به
الحمد لله المنفرد بالعظمة والجلال. المتوحد باستحقاق نعوت الكمال
المتنزه عن الشركاء والنظراء والامثال. المقدس عن سمات الحدوث
فى التغيير والانتقال والاتصال والانفصال. عالم الغيب والشهادة
الكبير المتعال. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الهادي من الضلال
وعلى آله واصحابه الذين خلصت لهم الاعمال وصفت منهم الاحوال
وعلى جميع من اتبعهم فى ما لهم من محامد الصفات ومحاسن الخلال
وسلم كثيرا اما بعد فانا لما راينا كتاب الحكم المنسوب الى الشيخ
الامام المحقق العارف المكاشف الولي ابى الفضل تاج الدين احمد بن
محمد بن عبد الكريم بن عطا الله الشاذلي الاسكندري رضي الله عنه
ونفعنا به من افضل ما صنف فى علم التوحيد واجل ما اعتمد بالتفهم
والتحفظ كل سالك ومريد لكونه صغير الحجم عظيم العلم ذا عبارات
رائقة ومعان حسنة فايقة قصد فيها الى ايضاح طرقات العارفين
والموحدين وابانة منهاج السالكين والمتجردين اخذنا فى وضع
تنبيه يكون كالشرح لبعض معانيه الظاهرة وكالكشف لمعة يسيرة

من انواره

من انواره الباهرة ولا قدرة لنا على استيفاء جميع ما اشتمل عليه
الكتاب وما تضمنه من لباب الالباب لان كلام الاولياء و
العلماء منطو على اسرار مصونة وجواهر حكم مكنونة لا يكشفها
الا هم ولا تتبين حقايقها الا بالتلقي عنهم ونحن فى هذه الكلمات
التى نوردها والمناحي التى نعتمدها غير مدعين لشرح كلام المؤلف
ولا ان ما نذكره فيه هو حقيقة مذاهبهم حسب ما يفعله كل
مصنف فانا ان ادعينا ذلك كان منا اساءة ادب يؤول بنا
والعياذ بالله الى العطب وكنا قد تعرضنا للحظر والضرر فى تعاطي
ما لا يليق بنا من شرح كلام السادات من اهل الله تعالى من
غير خوف ولا حذر وانما نورد ذلك على حسب ما فهمنا من
كلامهم وما انتهى اليه علمنا من مذاهبهم فان وافقنا فيه
حقيقة الامر وعثرنا على مكنون السر كان ذلك من النعم
التى لا نحصي لها شكرا ولا نقدر لها قدرا وان خالفنا ذلك
ولم نهتد الى تلك المسالك احلناه الى نقصنا وجهلنا وانتفى
عنا التغرير بقولنا وفعلنا واقتصر الامر فى ذلك علينا وكانوا
هم مبرئين مما قلنا ونوينا فلا جرم اذ كان هذا مقصودنا لوجود
السلامة التى جعلناها معتمدا ما ينبغي لنا ان نقدم اولا كلام
المصنف رحمه الله تعالى مستوفا ثم نتبعه كلامنا بصيغة
الخبر لا بدعوى ونأتي فيه بعبارة ابسط من عبارته واشارة
اجلى من اشارته ليفهم بذلك ما عندنا فى تفسير ما ذكره لا
انه تفسير حقيقة مقررة ونذكر فى اثنائه كثيرا مما ناسب عندي
من الكلام المنبه عليه لتتم الفائدة فى الغرض المتوجه
اليه وما ظهر لنا فى كلامه من تكرار معان وتداخل فروع ومبان

راينا التنبيه عليه كالفرض واحلنا بعضه على بعض وعلى الناسخ لهذا
المجموع ان يتبع فيه ما رسمناه ويكتب كلام المصنف بصبغ يخالف لونه
لون ما يكتب به سواه او يكتبهما بقلمين مختلفين في الغلظ والرقة
ويوفي من ذلك كلا منهما حقه ليكون ذلك اقرب الى حصول المرام
في استخراج فائدة ترتيب الكلام والله الموفق لا رب غيره ولا خير الا خيره
والذي حملني على وضعه وتكلف تصنيفه وجمعه بعد تقدم ارادة
الله تعالى التي لا تغلب وتقديره الذي ليس للعبد منه ملجأ ولا مهرب الذي
رايناه من المطالب المهمة ونبهنا عليه في صدر هذه المقدمة
الحاح بعض الاصحاب في ذلك علي وترداده بالمسالة الي لكونهم على
اعتقاد صحيح في هذه الطريقة ومحبة خالصة لاهل الطريقة الحقيقة
فاسعفتهم بما طلبوه وحققت لهم الامل فيما رغبوه كما شاء الله
تعالى وحكم وقضى به علينا وحتم نفعنا الله واياهم بما يجري منه على ايدينا
ولا جعله حجة عليهم ولا علينا ونحن نستغفر الله تعالى مما تعاطيناه
من الامر العظيم واقتحمناه من الخطر الجسيم ونستعيذ من الوقوع
في حبائل العدو الرجيم ونسأله توفيقا يوقفنا على جادة الاستقامة
ويصرفنا عن العمل بما يعقب ملامة وندامة ونرجو مع هذا اذ من
علينا بالانتما الى مذاهبهم والانتساب الى كريم مناسبهم والتعلق
باذيالهم ومحاولة النسج على منوالهم ورزقنا شيئا من تعظيمهم وحبهم
وقسطا من تكريمهم وبرهم ان لا يحرمنا من شفاعتهم ولا يخرجنا من
كنف ولايتهم ولا يطردنا عن بابهم الكريم ولا يصرفنا عن منهجهم القويم
فهم القوم الذي لا يشقى بهم جليسهم قال شيخنا ابو العباس
المرسي الشاذلي شعرا

لي سادة من عزهم اقدامهم فوق الجباه ۞ ان لم اكن منهم فلي في ذكرهم عز وجاه

اللهم

اللهم انا نتوسل اليك بحبهم فانهم احبوك ولم يحبوك حتى احببتهم
فبحبك اياهم وصلوا الى حبك ونحن لم نصل الى حبهم فيك الا بحظنا
منك فتمم لنا ذلك حتى نلقاك يا ارحم الراحمين وصلى الله على
سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين
وتابعيهم باحسان الى يوم الدين وسلم عليهم كثيرا وهذا حين
ابتدئ وبالله التوفيق والهداية الى سواء الطريق قال المؤلف رضي الله عنه

من علامات الاعتماد على العمل نقصان الرجا عند وجود الزلل

اقول الاعتماد على الله من نعت العارفين الموحدين والاعتماد على غيره
من وصف الجاهلين الغافلين كائنا ما كان ذلك الغير حتى علومهم
واعمالهم واحوالهم. اما العارفون الموحدون فانهم على بساط القرب
والمشاهدة ناظرون الى ربهم فانون عن انفسهم فاذا وقعوا في
زلة او اصابتهم غفلة رجعوا في الحين الى ربهم فشهدوا تصريف
الحق تعالى لهم وجريان قضائه عليهم كما انهم اذا صدرت منهم
طاعة او لاح عليهم لائح من يقظة لم يشهدوا في ذلك انفسهم ولم
يروا فيها حولهم ولا قوتهم لان السابق الى قلوبهم ذكر ربهم فانفسهم
مطمئنة تحت جريان اقداره وقلوبهم ساكنة بما لاح لها من انواره
ولا فرق عندهم بين الحالين لانهم غرقا في بحار التوحيد قد استوى
خوفهم ورجاؤهم فلا ينقص من خوفهم ما يجتنبون من العصيان
ولا يزيد في رجائهم ما ياتون به من الاحسان قال شارح المجالس
العارفون قائمون بالله قد تولى الله امرهم فاذا ظهرت منهم طاعة لم
يرجوا عليها ثوابا لانهم لم يروا انفسهم عمالا لها وان ظهرت منهم زلة
فالدية على العاقلة لم يشاهدوا غيره في الشدة والرخا قيامهم بالله و
نظرهم اليه وخوفهم هيبتهم ورجاؤهم الانس بالله انتهى

واما غيرهم فبقوا مع نفوسهم في نسبة الافعال اليها وطلب الحظ لها عليها
فاعتمدوا على اعمالهم وسكنوا الى احوالهم فاذا وقعوا في زلة نقص بذلك
رجاؤهم كما انهم اذا عملوا طاعة جعلوها من اعظم عددهم واقوى معتمدهم
فتعلقوا بالاسباب وحجبوا بتفرقتهم بها عن رب الارباب فمن وجد
هذه العلامة من نفسه فليعرف منزلته وقدره ولا يتعد طوره
فيدعي مقامات الخاصة من المقربين وانما هو من عامة اصحاب اليمين
وستأتي اشارات الى هذا المعنى في مواضع من كلام المصنف وقد
ذكر الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي والحافظ ابو نعيم الاصبهاني عن يوسف
ابن حسن الرازي رضي الله عنهم قال عارضني بعض الناس في كلام وقال
لي لا تستدرك مرادك من عملك الا ان تتوب فقلت مجيبا لو ان
التوبة تطرق بابي ما اذنت لها علي اني انجو بها من ربي ولو ان الصدق
والاخلاص كانا عبدين لبعتهما زهدا مني فيهما لاني ان كنت عند الله
في علم الغيب سعيدا مقبولا لم اتخلف باقتراف الذنوب المآثم وان كنت
عنده شقيا مخذولا لم تسعدني توبتي واخلاصي وصدقي وان الله خلقني
انسانا بلا عمل ولا شفيع كان لي اليه وهداني لدينه الذي ارتضاه لنفسه
فقال عز وجل ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة
من الخاسرين فاعتمادي على فضله وكرمه اولى بي من اعتمادي على افعالي
المدخولة وصفاتي المعلولة ان كنت حراعا قلا لان مقابلة فضله
وكرمه بافعالنا من قلة المعرفة بالكريم المتفضل قلت وهذه الحكاية
وامثالها ربما تقرع سمع من لا حقيقة عنده من طريق القوم فينكر
معناها ولا يعتقده او يسلمه ويدعيه مقاما لنفسه وكلا الحالين
مؤديه صاحبها الى ضرر وخطر فليتق الله تعالى عبد ليس له بصر في
هذه الطريقة ان ينكر ما ذكرناه فيقع في الاعتراض على السادة والاولياء

وفي ذلك بعد من الله تعالى ويدعيه مقاما لنفسه من غير ان يستظهر
عليها ذلك ويتوثق منها ويزنها بالمعيار الذي نبهنا عليه ومحال وجود
ذلك ممن لم يصح مقام الفنى عن النفس فيرتكب حينئذ مساخط الله
تعالى ويتعد حدوده ويجعل ذلك حجة لنفسه غلطا وجهلا وهذا باب
من الزندقة والعياذ بالله **ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك في
الاسباب من الشهوة الخفية وارادتك الاسباب مع اقامة الله
اياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية** الاسباب هاهنا عبارة عما
يتوصل به الى غرض ما ينال في الدنيا والتجريد عبارة عن عدم تشاغله بتلك
الاسباب لاجل ذلك فمن اقامه الحق تعالى في الاسباب واراد الخروج منها
فذلك من شهوته الخفية وانما كان من الشهوة لعدم وقوفه مع مراد الله
تعالى به وارادته هو خلاف ذلك وانما كانت خفية لانه لم يقصد
بذلك نيل حظ عاجل وانما قصد بذلك التقرب الى الله تعالى لكونه على
حال هو اعلى بزعمه لكنه فاته الادب لعدم وقوفه مع مراد الله تعالى
من اقامته اياه فيما اقامه فيه وتطلعه الى مقام رفيع لا يليق به
في ذلك الوقت وعلامة اقامته اياه في الاسباب ان يدوم له ذلك
وان يحصل له ثمرته ونتيجته وذلك بان يجد عند تشاغله بالاسباب
سلامة في دينه وقطعا الطمعه عن غيره وحسن نية في صلة رحم
واعانة فقير معدم الى غير ذلك من فوائد المال المتعلقة بالدين
ومن اقامه الحق تعالى في التجريد واراد الخروج الى الاسباب فذلك من
انحطاط همته وسوء ادبه وكان واقفا مع شهوته الجلية لان التجريد
مقام رفيع اقام الحق تعالى فيه خواص عباده من الموحدين والعارفين
فاذا اقامه الله تعالى مقام الخواص فلم ينحط عن رتبتهم الى منازل
اهل الانتقاص قال الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه من لم

يانفه من مشاركة الاضداد فى الاسباب فهو خسيس الهمة وعلامة اقامة
الله تعالى اياه فى التجريد ما ذكرناه من الدوام ووجدت الثمرة وهو ثمرات
ذلك طيب وقت المتجرد وصفاء قلبه ووجدان راحته من ملابسة
الخلق ومخالطتهم والهمة حالة للقلب وهى قوة ارادة وغلبة انبعاث الى
نيل مقصود ما وتكون عالية ان تعلقت بمعالى الامور وسافلة ان تعلقت
بادانيها

قال الشاعر

وقائلة لم علتك الهموم * وامرك ممتثل فى الامم
فقلت ذرينى على حالتى * فان الهموم بقدر الهمم

غيره

اذا اعطشتك اكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله فى الثرى * وهامة همته فى الثريا

وما ذكرته من معانى الاقامة فى نوعى الاسباب والتجريد هو شئ
فهمته مما يقوله بعد هذا من علامة اقامة الحق لك فى الشئ ادامته
اياك فيه مع حصول النتايج والله اعلم وقد ذكر فى التنوير هذه
المسألة بنصها حاكيا عن هذا الكتاب وقال باثره فافهم رحمك الله
ان من شان العدو ان ياتيك فيما انت فيه مما اقامك الله فيه فيحقره
عندك لتطلب غير ما اقامك الله فيه فيشوش عليك قلبك ويكدر
عليك وقتك وذلك انه ياتى للمتسببين فيقول لهم لو تركتم الاسباب
وتجردتم لاشرقت لكم الانوار ولصفت منكم القلوب والاسرار
قائلا وكذلك منع فلان وفلان ويكون ذلك العبد غير مقصود بالتجريد
ولا طاقة له وانما صلاحه فى الاسباب فيتركها فيتزلزل ايمانه ويذهب
ايقانه ويتوجه الى المطالب من الخلق الى الاهتمام بامر الرزق فيرمى فى
بحر القطيعة وذلك قصد العدو منه لانه انما ياتيك فى صورة ناصح

تعريف الهمة

كما اتى ابويك فيما اخبر الله تعالى عنه وقال ما نهيكما ربكما عن هذه
الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن
الناصحين كما تقدم بيانه وكذلك ياتى المتجردين ويقول لهم
الى متى تتركون الاسباب الم تعلموا ان ترك الاسباب تتطلع معه
القلوب الى ما فى ايدى الناس وتفتح باب الطمع ولا يمكنه الاستعفاف
والايثار ولا القيام بالحقوق وعوض ما يكون منتظرا ما يفتح به عليك
من الخلق فلو دخلت فى الاسباب بقى غيرك منتظرا ما يفتح به عليك
منك الى غير ذلك ويكون هذا العبد قد طاب وقته وانبسط نوره
ووجد الراحة بالانقطاع عن الخلق فلا يزال به حتى يعود الى الاسباب
فتصيبه من كدورتها ويغشاه ظلمتها ويعود الدائم فى سببه احسن
حالا منه لان ذلك ما سلك طريقا ثم رجع عنها ولا قصد مقصدا
ثم رجع عنه فافهم واعتصم بالله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى
صراط مستقيم وانما قصد الشيطان بذلك ان يمنع العباد الرضى
عن الله فيما هم فيه وان يخرجهم عما اختار الله تعالى لهم الى مختارهم
لانفسهم وما ادخلك الله تعالى فيه تولى اعانتك عليه وما دخلت
فيه بنفسك وكلك الله اليه وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى
مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا فالمدخل الصدق
ان تدخل فيه لا بنفسك والمخرج الصدق ايضا كذلك فافهم والذى
يقتضيه الحق منك ان تمكث حيث اقامك حتى يكون الحق سبحانه
هو الذى يتولى اخراجك كما يتولى ادخالك وليس الشان ان تترك
السبب بل الشان ان يتركك السبب قال بعضهم تركت السبب
كذا وكذا مرة فعدت اليه ثم تركنى السبب فلم اعد اليه ودخلت على الشيخ
رضى الله عنه وفى نفسى العزم على التجريد قائلا فى نفسى ان الوصول

الى الله تعالى في هذه الحالة بعيد من الاشتغال بالعلم الظاهر ووجود
المخالطة للناس فقال لي من غير ان اسأله صحبني انسان مشتغل بالعلو
الظاهرة ومتصدر فيها فذاق من هذه الطريق شيئا فجاء الي فقال يا سيدي
نخرج مما نحن فيه ونتفرغ لصحبتك فقلت له ليس الشان ذا ولكن
امكث فيما انت فيه وما قسم الله لك على ايدينا فهو اليك واصل وقال
ونظر الي وقال هكذا يكون شان الصديقين لا يخرجون من شيء حتى يكون
الحق هو الذي يتولى اخراجهم فخرجت من عنده وقد غسل الله تعالى تلك
الخواطر من قلبي ووجدت الراحة بالتسليم الى الله تعالى ولكنهم كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هم القوم لا يشقى بهم جليسهم انتهى كلامه في التنوير
في هذا المعنى وهو كلام حسن وانما اتينا به هاهنا على طوله لانه تولى
فيه بيان المسئلة التي ذكرها في هذا الكتاب بنفسه بيانا شافيا
فنقلته بلفظه وودت ان جميع مسائله تكون هكذا **سوابق الهمم لا
تخرق اسوار الاقدار** الهمم السوابق هي قوى النفس التي تنفعل عنها بعض
الموجودات باذن الله تعالى وتسميها الصوفية همة فيقولون الحال فلان
همته على امر ما فانفعل له ذلك وهذه الهمم السابقة لا تنفعل عنها الاشياء
الا بالقضاء والقدر وهي معنى قولنا باذن الله تعالى فهي على حال سبقيتها
ونفوذها لا تخرق اسوار الاقدار ولا تنفذها وهذه الهمم قد تكون
للاولياء كرامات وقد تكون لغيرهم استدراجا ومكرا كما يكون للعاين
والساحر وقد ثبت ان العين حق والسحر حق ومعناه ما ذكرناه
وحاصل ذلك انه يجب ان يعتقد انها اسباب لا تاثير لها ولا فاعلية
وان الفاعل هو الله اوجد عندها لا بها وكان المؤلف رحمه الله انما
اورد هذه المسألة بين يدي كلماته في التدبير ليعرفك بذلك ان وجود
التدبير لا جدوا له ولا فائدة لان الهمة الفعالة اذا لم تنفذ في خرق

الصديق لا يخرج من شيء حتى يخرجه الله منه

في تسمية الصوفية همة

لا تاثير للاسباب

اسوار الاقدار فكيف يفيد في ذلك التدبير وما لا فائدة فيه فضول
لا ينبغي ان يتشاغل به ويتعب فيه ذوي العقول ولذلك قال رضي الله عنه
ارح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك
تدبير الخلق لامور دنياهم على الوجه الذي نقوله مذموم لان الله تعالى قد
تكفل لهم بذلك وقام به عنهم وطلب منهم ان يفرغوا قلوبهم منه ويقوموا
بحق عبوديته ووظائف تكليفاته فقط وهو ان يقدر العبد لنفسه
شؤونا عليها من امر دنياه على ما تقتضيه شهوته وهواه ويدبر لها ما
يليق بها من احوال واعمال ويستعد لذلك ويهتم لاجله وهذا تعب
عظيم استعجله لنفسه ولعل اكثر ما يقدره لا يقع فيخيب ظنه ويبطل
سعيه ثم فيه من ترك العبودية ومضادة احكام الربوبية ومنازعة
القدر واضاعة العمر ما يحمل العاقل على تركه واجتنابه وقطع مواده
واسبابه **قال** سهل بن عبد الله رضي الله عنه ذروا التدبير
والاختيار فانهما يكدران على الناس عيشهم **وقال** سيدي ابو الحسن
الشاذلي رضي الله عنه ان كان ولا بد من التدبير فدبروا ان لا تدبروا
وهذه المسألة اساس طريقة القوم بل هي جملته وكليته والكلام فيها
طويل وعريض وانما اقتصرنا فيها على هذا القدر اليسير من التنبيه
لان المؤلف رحمه الله تعالى افرد في هذا المعنى كتابا سماه التنوير في
اسقاط التدبير احسن فيه غاية الاحسان وقرب فيه بحيث يستغني
به عما صنف في هذا الطريق من ديوان فتحصيله متعين على كل مريد
نجيب وقال رضي الله عنه **اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك
فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك** الشيء المضمون
للعبد هو رزقه الذي يحصل له به قوام وجوده في دنياه ومعنى كونه مضمونا
ان الله سبحانه وتعالى تكفل بذلك وفرغ العباد عنه ولم يطلب منهم الاجتهاد

ذروا التدبير والاختيار

فى السّعى فيه ولا الاهتمام له والشئ المطلوب من العبد هو العمل الذى
يتوصّل به الى سعادة الاخرة والقرب الى الله تعالى من عبادات وطاعات
ومعنى كونه مطلوبا انّه موكل الى اكتساب العبد له واجتهاده فيه ومراعات
شروطه واسبابه واوقاته بهذا جرت سنة الله فى عباده وقال
الله عزّ وجلّ فى المعنى الاوّل الذى ضمنه للعبد وكاين من دابّة لا تحمل
رزقها الله يرزقها واياكم وقال سبحانه وتعالى فى المعنى الثّانى الذى
طلبه منه وان ليس للانسان الا ما سعى وقد ورد فى بعض الآثار
عن الله عزّ وجلّ انّه قال عبدى اطعنى فيما امرتك ولا تعلمنى بما يصلحك
وذكر فى بعض الخبر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انّه قال ما بال اقوام
يشرّفون المترفين ويستخفون بالعابدين ويعملون بالقرآن ما
وافق اهواءهم وما خالف اهواءهم تركوه فعند ذلك يؤمنون ببعض و
يكفرون ببعض يسعون فيما يدرك بغير سعى من القدر المقدور
والاجل المكتوب والرّزق المقسوم لا يسعون فيما لا يدرك الا بالسّعى
من الجزاء الموفور والسّعى المشكور والتّجارة التى لا تبور وقال ابو هيم
الخوّاص رضى الله عنه العلم كلّه فى كلمتين لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع
ما استكفيت فمن قام بهذا الامر على ما ينبغى من الوجه الذى ذكرناه
من الاجتهاد فى الامر المطلوب منه وتفريغ القلب من الامر المضمون
له فقد انفتحت بصيرته واشرق نور الحقّ فى قلبه وحصل على غاية
المقصود ومن عكس هذا الامر فهو مطموس البصيرة اعمى القلب وفعله
دليل على ذلك والبصيرة ناظر القلب كما انّ البصر ناظر العين و
ناظر القلب انّما ينظر الى العاقبة والعاقبة للمتقين والتّقوى هى التى يجب
على العبد الاجتهاد فيها ولا يتوانا عما يمنع منها الا غير وتعبير المصنف
رحمه الله بالاجتهاد اشعارا بانّ طلب الرّزق من غير اجتهاد فيه غير

لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت

مقصود

مقصود بالكلام وهو كذلك لانّه مباح ومأذون فيه فلا يدلك على انطماس
بصيرة صاحبه الا ان اقترن بتقصير فيما امر به قال فى التنوير فى
قوله عزّ وجلّ وَأْمُرْ اهلك بالصّلوة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن
نرزقك اى قم لخدمتنا ونحن نقوم لك بقسمتنا وهما شيئان شئ ضمنه
الله لك فلا تتهمه وشئ طلبه منك فمن اشتغل بما ضمن له عما طلب منه
فقد عظم جهله واتّسعت غفلته وقلّ ما ينتبه لمن يوقظه بل
حقيق على العبد ان يشتغل بما طلب منه عمّا ضمن له اذا كان الله تعالى
قد رزق اهل الجحود كيف لا يرزق اهل الشّهود اذا كان الله سبحانه
وتعالى اجرى رزقه على اهل الكفران كيف لا يجرى رزقه على اهل الايمان
فقد علمت ايها العبد انّ الدّنيا مضمونة لك اى مضمون لك منها
منها ما يقوم باودك والآخرة مطلوبة منك اى العمل لها لقوله سبحانه
وتعالى وتزوّدوا فانّ خير الزّاد التّقوى فكيف يثبت لك عقل وبصيرة
واهتمامك فيما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك بما طلب منك من
امر الآخرة حتّى قال بعضهم انّ الله تعالى ضمن لنا الدّنيا وطلب منّا الآخرة
فليته ضمن لنا الآخرة وطلب منّا الدّنيا انتهى لا يكن تأخّر امد العطاء
مع الالحاح فى الدّعا موجبا ليأسك فهو ضمن لك الاجابة فيما يختار
لك لا فيما تختار لنفسك وفى الوقت الذى يريد لا فى الوقت
الذى تريد حكم العبد ان لا يتخيّر شيئا على مولاه ولا يجزم بصلاحية حال
من الاحوال لانّه جاهل من كلّ وجه قد يكره الشّئ وهو خير له وقد يحب الشّئ
وهو شرّ له وقال سيدى ابو الحسن الشّاذلى رضى الله عنه لا تختر من امرك
شيئا واختر ان لا تختار وفرّ من ذلك المختار ومن فرارك ومن كلّ شئ
الى الله عزّ وجلّ وربّك يخلق ما يشاء ويختار ودخل رجل على سيدى ابى العباس
المرسى رضى الله عنه وهو عليل فقال ذلك الرّجل عافاك الله يا سيدى فسكت

فلا تهتمه

لا تختر من امرك شيئا

العافية

ولم يجاوبه ثم سكت ذلك الرجل ساعة ثم قال الله يعافيك يا سيدي فقال
الشيخ رضي الله عنه وانا ما سالت الله العافية قد سالته العافية والذي
انا فيه هو العافية ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد سأل الله العافية
وقد قال ما زالت اكلة خيبر تعاودني فالآن قد قطعت ابهري
وسيدنا ابو بكر رضي الله عنه قد سال الله العافية وبعد ذلك مات
مسموماً وسيدنا عمر رضي الله عنه سال الله العافية وبعد ذلك مات
مطعوناً وسيدنا عثمان رضي الله عنه سأل الله العافية وبعد ذلك
مات مذبوحاً وسيدنا علي رضي الله عنه سأل الله العافية وبعد ذلك
مات مقتولاً فاذا سألت العافية فسئله العافية من حيث يعلمها
لك انها عافية انتهى فعلى العبد ان يسلم نفسه لمولاه ويعتقد ان
الخير له في جميع ما به يتولاه وان خالف ذلك مراده وهواه فاذا دعى وطلب
من مولاه شيئاً يرى له فيه مصلحة ايقن بالاجابة لا محالة قال الله عز وجل
وقال ربكم ادعوني استجب لكم وقال عز وجل من قائل واذا سألك عبادي
عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان وعن جابر بن عبد الله
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من احد
يدعو بدعاء الا آتاه الله ما سأل او كف عنه من السوء مثله ما لم يدع
باثم او قطيعة رحم وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما من داع يدعو الا استجاب الله دعوته او صرف عنه مثلها
سوأ او حط عنه من ذنوبه بقدرها ما لم يدع باثم او قطيعة رحم
فاذا الاجابة المطلقة حاصلة لكل داع بحق حسبما ورد الوعد الصادق
الا ان الاجابة امرها الى الله تعالى يعجلها متى شاء وقد يكون المنع و
تأخر العطاء اجابة لمن فهم عن الله تعالى في ذلك فلم ييأس العبد من فضل
الله تعالى اذا رأى منعاً او تأخراً وان الح في دعائه وسؤاله وقد

ما من داع يدعو الا استجاب الله دعوته

وعطاء



يكون

يكون تأخر ذلك الى الاخرة خيراً له فقد جاء في بعض الاخبار يبعث عبد فيقول
الله له الم امرك ترفع حوائجك الي فيقول قد رفعتها اليك فيقول الله
ما سألت شيئاً الا اجبتك فيه ولكن نجزت لك البعض في الدنيا وما لم
انجزه لك في الدنيا فهو مدخر لك فخذه الآن حتى يقول ذلك العبد ليته
لم يقض لي حاجة في الدنيا وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى
النهي عن الاستعجال في اجابة الدعاء في قوله يستجاب لاحدكم ما لم
يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي وقد دعى موسى وهارون عليهما الصلاة
والسلام على فرعون فيما اخبر الله سبحانه وتعالى به عنهما حين قالا ربنا
اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم
ثم اخبر الله انه اجاب دعاءهما في قوله سبحانه وتعالى قد اجيبت دعوتكما
فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون قالوا وكان بين قوله قد
اجيبت دعوتكما وبين هلاك فرعون اربعون سنة وقال لسيدي
ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في قوله تعالى فاستقيما ولا تتبعان سبيل
الذين لا يعلمون هم الذين يستعجلون الاجابة وناهيك شرفاً وخطاباً
بما يحصل بسبب مداومة الدعاء من الظفر بمحبة الله تعالى وموافقة
رضاه فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يحب
الملحين في الدعاء وقد ورد في الحديث قال جبريل عليه السلام يا رب
عبدك فلان اقض له حاجته فيقول الله عز وجل دعوا عبدي فاني احب
ان اسمع صوته رواه انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومقتضى هذا ان من الناس من يعجل الله له نوال حاجته لكراهية
صوته وقد ورد هذا المعنى ايضاً منصوصاً فليكن العبد خائفاً
من ذلك عند تعجيل اجابة دعائه قال ابو محمد عبد العزيز المهدوي
رضي الله عنه كل من لم يكن في دعائه تاركاً لاختياره راضياً باختيار الحق

معنى النهي عن الاستعجال

كل من لم يكن في دعائه تاركاً لاختياره فهو مستدرج

وقد يكون الاجابة مرتبة على شروط

فهو مستدرج وهو ممن قيل له اقضوا حاجته فاني اكره ان اسمع صوته فاذا
كان في دعائه مع اختيار الحق تعالى لا مع اختيار نفسه كان مجابا وان لم
يعط والاعمال بخواتيمها انتهى ه وقد تكون الاجابة مرتبة على شروط لا علم
للداعي بها فتتاخر لعدم وقوع ذلك او بعضه وذلك مثل وجود الاضطرار
قال الله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه فرتب الاجابة على الاضطرار
قال بعض العارفين اذا اراد الله ان يستجيب دعاء عبد من عبيده رزقه
الاضطرار والاضطرار لا يتحققه العبد من نفسه في جميع حالاته قال
بعضهم المضطر الذي اذا رفع الى الله تعالى يديه لم ير لنفسه عملا وهذا حال
شريف ومقام منيف يعز على اكثر الناس الوصول اليه فكيف يتحقق ما
ينبني عليه وفي المسألة التي تاتي باثر هذا تنبيه على هذا المعنى لا يشككك
في الوعد عدم وقوع الموعود وان تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا في
بصيرتك واخمادا لنور سريرتك الحق سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد
فمن وعده مولاه شيئا وان كان معين الزمان ثم لم يقع ذلك الموعود فلا ينبغي
ان يشككه ذلك في صدق وعد ربه ولتجويزه ان يكون وقوع ذلك الوعد معلقا
على اسباب وشروط استاثر الحق تعالى بعلمها دون العبد فعلى العبد ان يعرف
قدره ويتادب مع ربه ويسكن اليه فيما وعده ويطمئن اليه ولا يتشكك
في ذلك ولا يتزلزل اعتقاده فيه فمن كان على هذا الوصف فهو عارف بالله
تعالى سالم البصيرة منور السريرة والا فعلى العكس ه اذا فتح لك وجهة
من التعرف فلا تبال معها وان قل عملك فانه ما فتحها لك الا وهو
يريد ان يتعرف اليك الم تعلم ان التعرف هو مورده عليك و
الاعمال انت مهديها اليه واين ما تهديه اليه مما هو مورده عليك
معرفة الله تعالى هي غاية المطالب ونهاية الآمال والمآرب فاذا اولج السيد عبده
ببعض اسبابها وفتح له باب التعرف له منها واوجده سكينته وطمانينته

الآمال

فيها

فيها فذلك من النعم الجزيلة عليه فينبغي ان لا يكترث بما يفوته بسبب ذلك
من اعمال البر وما يترتب عليها جزيل الاجر وليعلم انه سلك به مسلك
الخاصة المقربين المؤدي الى حقائق التوحيد واليقين من غير اكتساب
من العبد ولا تعمل من الاعمال التي من شانه ان يتلبس بها هي باكتسابه
وبعمله فلا يسلم من دخول الآفات عليها والمطالبة بوجود الاخلاص
فيها وقد لا يحصل له ما امله من الثواب عند مناقشة الحساب واين
احدهما من الآخر ومثاله ما يصاب به الانسان من البلايا والشدائد
التي تنقص عليه لذات الدنيا وتمنعه من تكثير الاعمال البر فان مراده
ان يستمر بقاؤه في دنياه طيب العيش ناعم البال ويكون حاله في طلب
سعادة الآخرة حال المترفهين المتودعين فلا تسخو نفسه الا بالاعمال
الظاهرة التي لا كثير مؤنة عليها فيها ولا مشقة ولا تقطع عليه لذة ولا
تفوته شهوة ومراد الله تعالى منه ان يطهره من اخلاقه اللئيمة
ويحول بينه وبين صفاته الذميمة ويخرجه من اسر وجوده الى متسع
شهوده ولا سبيل له الى الوصول الى هذا المقام على غاية الكمال والتمام
الا بما يضاد مراده ويشوش عليه معتاده ويكون حاله حينئذ المعاملة
بالباطن ولا مناسبة بينهما وبين الاعمال الظاهرة فاذا فهم هذا علم ان
اختيار الله تعالى له ومراده خير له من اختياره لنفسه ومراده لها فقد
روي ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه عليهم الصلاة والسلام اني اذا
انزلت لعبد بلائي فدعاني فماطلته بالاجابة فشكاني فقلت عبدي
كيف ارحمك من شيء به ارحمك وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى اذا ابتليت عبدي المؤمن
فلم يشكني الى عواده انشطته من عقالي وبدلته لحما خيرا من لحمه ودما
خيرا من دمه ويستانف العمل وروى عن سعيد المقبري رضي الله عنه

قال سمعت اباهريرة رضى الله عنه يقول قال الله تبارك وتعالى انى ابتلى
عبدى المؤمن فاذا لم يشك الى عواده حللت عنه عقدى وبدلته لحما خيرا
من لحمه ودما خيرا من دمه ثم قلت استانف العمل ه وقال ابو عبد الله محمد
ابن على الترمذى رضى الله ولقد مرضت فى سالف ايامى مرضة فلما شفانى
الله تعالى منها مثلت فى نفسى ما دبر الله لى هذه العلة فى مقدار هذه
المدة وبين عبادة الثقلين فى مقدار ايام ايام علتى فقلت لو خيرت
بين هذه العلة وبين ان يكون لى عبادة الثقلين فى مقدار مدتها
الى ايهما اميل اختار افصح عزمى ودام يقينى ووقعت بصيرتى ان
يختار الله لى اكثر شرفا واعظم اجرا وانفع عاقبة وهى العلة دبرها
لى وليتعرف الى ولا شوب فيه اذا كان فعله فشتان بين فعله بك
لتنجو به وبين فعلك لتنجو به فلما رايت هذه دق فى عينى عبادة
الثقلين فى مقدار تلك المدة فى جنب ما اتانى فصارت العلة عندى
نعمة وصارت النعمة منة وصارت المنة املا وصار الامل عطفا
فقلت فى نفسى بهذا كله كانوا يستمرون فى البلاء على طيب النفوس مع الحق
وبهذا الذى انكشف كانوا يفرحون بالبلاء انتهى ه فهذه صحة وجهة
التعرف التى فتحها الله تعالى له وحصلت له الغبطة بها واثرها على عبادة
الثقلين والله اعلم فاذا اورد الله تعالى على العبد شيئا من البلاء فليستشعر
ما ذكرناه وليجعله نصب عينيه وليجدد تذكاره على نفسه حتى يحصل
من السكون والطمانينة ما يحمل عنه اثقال ذلك ويزيل عنه مرارته
ويوجد حلاوته وعند تلك يكون حاله فى بلائه حال الشاكرين من الفرح
والاغتباط به فيرى من حق شكره ان ياتى بما يمكنه من اعمال بره واعتبر
جميع ما قلناه فى هذه المسألة بالحكاية التى ذكرها ابو العباس بن العريف
رحمه الله تعالى فى كتابه مفتاح السعادة ومنهاج سلوك طريق الارادة

شرف البلاء على طاعة الثقلين

قال فيه

قال فيه كان بالمغرب عمره الله بالاسلام رجل يدعى ابا الخير رحمه الله تعالى
ونفعنا بذكره اصله من صقلية وموطنه بغداد وجاوز سن الشعين
وهو فى الرق لم يعتقه مولاه وذلك منه عن قصد واختيار وعم
جسده الجذام ورائحة المسك توجد منه على مسافة بعيدة قال الذى
حدثنى رايته يصلى على الماء ثم بقيت بعد محمد الاسبحى فاذا هو ابرص
فقلت له يا سيدى كان الله تعالى لم يجد للبلاء محلا من اعدائه
حتى انزله بكم وانتم خاصته واوليائه فقال لى اسكت لا تقل ذلك انه
لما اشرفنا على خزائن العطا لم نجد عنده شيئا اشرف ولا اقرب اليه
من البلاء فسالناه اياه فكيف بك لو رايت سيد الزهاد وقطب
العباد وامام الاولياء والاوتاد فى غار بارض طرسوس وجبالها
لحمه يتناثر وجسده يسيل قيحا وصديدا وقد احاط به الذباب
والنمل فاذا كان الليل لم يقنع بذكر الله سبحانه وتعالى وشكره
على ما اعطاه من الرحمة واسكن جسده من العافية حتى يشد
نفسه بالحديد ويستقبل القبلة عامة ليله حتى يطلع الفجر انتهى
وسياتى شئ من كلام المؤلف رحمه الله تعالى فى هذا المعنى
والتنبيه عليه والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق تنوعت
اجناس الاعمال لتنوع واردات الاحوال واردات الاحوال
هى ما ترد على القلوب من المعارف الربانية والاسرار الروحانية
وهى توجب لها احوال الاحمية فمنها وارد يوجب هيبة ومنها
وارد يوجب انسا ومنها وارد يوجب قبضا ومنها وارد يقتضى بسطا
الى غير ذلك من مختلفات الاحوال ولما كانت هذه الواردات
متنوعة كانت اجناس الاعمال التى تقتضيها هذه الواردات ايضا
متنوعة والاعمال الظاهرة ابدا تبع لاحوال القلب الباطنة كما

سيقوله المصنف رحمه الله تعالى بعد هذا في قوله حسن الاعمال نتايج حسن
الاحوال **الاعمال صور قائمة وارواحها وجود سر الاخلاص فيها**
اخلاص كل عبد في اعماله على حسب رتبته ومقامه فاما من كان منهم من
الابرار فمنتهى درجة اخلاصه ان تكون اعماله سالمة من الريا الجلي
والخفي وقصد مخالفته لهوى النفس طالبا لما وعد الله المخلصين من
جزيل الثواب وحسن المآب وهربا مما وعد الله به المخلطين من اليم
العذاب وسوء الحساب وهذا من التحقيق لمعنى قوله اياك نعبد اي
لا نعبد الا اياك ولا نشرك في عبادتنا غيرك وحاصل امره اخراج
الخلق عن نظره في اعمال بره مع بقاء رؤيته لنفسه في النسبة اليها
والاعتماد عليها واما من كان منهم من المقربين فقد جاوز هذا
الى عدم رؤيته لنفسه في عمله فاخلاصه انما هو شهود انفراد الحق
تعالى بتحريكه وتسكينه من غير ان يرى لنفسه في ذلك حولا ولا قوة
ويعبر عن هذا المقام بالصدق الذي به يصح مقام الاخلاص و
صاحب هذا السلوك به طريق سبل التوحيد واليقين وهو التحقق
لقوله تعالى واياك نستعين اي لا نستعين الا بك لا بانفسنا
وحولنا وقوتنا فعمل الاول هو العمل لله تعالى وعمل الثاني هو العمل
بالله عز وجل والعمل لله يوجب المثوبة والعمل بالله يوجب القربة
والعمل لله يوجب تحقيق العبادة والعمل بالله يوجب تصحيح الارادة
والعمل لله نعت كل عابد والعمل بالله نعت كل قاصد والعمل لله قيام
باحكام الظواهر والعمل بالله قيام بالضمائر وهذه العبارات
للامام ابي القاسم القشيري رضي الله عنه وبها يتبين الفرق بين
المقامين تباينهما بالشرف والجلالة فاخلاص كل عبد هو روح
اعماله فبوجود ذلك يكون حياتها وصلاحيتها للتقرب بها ويكون

فرق اخلاص الابرار والمقربين

فيها اهلية وجود القبول لها وبعدم ذلك يكون موتها وسقوطها
عن درجة الاعتبار ويكون اذ ذاك اشباحا بلا ارواح وصورا بلا
معاني وقال بعض المشايخ صحح عملك بالاخلاص وصحح اخلاصك بالتبري
من الحول والقوة ثم ذكر المؤلف الحالة التي اذا كان العبد عليها كان
مخلصا فقال **ادفن وجودك في ارض الخمول فما نبت مما لم
يدفن لا يتم نتاجه** لا شيء اضر على المريد من الشهرة وانتشار الصيت
لان ذلك من اعظم حظوظه التي هو مأمور بتركها ومجاهدة النفس
فيها قد تسمح نفس المريد بترك ما سوى هذا من الحظوظ ومحبة الجاه
وايثار الاشتهار مناقض العبودية التي هو مطالب بها قال ابرهيم بن
ادهم رضي الله عنه ما صدق الله تعالى من احب الشهرة وقال
بعضهم طريقتنا هذه لا تصلح الا لاقوام كنست بارواحهم المزابل
وقال ايوب رضي الله عنه والله ما صدق الله رجل الا سره ان لا يشعر
بمكانه وقال رجل لبشر بن الحارث رضي الله عنه اوصني فقال اخمل
ذكرك واطب مطعمك وقال بشر رضي الله عنه ما اعرف رجلا احب
ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال ايضا لا يجد حلاوة الآخرة
رجل يحب ان يعرفه الناس **وقال الفضيل** رضي الله عنه بلغني ان الله
عز وجل يقول في بعض ما يمن به على عبده الم انعم عليك الم استرك
الم اخمل ذكرك ثم ان تلك الاشياء الراجعة الى محبة الاشتهار و
الاستعلاء مما تقدح في اخلاص العبد على اختلاف مراتبه لانه اما
بسقوط الناس عن النظر اليه او سقوط النفس عن النظر اليها
ولم يثبت للمريد جميع ذلك الا بالخمول وبسقوط المنزلة عند نفسه
وعند الناس لانه ان لم يكن بهذه المثابة لا ينفك عن الاغراض التي
تبعثه على استمالة قلوب الخلق فتدعوه نفسه الى ذلك دعاء خفيا

ترك محبة الاشتهار والاستعلاء بالكلية

فينصبغ عمله بالرياء انصباغًا لا يتفطن له كما سيأتى عند قوله ربما دخل
الرّيا عليك حيث لا ينظر الخلق اليك وبقدر تحققه بوصف الخمول يتحقق
بمقام الاخلاص حتّى يتخلّص بذلك عن رؤية اخلاصه وبهذا يتبين لك
افلاس جميع النّاس الّا من رحم الله وانّ الاخلاص فى غاية الصّعوبة على النّفس
وانّه اعز الاشيا فى الوجود قيل لسهل بن عبد الله رضى الله عنه اىّ
شئ اشدّ على النّفس قال الاخلاص لانّه ليس لها فيه نصيب وقال يوسف بن
الحسين رضى الله عنه اعز شئ فى الدّنيا الاخلاص وكم اجتهد فى اسقاط الريا
عن قلبى فكانّه ينبت فيه على لون آخر وقال الشيخ ابو طالب رضى الله عنه
الاخلاص عند المخلصين اخراج الخلق من معاملة الخالق واوّل الخلق
النّفس والاخلاص عند المحبّين ان لا يعمل عملًا لاجل النّفس والا دخل عليه
مطالعة العوض او تشوف الى حظّ الطّبع والاخلاص عند الموحّدين
خروج الخلق من النّظر اليهم فى الافعال وترك السّكون والاستراحة بهم
فى الاحوال انتهى فاذا اخمل العبد نفسه والزمها التّواضع والمذلّة و
استمرّ على ذلك حتّى صار له خلقًا وجبلة بحيث لا يجد لضعته الما ولا لمذلّته
طمعًا فحينئذٍ تتزكّى نفسه ويستنير بنور الاخلاص قلبه وينال من ربّه
اعلى درجات الخصوصيّة ويحصل على اوفر نصيب من المحبّة الحقيقيّة
قال الشيخ ابو طالب رضى الله عنه ومتى ذلّ فى نفسه واتضع عند نفسه
فلم يجد لذلّته طعمًا ولا لضعته حسًّا فقد صار الذلّ والتّواضع كونه
فهذا لا يكره الذمّ من الخلق لوجود النّقص فى نفسه ولا يحب المدح منهم
لفقد القدر والمنزلة فى نفسه فصارت الذلّة والضعة صفة لا تفارقه
لازمة لزوم الزّبالة والكساحة للكسّاح وهما صفتان كسائر الصّنائع وربّما
فخروا بهما لعدم النّظر الى نقصهما فهذه ولاية عظيمة له من ربّه قد ولاه
على نفسه وملّكه عليها فقهرها بعزّه فهذا مقام محمود وبعدم المكاشفة

علامات الاخلاص

للزبال ذم

بسر آثر الغيوب ثمّ قال من كان حاله مع الله الذلّ طلبه واستحلاه كما
يطلب المتكبّر العزّ ويستحليه اذا وجده فان فارق ذلك ساعة تغيّر
قلبه لفراق حاله كما انّ المتعزّز ان فارق العزّ ساعة تكدّر عليه عيشه
لانّ ذلك عيش نفسه انتهى فاذًا لا بدّ للمريد من اسقاط جاهه
واخمال ذكره وفراره عن موضع اشتهاره وتعاطيه امورًا مباحة تسقطه
من اعين النّاس كقصّة السّايح الّذى سمع به ملك زمانه فجاء اليه فلمّا
علم بذلك السّايح استدعى بقلا وجعل ياكله اكلا عنيفًا بحضرة الملك
بمرأى من الملك فلمّا رآه الملك على تلك الحالة استحقره واستصغره
وانصرف عنه ذامًا له وسيأتى نصّ هذه القصّة بعد هذا عند قوله
ربّما دخل الرّيا عليك بحيث لا ينظر الخلق اليك وقد بالغ بعضهم فى مداواة
علّة الجاه الّذى علق بالقلوب حتى استعملوا فى ذلك اشيا منكرة فى ظاهر
الشّرع ورأوا ذلك جائزًا لهم ان يفعلوه ويامروا به وذلك مثل قصّة
الرّجل الّذى دخل الحمّام ولبس من فاخر ثياب النّاس تحت ثيابه بحيث
يظهر ومشى بذلك متمهّلا بحيث يرى ويظنّ به السّرقة فلمّا رآه النّاس
اخذوه وصفعوه ونزعوا الثياب عنه واشتهر عندهم بالسّرقة حتّى كان يعرف
بلصّ الحمّام فحينئذٍ وجد قلبه ومثل ما يروى عن ابى يزيد رضى الله عنه
فى قصّة الشّاهد الّذى امره بحلق رأسه ولحيته وتعليق مخلاة الجوز فى
عنقه واعطائه من ذلك لمن يصفعه من الصّبيان وطوافه
على تلك الحالة فى المحاضر والمحافل والحكايتان مشهورتان حكاهما الامام
الغزالى رضى الله عنه وغيره وقال بعض المصنّفين واذا جاز لمن غصّ
بلقمة من طعام حلال ان يسيغها بجرعة خمر ان لم يجد غيره مع ان تحريمه
مقطوع به ولا تفوته الّا حياة فانية فلا يجوز ان مثل هذا اذا تعيّن
اولى اذ تفوته بذلك الحياة الباقية والقرب من الله تعالى فاذا التزم العبد

جواز المنكر لاسقاط الجاه والشهرة

هذه الطرق من الرياضة مات نفسه وحيي قلبه وقرب من حضرة ربه
واجتنا ثمرة غرسه على غاية الكمال والتمام وتلك الثمرة اخلاق الايمان
التي تكيفت بها نفسه وصارت كصفات ذاتية له وهي نتيجة الحكمة
التي انبتها الله تعالى في قلوب عباده المتواضعين ومن يوتى الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا قال عيسى عليه السلام لاصحابه اين تنبت الحبة
قالوا في الارض قال عيسى عليه السلام كذلك الحكمة لا تنبت الا في قلب
مثل الارض قلت وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في مدح
الخمول وذم الشهرة احاديث كثيرة منها ما روى ابو امامة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله عز وجل ان اغبط اوليائي
عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة احسن عبادة ربه
واطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان
رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نفض يده فقال عجلت منيته قلت
بواكيه قل تراثه وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين تنبو عنه اعين الناس
لو اقسم على الله لابره وروى معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ان يسيرا من الريا شرك وان من عادى اولياء
الله تعالى بارز الله بالمحاربة وان الله يحب الاخفيا الاتقياء الذين
اذا غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم مصابيح
الهدى يخرجون من كل غبرا مظلمة وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم في حديثا الذي نوه فيه باسم اويس القرني رضي
الله عنه واشار بذكره ونبه على عظيم امره انه قال بينما نحن عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حلقة من اصحابه اذ قال ليصلين غدا رجل معكم
من اهل الجنة قال ابو هريرة رضي الله عنه فطمعت ان اكون ذلك الرجل

حديث فيه ذكر اويس القرني رضي الله عنه

فغدوت

فغدوت فصليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فاقمت في المسجد حتى
انصرف الناس وبقيت انا وهو صلى الله عليه وسلم فبينما نحن كذلك
اذ اقبل رجل اسود متزر بخرقة مرتد برقعة فجاء حتى وضع يده في
يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا نبي الله ادع الله لي بالشهادة
فدعى النبي صلى الله عليه وسلم له بالشهادة وانا لنجد منه ريح المسك
الاذفر فقلت يا رسول الله اهو هو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعم وانه لمملوك بني فلان قلت افلا تشتريه فتعتقه يا نبي الله
فقال صلى الله عليه وسلم وانا لي بذلك ان كان الله يريد ان يجعله من
ملوك الجنة وساداتهم يا ابا هريرة ان لاهل الجنة ملوكا وسادات
وان هذا الاسود اصبح من ملوك الجنة وساداتهم يا ابا هريرة
ان الله يحب من خلقه الاصفياء الاخفياء الابرياء الشعثة
رؤسهم المغبرة وجوههم المخمصة بطونهم من كسب الحلال
الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم وان خطبوا المنعمات
لم ينكحوا وان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا وان طلعوا لم
يفرح بطلعتهم وان مرضوا لم يعادوا وان ماتوا لم يشهدوا قالوا
يا رسول الله صلى الله عليك وسلم كيف لنا برجل منهم قال صلى الله
عليه وسلم ذلك اويس القرني قالوا وما اويس القرني قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين معتدل القامة
ادم شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره الى موضع
سجوده واضع يمينه على شماله يتلو القران يبكي على نفسه ذو طمرين
لا يؤبه له متزر ازار صوف ورداء صوف مجهول في اهل الارض
معروف في اهل السماء لو اقسم على الله لابر قسمه الا وان تحت
منكبه الايسر لمعة بيضا الا وانه اذا كان يوم القيامة قيل للعباد

ادخلوا الجنة ويقال الاويس القرني رضي الله عنه قف واشفع فيشفعه
الله في مثل عدد ربيعة ومضر يا عمر ويا علي ان انتما لقيتماه فاطلبا منه ان
يستغفر لكما يغفر الله لكما وذكر الحديث **وفي حديث اخر** ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ليكون في امتي رجل يقال له اويس القرني يدخل في شفاعته
عدد ربيعة ومضر لو اقسم على الله لابره فمن لقيه بعدي فليقراه مني السلام
ثم سئل عن علامته فقال صلى الله عليه وسلم هو رجل اصهب اشهل ذو طمرين
ابيضين لدام وقد كان به بياض فدعى الله عز وجل فاذهبه الله عز وجل
عنه الا مقدار الدينار او الدرهم لا يؤبه له مجهول في اهل الارض معروف
في اهل السماء وكان قد بلغ من شدة خموله ونهاية ضعته ان الناس كانوا
يسخرون منه ويستهزؤن به ويؤذونه ويرون فيه اهلية الجذاع والتلصص
فينسبونه الى ذلك فقد روي انه دفع اليه بعض فقهاء الكوفة ثوبين
وكان يجالسه فانقطع عن مجالسته لاجل العري فردهما اليه بعد ان
اخذهما منه وقال لان الناس يقولون من اين له هذان الثوبان ترى من
جدع عليهما وكان في ذلك الوقت يجالس الفقهاء ويظهر للناس وذلك قبل
ان يعرف برفعة القدر وجلالة الخطر وتنويه عمر رضي الله عنه به على المنبر
فلما راى ان الناس عرفوا حاله هرب عنهم واستخفى عنهم والتبس امره عليهم
برعاية الابل وغير ذلك وقيل لعمر رضي الله عنه لما سال عنه قومه قالوا ما فينا
اخمل منه ذكرا فلما لقيه هو وعلي رضي الله عنهما وسالاه من هو فقال لهما
راعي غنم وابل واجير قوم وستر ذكر اويس فلما سالاه عن اسمه قال عبد الله
فلما سالاه عن اسمه الذي سمته به امه امتنع ان يجيب عن ذلك فلما
اخبراه بصفته عن النبي صلى الله عليه وسلم وانهما عرفاه بذلك قال لهما عسى
ان يكون ذلك غيري فلما قالا له اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تحت
منكبك الايسر لمعة بيضا وطلبا منه ان يوضحها لهما لم يجد بدا من ان يوضحها

وذلك والله اعلم ليريهما رؤية عين صحة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه
في اخباره بالغيب وذلك امر واجب عليه والا فلعله كان يتعلل لهما في كل ما
سئل عنه ثم بعد ذلك لما ساله عمر رضي الله عنه ان يلتقي معه ويجعل ذلك
الموضع ميعادا بينه وبينه قال له يا امير المؤمنين لا ميعاد بيني وبينك
ولا اعرفك ولا تعرفني بعد اليوم ثم دفع الغنم والابل الى اصحابها وخلى من الرعاية
وكذلك فعل مع هدم بن حيان رضي الله عنه لما لقيه بشاطئ الفرات
ووقع بينهما التعرف **قال له حدثني** بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
احفظه عنك فقال لا احب لي ان افتح على نفسي هذا الباب لا احب ان اكون
محدثا ولا مفتيا ولا قاضيا فلما فرغا من الكلام الذي كانا بصدده و
ساله متى وقت الاجتماع به ابى وامتنع وقال له لا اراك بعد اليوم تطلبني
ولا تسال عني انطلق انت ها هنا حتى انطلق انا ها هنا ثم بعد ذلك اجتهد
في طلبه والبحث عنه فلم يقع له على خبر **ومن عجيب امره** ان حقق الله له هذا
الحال من التخفي والتستر واتمه له بعد موته بعد ما اظهره الله بسببه
من الايات والعبر حينئذ **قال عبد الله** بن سلمة غزونا اذربيجان زمن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ومعنا اويس القرني رضي الله عنه فلما رجعنا مرض
فمات فنزلنا واذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه
وصلينا عليه ودفناه فقال بعض القوم لو رجعنا فعلمنا قبره فرجعنا
فاذا لا قبر ولا اثر **قلت** والحكايات والاثار في مدح الخمول وذم الاشتهار
اكثر من ان ياتي عليها الحصار وقد اورد كثيرا منها الائمة المصنفون
في هذا العلم فليطالع ذلك المريد مستمدا من الله تعالى حسن التوفيق
والتاييد وتعبير المؤلف رحمه الله تعالى ها هنا بالدفن والارض والنبات
والنتاج من مليح الاستعارات **ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها
ميدان فكرة** مداواة امراض القلوب واجبة على المريد وامراضه انما يكون

من غلبة احكام الطبع عليه من صحبة الاضداد ووقوفه مع المعتاد وانقيادا
الى هوى النفس واشتغاله بعالم الحس ومداواة هذا المرض تأتي من
وجوه كثيرة واليقها في ذلك وانفعها العزلة عن الناس المصحوبة بالفكرة
فبالعزلة يتقيد الظاهر عن مخالطة من لا يصلح مخالطته ومن لا يأمن
دخول الافات عليه بصحبته فيتخلص لذلك المعتزل من المعاصي التي تعرض
له بالمخالطة مثل الغيبة والمداهنة والرياء والتصنع ويحصل له بذلك
السلامة من مسارقة الطباع الردية والاخلاق الدنية لقول الشاعر
الطبع لص فلا تركن الى فسق * فقل ان يسلم الامة من زلل *
ويستفيد بذلك صيانة دينه ونفسه عن التعرض للخصومات
وانواع الشرور والفتن فان للنفس تولعا وتسارعا الى الخوض في امثال
هذا فوجب على المعتزل ان يكف لسانه عن السؤال عن اخبار الناس وما
هم مشغولون به ومنهمكون فيه ومكبون عليه ويصون سمعه عن الاصغاء
الى اراجيف البلد وما اشتملت عليه من الاحوال التي ذكرناها وليحرص على
ان لا يغشاه في عزلته وخلوته من شانه التطلع لذلك والبحث عنه وليجتنب
صحبة من لا يتورع في منطقه ولا يضبط لسانه عن الاسترسال في دقائق
الغيبة والوقيعة والتعريض بالطعن على الناس فان ذلك مما يكدر صفاء
القلب ويؤدي الى مساخط الرب فليهجر المعتزل وليفر منه فراره من
الاسد ولا يجتمع معه في مكان البتة وليتنكر الى كل من تعرف له
ممن هذا شانه من المنسوبين الى الدين فضلا عن غيرهم كما قال بعضهم
انكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف وفي الخبر مثل جليس السوء
كمثل كير الحداد ان لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه وفي الاخبار
السالفة ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا
وارتد لنفسك اخوانا وكل اخ وصاحب لا يوازرك على مسرتي فهو لك

عدو واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام فقال له يا داود ما لي اراك متنبذا
وحدانيا فقال الهي قليت الخلق من اجلك فقال له يا داود كن يقظانا
وارتد لنفسك اخوانا وكل خدن لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه فانه
لك عدو يقسي قلبك ويباعدك مني وما احسن قول ابي اسحق ابرهيم
ابن مسعود الالبيري في هذا المعنى شعر
فخف ابناء جنسك واخش منهم * كما تخشى الضراغم والسبنتا
وخالطهم وزايلهم حذارا * وكن كالسامري اذا لمستا
وبالعزلة ايضا يجتمع همه ويقوى في ذات الله عزمه بخلاف الخلطة
فانها تفرق الهم وتضعف العزم وقد قيل ان العبد ليقعد في
خلوة على خصال من الخير يعلمها فاذا خرج الى الناس حللوا عليه ذلك
عقدة عقدة حتى يرجع الى بيته وقد انحلت العقد كلها وروي
عن عيسى عليه السلام انه قال لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قيل ومن الموتى
قال المحبون للدنيا الراغبون فيها وفي الخبر المروي عن نبينا صلى الله
عليه وسلم انه قال اخوف ما اخاف على امتي ضعف اليقين وضعف
اليقين انما يكون من رؤية اهل الغفلة ومخالطة ارباب البطالة
والقسوة وقال ابو طالب المكي رضي الله عنه واضر ما ابتلي به العبد و
ادخله واعمله في هلاكه واشده لحجبه وابعاده ضعف يقينه بما وعد
من الغيب وتوعد عليه بالشهادة وقوة اليقين اصل كل عمل صالح
وقال بعض هذه الطائفة قلت لبعض الابدال المنقطعين الى الله
تعالى كيف الطريق الى التحقيق والوصول الى الحق قال لا تنظر الى الخلق
فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي قال لا تسمع كلامهم فانما كلامهم
قسوة قلت لا بد لي قال لا تعاملهم فان معاملتهم خسران وحسرة
قلت انا بين اظهرهم فلا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم

فان السكون اليهم هلكة قلت هذا العلة قال يا هذا لا تنظر الى اللاعبين
وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتسكن الى الهالكين وتريد
ان تجد حلاوة الطاعة وقلبك مع غير الله عز وجل هيهات هذا لا
يكون ابدا وبالعزلة ايضا ينكف بصره عن النظر الى زينة الدنيا و
زهرتها وينصرف خاطره عن الاستحسان لما ذمه الله تعالى من زخرفها
فيمنع بذلك النفس عن التطلع اليها والاستشراف لها ومنافسة
اهلها فيها قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم
ولا ينبغي لاحد ان يستحقر هذا فانه يؤدي الى امراض عظيمة في القلب
ومن اعتزل الناس سلم باذن الله تعالى منها قال الامام ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه فان ارباب المجاهدات اذا ارادوا صون قلوبهم عن
الخواطر الردية لم ينظروا الى المستحسنات وقال هذا اصل كبير لهم
في المجاهدات في احوال الرياضة انتهى وقال محمد بن سيرين رضي الله عنه
اياك وفضول النظرة فانها تؤدي الى فضول الشهوة وقال بعض الادباء
من كثرت لحظاته دامت حسراته وقالوا ان العين سبب الحين ومن
ارسل طرفه اقتنص حتفه وان النظر الى الاشيا بالبصر يوجب تفرقة
القلب وقد انشدوا في هذا المعنى

وانك ان ارسلت طرفك رايدا ۰ لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر ۰ عليه ولا عن بعضه انت صابر

وبذلك ينقطع طمعك عن الناس ويحصل لك منهم الياس وذلك
من اعظم فوائد العزلة عند العقلاء الاكياس ولا تتم لك منفعة
العزلة الا بالاشتغال القلب بالفكرة وهي المقصود هاهنا وكان
العزلة مقدمة لها ومعينة عليها وذلك بعد تقديم ما يحتاج اليه
من علوم الشرع الظاهرة والقيام بمراعات اداب باطنة وقد ذكر

منها الشيخ ابو حامد الغزالي رضي الله عنه جملة شافية في كتاب العزلة من
الاحيا فلينظر هناك وقد جاء في الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سبعين
سنة كذا هو والله اعلم وكان عيسى عليه السلام يقول طوبى لمن كان قيله
ذكرا وصمته تفكرا ونظره عبرة ان اكيس الناس من دان نفسه و
عمل لما بعد الموت وقال كعب رضي الله عنه من اراد شرف الآخرة فليكثر
التفكر وقيل لام الدرداء رضي الله عنها ما كان افضل عمل ابي الدرداء
رضي الله عنه قالت التفكر وذلك لانه يصل بها الى معرفة حقائق
الاشيا وتبين الحق من الباطل والنافع من الضار ويطلع بها ايضا
على خفايا آفات النفس ومكايد العدو وغرور الدنيا ويتعرف بها
وجوه الحيل في التحرز عنها والطهارة منها قال الحسن البصري رضي الله
عنه الفكرة مرآة تريك حسنتك من سيئتك وتطلع بها ايضا على
عظمة جلال الله اذا تفكر في آيات الله ومصنوعاته وتطلع بها ايضا
على آلائه ونعمائه الجلية والخفية فيستفيد بذلك احوالا سنية
يزول بها مرض قلبه ويستقيم بسببها على طاعة ربه تعالى قلت
والعزلة التي ذكرها المصنف رحمه الله تتضمن وجود الخلوة وهي
احد الاركان الاربعة التي هي اساس المريدين ويلزم عنها من الثلاثة
الباقية الصمت اذ لا تتأتى لاكثر الناس الا بالخلوة والعزلة فاذا
اضاف اليهما المريد الركنين الباقيين وهما الجوع والسهر فقد
حصل على كلية الدوا والتحق بزمرة الاولياء والابدال قال
سهل بن عبد الله رضي الله عنه اجتمع الخير كله في هذه الاربع خصال
وبها صار الابدال ابدالا اخماص البطون والصمت والخلوة و
السهر قال الشاعر وجمعها في نظمه

يا من يريد منازل الابدال ۸ من غير قصد منه للاعمال ۸

لا تطمعن فيها فلست باهلها ۞ ان لم تزاحمهم على الاحوال

بيت الولاية قسمت اركانه ۞ ساداتنا فيه من الابدال

ما بين صمت واعتزال دائم ۞ والجوع والسهر الشريف العال

كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبع فى مراته ام كيف يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته ام كيف يطمع ان يدخل حضرة الله و هو لم يتطهر من جنابة غفلاته ام كيف يرجو ان يفهم دقائق الاسرار وهو لم يتب من هفواته الجمع بين الضدين محال كاجتماع الحركة والسكون والنور والظلمة وهذه الاشيا التى ذكرها المصنف رحمه الله تعالى اضداد لا تجتمع فان اشراق القلب بنور الايمان واليقين مضاد للظلمة التى استولت عليه من ركونه الى الاغيار والاكوان واعتماده عليها والمسير الى الله تعالى يقطع عقبات النفس مضاد للاعتقال فى جنس الهوى والشهوات ودخول حضرة الله تعالى المقتضية لطهارة الداخل ونزاهته مضاد لما هو عليه من جنابة غفلاته التى مقتضاها الاقصا والابعاد وفهم حقائق الاسرار المستفاد من التقوى مضاد للاصرار على المعاصى والهفوات واليه الاشارة بقوله عز من قائل واتقوا الله ويعلمكم الله ولما روى فى بعض الاخبار من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم قال يحيى بن معين التقى احمد بن حنبل واحمد ابن ابى الحوارى رضى الله عنهما فقال احمد بن حنبل لابن ابى الحوارى يا احمد حدثنا بحكاية سمعتها من استاذك ابى سليمان قال يا احمد قل سبحان الله بلا عجب فقال احمد سبحان الله وطولها بلا عجب قال احمد بن ابى الحوارى سمعت ابا سليمان يقول اذا اعتقدت النفوس على ترك الاثام جالت فى الملكوت وعادت الى ذلك العبد بطرائق

حكاية عجيبة

الحكمة

الحكمة من غير ان يؤدى اليها علم علماء قال فقام احمد بن حنبل ثلاثا وجلس ثلاثا وقال ما سمعت بحكاية فى الاسلام اعجب الى من هذه ثم ذكر الحديث الذى ذكرناه من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم ثم قال لاحمد بن ابى الحوارى صدقت يا احمد وصدق شيخك ولاجل كون هذه الاشيا اضدادا عجب المصنف رحمه الله تعالى ممن يعتقد صحة اجتماعها وممن طمع فى نيل مراتب الرجال مع كونه على اقبح الخلال والله اعلم ۞ الكون كله ظلمة وانما اناره ظهور الحق فيه فمن راى الكون ولم يشهده فيه او عنده او قبله او بعده فقد اعوزه وجود الانوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الاثار العدم ظلمة والوجود نور فالكون بالنظر الى ذاته عدم مظلم وباعتبار تجلى نور الحق عليه وظهوره فيه وجود مستنير ثم اختلف احوال الناس هاهنا فمنهم من لا يشاهد الا الاكوان وحجب بذلك عن رؤية المكون فهذا تائه فى الظلمات محجوب بسحب الاثار الكائنات ومنهم من لا يحجب بالاكوان عن المكون ثم هم فى مشاهدتهم اياه فرق ومنهم من شاهد المكون قبل الاكوان وهؤلاء الذين يستدلون بالمؤثر على الاثار ومنهم من شاهده بعد الاكوان ومنهم من شاهده مع الاكوان والمعية هاهنا اما معية اتصال وهو شهوده فى الاكوان واما معية انفصال وهو شهوده عند الاكوان وهذه الظروف المذكورة ليست بزمانية ولا مكانية لان الزمان و المكان من جملة الاكوان والاتصال والانفصال المذكوران ليسا على ما يفهم من معانيهما فانهما ايضا من جملة الاكوان ومعرفة تفصيل هذه الامور والتفرقة بين هذه الحقائق على ما هى عليه

احوال المكاشفين فى معاينة الحق فى كسوة الاكوان مختلف

وهؤلاء الذين يستدلون بالاثار على المؤثر صح

موكول الى اربابه فلنقتصر على ما ذكرناه فها هنا زلت اقدام كثير من
الناس فتكلموا بكلمات موهمة وعبروا بعبارات منكرة فى الشرع فكفروا
بذلك وبدعوا فاعتقد كمال التنزيه وبطلان التشبيه وتمسك
بقوله عز وجل ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ما يدلك على وجود
قهره سبحانه ان حجبك عنه بما ليس بموجود معه اتفقت مقالات
العارفين والمحققين واشاراتهم ومواجيدهم على ما ذكرناه قبيل
هذا من ان ما سوى الله تعالى عدم محض من حيث ذاته لا يوصف
بوجود مع الله سبحانه قال الله تعالى كل شئ هالك الا وجهه وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدق بيت قالته الشعرا قول لبيد

الا كل شئ ما خلا الله باطل ۞ وكل نعيم لا محالة زائل

قال بعض العارفين ابى المحققون ان يشهدوا غير الله لما حققهم
به من شهود القيومية واحاطة الديمومية قال سيدى الشيخ
ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه انا لننظر الى الله تعالى ببصر الايمان و
الايقان فاغنانا ذلك عن الدليل والبرهان ونستدل به على
الخلق هل فى الوجود شئ سوى الواحد الحق فلا نراه فان كان ولا
بد فنراهم كالهبا فى الهوى ان فتشتهم لم تجدهم شيئا وقال ايضا
رضى الله عنه قوى على الشهود مرة فسألته ان يستر ذلك عنى فقيل
لى لو سألته بما سأله موسى كليمه عليه السلام وعيسى روحه ومحمد
صفيه صلى الله عليه وسلم لم يفعل ولكن سله ان يقويك فسألته
فقوانى قال ابن عطا الله فى التنوير مما سوى الله تعالى عند اهل
المعرفة لا يوصف بوجد ولا فقد اذ لا يوجد معه غيره لثبوت
احديته ولا فقد لغيره لانه لا يفقد الا ما وجد ولو انهتك حجاب الوهم
لوقع العيان على فقد الاعيان ولاشرق نور الايقان فغطى وجود الاكوان

ما سوى الله عدم محض

وهذا الكلام

هو ٣٠

وهذا الكلام بسط ما ذكره فى هذا الكتاب وقال بعضهم لو كلفت ان
ارى غيره لم استطع فانه لا غير معه حتى اشهده معه وقال الشاعر

مذ عرفت الا له لم ار غيرا ۞ وكذا الغير عنده ممنوع
مذ تجمعت ما خشيت افتراقا ۞ وانا اليوم واصل مجموع

وقال آخر

الله قل وذر الوجود وما حوى ۞ ان كنت مرتادا بلوغ كمال
والكل دون الله ان حققته ۞ عدم على التفصيل والاجمال
واعلم بانك والعوالم كلها ۞ لولاه فى محو وفى اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته ۞ فوجوده لولاه عين محال
فالعارفون فنوا ولما يشهدوا ۞ شيئا سوى المتكبر المتعال
ورأوا سواه على الحقيقة هالكا ۞ فى الحال والماضى والاستقبال

وقد صنفوا فى بيان هذا الامر تصانيف وتفننوا فى الكلام فى
هذا المعنى نظما ونثرا وكل عبر على حسب شربه وذوقه جزاهم الله عنا
خيرا واذا تقرر هذا ووجدنا اكثر الناس قد حجبوا عن الله تعالى
بشهواتهم الدنيوية ودرجاتهم الاخروية ومقاماتهم العلوية
وكل ذلك من الاغيار العدمية والوجودات الوهمية علمنا بذلك
وجود قهره اذ من اسمائه تعالى القهار ولو ارتفع الحجاب عنهم لفنوا
عن انفسهم واراداتهم وبقوا بربهم وكانوا عبادا لله تعالى حقا وقد
سئل ابو سعيد بن الاعرابى رضى الله عنه عن الفنا فقال الفنا ان
تبدو العظمة والاجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة والاحوال
والدرجات والمقامات والاذكار تفنيه عن كل شئ وعن عقله وعن نفسه
وفنائه عن الاشياء وعن فنائه عن الفنا حتى انه يغرق فى التعظيم
قالوا والفنا على ثلاثة اوجه فناء فى الافعال ومنه قولهم لا فاعل الا الله

تعريف الفناء وفناء الفناء

وفناء فى الصفات لاحىّ ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة الّا الله وفناء فى الذّات لا موجود على الاطلاق الّا الله **وانشدوا فى ذلك**

فيفنى ثمّ يفنى ثمّ يفنى ۸ فكان فناؤه عين البقاء

وقال الشيخ محى الدّين من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم لا حياة لهم فقد جاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل **قال**

مَنْ ابصرَ الخَلْقَ كالسَّراب ۸ فقد ترقّا عن الحجاب

الى وجودٍ تراه يرقا ۸ بلا ابتعادٍ ولا اقتراب

ولم يشاهد به سواه ۸ هناك يهدى الى الصّواب

فلا خطاب به اليه ۸ ولا مشير الى الخطاب

كيف يتصوّر ان يحجبه شئ وهو الذى اظهر كلّ شئ بما اشرق عليه من نور الوجود وقد كان فى ظلمة العدم كما تقدّم **كيف يتصوّر ان يحجبه شئ وهو الذى ظهر بكلّ شئ** حتّى استدلّ عليه المستدلون بالاشياء كما قال تعا سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم **كيف يتصوّر ان يحجبه شئ وهو الذى ظهر فى كلّ شئ** اذ هو المتجلّى فيها بمحاسن صفاته واسمائه **كيف يتصوّر ان يحجبه شئ وهو الذى ظهر لكلّ شئ** فى ظهور ذلك الشئ ولذلك كان ساجدا له ومسبّحا بحمده ولكنّا لا نفقه ذلك **كيف يتصوّر ان يحجبه شئ وهو الظاهر قبل وجود كلّ شئ** لتحقّق هذا الاسم له ابدًا وازلًا **كيف يتصوّر ان يحجبه شئ وهو اظهر من كلّ شئ** لانّ الوجود اظهر من العدم على كلّ حال **كيف يتصوّر ان يحجبه شئ وهو الواحد الذى ليس معه شئ** اذ كل ما سواه عدم لا وجود له على التحقيق **كيف يتصوّر ان يحجبه شئ وهو اقرب اليك من كلّ شئ** لثبوت احاطته بك ووجود قيّوميّته عليك **كيف يتصوّر ان يحجبه شئ ولولاه ما كان**

وجود كلّ شئ حتّى استدلّ به المشاهدون على الاشياء كما قال الله تعا اولم يكف بربك انه على كلّ شئ شهيد **يا عجبا كيف يظهر الوجود فى العدم** لانّ العدم ظلمة والوجود نور وهما ضدّان لا يجتمعان **ام كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم** لانّ الباطل لا يثبت مع وجود الحقّ كما قال الله تعا وقل جاء الحقّ وزهق الباطل انّ الباطل كان زهوقا **وقوله عزّ من قائل** بل نقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق **قلت** وهذا الفصل من قوله الكون كلّه ظلمة الى هنا ابدع المصنّف فيه غاية الابداع وابان فيه بما تقرّ به الاعين وتلذ به الاسماع فانه رضى الله عنه ذكر جميع متعلّقات الظّهور وابطل حجابيّة كل ظلام ونور واراك فيه الحقّ رؤية عيان وبرهان ورفعك من مقام الايمان الى عالى مراتب الاحسان كلّ ذلك فى اوجز لفظ وافصح عبارة واتمّ تصريح والطف اشارة فلو لم يكن فى هذا الكتاب الا هذا الفصل لكان كافيا شافيا جزاه الله عن ذلك خيرا **وقال رضى الله عنه ما ترك من الجهل شيئا من اراد ان يحدث فى الوقت غير ما اظهره الله فيه** اذا اقام الله تعا العبد فى حال من الاحوال التى لا ينفيها الشرع فليلزم حسن الادب فى اختيار ابقائه عليها ورضاه بها وليراقب الله تعا فى مراعات ادابها وليوافق مراد الله تعا فى ذلك حتّى يكون هو الذى ينقله عنها قال ابو عثمان رضى الله عنه منذ اربعين سنة ما اقامنى الله تعا فى حال فكرهته ولا نقلنى الى غيره فسخطته وقد تقدمت حكاية المصنّف رضى الله عنه مع شيخه ابى العبّاس حين عزم على التجريد وترك ما كان عليه من الاشتغال بالعلم الظّاهر وما اجاب به الشيخ رضى الله عنه وهذا من نتائج العلم بالله تعا ومعرفة ربوبيّته فان سخط تلك الحالة

اختيار المريد والزام الحال الوارد فى الوقت حتى نقله الله عنه

وتشوف الى الانتقال عنها بنفسه واراد ان يحدث غير ما اظهره الله تعا
فقد بلغ غاية الجهل بربه واساء الادب فى حضرة مولاه عز وجل وهذا من
معارضة حكم الوقت الذى يشير اليه الصوفية وهو عندهم من اعظم ذنوب
الخاصة فالواجب على العبد الاستسلام لحكم الله تعالى فى ذلك الوقت
فهو ادب العبودية ومقتضى العلم بالله تعا وهذا احد معانى لفظ الوقت
فى اصطلاحهم قال الامام ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه وقد
يريدون بالوقت ما يصادمهم من تصريف الحق لهم دون ما يختارونه
لانفسهم ويقولون فلان بحكم الوقت اى مستسلم لما يبدو من الغيب من
غير اختيار وهذا فيما ليس لله عز وجل عليهم فيه امرا واقتضا بحق شرع
اذا التضييع لما امرت به واحالة الامر فيه على التقدير وترك
المبالاة بما يحصل منك من التقصير خروج من الدين ومن
كلامهم الوقت سيف اى ان السيف قاطع فالوقت بما يقتضيه
الحق ويجريه غالب وقيل السيف لين مسه قاطع حده فمن لاينه
سلم ومن خاشنه اصطلم كذلك الوقت من استسلم لحكمه نجا ومن
عارضه بترك الرضا انتكس وتردى وانشدوا

وكالسيف ان لاينته لان مسه ۞ وحداه ان خاشنته خشنان

ومن ساعده الوقت فالوقت له وقت ومن ناكده الوقت فالوقت عليه
مقت هذا الكلام للامام ابى القاسم القشيرى رضى الله عنه وهو موافق
لما ذكره صاحب الكتاب والله اعلم ۞ احالتك الاعمال على وجود الفراغ
من رعونات النفس اذا كان العبد متلبسا بحال من احوال دنياه
وكان له فيها شغل يمنعه من الاعمال الصالحة واحال ذلك على فراغه
من تلك الاشغال وقال اذا تفرغت عملت فذلك من رعونة نفسه
والرعونة ضرب من الحماقة وحماقته من وجوه الاول ايثار الدنيا على

الآخرة

الاخرة وليس هذا شان عقلاء المؤمنين وهو خلاف ما طلب منه قال سبحانه
وتعا بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى والثانى تسويفه بالعمل
الى وان فراغه وقد لا يجد مهلة بل يختطفه الموت قبل ذلك او يزداد شغله
لان اشتغال الدنيا يتداعا بعضها الى بعض كما قيل ۞

فما قضى احد منها لبانته ۞ ولا انتهى ارب الا الى ارب ۞

والثالث ان تفرغ منها ما الذى يومنه من تبدل عزمه وضعف نيته
ثم فيه من دعوى الاستقلال ورؤية الحول والقوة فى جميع الاحوال ما
يستحقر فى جنبه جميع هذا بل الواجب عليه ان يبادر الى الاعمال على اى حال
كان وان ينتهى فرصة الامكان قبل مفاجات الموت وحلول الفوت
وان يتوكل على الله فى تيسيرها عليه وصرف الموانع الحائلة بينه وبينها
وما احسن قول ابن الفارض رضى الله عنه فى هذا المعنى

وعد من قريب واستجب واجتنب ۞ غدا اشمر عن ساق اجتهاد بنهضتى ۞
وكن صارما كالوقت فالمقت فى عسى ۞ واياك علّى فهو اخطر علتى ۞
وسر زمنا وانهض كسيرا فحظك ۞ البطالة ما اخرت عزما لصحتى ۞
وجد بسيف العزم سوف فان تجد ۞ تجد نفسا فالنفس ان جدت جدتى ۞

ان تطلب منه ان يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو
ارادك لاستعملك من غير اخراج كما انه اذا كان المرء على حالة لا توافق
غرضه كانت متعلقة بالدين او الدنيا لا ينبغى له ان يروم الخروج
منها بنفسه ويعارض حكم وقته فيحدث منه غير ما اظهره الله
تعا كما تقدم فى قوله ما ترك من الجهل شيئا من اراد ان يحدث
فى الوقت غير ما اظهره الله تعالى فيه مع الشرط المتقدم وهو ان لا
يكون فى ذلك مخالفة امر او ارتكاب نهى فينبغى له ايضا ان لا يعارض
حكم الوقت ويطلب من مولاه ان يخرجه منها ويستعمله فى ما سواها

لانّ هذا من التخيير على الله تعالى ولا خيرة له في ذلك بل ينبغي له حسن الادب
معه وايثار مراده على اختياره وهو وحينئذ يتحقق بحالة تشعر فيها
محبة الله تعالى وارادته له فيستعمله استعمالاً محبوباً عنده مع بقائه
على حالته التي هو عليها فيكون اذذاك بمراد الله تعالى لا بمراده لنفسه
وهو خير له مما اختاره قال في التنوير يحكى عن بعضهم انه كان يقول
وددت لو اني تركت الاسباب واعطيت كل يوم رغيفين يريد بذلك
ان يستريح من تعب الاسباب قال فسجنت فكنت في السجن اوتى
كل يوم برغيفين فطال ذلك علىّ حتى ضجرت ففكرت يوماً في امري
فقيل لي انك طلبت منا كل يوم رغيفين ولم تطلب منا العافية
فاعطيناك ما طلبت فاستغفرت من ذلك ورجعت الى الله
فاذا بباب السجن يقرع فتخلصت وخرجت قال فيه فتادّب بهذا
ايها المؤمن لا تطلب ان يخرجك من امرٍ ويدخلك فيما سواه اذا
كان ما انت فيه مما يوافق لسان العلم فان ذلك من سوء الادب مع
الله تعالى فاصبر لئلا تطلب الخروج بنفسك فتعطى ما طلبت وتمنع
الراحة فيه فرب تارك شيء وداخل في غيره ليجد الروح والراحة
فتعب فقوبل بوجود النقص والتعسير عقوبة لوجود الاختيار انتهى
كلامه في التنوير وهو كالتفسير لما ذكره هاهنا فلذلك اوردته
ما ارادت همة سالكٍ ان تقف عند ما كشف لها الا ونادته
هواتف الحقيقة الذي تطلب امامك ولا تبرجت ظواهر المكونات
الا نادتك حقائقها انما نحن فتنة فلا تكفر السائر الى الله تعالى
تتجلى له في اثناء سلوكه انوار وتبدو له اسرار فان ارادت همته ان تقف
عند ما كشف لها من ذلك لاعتقاده انه وصل الى الغاية القصوى
والنهاية من المعرفة نادته هواتف الحقيقة المطلوبة الذي تطلب

حكاية في اختيار المراد ...

امامك

امامك فجد في السير ولا تقف وان تبرجت له ظواهر المكونات بزينتها
فمال الى حسنها وجمالها نادته حقايقها الباطنة انما نحن فتنة فلا تكفر
وغض عينيك عن ذلك ولا تلتفت اليه ودم على سلوكك ومسيرك
واعلم انه ما دامت لك همة وارادة فانت بعد في الطريق لم تصل
فلو قد فنيت عنها لوصلت وما احسن قول الشيخ ابي الحسن الششتري
في هذا المعنى رضي الله عنه

فلا تلتفت في السير غيراً وكلما ۞ سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه انه ۞ حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلي ۞ عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب ۞ فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

وقد رايت لسيدي الشيخ ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه كلاماً
حسناً مناسباً لما ذكره المصنف رحمه الله تعالى هاهنا من الترقي
في الاحوال وظهور النقص في رؤيا الكمال فرايت ان نذكره هاهنا بنصه
لما فيه من سني الفوائد وتشريف المقاصد قال رضي الله عنه اعلم
انك ان اردت ان يكون لك نصيب مما لاولياء الله تعالى فعليك
برفض الناس جملة الا من يدلك على الله تعالى باشارة صادقة واعمال
ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سنة واعرض عن الدنيا بالكلية ولا تكن
ممن يعرض عنها ليعطى شيئاً على ذلك بل كن في ذلك عبد الله تعالى امرك ان
ترفض عدوك فان كنت بهاتين الخصلتين الاعراض عن الدنيا
والزهد في الناس فاقم مع الله تعالى بالمراقبة والتزام التوبة بالرعاية
والاستغفار بالانابة والخضوع للاحكام بالاستقامة وتفسير هذه
الوجوه الاربعة ان تقوم عبداً لله فيما تاتي وتذر وتراقب قلبك ان لا
ترى في المملكة شيئاً لغيره فان ابيت يا هذا نادتك هواتف الحق

في عدم رضا بمقام وكمال ومرتبة

الاقامة مع الله بعد رفض الناس والاعراض عن الدنيا

من انوار العز انك قد عميت عن طريق الرشد فمن اين لك القيام
مع الله بالمراقبة وانت تسمع قوله تعالى وكان الله على كل شئ رقيبًا
فهناك يدركك من الحياء ما يحملك على التوبة مما ظننت انه قريب
فالتزم التوبة بالرعاية لقلبك ان لا تشهد ذلك منك بحال فتعود الى
ما خرجت عنه فان صحت هذه منك نادتك هواتف ايضا من قبل
الحق التوبة منه بدت والانابة منه تتبعها واشتغالك بما هو وصف
لك حجاب عن مرادك فهناك تظهر اوصافك فتستعيذ بالله منها
وتاخذ في الاستغفار والانابة فالاستغفار طلب الستر من اوصافك
بالرجوع الى اوصافه فان كنت بهذه الصفة اعني الاستغفار والانابة
ناداك من قريب اخضع لاحكامي ودع عنك منازعتي واستقم مع ارادتي
برفض رادتك انما هي ربوبية تولت عبودية وكن عبدا مملوكا لا يقدر
على شئ فمتى رايت منك قدرة وكلتك اليها وانا بكل شئ عليم فان
صح لك هذا الباب ولزمته اشرفت من هنالك على اسرار الانكار وتسمع من
احد من العالمين طلبك منه اتهام له وطلبك له غيبة منك عنه و
طلبك لغيره لقلة حيائك منه وطلبك من غيره لوجود بعدك
عنه الطلب الذى يتصور من العبد على اربعة اوجه وكلها مدخولة معلولة
طلبه من الله وطلبه له وطلبه لغيره وطلبه من غيره فطلبه من الله تهمة
له اذ لو وثق به فى ايصال منافعه اليه من غير سؤال لما طلب منه وطلبه
له غيبة عنه اذ الحاضر لا يطلب وطلبك لغيره قلة حياء منه اذ لو استحيى
منه انقبض عما يكرهه له من طلبه لغيره ومن حق الحياء منه ان لا
يذكر معه غيره ولا يؤثر عليه سواه وطلبه من غيره لوجود بعده عنه اذ لو كان
قريبا منه لكان غيره بعيدا عنه فلا يطلب منه فالطلب كله عند الموحدين
العارفين معلول لكان الطلب متعلقا بالحق او بالحق الا ما كان من الطلب

طلب العبد على اربعة اوجه

على وجه التعبد والتادب واتباع الامر واظهار الفاقة والفقر فحينئذٍ
تزول عنه العلة ما من نفس تبديه الا وله قدر فيك يمضيه الانفاس
ازمنة دقيقة تتعاقب على العبد ما دام حيا وكل نفس يبدو منه فهو ظرف
لقدر من اقدار الحق تعالى ينفذ فيه كائنا ما كان جريان العبودة فا
وقد استغرقتها احكام الله تعالى واقداره وكان جميع ذلك يقتضي منه
حقوقا لازمة من حقوق الله تعالى يقوم بها وهو مطالب بذلك و
مسؤل عنه وعن انفاسه التى هى امانة للحق عنده لم يبق له اذ
ذاك مجال التدبير امور دنياه ولا محل لمتابعة شهوته وهواه لا تترقب
فراغ الاغيار فان ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو
مقيمك فيه اذا اقام الله عبدا فى سبب من الاسباب فالواجب عليه ان
يوفيه حقه ويلتزم الادب فيه ولا يترقب وقتا ثانيا يكون فيه فارغا
منه فان تاميله للوقت الثانى يمنعه من القيام بحق الوقت الاول
فيما اقيم فيه وتوفيته ما يجب له وهو خلاف الامر المطلوب منه فليجتنب
ذلك المريد قال ابو حفص رضى الله عنه الفقير الصادق الذى
يكون فى كل وقت بحكمه فاذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته
يستوحش منه وينفيه عنه وقال سهل بن عبد الله رضى الله عنه اذا
جنك الليل فلا تامل النهار حتى تسلم ليلتك لك وتؤدى حق الله تعالى
فيها وتنصح فيها لنفسك فاذا اصبحت فكذلك وسئل سهل رضى الله
عنه متى يستريح الفقير قال اذا لم ير وقتا غير الوقت الذى هو فيه لا
تستغرب وقوع الاكدار ما دمت فى هذه الدار فانها ما ابرزت
الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها جعل الله الدنيا دار
فتنة وابتلاء ليعمل كل واحد فيها على مقتضى ما سبق له ويوفى جزاءه فى
الدار الاخرة قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون وعمل

فى جميع الانفاس يقوم بحقوقها
لازمة عليه لله تعالى

اذا اقام الله عبدا فى سبب
فعليه ان يوفيه حقه فى
وقته

فمن ضروريات الدنيا وجدان المكاره والمشاق

كلّ واحد فيها انّما هو بمخالفة شهوات نفسه او موافقتها وذلك لا محالة
يستدعي وجود محبوب او مكروه بفعل او ترك فمن ضروريات الدنيا وجدان
المكاره والمشاقّ فيها فتقع الاكدار بسبب ذلك وايضًا فحاصل الدنيا امور
وهميّة انقادت طباع النّاس اليها وهي لا تفي بجميع مطالبهم لضيقها
وقلّتها وسرعة نقضها وتقلّبها فيتجاذبونها بينهم فتتكدّر عيشهم ولم
يحصلوا على كلية اغراضهم كما قيل شعر

ارى اشقياء النّاس لا يسأمونها ۞ على انّهم فيها عراة وجوّع ۞
اراها وان كانت قليلا كانّها ۞ سحابة صيف عن قريب تقشّع ۞

فلا تستغرب وقوع امثال هذا فانّه ما ظهر منها الّا ما هو مستحقّ وصفها
وواجب نعتها من وجدان المكاره التي هي ذاتيّة لها قال بعض الحكماء
لولا انّ الدنيا مبنيّة على المكاره لجعلت منفعة الاهليلج في اللوزنج
وسيأتي التّنبيه على الحكمة في هذا عند قوله انّما جعلها محلّا
للاغيار ومعدنًا لوجود الاكدار تزهيدًا لك فيها وفي بعض الحكايات
المنقولة عن جعفر الصّادق رضي الله عنه انّه قال من طلب ما لم يخلق
اتعب نفسه ولم يرزق فقيل له وما ذاك قال الرّاحة في الدنيا وفي
معناه انشدوا

تطلب الرّاحة في دار الفنا ۞ خاب من يطلب شيئًا لا يكون ۞

قال بعض البلغاء ملتمس السّلامة في دار المتالف والمعاطب
كالمتمرّغ على مزاحف الحيّات والعقارب وقال ابن مسعود رضي الله
عنه الدّنيا كلّها غموم فما كان فيها من سرور فهو ربح وقال الجنيد رضي
الله عنه لست ابتشع ما يرد عليّ من العالم لانّي قد اصّلت اصلًا
وهو انّ الدّار دار همّ وغمّ وبلاء وفتنة وانّ العالم كلّه شرّ ومن
حكمه ان يتلقّاني بكلّ ما اكره فان تلقّاني بكلّ ما احبّ فهو فضل

والّا فالاصل هو الاوّل وقال ابو تراب رضي الله عنه يا ايّها النّاس انتم
تحبّون ثلاثة اشياء وليس هي لكم تحبّون النّفس وهي لله وتحبّون الرّوح
والرّوح لله وتحبّون المال والمال للورثة وتطلبون اثنين ولا تجدونهما
الرّاحة والفرح وهما في الجنّة فالواجب على العبد ان لا يوطن على الرّاحة
في الدنيا نفسًا ولا يركن منها الى ما يقتضي فرحًا وانسًا ويعمل على قول
النّبي صلّى الله عليه وسلّم عن ابي هريرة رضي الله عنه الدّنيا سجن المؤمن
فيتوطن العبد على المحن في دنياه يهون عليه ما يلقاه ويجد السّلوان
عند فقدان ما يهواه كما قيل شعر

يمثّل ذو اللبّ في لبّه ۞ شدائده قبل ان تنزلا ۞
فان نزلت بغتة لم ترعه ۞ لما كان في نفسه مثّلا ۞
راى الامر يفضي الى آخر ۞ فصيّر آخره اوّلا ۞
وذو الجهل يامن ايّامه ۞ وينسى مصارع من قد خلا ۞
فمهما دهته صروف الزّمان ۞ ببعض مصائبه اعولا ۞
فلو قدّم الحزم في نفسه ۞ لعلّمه الصّبر عند البلا ۞

فليتوق المريد ما يرد عليه من ذلك بالصّبر والرضى والاستسلام
عند جريان القضا فعن قريب ان شاء الله ينجلي الامر ويستوجب
من الله تعالى جزيل الاجر والله تعالى وليّ التوفيق قال احمد بن
ابي الحواري رضي الله عنه قال لي ابو سليمان الدّاراني جوع قليل وعري
قليل وذلّ قليل وصبر قليل وقد انقضت عنك ايّام الدّنيا واعلم

فضيلة الصبر

انّ ما ذكرناه من الصّبر هو جمع كلّ فضيلة وملاك كلّ فائدة جزيلة
ومكرمة نبيلة قال الله عزّ وجلّ وتمّت كلمة ربّك الحسنى على بني اسرائيل
بما صبروا وقال تعالى وجعلنا منهم ائمّة يهدون بامرنا لمّا صبروا وقال
عزّ من قائل انّما يوفّى الصّابرون اجرهم بغير حساب وفي وصيّة رسول الله

صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنهما ان استطعت ان تعمل لله بالرضى
فى اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان فى الصبر على ما تكره خيرًا
كثيرًا واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر
وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرجل ان صبرت مضى امر الله وكنت
مأجورًا وان جزعت مضى امر الله تعالى وكنت مأزورًا **وقال على** رضى الله عنه
الصبر مطية لا تكبو وسيف لا ينبو **وقال ابن عباس** رضى الله عنهما
افضل العدة الصبر عند الشدة وفى بعض الاخبار انتظار الفرج
بالصبر عبادة **وقد قال الشاعر**
ان الامور اذا انسدت مسالكها ❊ فالصبر يفتح منها كلما ارتتجا
اخلق بذى الصبر ان يحظى بحاجته ❊ ومدمن القرع للابواب ان يلجا
لا تيأسن وان طالت مطالبه ❊ اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
من جعل الصبر معتمده فى نوازله واعتده من اعظم عدده ووسائله
فهو مصيب فى رأيه منجح فى سعيه ومن جزع من المصائب واضطرب
عنده وقوع النوائب كان عاملا فيما يزيده ضرًا ويكسبه وزرًا و
يفوته اجرًا وناهيك به خسرًا كما قيل
واذا اتصبك مصيبة فاصبر لها ❊ عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر
غيره
وعوضت اجرًا من فقيد فلا يكن ❊ فقيدك لا ياتى واجرك يذهب
**ما توقف مطلب انت طالبه بربك ولا تيسر مطلب انت طالبه
بنفسك** من انزل حوائجه بالله تعالى والتجا اليه وتوكل فى امره كله عليه
كفاه كل مؤنة وقرب عليه كل بعيد ويسر عليه كل عسير ومن سكن الى علمه
وعقله واعتمد على قوته وحوله وكله الله الى نفسه وخذله وحرمه
توفيقه واهمله فلم ينجح مطالبه ولم يتيسر مآربه وهذا معلوم على القطع

من نصوص الشريعة وانواع التجارب **قلت** وكلام المصنف رحمه
الله تعالى فى هذه المسألة عام يتنا ول كل مطلوب من المطالب الدينية
والدنياوية التى مآل امرها الى الدين واشرف تلك المطالب واكثرها
قواطع ومعاطب اخذ المريد فى سلوك سبيل التوحيد ففيه التعلق
بالله تعالى احق واصوب وفى جميع جزئياته الرجوع الى الله تعالى
اولى واوجب فلا جرم كان من الرأى السديد والامر الاكيد ان
يخصصه من ذلك العام وان يفرده عقيب هذه المسألة
بمزيد من كلام فلذلك قال **من علامات النجح فى النهايات الرجوع
الى الله فى البدايات** للمريد بداية ونهاية فبدايته حال سلوكه و
نهايته حال وصوله فمن صح بدايته بالرجوع الى الله تعالى والتوكل
عليه والاستعانة به كما ذكرناه افلح وانجح فى نهايته وكان وصوله
الى الله تعالى وامن عليه من الرجوع والانقطاع **قال بعض المشايخ**
ما رجع من رجع الا من الطريق ولو وصلوا ما رجعوا ومن لم يصح
ذلك بما ذكرناه من تعلقه بالحق وفراره اليه من نفسه والخلق
انقطع ورجع من حيث جاء وقال بعض العلماء من ظن انه يصل
الى الله تعالى بغير الله قطع به ومن استعان على عبادة الله بنفسه
وكل الى نفسه فعلى العبد السالك ان يجعل معتمد امره الاستعانة
بالله تعالى على ما هو بسبيله ولا يرى حول نفسه ولا قوتها فى جميع عمله
كثيرة وقليلة هذا اساس السلوك الذى تبتنى عليه قواعده **من
اشرقت بدايته اشرقت نهايته** هذه عبارة اخرى موافقة
لمعنى ما تقدم فاشراق بداية المريد برجوعه الى الله فى مهماته وثقته
به فى ملماته واشراق نهايته الوصول الى قربته والحصول فى حضرته
ما استودع فى غيب السرائر ظهر فى شهادة الظواهر هذا بيان علامة تعرف

على المريد الاستعانة
فى سلوكه به تعالى

بها حال المريد السالك وما تعمر به باطنه من المزيد للتدارك لان الظاهر
مرآة الباطن كما قيل الاسرة تدل على السريرة وما خامر القلوب فعلى
الوجوه يلوح اثره فما استودعه الله القلوب والاسرار من المعارف و
الانوار لابد ان تظهر آثار ذلك على الجوارح فيستدل بشاهد العبد على
غائبه من اراد صحبته والوصلة به وما شابه هذا من الاغراض والمقاصد
قال ابو حفص رضي الله عنه حسن ادب الظاهر عنوان حسن ادب

حسن الادب في الظاهر عنوان حسن الادب في الباطن

الباطن فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه
وقيل لما قدم ابو حفص العراق جاء اليه الجنيد رضي الله عنهما فراى اصحاب
ابي حفص وقوفا على راسه ياتمرون بامره لا يخطي احد منهم قال يا ابا حفص
ادبت اصحابك ادب الملوك فقال لا يا ابا القاسم ولكن حسن الادب
في الظاهر عنوان حسن الادب في الباطن قلت واكد من ذلك ان
يعرف المريد نفسه ويكون من امرها على بصيرة ولا ينخدع فيما يتوهمه
من صلاح سريرته دون علانيته فمن ادعى بقلبه معرفة الله ومحبته
ولم تظهر على ظاهره ثمرات ذلك وآثاره من اللهج بذكره والمسارعة الى اتباع
امره والاغتباط بوجوده والاستبشار عند يقين شهوده والفرار
من القواطع الشاغلة عنه والاضراب عن الوسايط المبعدة عنه فهو
كذاب في دعواه متخذ الهه هواه فان كان موصوفا باضداد هذه الخصال
منحرفا لظاهره عن جادة الاعتدال فهو في دعواه اكذب وحاله الى النفاق
والشرك اقرب قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه وقد جعل الله
وصف الكافرين انهم اذا ذكر الله وحده في شيء انقبضت قلوبهم
واذا ذكر غيره فرحوا وجعل من نعتهم انهم اذا ذكر الله بتوحيده وافراده
بشيء غاظوا ذلك وكرهوه واذا اشرك غيره في ذلك صدقوا به قال الله
تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا

ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون وقال عز وجل ذلكم بانه اذا دعي الله
وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالكفر التغطية والشرك الخلط اي
يخلط بذكره ذكر سواه ثم قال الله تعالى فالحكم لله العلي الكبير يعني لا يشاركه
خلق في حكمه لانه العلي في عظمته الكبير في سلطانه لا شريك له في ملكه
وعطائه ولا نظير له من عباده ففي دليل هذا الكلام وفهمه من الخطاب
ان المؤمنين اذا ذكروا الله بالتوحيد والافراد في شيء انشرحت
صدورهم واتسعت قلوبهم واستبشروا بذكره وتوحيده واذا ذكرت
الاواسط والاسباب التي دونه كرهوا ذلك واشمأزت قلوبهم وهذه
علامة صحيحة فاعرفها من قلبك او قلب غيرك لتستدل بها على

علامة صحيحة على صدق الصادقين وكذب الكاذبين

حقيقة التوحيد في القلب ووجود خفي الشرك في السر ان كنت عارفا
انتهى قلت وهذه المسألة التي تضمنها كلام الشيخ ابي طالب رضي
الله عنه من اعظم المسائل وعلى صدق الصادقين وكذب الكاذبين
من اوضح الدلائل ولما كان قصدنا في هذا التنبيه استقام ذكر
الفوائد العجيبة والحرص على رسم المقاصد الغريبة لغربة الدين
في هذا الزمان الرذل واستيلاء الغرة والجهل على المنسوبين الى العلم
والفضل حسن منا ايراد هذه الكلمات على جهة ضرب المثل والاكتفاء
بالنهل عن العلل ليعمل بمقتضى ذلك مريد سالك ولينهج في مناصحة
ربه في دينه وقلبه في اوضح المسالك فاحمل على هذا الاسلوب كل كلام
لم يظهر لك مطابقته ولم تتم به في نظرك مناسبته لتسلم بذلك
من الاعتراض وتعلو همتك عما يولع به اصحاب القلوب المراض عافانا
الله واياك من ذلك شتان بين من يستدل به ومن يستدل
عليه المستدل به عرف الحق لاهله واثبت الامر من وجود اصله
والاستدلال عليه من عدم الوصول اليه والا فمتى غاب حتى يستدل

عليه ومتى بعد حتى تكون الاثار هى التى توصل اليه بنوا آدم فى اول
نشأتهم ومبدأ خلقتهم وخروجهم من بطون امهاتهم موسومون بالجهل
وعدم العلم قال الله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً
ثم ان الله عز وجل لما اختص بعضهم بخصوص عنايته واختار
منهم من اهله لولايته وما ذلك الا بحصول العلم الذى تضمنه قوله
عز وجل وجعل لكم السمع والابصار والافئدة التى تحقق لهم النسبة
وتوجب لهم الزلفة والقربة المشار الى ذلك بقوله لعلكم تشكرون
جعلهم على قسمين مرادين ومريدين وان شئت قلت مجذوبين وسالكين
وكلاهما مراد ومجذوب على التحقيق قال الله عز وجل الله يجتبى اليه من
يشاء ويهدى اليه من ينيب فالمريدون السالكون الى الله تعالى فى حال سلوكهم
محجوبون عن ربهم برؤية الاغيار فالاثار والاكوان ظاهرة لهم وموجودة
لديهم والحق تعالى غيب عنهم فهم يستدلون عليه بها فى حال ترقيهم و
المرادون المجذوبون واجههم الحق بوجهه الكريم وتعرف اليهم فعرفوه
به فلما عرفوه على هذا الوجه انحجبت الاغيار عنهم فلم يروها فهم يستدلون
به عليها فى حال تدليهم فهذا هو حال الفريقين وشتان ما بينهما
اى بعد ما بينهما وذلك ان المستدل به على غيره عرف الحق الذى هو الوجود
الواجب لاهله وهو المختص بوصف القدم واثبت الامر المشار به الى
الاثار العدمية من وجود اصله المشار به الى المؤثر المتحقق وجوده و
المستدل بغيره عليه على عكس ما ذكرناه لانه استدل بالمجهول على المعلوم
وبالمعدوم على الموجود وبالامر الخفى على الظاهر الجلى وذلك لوجوده للحجاب
ووقوفه مع الاسباب وعدم احتظائه بالوصول والاقتراب والا فمتى
غاب حتى يستدل عليه بالاشياء الحاضرة ومتى بعد حتى تكون الاثار القريبة
هى التى توصل اليه ومتى فقد حتى تكون الاثار الموجودة هى التى تدل عليه

اهل الاختصاص على القسمين

وانشدوا
شعرا
عجبت لمن يبغى عليك شهادة ۞ وانت الذى اشهدته كل شاهد
قال فى لطائف المنن واعلم ان الادلة انما نصبت لمن يطلب
الحق لا لمن يشهده فان الشاهد غنى بوضوح المشهود عن ان يحتاج
الى دليل فتكون المعرفة باعتبار توصيل الوسائل اليها كسبية ثم تعود
الى نهايتها ضرورية واذا كان من الكائنات ما هو غنى بوضوحه عن
اقامة دليل فالمكون اولى بغناه عن الدليل منها ثم قال ومن اعجب العجب
ان تكون الكائنات هى موصلة اليه فليت شعرى هل لها وجود معه حتى
توصل اليه ام لها من الوضوح ما ليس له حتى تكون هى المظهرة له وان
كانت الكائنات هى الموصلة اليه فليس لها ذاك من حيث ذاتها لكن هو
الذى ولاها رتبة التوصل فوصلت فما وصل اليه غير الهيته ولكن الحكيم
هو واضع الاسباب وهو لمن وقف عندها ولم ينفذ الى قدرته عين
الحجاب لينفق ذو سعة من سعته الواصلون اليه ومن قدر
عليه رزقه السائرون اليه هذه الاشارة مليحة الى حال الفريقين
فالواصلون الى الله تعالى لما خرجوا من سجن رؤية الاغيار الى فضا
التوحيد وكمال الاستبصار اتسعت مسافة نظرهم فانفقوا
من سعتهم وتصرفوا فى عوالمهم كيف شاؤا والسالكون اليه المقدور
عليهم فى ارزاق العلوم والفهوم محبوسون فى مضيق الخيالات و
الرسوم ينفقون مما آتاهم الله من الرزق المضيق المقدور المعلوم
اهتدى الراحلون اليه بانوار التوجه والواصلون لهم انوار المواجهة
فالاولون للانوار وهؤلاء الانوار لهم لانهم لله لا لشئ دونه
انوار التوجه هو ما منهم الى الله تعالى من عبادات ومعاملات ومجاهدات
ومكابدات وانوار المواجهة هو ما من الله تعالى لهم من تعرف وتقرب

ان الادلة انما نصبت لمن يطلب الا لمن يشهده

انوار التوجه وانوار المواجهة

وتودّد وتحبّب فالاوّلون عبيد الانوار لوجود حاجتهم اليها فى الوصول
الى مقصودهم والاخرون الانوار لهم لوجود غناهم عنها بربّهم فهم لله لا لشئ دونه
وسيأتى هذا المعنى عند قوله انت مع الاكوان ما لم تشهد المكوّن فاذا شهدته
كانت الاكوان معك قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون افرادا التوحيد لعدم
ملاحظة الاغيار هو حقّ اليقين ورؤية ما سوى الله عزّ وجلّ خوض ولعب
وهما من صفات الكافرين والمنافقين قال الله تعالى اخبارا عنهم وكنّا
نخوض مع الخائضين وقال الله تعالى بل هم فى خوض يلعبون وقال رضى الله عنه
تشوّقك الى ما بطن فيك من العيوب خير لك من تشوّقك الى ما حجب
عنك من الغيوب حكم المريد ان يتشوّق الى معرفة ما غاب عنه من معائب
نفسه ويتطلّبها ويبحث عنها فانّ ذلك هو حقّ الله تعالى منه فينبغى
ان يحرص عليه ويصرف عنان اعتنائه اليه ليحصل له صفاء اعماله من
الآفات ونقاء احواله من الكدورات وينتفى عنه الجهل والغرور وينقطع من
باطنه موادّ الشرور وقد ذكر الشيخ ابو حامد الغزالى رضى الله عنه فى كتاب
رياض النفس فصلا فى الطريق الذى به يعرف الانسان عيوب نفسه فلينظر
فيه المريد وقد جعل حاصله اربعة اوجه احدها ان يجلس بين يدى شيخ بصير
بالعيوب والآفات فيحكّمه على نفسه ويتبع اشارته فيما يشير به عليه والثانى
مصاحبة صديق صدوق يجعله رقيبا على احواله واعماله لينبّهه على ما
يخفى من مذامّ خلاله والثالث ان يستفيد معرفة عيوبه من اعدائه
اذ لا بدّ من جريان ذلك على السنتهم عند سلبهم وغيبتهم له الرابع ان يستفيد
ذلك من مخالطة الناس اذ يطّلع بذلك على مساويهم فاذا اطّلع عليها منهم علم
انه لا ينفكّ هو عن شئ منها لانّ كلّ الطباع البشرية فى ذلك متقاربة
وقد يظهر له فى نفسه ما هو اعظم ممّا يراه فى غيره فيطالب نفسه حينئذ
بالتطهّر منها والتنزّه عنها فهذا تلخيص ما ذكره ثم قال وهذه كلّها حيل

عوارف عيوب النفس فى اربعة اوجه

من فقد

من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا فى الدين
فارغا من تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله تعالى ناصحا لهم
فمن وجد الطبيب فليلازمه فهو الذى يخلّصه من مرضه وينجيه
من الهلاك هو بصدده انتهى واما طلبه للغيوب المحجوبة عنه من خفايا
القدر ولطائف العبر فانّه حظّ نفسه لا حقّ عليه فيه للحقّ تعالى
فليطلب عنها نفسا ولا يشغل بها عقلا ولا حسّا وما ظهر له منها
لا يسكن اليه ولا يعوّل عليه فان ذلك من المعايب القادحة فى عبوديته
ولهذا قالوا كن طالب الاستقامة ولا تكن طالب الكرامة فانّ نفسك
تحرك وتطلب الكرامة ومولاك يطلبك بالاستقامة ولتكن بحقّ مولاك
اولى بك من ان تكون بحظّ نفسك ومن الحكايات فى هذا المعنى الذى
ذكرناه ما روى فى الاسرائيليات عن وهب بن منبه رضى الله عنه قال انّ
رجلا من بنى اسرائيل صام سبعين سنة يفطر فى كلّ سنة ستة ايام
فسأل الله تعالى ان يريه كيف يغوى الشيطان الناس فلمّا طال عليه
ذلك ولم يجب قال لو اطّلعت على خطيئتى وذنبى بينى وبين ربى لكان
خيرا لى من هذا الامر الذى طلبته فارسل الله اليه ملكا فقال له انّ الله
عزّ وجلّ ارسلنى اليك وهو يقول لك انّ كلامك هذا الذى تكلّمت
به احبّ الىّ ممّا مضى من عبادتك فقد فتح الله بصرك فانظر فاذا
جنود ابليس قد احاطت بالارض فاذا ليس لاحد من الناس الا و
الشياطين حوله كالذباب قال اى ربّ من ينجو من هذا قال الورع اللين
وسيأتى انّ الكرامات غير مطلوبة التحصيل ولا مغتبط بوجودها الذى
كلّ عالم نبيل عند قوله ليس كلّ من ثبت تخصيصه كمل تخليصه الحقّ ليس
بمحجوب وانما المحجوب انت عن النظر اليه اذ لو حجبه شئ لستره ما حجبه
ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكلّ حاصر لشئ فهو له قاهر وهو القاهر

كن طالبا للاستقامة الخ

فوق عباده الحجاب على الحق تعالى محال فاستدل المصنف على ذلك بما ذكره هنا
وهو بيّن لا اشكال فيه والحجا على العبد واجب من حيث ذاته اذ هو عدم كما تقدّم
ولا نسبة بين العدم وبين الوجود فاذا اراد الله تعالى رفع هذا الحجاب عنه من
شا كيف شا متى شا رأى من ليس كمثله شئ وهذا مما يجب اعتقاده **اخرج من**
اوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق
مجيبا ومن حضرته قريبا اوصاف البشرية المتعلقة بامر الدين نوعان
احدهما ما يتعلق بظاهر العبد وجوارحه وهي الاعمال **والثاني** ما يتعلق
بباطنه وقلبه وهي العقود فاما ما يتعلق بظاهره وجوارحه فينقسم الى
قسمين احدهما ما وافق الامر ويسمى طاعة والثاني ما خالفه ويسمى معصية
واما ما يتعلق بباطنه وقلبه فينقسم ايضا الى قسمين احدهما ما وافق
الحقيقة ويسمى ايمانا وعلما والثاني ما خالفها ويسمى نفاقا وجهلا و
النظر فيما يتعلق بظاهر العبد يسمى في الاصطلاح تفقها والنظر فيما
يتعلق بباطنه يسمى في الاصطلاح تصوفا فهذان الامران هما
كلية العبد وظاهره تابع لباطنه بالضرورة لان القلب هو الملك و
الجوارح جنده ورعيته ومن شان الرعية طاعة الملك فيما يامر به وينهى
عنه وقد نبه على هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان
في الجسد مضغة اذا اصلحت صلح الجسد كله واذا افسدت فسد الجسد
كله الا وهي القلب وصلاح القلب انما يكون بطهارته عن الصفات المذمومة
كلها دقيقها وجليلها وهذه هي الصفات المناقضة للعبودية من اوصاف
البشرية التي اشار اليها المصنف رحمه الله تعالى وهي التي يتسم صاحبها
بسمة النفاق والفسوق وهي كثيرة مثل الكبر والعجب والريا والسمعة والحقد
والحسد وحب الجاه والمال ويتفرع عن هذه الاصول فروع خبيثة من
العداوة والبغضا والتذلل للاغنيا والاستحقار للفقراء وترك الثقة

بمجئ الرزق

بمجئ الرزق وخوف سقوط المنزلة من قلوب الخلق والشح والبخل وطول الامل
والاشر والبطر والغل والغش والمباهات والتصنع والمداهنة والقسوة
والفضاضة والغلاظة والغفلة والجفا والطيش والعجلة والحدة و
الحمية وضيق الصدر وقلة الرحمة وقلة الحيا وترك القناعة وحب
الرياسة وطلب العلو والانتصار للنفس اذا نالها الذل وذهاب ملك
النفس اذا رد عليه قوله الى غير ذلك من النعوت الذميمة والاخلاق
اللئيمة واصل فروعها وعنصر ينابيعها انما هو رؤية النفس والرضى عنها
وتعظيم قدرها وترفيع امرها فبهذه الامور كفر من كفر ونافق من نافق
وعصى من عصى وبها خلع من عنقه ربقة العبودية لربه عز وجل من خلع
حسب ما يقوله المصنف رحمه الله تعالى باثر هذا وشان الصوفي
انما هو النظر فيما يطهرها ويزكيها من انواع الرياضات والمجاهدات
وقد بينوا طرق ذلك في كتبهم **قال الشيخ ابو طالب** رضي الله عنه ولا يكون
المريد بدلا حتى يبدل بمعاني صفات الربوبية صفات العبودية وباخلاق
الشياطين اوصاف المؤمنين وبطبايع البهايم اوصاف الروحانيين
من الاذكار والعلوم فعندها يكون بدلا مقربا قال والطريق الى هذا
بان يملك نفسه فيملكها فتسخر له ويتسلط عليها فاذا اردت ان
تملك لنفسك فلا تملكها وضيق عليها ولا توسع عليها فان ملكتها
ملكتك وان لم تضيق عليها اتسعت عليك فاذا اردت الظفر
بها فلا تعرضها لهواها واحبسها عن معتاد ملاذها فان لم تملكها
انطلقت بك وان اردت ان تقوى عليها فاضعفها بقطع اسبابها
وحبس موادها والا قويت عليك فصرعتك انتهى **فاذا قام المريد**
بذلك على الوجه الذي وسموه له والتزم الوظائف التي امروه بها طهر
قلبه وتزكت نفسه واتصف بمحاسن الصفات التي تزينه بين العباد

ما لابد للمريد في زوال صفات النفس

وينال بها من قرب ربه غاية المراد فيظهر عليه حينئذ اثار حميدة من
التواضع لله تعالى والخشوع بين يديه والتعظيم لامره والحفظ لحدوده
والهيبة له والخوف منه والتذلل لربوبيته والاخلاص في عبوديته و
الرضا بقضائه ورؤية المنة له عليه في منعه وعطائه ويتصف
فيما بين خلقه بالرأفة والرحمة واللين والرفق وسعة الصدر و
الحلم والاحتمال والصيانة والنزاهة والامانة والثقة والعطف والتأني
والوقار والسخا والجود والحيا والبشاشة والنصيحة وسلامة الصدر الى
غير ذلك من اخلاق الايمان التي بها ينال العبد غاية السعادة والحسنى
والزيادة قلت وهذان المعنيان هما اللذان يعبر عنهما ائمة الصوفية
رضي الله عنهم بالتخلي من الصفات المذمومة والتحلي بالصفات المحمودة و
يعبرون ايضا عنهما بالتزكية والتحلية وهما حقيقة السلوك الذي
يعبرون به ايضا وستأتي الاشارة الى كيفية ذلك عند قوله لولا ميادين
النفوس ما تحقق سير السائرين فاذا اصح للمريد هذا السفر وانقلب منه
الى افضل مستقر تحققت عبوديته لربه عز وجل فلم يملكه غيره ولم يسترقه
سواه وارتقى في القرب من ربه الى اشرف محل فيكون هناك منزله و
مثواه فيكون حينئذ كما قال المصنف رحمه الله تعالى كن لندا الحق مجيبا
لانه اذ ذاك يناديه باسم العبد فيقول له يا عبدي فيجيب حينئذ مولاه
باسم الرب فيقول له لبيك يا رب فيكون صادقا في اجابته متحققا
في نسبته ويكون ايضا من حضرته قريبا الوجود بعده عن نفسه التي
من شانها النفور عنها والفرار منها فاذا اقامه الحق تعالى في مقام
العبودية وحاز فرصة القرب من حضرة الربوبية كان محفوظا من
اقتحام الاوزار ميسرة عليه اعمال الاخيار متحليا في الظاهر والباطن
باشرف الحلى محتظيا بفضيلة التشبه بالملأ الاعلى قال الله عز وجل

ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل و
النهار لا يفترون وقال تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن
عبادته ويسبحونه وله يسجدون وقال عز من قائل لا يعصون الله ما
امرهم ويفعلون ما يؤمرون فمرتبة العندية انالتهم هذه الخصوصية
وكذلك من تشبه بهم في محاسن صفاتهم من الصفوة الصوفية
الا ان هؤلاء محفوظون لا معصومون على ما اصطلحوا عليه من الفرق
بين الحفظ والعصمة والفرق بينهما ما قاله الامام ابو القاسم القشيري
رضي الله عنه ان المعصوم لا يلم بذنب البتة والمحفوظ قد يحصل منه
همات وقد يكون له في الندرة زلات ولكن لا يكون لها اصرار اولئك
الذين يتوبون من قريب وقد وصف الله عباده اهل التخصيص واولي التطهير
والتمحيص في ايات كريمة بصفات جلية عظيمة واعد لهم في ذلك خيرات
جسيمة فقال عز وجل وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى قوله حسنت مستقرا ومقاما واليك
النظر فيما قاله فيها اهل التفسير وما استنبطه منها ارباب الاشارات
والتذكير واما ما عدا هؤلاء فهم عبيد نفوسهم الشهوانية ومسترقوا
حظوظهم الدنياوية قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هويه وقال
النبي صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم
الحديث وهؤلاء هم من عبيد العدد المعنيين بقوله عز وجل ان كل من في
السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا لقد احصيهم وعدهم عدا وكلهم
آتيه يوم القيمة فردا واعلم انه لا يتهيؤ هذا السلوك الى حضرة
ملك الملوك الا لمن وفقه الله تعالى لمعرفة نفسه وما ركبت عليه من
مذام الصفات ومن عرف ذلك من نفسه لا يزال متهما لها مسيئا
ظنه بها آخذا حذره منها والا وقع في المعاصي والذنوب من حيث لا يشعر

تعرف بين المحفوظ والعصمة

وقد نبه المصنف رحمه الله تعالى على هذا بقوله **اصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضى عن النفس واصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضى منك عنها** الرضى عن النفس اصل جميع الصفات المذمومة وعدم الرضى عنها اصل جميع الصفات المحمودة وقد اتفق على هذا جميع العارفين وارباب القلوب وذلك لان الرضى عن النفس يوجب تغطية عيوبها ومساويها ويصير قبيحها حسنا كما قيل **فعين الرضى** عن كل عيب كليلة **وعدم** الرضى عن النفس على عكس هذا لان العبد اذ ذاك يتهم نفسه ويتطلب عيوبها ولا يغتر بما يظهر من الطاعات والانقياد كما قيل في الشطر الاخير ولكن عين السخط تبدى المساويا **فمن** رضي عن نفسه استحسن حالها وسكن اليها ومن استحسن حال نفسه وسكن اليها استولت عليها الغفلة وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره فتثور حينئذ دواعي الشهوة على العبد وليس عنده من المراقبة والتذكر ما يدفعها به ويقهرها فتصير الشهوة غالبة له بسبب ذلك ومن غلبته شهوته وقع في المعاصي لا محالة واصل ذلك كله رضاه عن نفسه ومن لم يرض عن نفسه لم يستحسن حالها ولم يسكن اليها **ومن كان بهذا** الوصف كان متيقظا منتبها للطوارق والعوارض وباليقظة والتنبيه يتمكن من تفقد خواطره ومراعاتها وعند ذلك تخمد نيران الشهوة فلا يكون لها عليه غلبة ولا قوة فيتصف العبد حينئذ بصفة العفة فاذا صار عفيفا كان مجتنبا لكل ما نهى الله عنه محافظا على جميع ما امره وهذا هو معنى الطاعة له تعالى واصل هذا كله عدم رضاه عن نفسه فاذا لا شيء اوجب على العبد من المعرفة بنفسه ويلزم من ذلك عدم الرضى عنها وبقدر تحقق العبد في معرفة نفسه يصح له حاله ويعلو مقامه **وقد ورد** عن الكبار والائمة الاخيار من الكلمات المتضمنة لمخالفتهم لنفوسهم

والتهمة منهم لها وعدم رضائهم عنها اكثر من ان يحصى ولذلك قال ابو حفص من لم يتهم نفسه على دوام الاوقات ولم يخالفها في جميع الاحوال ولم يجرها الى مكروهها في سائر ايامه كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شيء منها فقد اهلكها وكيف يصح لعاقل الرضى عن نفسه والكريم بن الكريم بن الكريم يقول وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء **وقال ايضا** رضي الله عنه منذ اربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله تعالى ينظر الي نظر السخط واعمالي تدل على ذلك **وقال الجنيد** رضي الله عنه لا تسكن الى نفسك وان دامت طاعتها لك في طاعة ربك **وقال ابو سليمان** الداراني رضي الله عنه ما رضيت عن نفسي طرفة عين **ويحكى** عن السري السقطي رضي الله عنه انه قال اني لانظر الى انفي في اليوم كذا كذا مرة مخافة ان يكون قد اسود لما اخافه من العقوبة **وقال ايضا** رضي الله عنه ان من الناس ناسا لو مات نصف احدهم لما انزجر النصف الآخر ولا احسبني الا منهم الى غير ذلك من العبارات الصادرة عن المشايخ رضي الله عنهم في هذا المعنى **وقد** الف الشيخ عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه جزءا صغير الحجم عظيم الفوائد في عيوب النفس وكيفية مداواتها فلينظر فيه المريد **وكذا** الف قبله الشيخ ابو عبد الله الحارث المحاسبي رضي الله عنه كتابا سماه بالنصائح جمع فيه من معايب النفس وخدعها وغرورها وشرورها جملة شافية كافية ونبه فيه على سنن دارسة عافية مما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم من التفتيش والتفقد والنظر فيما تصلح به اعمالهم واحوالهم ويقصدوا المحافظة على تطهير الاسرار والقلوب والمبالغة في الحذر من محقرات الذنوب **وقد نقل** الامام ابو حامد الغزالي منه فصلا في كتابه واعتمد فيه ذكره بلفظه ونص خطابه بعد ان اثنى على مصنفه بما هو اهله بان للجاهل به علمه وفضله فقال فحقه والمحاسبي

تعريف كتاب الامام المحاسبي في عيوب النفس

رحمه الله حبر الامة فى علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب
النفس وآفات الاعمال واغراض العباد اوكلامه جدير بان يحكى على وجهه ثم
ذكره وقد كان اوحد زمانه علما وعبادة ونجبة اوانرو رعا وزهادة سيدى
الحاج ابو العباس بن عاشر رضى الله عنه يكثر من التحريض على مطالعة ذلك
الكتاب والعمل بما تضمنه من حق وصواب واظننى سمعته ذات يوم
يقول لا يعل عا فيه الا ولى او كلاما هذا معناه فليتخذ المريد مطالعته
وردا والتحرص على العمل بما تضمنه مستعينا بالله وسائلا منه توفيقا
ورشدا لينصح لمولاه فى مراعات اصلاح باطنه والقيام على قدم الصدق
فى مواطنه وليجعل هجيره مطالعة كتب التصوف وموالاة اهله
بالتاليف والتعرف فبذلك يتقوى انوار ايمانه ويقينه وتنتفى عنه
العزة فى عمله بوظائف دينه ولا يقدم على ذلك الا فرض العين وما
لسبحم به نفسه من مكابدة التعب والاين ولا يشغل نفسه بعلم
يغبر فى وجه مقصوده ويوجب له انتكاث مواثيقه وعهوده وهو
ما اكب عليه الناس اليوم وحادوا به عن سنن القوم حتى تطرق لهم
بسبب ذلك من رذايل الصفات وعظيم الآفات ما اصارهم الى الهلاك
والشقا واعقبهم فى قلوبهم النفاق الى يوم اللقا وسجل عليهم بالكذب
فى دعواهم انهم قاصدون بعلمهم رضى مولاهم فاياك واياهم كما قيل
لقد اسمعت اذ ناديت حيا ٥ ولكن لا حياة لمن تنادى
ولذلك اشار المصنف بقوله ولان تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه
خير لك من ان تصحب عالما يرضى عن نفسه فاى علم لعالم يرضى عن
نفسه واى جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه فائدة الصحبة انما هى
الزيادة فى الحال وعدم النقصان فيها حسبما يأتى الكلام عليه عند قوله
لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فصحبة من يرضى

ذم علوم غير النافعة

عن نفسه

عن نفسه وان كان عالما شر محض ولا فائدة فيها لان علمه غير نافع
له وجهله الذى اوجب رضاه عن نفسه صار غاية الضرر وكانه اذا
فاته هذا العلم الذى يريه عيبه حتى لا يرضى عن نفسه لا علم عنده و
صحبة من لم يرض عن نفسه وان كان جاهلا خير محض وفيه كل الفائدة
لان جهله غير ضار له وعلمه الذى اوجب له عدم رضاه عن نفسه نافع
له غاية النفع وكانه اذ حصل له هذا العلم لا جهل عنده شعاع البصيرة
يشهدك قربه منك وعين البصيرة تشهدك عدمك لوجوده وحق
البصيرة يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك شعاع البصيرة نور
العقل وعين البصيرة نور العلم وحق البصيرة نور الحق فالعقلاء بنور
عقلهم شهدوا انفسهم وشاهدوا ربهم قريبا منهم اى بالعلم والاحاطة
والعلماء بنور علمهم شهدوا انفسهم عدما فى وجود ربهم والمحققون
بنور الحق شاهدوا الحق ولم يشهدوا معه سواه كان الله ولا شئ معه وهو
الآن على ما عليه كان الازمنة ههنا امور وهمية لا وجود لها على الحقيقة و
المقصود ان الله تعالى لا شئ معه لثبوت احديته ٥ شعر
فلم يبق الا الحق لم يبق كاين ٥ فما ثم موصول وما ثم باين
بذا جاء برهان العيان فلا ارى ٥ لعينى الا عينه اذ اعاين
وسيأتى كلام المصنف رحمه الله الاكوان ثابتة باثباته وممحوة باحدية
ذاته وقال رضى الله عنه لا تتعدا نية همتك الى غيره فالكريم
لا تتخطاه الامال الهمة العلية تانف من رفع حوائجها الى غير كريم
ولا كريم على الحقيقة سوى الله تعالى قال الجنيد رضى الله عنه الكريم الذى لا
يحوجك الى مسألة وقال الحارث المحاسبى الكريم الذى لا يبالى من اعطا
وقيل الكريم الذى لا يخيب رجاء المؤملين واجمع العبارات فى معنى
الكريم ما قيل الكريم الذى اذا قدر عفى واذا وعد وفى واذا اعطى زاد على

منتهى الرجا ولا يبالى كم اعطى ولا لمن اعطى واذا رفعت الى غيره حاجة لا يرضى واذا
جفى عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا ويغنيه عن الوسايل و
الشفعا فاذا كانت هذه الصفات لابد منها فلا يستحقها احد سوى الله
تعالى فينبغى اذا ان لا يتخطاه امال المؤملين الى غيره سبحانه كما قال بعضهم

شعرًا نفيسًا

حرام على من وحد الله ربه ۞ وافرده ان يجتدى احدا رفدا
ويا صاحبى قف لى مع الحق وقفة ۞ اموت بها وجدا واحيا بها وجدا
وقل لملوك الارض تجهد جهدها ۞ فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدا

لا ترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف يرفع غيره ما
كان هو له واضعا من لا يستطيع ان يرفع حاجة عن نفسه
فكيف يستطيع ان يكون لها عن غيره رافعا اذا اورد الله عليك
حاجة وانزل عليك نازلة فاعلم انه لا رافع لها سواه اذ يستحيل ان يرفع
غيره ما كان هو له واضعا لثبوت توحده لانه لا فاعل سواه واذا هو
غالب على امره لا يغالبه احد ويستحيل ايضا ان يرفعها عنك من لا
يستطيع ان يرفعها عن نفسه لو نزلت به لثبوت عجزه وضعفه ومن
المحال تعلقك فى حاجتك بمن هو محتاج مثلك قال بعضهم من اعتمد
على غير الله فهو فى غرور لان الغرور ما لا يدوم ولا يدوم سوى الله شئ هو الدايم
القديم لم يزل ولا يزال وعطاؤه وفضله دائمان فلا تعتمد الا على من
يدوم عليك منه الفضل والعطا فى كل نفس وحين واوان وزمان
وقال عطا الخراسانى رضى الله عنه لقيت وهب بن منبه رضى الله عنه فى
الطريق فقلت له حدثنى حديثا احفظه عنك فى مقامى واوجز قال اوحى الله
تعالى الى داود عليه السلام يا داود اما وعزتى وعظمتى لا ينتصر لى عبد من
عبيدى دون خلقى اعلم ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن

لا ترفعن حاجة الى غيره تع

والارضون ومن فيهن الا جعلت له منهن فرجا ومخرجا اما وعزتى وعظمتى
لا يعتصم عبد من عبادى بمخلوق من دونى اعلم ذلك من نيته الا قطعت
اسباب السموات من يده واسخت الارض من تحته ولا ابالى فى اى واد هلك
وقال بعضهم كنت فى مجلس يزيد بن هارون وكان الى جانبى رجل فسألته
عن قصته وخبره فقال نفدت نفقتى فقلت ومن تؤمل لما قد نزل
بك فقال يزيد فقلت اذا لا يسعفك بحاجتك ولا ينجح طلبتك ولا
يبلغك املك فقال وما علمك رحمك الله قلت انى قرأت فى بعض
الكتب ان الله يقول وعزتى وجلالى وكرمى وجودى وارتفاعى فوق عرشى
فى علو مكانى لاقطعن امل كل مؤمل لغيرى باليأس ولاكسونه
ثوب المذلة عند الناس ولاخيبنه من قربى ولاقطعنه من وصلى
ايؤمل غيرى فى النوايب والشدائد وانا الحى ويرجى غيرى ويطرق
الفكر ابواب غيرى وبيدى مفاتيح الابواب وهى مغلقة وبابى
مفتوح لمن دعانى من ذا الذى املنى لنائبة فقطعت به
دونها ومن ذا الذى رجانى لعظم جرمه فقطعت رجاءه منى
ومن ذا الذى قرع بابى فلم افتحه له جعلت امال الخلق بينى وبينهم
متصلة فقطعت بغيرى وجعلت رجاءهم مدخرا لهم عندى فلم
يرضوا بحفظى وملأت سمواتى ممن لا يملون تسبيحى من ملائكتى
وامرتهم ان لا يغلقوا الابواب بينى وبين عبادى فلم يثقوا بقولى
الم يعلم من طرقته نائبة من نوائبى انه لا يملك كشفها احد غيرى فما لى
اراه بآماله معرضا عنى وما لى اراه لاهيا الى سواى اعطيته بجودى
ما لم يسألنى ثم انتزعته منه فلم يسألنى رده وسئل غيرى اتراني
ابدأه بالعطية قبل المسألة ثم اسأل فلا اجيب سائلى ابخيل انا فيبخلنى
عبادى اليس الدنيا والآخرة لى وليس الفضل والرحمة لى وبيدى

اوليس الجود والكرم لي اوليس انا محل الامال فمن ذا الذي يقطعها دوني
وما عسى ان يؤمل المؤملون لو قلت لاهل سمواتي واهل ارضي املوني
فاعطيت كل واحد منهم من الفكر مثل ما اعطيت الجميع ما انتقص
ذلك من ملكي عضو ذرة وكيف ينقص ملك انا قيمه فيا بؤس القانطين
من رحمتي ويا بؤس من عصاني ولم يراقبني وتوثب على محارمي ولم
يستحيي مني قال رحمه الله املى علي هذا الحديث فكتبته ثم قال والله
لا اكتب حديثا بعد قلت والاصل الذي يبتني عليه هذا المعنى هو
تحقق العبد في مقام حسن الظن بالله تعا وقد اخذ المصنف رحمه
الله تعا في ذكره باثره فقال ان لم تحسن ظنك به لاجل وصفه حسن
ظنك به لوجود معاملته معك فهل عودك الا حسنا وهل اسدى
اليك الا مننا حسن الظن بالله تعا احد مقامات اليقين والناس
فيه على قسمين خاصة وعامة فالخاصة حسنوا الظن لما هو عليه
من النعوت السنية والصفات العلية والعامة حسنوا الظن به
لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل والكرم والتفاوت بين
المقامين ظاهر ولذلك لا يخاف من الانقلاب والتغير في احدهما
انما يخاف من الاخر لان ارباب المقام الاول لما تحققوا في المعرفة
بالله تعا واختصوا بانوار اليقين به اطمأنت قلوبهم وسكنت
نفوسهم فلم يبق فيهم متسع لوجود تهمة ولا مجال لسوء ظن وارباب
المقام الثاني لم يرتقوا عن نظرهم الى الافعال وهي متلونة عليهم في كل حال
وعند وقوع بعض ما لا يلايمهم منها فهم ربما تضعف عن تحمل مكارهها
قوى قلوبهم فلا تحصل لهم البراءة من خواطر سوء الظن وتحدث النفس
بما يقتضي وجود هلع وجزع فليكن العبد عند ذلك مشاهدا معنى
قوله عز وجل وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وما اشبهه والتفسير

تعريف حسن الظن

النادر على الغالب قال ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه حسن
الظن عبارة عن قطع الوهم ان يكون او لا يكون لان الوهم قاتل
وهو لوقت ثان فمتى اعطيت اذنيك الوهم هلكت وحكمت كذلك
الاصغاء بالاذن الى الشيطان والنفس جنس واحد انتهى قلت
وحسن الظن يطلب من العبد في امر دنياه وفي امر آخرته اما امر دنياه
فانه يكون واثقا بالله تعا في اتصال المنافع والمرافق اليه من غير كد
ولا سعي فيها او سعي خفيف ماذون فيه وماجور عليه وبحيث لا يفوته
ذلك شيئا من فرض او نفل فيوجب له ذلك سكونا وراحة في قلبه و
بدنه فلا يستفزه طلب ولا يزعجه سبب واما امر اخرته فانه
يكون قوي الرجا في قبول اعماله الصالحة وتوفية اجوره عليها
في دار الثواب والجزا فيوجب له ذلك المبادرة لامتثال الامر و
التكثير من اعمال البر بوجدان حلاوة واغتباط ولذاذة ونشاط
وقد قال يحيى بن معاذ رحمه الله تعا اوثق الرجا رجا العبد ربه و
اصدق الظنون حسن الظن بالله تعا ومن مواطن حسن الظن
بالله تعا التي ينبغي للعبد ان لا يفارقه في اوقات الشدة والمحن وحلول
المصايب في الاهل والمال والبدن لئلا يقع بسبب عدم ذلك في الجزع و
السخط وسيأتي هذا المعنى في كلام المصنف من ظن انفكاك
لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره ومن اعظم مواضع حسن الظن
بالله تعا حالة الموت وقد جاء في الخبر لا يموتن احدكم الا وهو يحسن
الظن بالله تعا وفي حديث جابر من استطاع منكم ان لا يموت الا وهو
يحسن الظن بالله تعا فليفعل ثم تلى هذه الآية وذلكم ظنكم
الذي ظننتم بربكم اردكم ولانه تعا قال فيما يروى عنه انا عند ظن
عبدي بي فليظن بي ما شاء قال ابو طالب المكي رضي الله عنه وكان ابن مسعود

رضي الله عنه يحلف بالله تعالى ما احسن عبد ظنه بربه الا اعطاه
ذلك لان الخير كله بيده فاذا اعطاه حسن الظن به فقد اعطاه
ما يظنه لان الذي حسن ظنه به هو الذي اراد ان يحققه له
انتهى وقد روى عن ابي النضر حبان قال خرجت عايدا يزيد بن
الاسود فلقيت واثلة بن اسقع رضي الله عنه وهو يريد عيادته قال
فدخلنا عليه وهو في فراشه فلما راى واثلة رضي الله عنه بسط يده و
طفق يشير اليه فاقبل واثلة رضي الله عنه حتى جلس على الفراش واخذ يزيد بن
الاسود بكفي واثلة رضي الله عنه حتى جعلهما على وجهه فقال واثلة اسالك
عن شيء تخبرنيه قال لا تسالني عن شيء اعلمه الا اخبرتك به قال له واثلة
رضي الله عنه كيف ظنك بالله عز وجل قال ظني والله بالله حسن قال
فابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى
انا عند ظن عبدي بي ان ظن بي خيرا وان ظن بي شرا وروى عن ابي
سعيد رضي الله عنه قال عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مريضا فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ظنك بربك فقال يا رسول الله صلى
الله عليك وسلم حسن الظن قال صلى الله عليه وسلم ظن به ما شئت فان الله
تبارك وتعالى عند ظن المؤمن به وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان حسن الظن بالله من حسن عبادة الله عز وجل
قلت والاخبار والاثار في الرجا وحسن الظن بالله تعالى وسعة رحمته
اكثر من ان تحصى وبمطالعتها مما يزيد المريد قوة في هذا المقام فمن اراد
الشفا في ذلك فعليه بمطالعة كتب الرجا من قوت القلوب وكتاب
الاحياء ثم بين رحمه الله الحالة التي بمنازلتها يتحقق العبد من مقام حسن
الظن بالله تعالى وهو عكوف العبد بباب الله تعالى وتعلق قلبه بوحدانيته
واشار الى ان ذلك هو غاية النعم ومنتهى الاماني لا ما يشوقه همة النفس وتطلبه

من النعيم

من النعيم المعقول والامنيات التي تفنى وتزول وحكم بان خلاف هذا
من عمى القلب ومما يستحق ان يتعجب منه كل ذي لب قال العجب كل العجب ممن
يهرب ممن لا انفكاك له عنه ويطلب ما لا بقاء له معه فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور هرب العبد من مولاه باقباله على شهواته
ومتابعة هواه وذلك نتيجة عمى قلبه ووجود جهله بربه لانه استبدل
الذي هو ادنى بالذي هو خير واثر الفاني الذي لا بقاء له على الباقي الذي
لا انفكاك له عنه ولو كانت له بصيرة لاثر الباقي على الفاني ولفعل
ما فعلت سحرة فرعون لما امنوا بربهم اذ لم يحفلوا بما وعدهم به فرعون
من الاحسان والانعام والتقريب والاكرام ولم يكترثوا بما توعدهم
به من العذاب بالقتل والصلب على جذوع النخل بل قالوا لن نؤثرك
على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا ثم قالوا والله خير وابقى
فهؤلاء استنارت قلوبهم وشهدوا محبوبهم فكان منهم ما كان
لا ترحل من كون الى كون فتكون كحمار الرحا يسير والذي ارتحل اليه هو
الذي ارتحل منه ولكن ارحل من الاكوان الى المكون وان الى ربك
المنتهى العمل على طلب الجزا والدرجات ونيل الرتب العلية والمقامات
نقصان في الحال وشوب في اخلاص الاعمال وهو معنى الارتحال من كون
الى كون وسبب ذلك بقاء اعتبار النفس من ان تحصل لها رتبة وان
تنال بسعيها موهبة وهذه كلها من الاكوان والاكوان كلها متساوية
في كونها اغيارا وان كان بعضها انوارا وتمثيله بحمار الرحا مبالغة
في تقبيح حال العاملين على رؤية الاغيار وتلطف في دعائهم الى حسن
الادب بين يدي الواحد القهار حتى يتحققوا بمعنى قوله تعالى وان الى
ربك المنتهى فيكون انتهى سيرهم اليه وعكوف قلوبهم عليه وتكون اعمالهم
اذ ذاك وفاء بمقتضى العبودية وقياما بحقوق الربوبية فقط من

معنى الاخلاص عند الموحدين

غير التفات الى النفس على اى حالة تكون فهذا هو تحقيق الاخلاص الكائن عن
مشاهدة التوحيد الخاص جعلنا الله من اهله بمنّه وفضله وانظر الى قوله
صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله
ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر
اليه فافهم قوله صلى الله عليه وسلم فهجرته الى ما هاجر اليه وتامل هذا الامر
ان كنت ذا فهم والسلام فى هذا الحديث النبوى الشريف تنبيه على
هذا المعنى الذى ذكره وموضع الاعتبار والتامل والله اعلم قوله فى القسم
الثانى فهجرته الى ما هاجر اليه اى فلا نصيب له من الوصول والقرب
الذى حظى به من هاجر الى الله ورسوله وهو قوله فهجرته الى الله ورسوله
وهذا من باب حصر المبتدأ فى الخبر كما تقول زيد صديقى اى لا صديق له
غيرى وكانه صلى الله عليه وسلم نبه فى القسم الثانى بالدنيا الذى يريد
ان يصيبها والمرأة التى يريد ان يتزوجها على حظوظ النفس والوقوف
معها والعمل عليها كاينة ما كانت فان كان ظاهره طلب الحظ العاجل
فقوله فهجرته الى الله ورسوله هو معنى الارتحال من الاكوان الى المكون
وهو المطلوب من العبد وهو مصرح به غاية التصريح وقوله فهجرته
الى ما هاجر اليه هو البقا مع الاكوان والتنقل فيها وهو الذى نهى عنه
وهو مشار به غير مصرح فليكن المريد على الهمة والنية حتى لا يكون
له التفات الى غير ولا كون البتة ولقد احسن الشاعر فى قوله شعر
وكل ما خلق الله وما لم يخلق ۝ محتقر فى همتى كشعرة من مفرقى
قال رجل لابى يزيد رضى الله عنه اوصنى فقال له ان اعطاك من العرش
الى الفرش فقل له اياك اريد وقال ابن سليمان رضى الله عنه لو خيرت
بين ركعتين ودخول الفردوس لاخترت الركعتين لانى فى الفردوس بحظى
وفى الركعتين بربى وقال الشبلى رضى الله عنه احذر مكره ولو فى قوله

كلوا واشربوا يريد لا تستغرق فى الحظ ولتكن فى كل شئ به لا بنفسك فقوله
تعالى كلوا واشربوا وان كان ظاهره انعاما واكراما فان فى باطنه ابتلا
واختبارا حتى ينظر من هو معه ومن هو مع الحظ وقال رضى الله عنه
بيان الصحبة
لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله تكلم هنا فى الصحبة
وهى اصل كبير من اصول القوم وفيها منافع وفوائد ولذلك استمر عليها
ثناؤهم قديما وحديثا وقد نبه المؤلف رحمه الله على فائدتها فى قوله
لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فانتهاض الحال
ودلالة المقال على الله تعالى هو فائدة الصحبة ومعنى الحال المنهض هاهنا
هو ان تكون همته متعلقة بالله تعالى مرتفعة عن المخلوقين لا يلجأ
فى حوايجه الا الى الله ولا يتوكل فى اموره الا على الله قد سقط الناس
من عينه فلا يرى منهم ضررا ولا نفعا وسقطت نفسه من عينه
فلا يشاهد لها فعلا ولا يقتضى لها حظا ويكون فى اعماله كلها جاريا
على مقتضى الشرع من غير افراط ولا تفريط وهذه صفة العارفين
والموحدين فصحبة من هذه حالته وان قلت عبادته ونوافله
مامونة الغائلة محمودة العاقبة جالبة لكل فائدة دينية ودنياوية
لان الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبولة على حب الاقتداء بمن
يستحسن حاله ولا يشترط فى المصحوب اتصافه بتلك الصفات
على غاية الكمال والتمام فان ذلك متعذر وانما يشترط فيه ان يتصف
منها بما يفوق به صاحبه فقط بحيث يكون اعلى منه حالا واصوب منه
مقالا ومن لم يكن على هذا الوصف وكان شانه المعاملة بالظاهر لا
غير فليس له فائدة فى صحبته بل ربما زادته شرا لان خلطته تدعو
الى التصنع له والتزين ويؤديه ذلك الى كبائر معاصى القلوب وهى اشد
عليه من معاصى الجوارح بكثير قال يوسف بن الحسين الرازى رضى الله عنه

لان القى الله تعالى بجميع المعاصى احب الى من ان القاه بذرة من التصنع فيدخل
عليه بذلك النقص فى حاله من حيث رجا الزيادة فيها قال بعض الصوفية
لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده ببر و لا تنقص عنده باثم يكون ذلك
لك وعليك وانت عنده سوآء وقال بعضهم كن مع ابناء الدنيا بالادب
ومع ابناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقيل لبعض الصالحين
ان فلانا يحبك ويكثر ذكرك فقال الان الحبيب الى واجله واعرف قدره ولكن
يهون على ان القى شيطانا مائة مرة ولا القاه مرة واحدة قيل له وكيف
ذلك قال اخشى ان اتزين له ويتزين لى قال الشيخ ابو طالب المكى رضى الله عنه
وكانت هذه الطائفة من الصوفية لا يصطحبون الا على استوا اربعة
معان لا يترجح بعضها على بعض ولا يكون فيها اعتراض من بعض على بعض
ان اكل صاحبه النهار كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله
لم يقل له صاحبه افطر وان نام ليله كله لم يقل له صاحبه قم وان قام
ليله كله لم يقل له صاحبه نم وتستوى احواله عنده فلا يزيد لاجل صيامه
وقيامه ولا ينقص لاجل افطاره ونومه قالوا وان كان يزيد عنده بالعمل و
ينقص بترك العمل فالفرقة اسلم للدين وابعد عن المرايا من قبل ان النفس
مجبولة على حب المدح وكراهة الذم ومبتلاة بان تزين حالها الذى
عرفت به وان تظهر احسن ما يحسن عند الناس منها وان تجتلب
ما يوجب المدح منهم وتجتنب ما يوجب الذم عندهم فاذا صحب من يعمل
معه هذا فليس ذلك طريق الصادقين ولا بغية المخلصين فمجانبة
هؤلاء الناس اصلح للقلوب واسلم للدين وفى معاشرة امثالهم فساد القلب
ونقصان الايمان وضعف اليقين لان هذه اسباب الريا وفى الريا حبط
العمل وخسران رأس المال والسقوط من عين ذى الجلال وكان النورى
رضى الله عنه يقول من عاشر الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم

الصوفية لا يصحبون الا على استواء اربعة معان

وقع فيما وقعوا فهلك كما هلكوا وكان بعض الحكماء يقول لا تواخ من الناس
من يتغير عليك فى اربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه لان
هذه المعانى تتغير لها الطبايع لدخول الضرر منها على النفس وفقد
الانتفاع وقال فى موضع آخر ومن كان ناظرا فى اخوة اخيه او فى صحبته
لكثرة اعماله او واقفا مع الكمل احواله دل على جهله فهذه الطريق التى
تنقذ الى التحقيق لانها تحول وانما العمل لحقايق القلوب لانها
ثابتة فى الاصول فان اقترن الى جهله نقص معرفة الاخوة دخل عليه
التزين له والتصنع عنده لتعلو منزلته ويحسن عنده اثره فيدخله
ذلك فى الشرك ويخرجه الشرك عن حقيقة التوحيد فتزل قدم بعد
ثبوتها ويسقط من عين مولاه فلا يتولاه فان النفس مبتلاة بحب
الثنا والمدح واثبات المنزلة باظهار الوصف فيكون هذا الصاحب
حينئذ من اشام الناس عليه واضرهم له ويصير احدهما بلاء على
صاحبه فليفارقه حينئذ فانه جاهل فلا يصحبه لانه يجد
النقصان بصحبته ويدخل عليه الافات بمقاربته وليتفرد بنفسه
ويصدق فى حالة عالية كانت او دنية ورفيعة كانت او وضيعة
من غير مقاربة احد ولا مباينته فهو خير له واحمد عاقبة انتهى
ويدل على ارادة صاحب الكتاب لهذا المعنى الذى ذكرناه فى التنبيه
على قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله فاعقبه به من قوله ولا يدلك
على الله مقاله فيكون الحال والمقال متناسبين فى كون كل واحد منهما
متعلقا بالله عبودية ودلالة قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه
احذر صحبة ثلاثة من اصناف الناس الجبابرة الغافلين والقراء
المداهنين والمتصوفة الجاهلين وقال يوسف بن الحسين الرازى
رضى الله عنه قلت لذى النون المصرى رضى الله عنه من اصحب قال من لا

وقع

تكتمه شيئًا يعلمه الله منك **وقال حمدون** القصّار رضي الله عنه اصحب
الصّوفيّة فانّ للقبيح عندهم وجوهًا من المعاذير وليس للحسن عندهم
موقع كبير يعظمونك به اشارة الى انّ العجب بالعمل منفي عندهم في صحبتهم
وقال الجنيد رضي الله عنه اذا اراد الله بالمريد خيرًا اوقعه الى الصّوفيّة
ومنعه صحبة القرّاء **وقال علي** رضي الله عنه شرّ الاصدقاء من احوجك
الى المداراة والجاك الى الاعتذار وقال رضي الله عنه من شرّ الاصدقاء
من تكلّف له وانشد واليوسف بن الحسين رضي الله عنه

احبّ من الاخوان كلّ مواتي ٭ وفي غضيض الطّرف عن عثراتي
يوافقني في كلّ امرٍ اريده ٭ ويحفظني حيًّا وبعد وفاتي
فمن لي بهذا ليتني قد وجدته ٭ فقاسمته مالي من الحسنات

والحاصل من هذا انّ صحبة الصّوفيّة هي الّتي يحصل بها كمال الانتفاع
للصّاحب دون من عداهم من المنسوبين الى العلم والدّين لانّهم
خصّوا من حقائق التّوحيد والمعرفة بخصائص لم يساهمهم فيها
احد وسريان ذلك من الصّاحب الى المصحوب هو غاية الامل المطلوب
فقد قيل من تحقّق بحالة لم يخل حاضروه منها فمن جلس على دكّان
العطّار لم يفقد لرائحة الطّيّبة هذا في الحضور والمجالسة فما ظنّك
في الصّحبة والمؤانسة وقد وصفهم بعض العلماء فقال الصّوفي من لا
يعرف في الدّارين احدًا غير الله ولا يشهد مع الله سوى الله قد سخّر له
كلّ شيء ولم يسخّر هو لشيء وسلّط على كلّ شيء ولم يسلّط عليه شيء ياخذ
النّصيب من كلّ شيء ولا ياخذ النّصيب منه شيء يصفو به كدر كلّ شيء
ولا يكدّر صفوه شيء قد شغله واحد عن كلّ شيء وكفاه واحد من كلّ
شيء فانظر رحمك الله هذه الصّفات فما اعظمها واجلّها وما اشرف حال
من اتّصف بها وما اعزّه في هذا الوجود نفعنا الله بهم ورزقنا من

بركاتهم

بركاتهم وفي صحبة امثال هؤلاء يحصل للمريد من المزيد ما لا يحصل له
بغيرها من فنون المجاهدات وانواع المكابدات حتّى يبلغ من ذلك الى
امرٍ لا يسعه عقل عاقل ولا يحيط به علم عالم ناقل **قال سيدي ابو العبّاس**
المرسي رضي الله عنه ماذا اصنع بالكيميا والله لقد صحبت اقوامًا يعبر
احدهم على الشّجرة اليابسة فيشير اليها فتثمر رمّانًا للوقت فمن صحب
هؤلاء الرّجال ماذا يصنع بالكيميا **وقال ايضًا** رضي الله عنه والله ما
سار الاولياء والابدال من قاف الى قاف الّا حتّى يلقوا واحدًا مثلنا
فاذا لقوه كان يغنيهم **وقال ايضًا** رضي الله عنه الولي اذا اراد اغنى وقال
ايضًا رضي الله عنه والله ما بيني وبين الرّجل الّا ان انظر اليه نظرة
وقد اغنيته **وقال فيه** شيخه ابو الحسن الشّاذلي رضي الله عنه ابو العبّاس
هو الرّجل الكامل والله انّه ليأتيه الرّجل البدوي يبول على ساقه فلا يمسي
عليه المساء الّا وقد اوصله الى الله وسيأتي طرف من حال ذكر المؤلّف
رحمه الله في صحبته وما اوصله اليه بركة رؤيته عند قوله كلّ كلام
يبرز وعليه كسوة القلب الّذي منه برز **ربّما كنت مسيئًا فاراك
الاحسان منك صحبتك الى من هو اسوأ حالًا منك** هذه اعظم
آفةٍ تدخل على من خالف ما ذكر وصحب من هو دونه في الحال وهو استحسانه
لما هو عليه فيؤدّيه ذلك الى رضاه عن نفسه ورؤيته لاحسانها
وهو اصل كلّ شرّ كما تقدّم **ما قلّ عمل برز من قلب زاهدٍ ولا كثر عمل برز
من قلب راغبٍ** مقادير الاعمال على حسب قلوب العمّال فما صدر عن
الزّاهدين في الدّنيا من عمل طاعةٍ وان كان قليلًا في الحسّ فهو كثير على
التّحقيق وما صدر عن الرّاغبين فيها من عمل برّ وان كان كثيرًا في
الحسّ فهو قليل على التّحقيق وذلك لانّ الزّاهدين سلموا من الآفات الّتي
تقدح في اخلاص اعمالهم من مرائاة النّاس والتّصنّع وطلب الاعراض الدّنيويّة

مقادير الاعمال
على حسب قلوب العمّال

عليها منهم لانهم زهدوا فيها فيحصل لهم قبول اعمالهم فيتوفر قليلها
بسبب ذلك ويكثر والراغبون تعتريهم الافات المبطلة لاعمالهم
القادحة في خلاصهم بسبب رغبتهم في الدنيا فلا تقبل منهم فيقل الكثير
من اعمالهم لوجود النقصان فيها وقد قال سيدنا ومولانا علي بن ابي
طالب رضي الله عنه كونوا لقبول العمل اشد اهتماما منكم للعمل فانه لا يقل
عمل مع التقوى وكيف يقل عمل يتقبل وقد وصف الله ذكر المؤمنين
بالكثرة لما تضمنه من وجود الاخلاص وعدم رياء الناس فقيل في
قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يعني خالصا
فسمي الخالص كثيرا او هو ما خلصت فيه النية لوجه الله تعالى ووصف
ذكر المنافقين بالقلة لما اشتمل عليه من عدم الاخلاص ووجود رياء
الناس فقال الله عز وجل يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا يعني
غير خالص وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال ركعتان
من زاهد عالم خير من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر
ابدا سرمدا وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم لصدر التابعين انتم
اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا
خيرا منكم قيل له ولم ذلك قال كانوا ازهد منكم في الدنيا وعن بعض
الصحابة رضي الله عنهم قال تابعنا الاعمال كلها فلم نر في امر الاخرة ابلغ
من الزهد في الدنيا قال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه سالت معروف
الكرخي عن الطائعين لله تعالى باي شيء قدروا على الطاعة قال باخراج
الدنيا عن قلوبهم ولو كان شيء منها في قلوبهم ما صحت لهم سجدة وقال
سيدي الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه شكى بعض الناس لرجل
من الصالحين انه يعمل اعمال البر ولا يجد حلاوة في قلبه قال لان عندك
بنت ابليس وهي الدنيا ولا بد للاب ان يزور ابنته في بيتها وهو قلبك

الدنيا بنت ابليس وبيتها قلب محبها

ولا يؤثر دخوله الا فسادا وكان سيدي الشيخ سهل رضي الله عنه يقول
يعطى الزاهد ثواب العلماء والعباد ثم يقسم على المؤمنين ثواب اعماله
ولا يرى في القيمة احدا افضل من زاهد عالم ورع حسن الاعمال نتايج
حسن الاحوال وحسن الاحوال من التحقق في مقامات الانزال حسن الاعمال
توفيتها بما يجب لها من شروط وادب عبودية لله تعالى لا لطلب حظ
عاجل ولا لثواب آجل وحسن الاحوال ان تكون سالمة من العلل والدعاوي
موسومة بسمة الصدق والتحقق في مقامات الانزال هو ارتوا القلب
بما ينزله الحق فيه من مقامات العلوم والمعارف بحيث ينتقي عنه كل شك
وريب وهذه الثلاثة المذكورة مرتب بعضها على بعض وهو معنى
ما يقوله الامام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه لا بد في كل مقام
من مقامات اليقين من علم وحال وعمل فالعمل ينتج الحال والحال
ينتج العمل وهذا الكلام الذي ذكره المصنف رحمه الله تعالى نوع استدلال
على ما قاله في الزاهد والراغب والله الموفق ۵ لا تترك الذكر لعدم
حضورك مع الله فيه لان غفلتك عن وجود ذكره اشد من
غفلتك في وجود ذكره فعسى ان يرفعك من ذكر مع وجود غفلة
الى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود
حضور ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور
وما ذلك على الله بعزيز الذكر اقرب الطرق الى الله تعالى وهو علم على وجود
ولايته كما قيل الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد اعطى المنشور
ومن سلب الذكر فقد عزل وقال الشاعر
والذكر اعظم باب انت داخله ۸ لله فاجعل له الانفاس حراسا
قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه الذكر عنوان الولاية
ومنار الوصلة وتحقيق الارادة وعلامة صحة البداية ودلالة

لا بد في كل مقام من علم وحال وعمل

فضايل الذكر

صفاء النهاية فليس وراء الذكر شئ وجميع الخصال المحمودة راجعة الى الذكر
ومنشاؤها الذكر وفضائل الذكر اكثر من ان تحصى ولو لم يرد فيه الا
قوله تعالى فى كتابه العزيز فاذكرونى اذكركم وقوله عز وجل فيما يرويه
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم انا عند ظن عبدى بى وانا معه حين
يذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملأ ذكرته
فى ملأ خير منه وان تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب
الى ذراعا تقربت منه باعا وان اتانى مشيا اتيته هرولة لكان
فى ذلك الشفا والغنية وهذا الحديث متفق على صحته قالوا ومن
خصائصه انه غير موقت بوقت فما من وقت الا والعبد مطلوب
به اما وجوبا واما ندبا بخلاف غيره من الطاعات قال ابن عباس
رضى الله عنهما لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة الا جعل لها حدا
معلوما ثم عذر اهلها فى حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا
ينتهى اليه ولم يعذر احدا فى تركه الا مغلوبا على عقله وامرهم بذكره فى
الاحوال كلها فقال عز من قائل فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى
جنوبكم وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا اى بالليل
والنهار والبر والبحر والسفر والحضر والغنا والفقر والصحة والسقم
والسر والعلانية وعلى كل حال وقال مجاهد رضى الله عنه الذكر الكثير
ان لا ينساه ابدا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
اكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون وينبغى للعبد ان يستكثر منه فى
كل حالاته ويستغرق فيه جميع اوقاته ولا يغفل عنه وليس له ان يتركه
لوجود غفلة فيه فان تركه له وغفلته عنه اشد من غفلته فيه فعليه ان
يذكر الله تعالى بلسانه وان كان غافلا فيه فلعل ذكره مع وجود الغفلة
يرفعه الى الذكر مع وجود اليقظة وهذا نعت العقلاء ولعل ذكره مع

ولم يعذر الله احدا فى ترك الذكر قط .

وجود اليقظة يرفعه الى الذكر مع وجود الحضور وهذه صفة العلماء
ولعل ذكره مع وجود الحضور يرفعه الى الذكر مع وجود الغيبة عما سوى المذكور
وهذه مرتبة العارفين المحققين من الاولياء قال الله تعالى واذكر ربك
اذا نسيت اى اذا نسيت ما دون الله عند ذلك تكون ذاكرا الله تعالى
وفى هذا المقام ينقطع ذكر اللسان ويكون العبد محوا فى وجود العيان
وفى هذا المعنى انشدوا شعرا

ما ان ذكرتك الا هم يغلطنى ... سرى وقلبى وروحى عند ذكراكا
حتى كان رقيبا منك يهتف بى ... اياك ويحك والتذكار اياكا
اما ترى الحق قد لاحت شواهده ... وواصل الكل من معناه معناكا

وقال الواسطى مشيرا الى هذا مقام الذاكرين فى ذكره اكثر غفلة من
الناسين لذكره لان ذكره سواء قال ابو العباس بن البنا فى كلام
ذكره على مقدمة كتاب ابى العز تقى الدين ابن المظفر الشافعى وهو
كتاب الاسرار العقلية فى الكلمات النبوية ورايت هذا الكلام بخطه
رضى الله عنه ومن احسن الذكر ما هاج عن خاطر وارد من
المذكور جل جلاله وذكره وهذا هو الذكر الخفى عند المتصوفة على
الاشتهار والتمكن فى الاسرار واما قولهم حتى يتمكن المذكور الى
حاله يستغرق بها عن الذكر فليس ذلك تمكن حلول ولا اتحاد بل حكمة
وقدرة من عزيز عليم وبيان غور ذلك ان يكون القلب عند الذكر
فى الذكر فارغا من الكل فلا يبقى فيه غير الله جل ذكره فيصير القلب بيت
الحق ويتجلى منه فيخرج الذكر من غير قصد ولا تدبير فحينئذ يكون الحق
المبين لسانه الذى ينطق به فان بطش هذا الذاكر كان يده التى يبطش بها
وان سمع كان سمعه الذى يسمع به قد استولى المذكور العلى على الفؤاد
فامتلكه وعلى الجوارح فصرفها فيما يرضيه وعلى الصفات من هذا العبد

وبيان تمكن المذكور قلب الذاكر .

فقلبها كيف شاء في مرضاته فلذلك يخرج الذكر من غير تكلف وتنبعث
الاعمال بالطاعات بنشاط ولذة من غير كلل ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء والله ذو الفضل العظيم ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
وقد وصف الله تعالى قلب ام موسى عليه السلام بمعنى ذلك في قوله الحق واصبح
فؤاد ام موسى فارغا اي من كل شيء الا من ذكر موسى عليه السلام وكادت
ان تبدي به من غير قصد منها لذكره ولا تدبير بل كان تركها للتصريح
بذكره صبرا بما رد الله تعالى على قلبها لتكون من المؤمنين بما اوحي اليها
من قبل في شان موسى عليه السلام بانه من المرسلين وبذلك يندفع
الاشكال الذي ذكره ابو العز ووصفه بالفظم وهو اجتماع الضدين في
بادي الراي وهما الذكر والغفلة عن الذكر وهذه المعالم والمراقي لا يعرف
حقايقها الا السالكون وجدانا والعلماء ايمانا وتصديقا فاياك من
التكذيب بايات الله فتكون من البكم الصم في الظلمات ولما كان المذكور لا يجوز
عليه وصف البعد والعدم ولا يمنعه حجاب ولا يحويه مكان ولا
يشتمل عليه زمان ولا يجوز عليه الغيبة بوجه ولا يتصف بحال المحدثين
ولا تجري عليه احكام المخلوقين فهو حاضر عينا ومعنا وشاهد سرا
ونجوى اذ هو القريب من كل شيء اقرب الى الذاكر له من نفسه من حيث
الايجاد له والعلم به والمشيئة فيه والقدرة عليه والتدبير له والقيام
عليه خلق الخليقة فلا تلحقه اوصافها واوجد الاعداد فلا تحصي
معانيها سبحانه وهو العلي الكبير انتهى كلام الشيخ ابي العباس رضي
الله عنه في معنى المقام الثالث من مقامات الذكر وهي في غاية
الحسن والتحقيق مشيرا الى توحيد الخواص من اهل هذا الطريق فلا
ينبغي لن يستبعد العبد الوصول الى هذا المقام الكريم فليس بعزيز
على الفتاح العليم فعلى العبد القيام بحسن الاسباب ومن الله رفع

الحجاب

الحجاب وقال رضي الله عنه من علامة موت القلب عدم الحزن على ما
فاتك من الموافقات وترك الندم على ما فعلته من وجود الزلات القلب
اذا كان حيا بالايمان حزن على ما فاته من الطاعات وندم على ما فعله
من الزلات ومقتضى هذا وجود الفرح بما يستعمل فيه من الطاعات
ويوفق له من اجتناب المعاصي والسيئات وقد جاء في الحديث من سرته

علامة موت القلب

حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن فان لم يكن العبد بهذا الوصف
وعدم الحزن على ما فاته والندم على ما اتاه فهو ميت القلب وانما كان ذلك
من قبل ان اعمال العبد الحسنة والسيئة علامتان على وجود رضى الله
تعالى على العبد وسخطه عليه فاذا وفق الله عبده للصالحات سره ذلك لانه
علامة على رضاه عنه وغلب حينئذ رجاءه واذا اخذ له ولم يعصمه وعمل
بالمعاصي ساءه ذلك واحزنه لانه علامة على سخطه عليه وغلب حينئذ
خوفه والرجا يبعث على الاجتهاد في الطاعات وليس من مقتضاه تركها
وعدم الحزن على ما فاته منها امنا واغترارا والخوف يبعث على المبالغة
في اجتناب المعاصي والسيئات وليس من مقتضاه فعلها وترك الندم
عليها اياسا وقنوطا وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال
بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه آت فلما حاذى بنا وراى
اجتماعنا اناخ راحلته ثم مشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله اوضعت راحلتي من مسيرة تسع فسيرتها اليك ستا فاسهرت ليلي
واظمات نهاري وانصبت راحلتي لاسالك عن اثنتين اسهرتاني
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من انت قال انا زيد الخيل قال النبي صلى الله عليه وسلم
بل انت زيد الخير سل فرب معضلة قد سئل عنها قال جئت اسالك
عن علامة الله تعالى فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
بخ بخ كيف اصبحت يا زيد قال اصبحت احب الخير واهله واحب ان يعمل

به واذا فاتتني حزنت عليه واذا عملت عملاً قل او كثر ايقنت ثوابه قال صلى الله عليه وسلم هي هي بعينها يا زيد ولو اراد الله تعالى للاخرى هياك لها ثم لا يبالي في اي وادٍ هلكت ثم قال زيد رضي الله عنه حسبي حسبي ثم ارتحل ولم يلبث لايعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى فان من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه عظمة الذنب عند مرتكبه على وجهين احدهما انه يعظم عنده عظمة تحمله على التوبة منه والاقلاع عنه وصدق العزم على ان لايعود الى مثله فهذه عظمة محمودة وهي من علامات ايمان العبد كما قلنا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان المؤمن يرى ذنوبه كانه في اصل جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على انفه قال به هكذا فاطاره ويقال ان الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله وان المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله والثاني ان يعظم عنده عظمة توقعه في اليأس والقنوط وتؤديه الى سوء الظن بالله تعالى فهذه عظمة مذمومة قادحة في الايمان وهي اشر عليه من ذنوبه وسبب ذلك وجود جهله بصفات مولاه المحسن الجواد الكريم ووقوفه مع نفسه وقياسه بعقله وحدسه ولو كان عارفاً بالله تعالى حق المعرفة لاستحقر ذنوبه في جنب كرمه وفضله فاي قدر للعبد او قيمة حتى يقع في ذنب لايسعه عفو ربه ويكبر عليه ان يغفر له قال في التنوير واعلم انه لابد في مملكته من عبادهم نصيب الحلم ومحل ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة وافهم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم وقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وجاء رجل الى الشيخ ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه فقال يا سيدي كان البارحة في جوارنا من المنكرات كيت وكيت وظهر من ذلك الرجل استغراب ان يكون هذا فقال يا هذا

عظمة الذنب على وجهين عند مرتكبه

كانك

كانك تريد ان لايعصى الله في مملكته احد من احب ان لايعصى الله في مملكته فقد احب ان لايظهر مغفرته وان لاتكون شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكم من مذنب كسرته اساءته وذله ومخالفته فاوجبت له الرحمة من ربه وكان له راحماً وبقدر ايمانه وان عصى عالماً انتهى فلاينبغي للعبد ان يستعظم ذنبه استعظاماً يؤديه الى ان يلقي بيده اياساً من روح الله وقنوطاً من رحمته وسوء ظن بربه بل عليه ان يتوب الى ربه منه ويرجع اليه عنه ويعلم حكمة الله تعالى في تسليطه عليه وتخليته بينه وبينه وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لولا ان الذنب خير للمؤمن من العجب ما خلى الله بين المؤمن وبين ذنب ابداً فنبهك بهذا على ان الذنب مانع من وجود العجب الذي هو اعظم حجاب بين العبد وبين مولاه لان صاحبه ناظر الى نفسه لا الى ربه مستعظم لطاعته وعبادته ملاحظة لذلك وساكن له بخلاف ذلك المذنب لانه يوجب له الخوف والحذر واللجا الى الله تعالى والفرار اليه من نفسه والعجب يصرف العبد عن الله تعالى والذنب يصرفه اليه والعجب يقبل به على نفسه والذنب يقبل به على ربه والعجب يؤديه الى الاستغنا والذنب يؤديه الى الافتقار واحب اوصاف العبد الى الله افتقاره اليه واشرف احوال المؤمن ما يورده اليه ويقبل به عليه لاصغيرة اذا قابلك عدله ولا كبيرة اذا واجهك فضله اذا اظهرت الصفات العلية بطلت اعمال العاملين واذا ظهرت صفات العدل على من ابغضه ومقته بطلت حسناته وعادت صغائره كبائر واذا اظهر وصف الفضل على من احبه اضمحلت سيئاته وعادت كبائره صغائر قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه ان وضع عليهم عدله لم يبق لهم حسنة وان انالهم فضله لم يبق لهم سيئة ومن دعائه رضي الله عنه الهي ان احببتني غفرت سيئاتي وان مقتني لم تقبل حسناتي وما احسن

قول سيدى ابى الحسن الشادلى رضى الله عنه فى دعائه ومناجاته واجعل
سيئاتنا سيئات من احببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من ابغضت
فالاحسان لا ينفع مع البغض منك والاسائة لا تضر مع الحب منك وسيأتى
من مناجات المؤلف فى هذا المعنى الهى كم من طاعة قد بنيتها وحالة شيدتها
هدم اعتمادى عليها عدلك بل اقالنى منها فضلك **لا عمل ارجى للقبول**
من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده فى النسخ الموجودة

ارجى الاعمال للقبول

بايدينا لا عمل ارجى للقلوب وبمعناه على هذا الوجه ان العمل الموصوف بهذه
الصفة لا يلتفت اليه القلب ولا يعتبره وفى عدم التفاته واعتباره صلاحه
وتحرره من رق رقبة الالتفات الى العمل فيبقى حينئذ مع ربه لا مع عمله
ويكون ذلك على حذف مضاف تقديره لا عمل ارجى لصلاح القلب او ما
فى معناه وسيأتى من كلام المصنف ما يناسب هذا المعنى وهو قوله
قطع السائرين له والواصلين اليه عن رؤية اعمالهم وشهود احوالهم
الى آخره والغالب على الظن ان الذى قصده المصنف وذكره انما هو لفظ
القبول اى لا عمل ارجى للقبول فغلط الناسخ فقلب ووفر ولا يحتاج فى
هذا الى حذف وتقديره على هذا الوجه ان يقول سلامة العمل من الآفات
شرط فى قبوله لان صاحبه متق لله تعالى وقد قال عز من قائل انما
يتقبل الله من المتقين وانما يسلم العمل من الآفات باتهام النفس فى
القيام بحقه ورؤية تقصيره فيه فيغيب عنه اذ ذاك شهوده ويحتقر
عنده وجوده فلا يساكنه ولا يعتمد عليه وان لم يكن على هذا الوصف بل
كان ناظرا اليه ومستعظما له غائبا عن شهود منة الله تعالى عليه فى توفيقه
له اوقعه ذلك فى العجب فحبط لذلك عمله وخاب سعيه **قال ابو سليمان**
رضى الله عنه ما استحسنت من نفسى عملا فاحتسبته وقال على بن
الحسين رضى الله عنه كل شئ من افعالك اذا اتصلت به رؤيتك فذلك

دليل على انه لم يقبل منك لان المقبول مرفوع مغيب عنك وما انقطعت
عنه رؤيتك فذلك دليل على القبول **وقد سئل** بعض العارفين ما
علامة قبول العمل فقال نسيانك اياه وانقطاع نظرك عنه بالكلية
بدلالة قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
قال فعلامة رفع الحق تعالى ذلك العمل انه لا يبقى عندك شئ منه
فانه اذا ابقى فى نظرك منه شئ لم يرتفع اليه لبينونية بين عنديتك
وعنديته فينبغى للعبد اذا عمل عملا ان يكون عنده نسيا منسيا
بما ذكرنا من اتهام النفس ورؤية التقصير حتى يحصل له قبوله
انما اورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا الوارد عبارة عما يرد على

ورود الواردات لتكون على الله واردا

القلب من المعارف الربانية واللطائف الروحانية ليطهره بذلك
ويزكيه حتى يصلح بذلك للورود عليه والدخول الى حضرته لان
الحضرة منزهة عن كل قلب متكدر بالآثار ملوث باقذار الاغيار
فاذا انما اورده عليك لتكون به عليه واردا **اورد عليك الوارد**
ليتسلمك من يد الاغيار وليحررك من رق الآثار الآثار والاغيار
غاصبة ومسترقة لك وذلك لوجود حبك لها وسكونك اليها و
اعتمادك عليها فانما اورد عليك الوارد ليتسلمك من يد من غصبك
ويحررك من ملكية من استرقك والاشارة الى هذا المعنى بما
ضرب الله من المثل للكفار فى قوله عز وعلا ضرب الله مثلا رجلا فيه
شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا فمن يسلم
من يد الاغيار وحرز من رق الآثار لا يكون لمخلوق فيه نصيب ولا
شركة وكان سلما لله عز وجل **اورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك**
الى فضاء شهودك سجن وجوده هو شهوده لنفسه ومراعاته لحظه
وفضاء شهوده ان يغيب عن ذلك بشهود عظمة الله تعالى وجلاله ورؤية

قيام حركاته وسكناته قال ابو القاسم النصراباذي رضي الله عنه سجنك نفسك
اذا خرجت منها وقعت في راحة الابد وسياتي من كلام المصنف في معنى
قوله سجن وجودك الكاين في الكون ولم يفتح له ميادين الغيوب مسجون
بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته الانوار مطايا القلوب والاسرار انوار
الايمان واليقين مطايا حاملة للاسرار والقلوب الى حضرة علام الغيوب
وتلك هي الواردات المذكورات النور جند القلب كما ان الظلمة جند النفس فاذا
اراد الله ان ينصر عبده امده بجنود الانوار وقطع عنه مدد الظلم
والاغيار نور التوحيد واليقين وظلمة الشرك والشك جندان للقلب
والنفس والحرب بينهما سجال فاذا اراد الله نصرة عبده امد قلبه بجنوده
وقطع عن نفسه مدد جنودها واذا اراد الله خذلان عبده فعلى العكس
فاذا مال القلب الى العمل بامر محمود مولم في الحال ملتذ به في المآل ومالت
النفس الى العمل بامر مذموم متلذذ به في الحال مولم في المآل وتنازعا
وتقاتلا سارع النور الذي هو من امر الله سبحانه وتعالى ورحمته
الى نصرة القلب وبادرت الظلمات التي هي من وسواس الشيطان ومكره
الى نصرة النفس وقام صف القتال بينهما فان سبقت للعبد من الله
تعالى سابقة السعادة اهتدى القلب بنور الله تعالى واستهان بالعاجلة
ورغب في الآجلة وعمل القلب على ما مال اليه وان المه في الحال لما يرجوه من
التنعم به في المآل وان سبقت له الشقاوة والعياذ بالله ذهل القلب عن
النور واعمته الظلمة عن منفعة الآجل واغتر بلذة العاجل وعمل بما
مالت اليه نفسه وان آلمه في المآل بما يحصل له من لذة الحال وعند التقاء
الصفين والتحام القتال بين الجندين لا سبيل للعبد الا فزعه الى الله تعالى
ولياذه به وكثرة ذكره له وصدق توكله عليه واستعاذته به من الشيطان
الرجيم وهذه العبارات الخمسة من قوله انما اورد عليك الوارد لتكون به

عليه واردا الى هنا تفنن فيها صاحب الكتاب وكررها بالفاظ مختلفة
والمعاني فيها متقاربة وهي عادته رحمه الله تعالى في مواضع كثيرة من هذا
الكتاب ه النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الاقبال و
الادبار هذه الفاظ مختلفة لمعان متغايرة فالنور يفيد كشف المعاني
المغيبات حتى تتضح وتشاهده البصيرة التي هي ناظر القلب تفيد الحكم
وهو صحة ما شاهدته والقلب له الاقبال عملا بمقتضى ما شاهدته
البصيرة وله ايضا الادبار تركا للعمل بمقتضى ما شاهدته البصيرة ه
لا تفرحك الطاعة لانها برزت منك وافرح بها لانها برزت من الله
اليك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون
الفرح بالطاعة على وجهين فرح بها من حيث شهودها من الله تعالى
نعمة منه وفضلا فهذا هو الفرح المحمود وهو الذي طلب من العبد و
ذلك هو مقتضى شكرها وفرح بها من حيث ظهورها من العبد باختياره
وارادته وحوله وقوته فهذا فرح مذموم منهي عنه وهو كفران النعمة
وهو من العجب المحبط للعمل والفرح بها على هذا الوجه فرح بلا شيء
وسياتي في آخر الكتاب انواع الفرح بالنعم وما يحمد منها وما يذم تامة
مستوفاة قطع السائرين له والواصلين اليه عن رؤية اعمالهم و
شهود احوالهم اما السائرون فلانهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها
واما الواصلون فلانه غيبهم بشهوده عنها لقد اسبغ الله تعالى نعمه
على الفريقين حيث فعل معهم ذلك لانه ابقاهم معه ولم يدعهم لسواه
فالواصلون فعل ذلك بهم طوعا منهم والسالكون فعل ذلك بهم كرها
ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها فالواصلون اليه قطعهم
عن ذلك بشهودهم له في حضرة قربه ومن شاهده ولم يشهد معه غيره
اذ محال ان يراه ويشهد معه سواه والسالكون قطعهم عن ذلك فحققهم

بالصدق والبراءة من الدعوى فهم ابداً متهمون لانفسهم في توفيق
اعمالهم وتصفية احوالهم قال النهرجوري رضي الله عنه من علامة من
تولاه الله تعالى في احواله ان يشهد التقصير في اخلاصه والغفلة في
اذكاره والنقصان في صدقه والفتور في مجاهدته وقلة المراعاة
في فقره فتكون جميع احواله عنده غير مرضية ويزداد فقراً الى الله تعالى
في قصده وسيره حتى يفنى عن كل ما دونه وقال ابو عمرو اسمعيل بن نجيد
رضي الله عنه لا يصفو لاحد قدم في العبودية حتى تكون افعاله عنده
كلها رياء واحواله كلها عنده دعاوى وقال ابو يزيد رضي الله عنه لو صفت
لي تهليلة ما باليت بعدها بشيء والى هذين المقامين يشير الحكاية
التي تروى عن الواسطي رضي الله عنه وذلك انه لما دخل نيسابور سال
اصحاب ابي عثمان رضي الله عنه بماذا كان يامركم شيخكم قالوا كان يامرنا
بالتزام الطاعة ورؤية التقصير فيها فقال امركم بالمجوسية المحضة
هلا امركم بالغيبة عنها بشهود مجريها ومنشئها قال الاستاذ
ابو القاسم القشيري رضي الله عنه وانما اراد الواسطي رضي الله عنه بهذا
صيانتهم عن محل الاعجاب لا تعريجاً في اوطان التقصير او تجويز الاخلال
بادب من الاداب وقال رضي الله عنه ※ ما بسقت اغصان ذل الا
على بذر طمع البسوق الطول يقال بسقت النخلة بسوقاً اي طالت
قال الله تعالى والنخل باسقات والاغصان جمع غصن وهو ما تشعب عن سوق
الشجرة ويجمع ايضاً على غصون والبذر الحب الذي يزدرع وهذه كلها
استعارات مليحة والطمع من اعظم آفات النفوس وعيوبها القادحة
في عبوديتها بل هو اصل جميع الآفات لانه محض تعلق بالناس والتجاء اليهم
واعتماد عليهم وعبودية لهم وفي ذلك من الذلة والمهانة ما لا مزيد عليه
ولا يحل للمؤمن ان يذل نفسه والطمع مضاد لحقيقة الايمان الذي يقتضي

علامة من تولاه الله

ذم الطمع وتعريفه

وجود العزة

وجود العزة والعزة التي يتصف بها المؤمنون انما تكون برفع
هممهم الى مولاهم وطمانينة قلوبهم اليه وثقتهم به دون من سواه
فهذه هي العزة التي منحها الله عبده المؤمن من حيث قال تعالى ولله
العزة ولرسوله وللمؤمنين وكما ان العزة من صفات المؤمنين
كذلك الذلة من اخلاق الكافرين والمنافقين قال الله تعالى
ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين قال ابو بكر
الحكيم الوراق رضي الله عنه لو قيل للطمع من ابوك قال الشك في المقدور
ولو قيل له ما حرفتك قال اكتساب الذل ولو قيل له ما غايتك قال
الحرمان وقال ابو الحسين الوراق النيسابوري رضي الله عنه
من اشعر نفسه محبة شيء من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع
ومن طمع في شيء ذل وبذله هلك وقديماً قيل بيت شعر
اتطمع في ليلى وتعلم انما ٨ تقطع اعناق الرجال المطامع
والطامع لا محالة فاسد الدين مفلس من انوار اليقين قال في
التنوير وتفقده وجود الورع من نفسك اكثر مما تتفقد ما سواه
وتطهر من الطمع في الخلق فلو تطهر الطامع فيهم بسبعة ابحر ما طهره
الا الياس منهم ورفع الهمة عنهم قال قدم علي بن ابي طالب رضي الله عنه
البصرة ودخل جامعها فوجد القصاص يقصون فاقامهم حتى جاء الى
الحسن البصري رضي الله عنه فقال يا فتى اني اسالك عن امر فان اجبتني
عنه ابقيتك والا اقمتك كما اقمت اصحابك وكان قد راى عليه سمتاً
وهدياً فقال الحسن رضي الله عنه سل عما شئت فقال رضي الله عنه
ما ملاك الدين قال الورع فقال رضي الله عنه فما فساد الدين قال الطمع
قال رضي الله عنه اجلس فمثلك من يتكلم على الناس قال وسمعت شيخنا
رضي الله عنه يقول كنت في ابتداء امري بثغر الاسكندرية جئت

الى بعض من يعرفنى فاشتريت منه حاجة بنصف درهم ثم قلت فى نفسى
لعله ما يأخذ منى فهتف بى هاتف السلامة فى الدين بترك الطمع
من المخلوقين قال وسمعته يقول صاحب الطمع لا يشبع ابدًا الا ترى
ان حروفه كلها مجوفة الطاء والميم والعين ثم قال بعد هذا فعليك ايها
المريد برفع همتك عن الخلق ولا تذل لهم فقد سبقت قسمته وجودك
وتقدم ثبوته ظهورك واسمع ما قال بعض المشايخ ايها الرجل ما قدر
لماضغيك ان يمضغاه فلابد ان يمضغاه فكله ويحك بعز ولا تاكله
بذل قلت وتقدم الآن من كلامه فى التنوير ذكر الورع فى مقابلة الطمع
وكذلك فى جواب الحسن لعلى رضى الله عنهما لما سأله مستخبرًا عن صلاح
الدين وفساده فى الكلام الذى حكاه عنهما ولا شك ان الورع الظاهر
لعامة الناس وهو ترك المشتبهات والتحرج من اقتحام المشكلات
لا يقابل الطمع كل المقابلة وقد ذكرنا الطمع ما هو وانما يقابله ورع
الخاصة وهو عندهم صحة اليقين وكمال التعلق برب العالمين
ووجود السكون اليه وعكوف الهم عليه وطمانينة القلب به ولا
يكون له ركون الى غيره ولا انتساب الى الخلق ولا كون فهذا هو الورع
الذى يقابل الطمع المفسد وبه يصلح كل عمل مقرب وحال مسعد كما
نبه عليه الحسن البصرى رضى الله عنه فى جوابه المذكور قال يحيى بن
معاذ رضى الله عنه الورع على وجهين ورع فى الظاهر ان لا تتحرك الا
لله وورع فى الباطن وهو ان لا يدخل قلبك الا الله ذكران بعضهم
كان حريصًا على ان يرى احدًا ممن هذه صفته فجعل يجتهد فى طلبه
ويحتال الى التوصل اليه بان يأخذ الشئ بعد الشئ من ماله ويقصد
به الفقراء والمساكين ويقول لمن يعطيه منهم حين المناولة خذ
لا لك وكانوا يأخذون ولا يسمع من احد منهم جوابًا مطابقًا لما اراده

ورع الظاهر

ورع الخاصة

بكلامه

بكلامه الى ان ظفر ذات يوم ببغيته وحصل على مقصوده ومنيته
وذلك لانه قال لأحدهم خذ لا لك فقال له آخذه لا منك فان كان للعبد
استشراف الى الخلق او بسعيه ينظر اليهم قبل مجئ الرزق او بعده فمقتضى
هذا الورع والواجب فى حق الأدب ان لا ينيل نفسه شيئًا مما يأتيه
على هذه الحال عقوبة لنفسه فى نظره الى ابناء جنسه كقصة ايوب
الحمال مع احمد بن حنبل رضى الله عنه وهى معروفة كما روى عن الشيخ
ابى مدين رضى الله عنه انه اتاه حمال بقمح فنازعته نفسه وقالت
له يا ترى من اين هذا فقال لها انا اعرف من اين هو يا عدوة الله
وامر بعض اصحابه ان يدفعه الى بعض الفقراء عقوبة لها لكونها
رات الخلق قبل رؤية الحق تعالى وقد قيل حل الحلال ما لم يخطر لك
على بال ولا سألت فيه احدًا من النساء والرجال وقد صرح بهذا
المعنى الذى ذكرناه واوضح الغرض الذى قصدناه شيخ الطريقة
وامام الحقيقة من المتأخرين ابو محمد عبد العزيز المهدوى رضى
الله عنه فانه قال اعلم ان الورع ان لا يكون بينك وبين الخلق
نسبة فى اخذ او عطا او قبول او رد وان يكون السبق لله تعالى
وهو ان ياتى طاهرًا من جميع الاشياء والعلم والعمل كما قال تعالى
ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وقال ايضًا الورع ان لا
يخطر الرزق بالبال ولا يكون بينك وبينه نسبة لا فى التحصيل ولا
فى المباشرة لانه لا يدرى يا كله امر لا وقال ايضًا الورع ان لا يتحرك
ولا يسكن الا ويرى الله تعالى فى الحركة والسكون فاذا راى الله تعالى
ذهبت الحركة والسكون وبقى مع الله فالحركة ظرف لما فيها كما قال
ما رايت شيئًا الا ورايت الله فيه فاذا راى الله ذهبت وقال ايضًا
اجمع العلماء ان الحلال المطلق ما اخذ من يد الله بسقوط الوسايط

نوع الورع بالكمال

انواع ما يصل الرزق الى العباد

وهذا مقام التوكل ولهذا قال بعضهم الحلال هو الذى لا ينسبك الله تعالى
فيه الى غيره هذا من العبارات التى عبّر بها فى هذا المعنى وقال بعض اهل
هذه الطائفة العبيد كلهم ياكلون ارزاقهم ثم يفترقون فى المشاهدات
فمنهم من ياكل رزقه بذل ومنهم من ياكل رزقه بامتهان ومنهم ياكل رزقه
بانتظار ومنهم من ياكل رزقه بعز بلا انتظار ولا مهنة ولا ذل فاما
الذين ياكلون ارزاقهم بذل فالسؤال يشهدون ايدى الخلق فيه فيذلون
لهم واما الذين ياكلون ارزاقهم بامتهان فالصنائع ياكل احدهم رزقه
بمهنة وكد واما الذين ياكلون ارزاقهم بانتظار فالتجار ينظر احدهم
نفاق سلعته فهو متعوب القلب معذب بانتظاره واما الذين ياكلون
ارزاقهم بعز من غير مهنة ولا انتظار ولا ذل فالصوفية يشهدون العزيز
فياخذون قسمتهم من يده بعزة وقال سهل بن عبد الله رضى الله عنه
ليس مع الايمان اسباب انما الاسباب فى الاسلام قال الشيخ ابو طالب رضى الله عنه
معناه ليس فى حقيقة الايمان روية الاسباب والسكون اليها انما رويتها
والطمع فى الخلق يوجد فى مقام الاسلام وقد عقد المصنف رحمه الله تعالى
فى لطائف المنن فصلا فى هذا المعنى وجعله لجميع وظائف الاداب

انواع ورع الخصوص

الدينية اصلا ومبنا فرأينا نقله فى هذا الموضع من صواب العمل المتكفل
ان شاء الله تعالى بنجاح الامل قال رضى الله عنه واعلم رحمك الله ان ورع
الخصوص لا يفهمه الا قليل فان من جملة ورعهم تورعهم عن ان يسكنوا
لغيره ويميلوا بالحب لغيره او تمتد اطماعهم بالطمع فى غير فضله وخيره ومن
ورعهم ورعهم عن الوقوف مع الوسائط والاسباب وخلع الانداد والارباب
ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع العادات والاعتماد على الطاعات والسكون
على انوار التجليات ومن ورعهم ورعهم عن ان تفتنهم الدنيا وتوقفهم
الاخرة تورعوا عن الدنيا وفاء وعن الوقوف مع الاخرة صفاء قال الشيخ

عثمان بن

عثمان بن عاشورا رضى الله عنه خرجت من بغداد اريد الموصل فانا اسير
واذا انا بالدنيا قد عرضت على بعزها وجاهها ورفعتها ومراكبها وملابسها
ومن نباتها ومشتهياتها فاعرضت عنها فعرضت على الجنة بحورها وقصورها
وانهارها وثمارها فلم اشتغل بها فقيل لى يا ابا عثمان لو وقفت مع الاولى
لحجبناك عن الثانية ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا فها نحن لك
وقسطك من الدارين ياتيك وقال الشيخ عبد الرحمن المغربى وكان
مقيما بشر فى الاسكندرية حججت سنة من السنين فلما قضيت الحج عزمت
على الرجوع الى الاسكندرية فاذا على بقائل لى انك من العام القابل عندنا
فقلت فى نفسى اذا كنت العام القابل ها هنا فلا اعود الى الاسكندرية
فخطر لى الذهاب الى اليمن فاتيت الى عدن فانا يوما على ساحلها واذا
بالتجار قد اخرجوا بضايعهم ومتاجرهم فنظرت فاذا رجل فرش سجادته
على البحر ومشا على الماء فقلت فى نفسى انى لم اصلح للدنيا ولا للاخرة
فاذا على بقائل لى من لم يصلح للدنيا ولا للاخرة يصلح لنا وقال الشيخ ابو
الحسن الشاذلى رضى الله عنه الورع نعم الطريق لمن عجل ميراثه واجل
ثوابه فقد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله
والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم فى عموم
اوقاتهم وسائر احوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون
ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون الا بالله
ولله من حيث يعلمون هجم بهم العلم على حقيقة الامر فهم مجموعون فى عين
الجمع لا يفترقون فيما هو اعلى ولا فيما هو ادنى واما ادنى الادنى فالله
يورعهم عنه ثوابا لورعهم مع الحفظ لمنازلات الشرع عليهم ومن لم يكن
يعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنيا او مصروف بدعوا وميراثه التعدى
على خلقه والاستكبار على مثله والدلالة على الله بعمله فهذا هو الخسران المبين ٥

والعياذ بالله العظيم من ذلك والاكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون
بالله منه ومن لم يزده بعلمه وعمله افتقاراً لربه وتواضعاً لخلقه فهو
هالك فسبحان من قطع كثيراً من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع
كثيراً من المفسدين بفسادهم عن موجدهم فاستعذ بالله انه هو السميع
العليم قال فانظر فهمك الله سبيل اوليائه ومنّ عليك بما بعث احبابه
هذا الورع الذي ذكره الشيخ رضي الله عنه هل كان يصلح فهمك الى مثل هذا
النوع من الورع الا ترى قوله قد انتهى بهم الورع الى لا اخذ من الله وعن الله
والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة
فهذا هو ورع الابدال والصديقين لا ورع المنقطعين الذي نشا عن
اسوء الظن وغلبة الوهم وانما اورد هذه المعاني ها هنا تتميماً للفائدة
المتعلقة بكلام صاحب التنوير من كون الورع مقابلاً للطمع وسياتي
مزيد بيان فيها في موضع انسب من هذا عند قوله ولا تمدن يدك الى
الاخذ من الخلائق الى اخره فانظر فيه ما قادك شيء مثل الوهم الوهم

مقام الوهم

امر عدمي وهو ضد الحقيقة الوجودية والنفس الناقصة انقيادها
الى الامور الوهمية الباطلة اشد من انقيادها الى الحقائق الثابتة لوجود
المناسبة بينهما والطمع في الناس انقياد الى الاوهام الباطلة لان الطمع
تصديق الظن الكاذب والطمع فيهم طمع في غير مطمع وارباب الحقائق بمعزل
عن هذا فلا تتعلق همتهم الا بالله ولا يتوكلون الا عليه ولا يثقون الا به
قد سقط اعتبار الاوهام والخيالات التي هي متعلقة بالاغيار عن قلوبهم فزال
عنهم الطمع واتصفوا بصفة القناعة والورع فكانت لهم الحيوة الطيبة و
العيشة الراضية والقناعة مقام عظيم من مقامات اليقين وهي من بداية
احوال الراضين قال بعض العارفين لا يكون العبد قانعاً حتى لو جاء الى باب
منزله جميع ما يرغب فيه اهل الدنيا من الاتساع والنعمة فعرض عليه لم ينظر

الى ذلك

الى ذلك ولم يفتح بابه قناعة منه بحاله وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
في معنى قوله فلنحيينه حيوة طيبة قال هي القناعة انت حر مما انت عنه
ايس عبد لما انت له طامع الطمع في الشيء دليل على الحب له وفرط الاحتياج
الى نيله وذلك عبودية له كما ان الياس من الشيء دليل على فراغ القلب منه
وغناه عنه وذلك حرية منه فالطامع عبد والايس حر ولهذا قيل

اَلعَبْدُ حُرٌّ مَا قَنِعْ ، والحرّ عَبْدٌ ما طَمِعْ
فاقنع فلا تطمعْ فما ، شيءٌ يزين سوى الورعْ

وقيل لولا الاطماع الكاذبة لما استعبد الاحرار بكل شيء لا خطر له وقيل
ان العقاب يطير في تصاعده بحيث لا يرتقي طرف الى مطاره ولا تسمو اهمة
الى الوصول اليه فيرى قطعة لحم متعلقة على شبكة فينزل له الطمع من مطاره
فيعلق بالشبكة جناحه فيصيده صبي يلعب به وقيل ان فتحا الموصلي
رضي الله عنه كان قاعداً فسئل عمن تابع الشهوات كيف صفته وكان
بقربه صبيان مع احدهما خبز بلا ادام ومع الاخر خبز مع كامخ فقال
الذي لم يكن معه كامخ لصاحبه اطعمني من الكامخ فقال بشرط ان تكون
كلبي فقال صاحبه نعم فجعل خيطاً في فيه وجعل يجره كما يقاد الكلب فقال له
فتح للسائل اما انه لو رضي بخبزه ولم يطمع في كامخه لم يصر كلباً لصاحبه
وحكي عن بعضهم انه دخل على تلميذ له فقدم التلميذ اليه خبزاً قفاراً
ولم يكن له ادم فاخذ يتمنى بقلبه ان ليت كان له ادام يقدمه الى استاذه
فقال له تعال معي فحمله الى باب الحبس فراى الناس يضرب واحد ويقطع
آخر ويعذب كل واحد بانواع العذاب فقال الاستاذ للتلميذ ترى هؤلاء
الذين لم يصبروا على الخبز القفار وقيل ان رجلاً خرج من السجن وفي
رجله قيد وهو يسأل الناس فقال الانسان اعطني كسرة فقال له لو قنعت
بالكسرة ما وضع القيد في رجلك ورأى رجل رجلاً من الحكماء ياكل ما تساقط

من البقل على راس ماء فقال له لو خدمت السلطان لم تحتج الى اكل هذا فقال
لا وانت لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وقد اردت ان اذكر هنا
حكاية مناسبة لما نحن فيه ليتعرف بها كيف تكون الهمة السنية والاداب
المرضية فى اخذ البلغ من الدنيا والقناعة باليسير من الاشيا ورؤية منة الله
تعالى فى تيسير القليل والشكر له على ذلك قال بعضهم خرجنا من المدينة حجاجا
فلما كنا بالزاوية نزلنا فوقف بنا رجل عليه ثياب رثة وله منظر وهيئة و
مروة فقال من يبغى خادما ومن يبغى ساقيا فقلت له دونك هذه القربة
فاخذها وانطلق فلم يلبث الا قليلا حتى اقبل وقد امتلات اثوابه طينا
واثرت العصم فى كتفيه فوضعها وهو كالمسرور الضاحك ثم قال الكم
غيرها قلنا لا واطعمناه قرصا باردا فاخذه وحمد الله وشكره كثيرا ثم
اعتزل وقعد ياكل اكل جائع فادركتنى عليه الشفقة فقمت اليه بطعام
طيب كان معنا واكثرت له منه فقلت له قد علمت انه لم يقع منك القرص
بموقع فدونك هذا الطعام فنظر فى وجهى وتبسم وقال يا عبد الله انما هى
فورة جوع فما ابالى باى شىء رددتها عنى فرجعت عنه فقال لى رجل الى
جانبى اتعرفه فقلت لا قال انه رجل من بنى هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب
هذا من ولد سليمان بن جعفر المنصور كان يسكن البصرة فتاب وخرج
منها ففقد فما عرف له اثر قال فاعجبنى قوله ثم اجتمعت به وانسته وقلت
له يا فتى انا رجل من اخوانك وقد بلغنى موضعك فاحببت الاتصال
بك فهل لك ان تعادلنى فان معى فضلا من راحلتى فجزانى خيرا وقال
لو اردت هذا لكان لى معدا ثم انس الى وجعل يحدثنى فقال انا رجل
من ولد العباس رضى الله عنه كنت اسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد وتجبر
وبذخ وانى امرت خادما الى ان يحشو الى فراشا من حرير ومخدة بورد نشير
فبينما انا نائم اذ بقمع ورد قد اغفله الخادم فقمت اليها فاوجعتها ضربا

ثم عدت الى مضجعى بعد اخراج القمع من المخدة فاتانى آت فى منامى فى
صورة فظيعة فهزنى وقال افق من غشيتك وابصر من حيرتك
ثم انشا يقول

يا خد انك ان توسد لينا ۸ وسدت بعد الموت صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به ۸ فلتندمن غدا اذا لم تفعل

فانتبهت فزعا فخرجت من ساعتى الى ربى هاربا فهذا خبرى قال
الراوى فلما قضى حديثه هذا انخنس عنى ومضى من لم يقبل
على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان النفوس الكريمة
تقبل على الله بملاطفات احسانه وموالات فضله وامتنانه والنفوس
اللئيمة لا تنقاد الا بسلاسل الامتحان ووقوع المصائب فى الاموال و
الابدان والقود بالسلاسل استعارة حسنة قال سيدى ابو مدين
رضى الله عنه سنة الله عز وجل استدعا العباد لعبادته بسعة الارزاق
ودوام المعافاة ليرجعوا اليه بنعمته فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء و
الضراء لعلهم يرجعون لان مراده عز وجل رجوع العبد اليه طوعا
وكرها ومن لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها
بعقالها شكر النعم موجب لبقائها والزيادة منها وكفرانها وعدم
شكرها موجب لزوالها وانقضائها قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم
وقال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم اى اذا غيروا
ما بهم من الطاعات وهى شكر النعم غير الله تعالى ما منه من الاحسان
والكرم واجتمعت حكماء العرب والعجم على هذه اللطيفة فقالوا الشكر
قيد النعم وقالوا الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وكان يقال النعم
اذا روعيت بالشكر فهى اطواق ۸ واذا روعيت بالكفر فهى اغلال ۵
والشكر على ثلاثة اوجه شكر بالقلب وشكر باللسان وشكر بسائر الجوارح

من لم يقبل على الله باحسانه سلط عليه مصائبه

اللطيفة

تعريف الشكر

فشكر القلب ان يعلم ان النعم كلها من الله عز وجل قال عز وجل وما بكم
من نعمة فمن الله وشكر اللسان الثنا على الله تعالى وكثرة الحمد والمدح
له ويدخل فيه التحدث بالنعم واظهارها ونشرها قال الله تعالى واما
بنعمة ربك فحدث وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تذاكروا
النعم فان ذكرها شكر ومن شكر اللسان ايضا شكر الوسايط بالثنا
عليهم والدعاء لهم وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس
لم يشكر الله وعن اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اشكر الناس لله تعالى اشكرهم للناس وسيأتي الكلام على هذا
المعنى في آخر الكتاب ان شاء الله تعالى عند كلام المصنف رحمه الله
تعالى وشكر ساير الجوارح ان يعمل بها العمل الصالح قال الله تعالى
اعملوا آل داود شكرا فجعل العمل شكرا وروي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قام حتى انتفخت قدماه فقيل له يا رسول الله اتفعل
هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم افلا اكون عبدا شكورا وسال رجل ابا حازم رضي الله عنه
وقال له ما شكر العينين قال اذا رايت بهما خيرا اعلنته واذا رايت
بهما شرا سترته قال فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا وعيته
واذا سمعت بهما شرا دفنته قال فما شكر اليدين قال ان لا تاخذ بهما
ما ليس لك ولا تمنع حقا هو لله تعالى فيهما قال فما شكر البطن قال
ان يكون اسفله صبرا واعلاه علما قال فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى
والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم
غير ملومين قال فما شكر الرجلين قال ان رايت شيئا غبطته استعملتهما
عليه وان رايت شيئا مقته كففتهما عنه وانت شاكر الله تعالى فاما

من شكر

من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع اعضائه فمثله كمثل رجل له كساء
فاخذ بطرفه ولم يلبسه فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر
واجمع العبارات للشكر قول من قال الشكر معرفة بالجنان وذكر
باللسان وعمل بالاركان والقدر اللازم من شكر النعم ما قال الجنيد
رضي الله عنه حين ساله السري رضي الله عنه قال الجنيد كنت بين
يدي السري وانا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في
الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت ان لا يعصى الله بنعمة
فقال يوشك ان يكون حظك من الله لسانك فلا ازال ابكي على
هذه الكلمة خف من وجود احسانه اليك ودوام اساتك

تعاريف الاستدراج

معه ان يكون ذلك استدراجا لك سنستدرجهم من حيث لا
يعلمون الخوف من الاستدراج بالنعم من صفات المومنين وعلامة
الخوف منه مع الدوام على الاساءة من صفات الكافرين يقال
من امارات الاستدراج ركوب السيئة والاغترار بزمن المهلة
وحمل تاخير العقوبة على استحقاق الوصلة وهذا من المكر الخفي
قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون اي لا يشعرون بذلك
وهو ان تلقي في اوهامهم انهم على شيء وليسوا كذلك نستدرجهم
في ذلك شيئا شيئا حتى ناخذهم بغتة قال الله تعالى فلما نسوا ما
ذكروا به اشارة الى مخالفتهم وعصيانهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء
اي فتحنا عليهم اسباب العوافي وابواب الرفاهية حتى اذا فرحوا بما
اوتوا من الحظوظ الدنيوية ولم يشكروا عليها برجوعهم منها الينا
اخذناهم بغتة اي فجاة فاذا هم مبلسون اي ايسون قانطون من
الرحمة قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه في قوله تعالى سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا

الى النعمة وحجبوا عن المُنعِم اخذوا وقال ابن عطا كلّما احدثوا خطيئة
جدّدنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة من جهل المريد
أن يسيء الادب فتؤخّر العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء ادبٍ
لقطع الامداد واوجب البعاد فقد تقطع المدد عنه من حيث
لا يشعر ولو لم يكن الّا منع المزيد وقد يقام مقام البعد من حيث لا
يدرى ولو لم يكن الّا ان يخليك وما تريد هذا نوع من الاستدراج
الذى تقدّم ذكره وسوء ادب المريد موجب لعقوبته ولكن العقوبات
مختلفة فمنها معجّلة ومنها مؤجّلة ومنها خفيّة والعقوبة
الجليّة العقوبة بالعذاب لاهل الخطايا والذنوب والعقوبة بالحجاب
لاهل سوء الادب بين يدى علّام الغيوب وقد تكون العقوبة الخفيّة
المؤجّلة اشدّ على المريد من العقوبة الجليّة المعجّلة ومثال العقوبة الخفيّة
ما ذكره من قطع المدد عنه واقامته مقام البعد عنه وهذا هو مبدأ
وقوع الحجاب الذى ذكرناه فاذا ابتلى به المريد ولم يتداركه رحمة الله تعالى
فى الحال العتيد كان ذلك موجبًا لسقوطه من عين الله ووقوع الحجاب
على قلبه وتبدّل الانس بالوحشة وانتساخ الضيا بالظلمة ولم يمكنه بعد
ذلك معاودة الحال الاوّل لانّه اذ ذاك تنقطع عنه الامداد المتّصلة
والواردات المتحصّلة فتنكشف عنه حينئذٍ شمس العرفان وتستتر عنه
الكشوفات والبيان وهذه جنود الله تعالى فى قلب العبد فاذا فقد
النصرة من الله تعالى بذلك وقع عليه الخذلان واستحوذ عليه الشيطان
وانساه الذكر وحاق به سىء المكر ورجع الى متابعة هوى نفسه الامّارة
وخرج عن دائرة الصفوة المختارة فنعوذ بالله من سوء المقدور
وعدم التوفيق الى مراعاة اوائل الامور وما احتجّ به المريد لنفسه من الكلام
الذى ذكره المصنّف يقتضى توجه هذه العقوبة اليه ضربة لازب لان

بسوء الادب للمريد حصل الا ... حتى ... ومنها جليّة

قوله لو كان هذا سوء ادب الى آخره دليل على رضاه بحاله واستحسانه
لاعماله وهذا هو الموجب له عدم المزيد الذى اقتضاه قطع المدد عنه لو كان
المدد متواصلًا اليه لازداد عندما يقع منه سوء ادبٍ تواضعًا لربّه
وافتقارًا اليه وخوفًا من مكره ولم يستحسن حال نفسه ولم يرضها
قال سيّدى ابو العبّاس رضى الله عنه كلّ سوء ادبٍ يثمر لك ادبًا فهو
ادب وهو الذى اوجب له ايضًا التخلية بينه وبين ما يريد الذى اقتضى
اقامته مقام البعد اذ لو كان مقامًا فى القرب لبعد عن رؤية نفسه
وكان متّهمًا لها فى ارادتها وكان واقفًا مع مراد الله به فاذا قدم
على امرٍ بارادته وشهوته تداركه الله بالعصمة وعوق عليه ما اراده
وسدّ عليه مسالكه ولم يخله وما اراد من ذلك ويقال من علامة
التوفيق ثلاثة دخول اعمال البرّ عليك من غير قصدٍ منك اليها وصرف
المعاصى عنك مع السعى فيها وفتح باب الرجا والافتقار الى الله تعالى
فى كلّ الاحوال ومن علامات الخذلان ثلاثة تعسّر الطاعة عليك مع السعى
فيها ودخول المعاصى عليك مع الهرب عنها وغلق باب اللجا الى الله تعالى
وترك الدعاء فى الاحوال والادب له موقع عظيم فى التصوّف ولذلك
قال ابو حفص رضى الله عنه التصوّف كلّه ادب ولكلّ وقت ادب ولكلّ
حال ادب ولكلّ مقام ادب فمن لزم اداب الاوقات بلغ مبلغ الرجال
ومن ضيّع الاداب فهو بعيد من حيث يظنّ القرب ومردود من حيث
يظنّ القبول وقال ابو عبد الله بن خفيف رضى الله عنه قال لى رويم
يا بنىّ اجعل عملك ملحًا وادبك دقيقًا وقال بعضهم الزم الادب ظاهرًا
وباطنًا فما اساء احد الادب فى الظاهر الّا عوقب ظاهرًا وما اساء احد
الادب باطنًا الا عوقب باطنًا وقال ذو النون المصرى رضى الله عنه اذا
خرج المريد عن حدّ الادب فانّه يرجع من حيث جاء وقال الثورى رضى الله عنه

علامة التوفيق

علامة الخذلان

قوله

من لم يتأدب للوقت فوقته مقت **وقال ابن المبارك** رضي الله عنه نحن
الى قليل من الادب احوج منا الى كثير من العمل وقيل لبعضهم يا سيّئ الادب
فقال لست بسيّئ الادب فقيل له من ادبك قال الصوفية والاداب
اللازمة للمريد عامة في ظاهره وهي باطنة واداب الظاهر تبع لآداب
الباطن واداب الباطن هي التحلّي بمحاسن الاخلاق كلها **وعن** رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ادبني ربي فاحسن ادبي ثم امرني بمكارم الاخلاق
فقال خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ولا يحصل لك
ذلك بعد التوفيق بالله وتأييده الا بالرياضة والمجاهدة **قال ابن عطاء**
الله رضي الله عنه النفس مجبولة على سوء الادب والعبد مأمور بملازمة
الادب والنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة والعبد يردّها بجهده عن
سوء المطالبة فمن اطلق عنانها فهو شريكها في فسادها ويختلف ما
ذكرنا من المجاهدات والرياضة باختلاف الاشخاص فرب شخص زكي الفطرة
كريم السجية سهل المقادة لا يحتاج في ذلك الى كثير معانات والتعب ورب
شخص يكون حاله على عكس هذا والا جرم يحتاج الى زيادة تعب وقوة ممارسته
وشدة مجاهدة لرداءة فطرته ونقصان غريزته وبين هذين درجات
لا تحصى ولهذا كله يحتاج المريد الى صحبة المشايخ والتاديب بادابهم واتباع
اوامرهم ونواهيهم لانه ان لم تجر افعاله على مراد غيره لا يصح له الانتقال
عن الهوى ولو بلغ في الرياضة والمجاهدة كل مبلغ وذلك لكثافة حجاب
نفسه **وقد سئل الدقاق** رضي الله عنه بماذا يقوم الرجل اعوجاجه
فقال بالتاديب بامام فان من لم يتادب بامام يبقى بطالا فاذا داوم العبد
على ذلك نزهت نفسه وطهر قلبه وتهذبت اخلاقه وظهر على ظاهره انوار
ذلك فيكون حركات ظاهره وباطنه مزمومة بزمام الادب حتى ينتهي به
الى المحافظة على تجنب امور غير مستنكرة في ظاهر العلم ويكون ترك محافظته

عليها

عليها ذنبا من مثله وقد يعاتب عليه يعاقب من اجله **قال سري السقطي**
رحمه الله صليت وردي ليلة من الليالي ومددت رجلي في المحراب فنوديت
يا سري كذا تجالس الملوك فضممت رجلي ثم قلت وعزتك لا مددت رجلي
ابدا **قال الجنيد** رضي الله عنه فبقي ستين سنة ما مد رجله ليلا ولا
نهارا **قال ابو القاسم القشيري** رضي الله عنه كان الاستاذ ابو علي
رضي الله عنه لا يستند الى شيء وكان يوما في مجمع فاردت ان اضع
وسادة خلف ظهره لاني رايته غير مستند فتنحا عن الوسادة
قليلا فتوهمت انه توقى الوسادة لانه لم يكن عليها خرقة او سجادة
فقال لا اريد الاستناد فتاملت بعد ذلك فعلمت انه لا يستند ابدا
الى شيء **وقال ابو القاسم الجنيد** رضي الله عنه كنت جالسا في مسجد الشونيزي
انتظر جنازة اصلي عليها واهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون
الجنازة فرايت فقيرا عليه اثر النسك يسال الناس فقلت في نفسي
لو عمل هذا عملا يصون به نفسه لكان اجمل به فلما انصرفت
الى منزلي وكان لي شيء من الورد بالليل حتى البكا والصلوة وغيره
فثقل على جميع اورادي فسهرت وانا قاعد فغلبتني عيني فرايت ذلك
الفقير جاؤا به على خوان ممدود وقالوا الى كل لحمه فقد اغتبته
وكشف لي من الحال فقلت ما اغتبت ولكن قلت في نفسي شيئا
فقيل لي ما انت ممن يرضى منك بمثله اذهب فاستحله فاصبحت فلم
ازل اتردد حتى رايته في موضع يلتقط من الما عند تراد الماء
اوراقا من البقل مما يتساقط من غسل البقل فسلمت عليه فقال تعود
يا ابا القاسم فقلت لا اعود فقال غفر الله لنا ولك الى غير ذلك من
ادابهم رضي الله عنهم والظاهر ان مراد المصنف رضي الله عنه باساءة
الادب ما كان فيه نوع من الرعونة واظهار الدعوى واتصاف العبد

معنا اساءة الادب في حق الخواص

بصفات المولى وانبساطه وادلاله في موقف الهيبة والحيا وما اشبه
هذا مما يخاف على صاحبه وقوع الاستدراج والمكر به ولكن ينبغي للمريد
ان لا يتهاون بشيء من الاداب ولا يستحقرها فان التهاون بذلك
والاستحقار له من علامة الجهل وعدم المعرفة بالله تعالى وهذا اقبح انواع
سوء الادب فان وقعت منه اساءة الادب فليكن خائفا من ذلك
مستعظما للامر فيه وليبادر الى التوبة والاعتذار والتنصل منها خشية
ان يتوجه اليه العقوبة من حيث لا يشعر واكثر ما ينبغي ان يجتنبه المريد
من مقتضيات هذه الجملة التي ظهر لنا انها مراد المصنف رحمه الله تعالى
من انواع سوء الادب ان يوطن خاطره على شيء من الاعتراض على الله
تعالى وتعاطي التدبير معه والتبرم باحكامه المولمة في نفسه او غيره
وان يشرح لسانه بالشكوى الى الخلق والعتب على ما لا يوافق هواه او نقص
في نظره مما دراه الحق فان خطر بباله او جرى على لسانه شيء من ذلك
فليبادر الى الاستغفار منه والتنصل عنه وليعلم ان شاغله بذلك
من احسن الحسنات وافضل القربات وذلك يدخله في مقامات الرضا ويوصله
الى غاية النعيم والعطا كما ان توطينه عليه وتهاونه به من اعظم
خطاياه واكثر ذنوبه ويؤديه ذلك الى سخط الاقدار والوقوع في دركات
النار نعوذ بالله من ذلك **ضاع لبعض الصوفية** ولد صغير فلم يعرف
له خبر مدة ثلاثة ايام فقيل له لو سالت الله ان يرده عليك
فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي **وقال بعض السادة**
اذنبت ذنبا وانا ابكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة
لاجل التوبة من ذلك الذنب قيل له وما هو قال قلت مرة لشيء ليته
كان **وقال بعض السلف** لو قرض جسمي بالمقاريض كان احب الي من ان اقول
لشيء قضاه الله تعالى ليته لم يقضه **وقال بعضهم** مرض الجنيد رضي الله عنه

فقال

فقال اللهم عافني فسمع هاتفا يقول ما لك وللدخول بيني وبين ملكي
ومن مقتضياتها ايضا ان لا يتعلق القلب بشيء من الاعتراض على
المشايخ والاولياء وان يترك تعظيمهم واحترامهم وان يقبل اشارتهم
فيما يشيرون به عليه فقد قالوا عقوق الاستاذين لا توبة لها وقالوا ايضا
من قال لاستاذه لم لا يفلح **قال ابو القاسم القشيري** رضي الله عنه من
صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة
ووجبت عليه التوبة وان بقي من اهل السلوك قاصدا لم يصل الى المقصود
فليعلم ان موجب حجبه اعتراض جا من قلبه على بعض شيوخه في بعض
اوقاته فان الشيخ بمنزلة السفير للمريدين **قال وفي الخبر** ان الشيخ
في اهله كالنبي في امته وكذلك من سوء ادبه تصدره للتعليم والهداية
وتصديه للامارة والولاية ومحبته للاستتباع والرياسة
وتزيينه للجاه والحشمة والقبول بين الناس واستدعاه بسره ان
يكرم ويعظم ويتبارك به وتقبل يده ويسارع في قضاء حوايجه و
ذلك من اضر الاشيا به وهي نتيجة استحسانه لما هو عليه وعدم تفقده
لعيوبه واتهام نفسه في كل حال من احواله وذلك مذموم منه **قال
ابو عثمان** رضي الله عنه لا يرى احد عيب نفسه وهو يستحسن من نفسه
شيئا وانما يرى عيوب نفسه من يتهمها في جميع الاحوال **قال ابو عبد الله**
السجزي من استحسن شيئا من احواله في حال ارادته فسدت عليه
ارادته الا ان يرجع الى ابتدائه فيروض نفسه ثانيا **وقال ابو عبد الرحمن
السلمي** رضي الله عنه سمعت جدي يقول آفة العبد رضاه عن نفسه بما
هو فيه فان استشعر المريد من نفسه شيئا مما ذكرناه فليبادر الى
قطع مواده واستيصال عروقه من قبل ان يستحكم ذلك فيه ويرسخ
في بدايات الامور التي ينبغي ان تراعى كثيرا ومن انواع سوء ادب المريد المفضي

تعريف ارادة المريد

ضرر الزام الرخص للمريدين

الى عطبه نزوله عن مقتضيات الحقيقة الى رخص الشريعة فقد عدوا هذا
من الجنايات العظيمة الموجبة لانحطاط المرتبة والبعد من محل القربة
ولهذا قالوا اذا رايت المريد انحط عن رتبة الحقيقة الى رخص الشريعة
فاعلم انه قد نقض عهده مع الله تعالى ونسخ عقده بينه وبين الله
عز وجل وقال ابن خفيف رضي الله عنه الارادة استدامة الكد وترك
الراحة وليس شيء اضر على المريد من مسامحة النفس في قبول الرخص و
التاويلات وقال يوسف بن الحسين رضي الله عنه اذا رايت المريد اشتغل
بالرخص فاعلم انه لا يجيء منه شيء وقال ابو اسحق ابرهيم بن شيبان رضي الله عنه
من اراد ان يتعطل ويتبطل فليلزم الرخص ويعني بالرخص هاهنا
ما كان مضادا لحال المريد من تناول الشهوات واللذات والميل
الى المالوفات والمعتادات والركون الى الدعة والراحات وارتكاب الشبهات
والتاويلات فان حال المريد يقتضي مباينته لهذا كله وان كان بعض
ذلك مباحا في رخصة الشرع لعامة الناس كان ابرهيم الخواص رضي الله عنه
يقول الا ان هذه الشهوات هي التي اظلمت قلوب المتعبدين بعد صفاء
نورها وفترت ابدانهم بعد اجتهادها وحجبت قلوبهم بعد قربها
واطالت امالهم بعد قصرها وانسوا بالمخلوقين بعد الهرب منهم
وتوطوا الفرش بعد الترك لها وسقتهم الدنيا بكاس من سمها
فنظروا الى ظاهرها بعد باطنها فناموا بعد السهر وشبعوا بعد
الجوع واكتسوا بعد العري وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه اوحى
الله الى داود عليه السلام اني انما خلقت الشهوات الضعفاء خلقي فاياك
ان تعلق قلبك منها بشيء فايسر ما اعاقبك به ان انسخ حلاوة حبي
من قلبك وفي اخبار داود عليه السلام يا داود تمسك بكلامي وخذ
من نفسك لنفسك لا توتين منها فاحجب محبتي عنك اقطع شهواتك

لي فانما ابحت الشهوات الضعفاء خلقي ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات
فانها تنقص حلاوة مناجاتي فاني لم ارض الدنيا لحبيبي ونزهته
عنها يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما سكرانا بحبها يحجبك
بسكره عن محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين
استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم يا داود تحبب الي بمعاداة
نفسك امنعها الشهوات انظر اليك وترى الحجب بيني وبينك
مرفوعة وقال ابرهيم بن ادهم لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى
يجوز ست عقبات اولها ان يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة
الثاني ان يغلق باب العز ويفتح باب الذل والثالث ان يغلق باب
الراحة ويفتح باب الجهد والرابع ان يغلق باب النوم ويفتح باب
السهر الخامس ان يغلق باب الغنا ويفتح باب الفقر والسادس ان يغلق
باب الامل ويفتح باب الاستعداد للموت وقال ابرهيم الخواص رضي الله عنه
كنت في جبل اللكام فرايت رمانا فاشتهيته فدنوت منه فاخذت
منها واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان
فرايت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك
فقال وعليك السلام يا ابرهيم فقلت كيف عرفتني فقال من عرف الله
لا يخفى عليه شيء فقلت ارى لك حالا مع الله تعالى فلو سالته ان يقيك
ويحميك من هذه الزنابير فقال وارى لك حالا مع الله تعالى لو سالته
ان يقيك ويحميك من شهوة الرمان فان لذع الرمان يجد الانسان
المه في الآخرة ولذع الزنابير يجد المه في الدنيا وقال السري السقطي
رضي الله عنه ان نفسي تطالبني منذ ثلاثين سنة او اربعين سنة
ان اغمس جزرة في دبس فما اطعتها فلما كان ترك الشهوات والنعمات
من شان المريد ومن مقتضى حاله لزمه الوفاء به وكان عمله على خلافه

. نقضا وفسخا كما تقدم قال جعفر بن نصير دفع الى الجنيد رضى الله عنه
درهما وقال اشتر به من التين الوزيري فاشتريته فلما افطر اخذ
واحدة فوضعها فى فيه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له فى ذلك
فقال هتف فى قلبى هاتف اما تستحى شهوة تركتها من اجله ثم تعود اليها
وعن شقيق بن ابرهيم رضى الله عنه قال لقيت ابرهيم بن ادهم رضى الله عنه
بمكة فى سوق الليل عند مولد النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس ناحية من الطريق
يبكى فعدلت اليه فجلست عنده وقلت له اى شئ يبكيك يا ابا اسحق فقال
خير فعاودته مرة واثنين وثلاثا فلما اكثرت عليه قال يا شقيق استر
على فقلت يا اخى قل ما شئت فقال اشتهت نفسى سكباجا فمنعتها
جهدى فلما كان البارحة كنت جالسا وقد غلبنى النعاس فاذا انا بفتى شاب
وبيده قدح اخضر يعلوا منه بخار ورايحة سكباج قال فاجتمعت بهمتى
عليه فقرب منى فقال يا ابرهيم كل فقلت ما اكل شيأ قد تركته لله تعالى
فقال لى فاذا اطعمك الله تاكل فما كان لى جواب الا ان بكيت فقال لى رحمك
الله كل قال ابرهيم فقلت له قد امرنا ان لا نطرح فى وعائنا الا من حيث
نعلم فقال لى يرحمك الله فانما اعطيته وقيل لى يا خضر اذهب بهذا
واطعمه نفس ابرهيم بن ادهم فقد رحمها الله من طول صبرها على تحملها
من منعها اعلم يا ابرهيم انى سمعت الملائكة يقولون من اعطى فلم ياخذ
طلب فلم يعط فقلت فان كان ذلك فها انا بين يديك لاجل العقد
مع الله تعالى ثم التفت فاذا انا بفتى آخر ناوله شيء وقال يا خضر لقمه
انت فلم يزل يلقمنى حتى شبعت وانتبهت وحلاوته فى فمى قال شقيق
رضى الله عنه فقلت ارنى كفك فاخذت كفه بكفى فقبلتها وقلت
يا من يطعم الجياع الشهوات اذا صححوا المنع يا من يقدح فى الضمير اليقين يا من
سقى قلوبهم من محبته اترى الشقيق عندك حال ثم رفعت يد ابرهيم

الى السماء فقلت بقدر هذا الكف وبقدر صاحبها وبالجود الذى
وجد منك جد على عبدك الفقير الى فضلك واحسانك ورحمتك
وان لم يستحق ذلك قال فقام ابرهيم رضى الله عنه ومشى حتى دخل المسجد
الحرام وقال عقبة الغلام لعبد الواحد بن زيد رضى الله عنهما ان فلانا
يصف من قلبه منزلة ما اعرفها فقال انك تاكل مع خبزك تمرا
وهو لا يزيد مع اكل الخبز شيأ فقال ان تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة
قال نعم وغيرها فاخذ يبكى فقال له بعض اصحابه ابكى الله عينك اعلى
التمر تبكى فقال عبد الواحد رضى الله عنه دعه فان نفسه قد عرفت
صدق عزمه فى الترك فهو اذا ترك شيأ لم يعاودنيه ابدا
وقال احمد بن ابى الحوارى رضى الله عنه اشتهى سليمان الدارانى رضى
الله عنه رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرح
الرغيف وقال عجلت لى شهوتى بعد اطالة جهدى وشقوتى قد عزمت
على التوبة فاقلنى قال احمد رضى الله عنه فما رايته اكل الملح حتى لقى الله
تعالى وقال ابو بكر بن الجلاء رضى الله عنه اعرف انسانا تقول له نفسه
انا اصبر لك على طى عشرة ايام واطعمنى بعد ذلك شهوة اشتهيها
فيقول لها لا اريد ان تطوى عشرة ايام ولكن اتركى هذه الشهوة وقال
ابو سليمان ترك شهوة من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة
وقيامها وقال ابو حامد الغزالى رضى الله عنه وقد اشتد خوف السلف
من تناول اللذائذ الاطعمة وتمرين النفس عليها وراوا ان ذلك علامة الشقاوة
وراوا ان منع الله تعالى منه علامة السعادة حتى روى عن وهب بن منبه
رضى الله عنه قال التقا ملكان فى السماء الرابعة قال احدهما للآخر
من اين قال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودى وقال
الآخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد قال وهذا تنبيه على ان

تيسير الشهوات ليس من علامات الخير قال ابو حامد الغزالي رضي الله عنه والاصل
المهم في المجاهدة الوفا بالعزم فاذا اعزم على ترك شهوة فقد تيسر اسباب
ذلك فيكون ذلك من الله ابتلاء واختبارا فينبغي ان يصبر ويستمر
فان ان عود نفسه كسر العزم الفت ذلك وفسدت واذا اتفق منه
كسر العزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس
من كتاب المراقبة فاذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول
الشهوة وتفسد عليه الرياضة بالكلية هذا كلام الامام ابي حامد رضي
الله عنه وهو حسن ومعناه صحيح فجرب فليعمل عليه المريد وقد يعجل
الله تعالى لبعض هولاء العقوبة رحمة له ومنة عليه قال ابو تراب النخشبي
رضي الله عنه ما تمنت نفسي شهوة من الشهوات الا مرة واحدة تمنت
خبزا وبيضا في سفر فعدلت الى قرية فقام واحد وتعلق بي وقال
هذا كان مع اللصوص فضربوني سبعين درة ثم عرفني رجل منهم و
قال هذا ابو تراب النخشبي رضي الله عنه فاعتذروا الي وحملني رجل
منهم الى منزله وقدم الي خبزا وبيضا فقلت في نفسي كل بعد سبعين درة
وقال بعضهم اشتهى ابو الخير العسقلاني رضي الله عنه السمك سنين ثم
ظهر له بعد ذلك من موضع حلال فلما مد يده اليها لياكل اخذت شوكة
من عظامه في اصبعه فذهبت في ذلك يده فقال يا رب هذا لمن
مد يده بشهوة الى حلال فكيف بمن مد يده بشهوة الى الحرام وقال ابرهيم
الخواص رضي الله عنه كنت جايعا في الطريق فوافيت الري فخطر لي ان لي
بها معارف فاذا دخلتها اضافوني واطعموني فلما دخلت البلد
رايت فيه منكرا احتجت ان امر فيه بالمعروف فاخذوني وضربوني
فقلت في نفسي من اين اصابني هذا الضرب على جوعي فنوديت في سري
انما اصابك ذلك لانك سكنت الى معارفك بقلبك وقلت انهم

يطعموني اذا دخلت البلد وحكي عن ابرهيم بن شيبان رضي الله عنه
انه قال كنت بحلب واشتهيت شبعة من الخبز والعدس فاتفق
ذلك فاكلت حتى شبعت فرايت على باب المسجد قوارير معلقة شبه
الموزجات فتوهمتها خلا فقال الحقايل انما تنظر اليها انها خمر
فقلت لزمني فرض فدخلت الحانوت فلم ازل اصبها دنا دنا حتى
اتيت الى الجمع فاخذوني وضربوني مائتي خشبة وطرحوني في
السجن اربعة اشهر حتى دخل استاذي ابو عبد الله المغربي البلد فمع
بحالي فتشفع لي فلما وقع بصره علي قال ما شانك قلت شبعة
خبز وعدس وضرب مائتي خشبة وسجن اربعة اشهر فقال لي
نجوت مجانا اي وردت عقوبة هذه الاكلة على ظاهرك ولم
يقدح فيما كنت فيه من سر امرك وكان ذلك رفقا من الله تعالى بك
قال الامام ابو القاسم رضي الله عنه فما اصدق ما قال فان من ادب
في دنياه بما يتعاطاه من متابعة هواه فقد خفف عنه في
عقباه بل ظهر بالتادب جوهره ومعناه حكاية خير النساج رضي
الله عنه المشهورة في معنى ما ذكرنا فانظرها ففيها عبرة للمعتبرين
قال الحافظ ابو نعيم رضي الله عنه حدثني جعفر بن محمد بن نصر في
كتابه قال سالت خيرا النساج اكان النسج حرفتك قال لا قلت
فمن اين سميت به قال عاهدت الله واعتقدت ان لا اكل الرطب ابدا
فغلبتني نفسي يوما فاخذت نصف رطل فلما اكلت واحدة اذا
برجل نظر الي وقال يا خير انت هربت مني وكان له غلام اسمه خير
فوقع شبهه علي وصورته فخنقني فاجتمع الناس فقالوا هذا
والله غلامك خير فبقيت متحيرا وعلمت بما اخذت وعرفت
جنايتي فحملني الى حانوته الذي كان ينسج فيه غلمانه وقال

كراهية التزويج واطراحه للمريد

يا عبد السوء تهرب عن مولاك ادخل واعمل عملك الذى كنت تعمل وامرني
بعمل الكوباس فدليت رجلى على انى اعمل فاخذت بيدى آلته فكانى كنت
اعمل من سنين فبقيت معه اشهرا انسج له فقمت ليلة فتسبحت وقمت الى
الصلوة فسجدت وقلت فى سجودى الهى لا اعود الى ما فعلت فاصبحت
فاذا الشبه قد زال عنى وعدت الى صورتى التى كنت عليها فاطلقت
فثبت على هذا الاسم وكان بسبب النسج اتباعى شهوة عاهدت الله
ان لا اكلها فعاقبنى بما سمعت وفى بعض الاخبار عن الله ان ادنى
ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتى ان احرمه لذيذ مناجاتى
وسيأتى ان شاء الله تعا كيفية مجاهدة النفس عند قوله لولا
ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين ولهذا المعنى كرهوا التزوج
من غير ضرورة محققة لانه انما قصد بذلك بلوغ شهوته وقضاء
نهمته وذلك فى الضرورية بمنزلة السم القاتل وقد قالوا من وافق
شهوته عدم صفوته وقال بعضهم من هم بشئ مما اباحه العلم تلذذا
عوقب بتضيع العمر وقسوة القلب وتعب الهم بالدنيا وقال ابو سليمان
الدارانى رضى الله عنه ثلثة من طلبهن فقد ركن الى الدنيا من طلب
معاشا او تزويج امرأة او كتب الحديث وقال ما رايت من اصحابنا من
تزوج فثبت على مرتبته وكان ابرهيم بن ادهم رضى الله عنه يقول من تعود افخاذ
النساء لا يفلح وقيل لبعضهم الا تتزوج قال المراة لا تصلح الا للرجال
وانا ما بلغت مبلغ الرجال ثم فيه من مكابدة امر غيره ومن مراعات
توفية حقوقه ومعانات اخلاقه واتباع مرضاته ما يشوش على المريد
حاله ويكدر عليه وقته وقد كان لنفى معانات امر نفسه اعظم شاغل
عن ان ينضاف الى نفسه نفس اخرى مع ما يتسلط على باطنه من خوف
الفقر ومحبة الجمع والمنع وما يرتكبه بسبب ذلك من التاويلات والرخص

وذلك

الجلواز الشرطى

وذلك كله مضادة لحال المريد وقد قالوا اذا تزوج الصوفى فقد ركب
السفينة وان ولد له فقد غرقت السفينة وكان بشر الحافى رضى الله عنه
يقول لو كنت اعول دجاجة لخفت ان اكون جلوازا على الجسر وفى
الخبر فى فتن آخر الزمان قال وفى ذلك الوقت حلت العزبة فقيل
وكيف قال يعيرونه بالفقر فيتكلف ما لا يطيق فتورده موارد الهلكة
وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم بعد المائتين رجل خفيف
الحاذ قيل يا رسول الله وما خفيف الحاذ قال صلى الله عليه وسلم الذى لا
اهل له ولا ولد وقال سهل بن عبد الله رضى الله عنه اياكم والاستماع
الى النساء والميل اليهن فان النساء مبعدات من الحكمة مقربات من الشيطان
وهن مصايده وحظه من بنى آدم فمن عطف اليهن بكليته فقد عطف
الى حظ الشيطان ومن حاد عنهن ايس الشيطان منه وما مال الشيطان
الى احد كميله الى من استرق بالنساء وان الشر معهن حيث كن فاذا
رايتم فى وقتكم من قد ركن اليهن فايسوا منه قيل له فحديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث فذكر النساء فقال النبى
صلى الله عليه وسلم معصوم وقد بلغكم ما كان منه معهم هى عدوة الرجل
ظاهرا وباطنا ان اظهرت له المحبة اهلكته وان اضمرتها له اغوته
وان الله عز وجل جعلهن فتنة فنعوذ بالله من فتنهن انتهى كلام سهل
رضى الله عنه وقال حذيفة المرعشى رحمه الله كان ينبغى للرجل ان لو خير بين
ان يضرب عنقه وبين ان يتزوج امرأة فى الفتنة فاختار ضرب العنق
على تزويج امرأة فى الفتنة وانما قال ذلك لما يؤل اليه من التزويج من اكتساب
الحرام وارتكاب الاثام فى زمن الفتنة وضرب العنق احسن حالا و
احمد عاقبة من التعرض لارتكاب شئ من معاصى الله تعا فان قارب المريد
شيئا من ذلك فهو فى حقه داء عضال فقد قالوا زلة بعد الارادة اقبح

زلة المريد اقبح من سبعين زلة لغيره

من سبعين زلة قبل الارادة وفي المثل من عرف بالخيانة لا يعتمد عليه في
الامانة وقال بعض الانبيا في مناجاته لربه لو عفوت عن فلان ذنوبه
بعد عظيم نعمك فاوحى الله اليه ليس الذنب في القرب كالذنب في البعد وسئل
بعضهم هل يجد العاصي حلاوة الطاعة فقال لا ولا من هم بالمعصية ومن
عظيم سوء ادب المريد ان يميل الى اهل الدنيا وان يتقرب منهم وان يصحبهم قال
الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه ومن شان المريد التباعد عن
ابناء الدنيا فان صحبتهم سم مجرب لانهم ينتفعون به وهو ينتقص بهم
قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره
فرطا وقد تقدم من كلام المصنف رحمه الله لا تصحب من لا ينهضك حاله
ومن ذلك ايضا معاشرة الاحداث والشبان وقبول ارفاق النسوان فان
تعرض لاستجلاب ذلك منهن فهو اشد قال يوسف بن الحسين الرازي
رضي الله عنه رايت افات الصوفية في صحبة الاحداث ومعاشرة الاضداد
ورفق النسوان وقال الامام ابو القاسم القشيري ومن اصعب الافات
في هذه الطريقة صحبة الاحداث ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فباجماع
من الشيوخ ان ذلك عبد اهانه الله تعالى وخذله بل عن نفسه شغله
ولو بالف الف كرامة اهله ثم قال بعد كلام كثير فليحذر المريد مجالسة
الاحداث ومخالطتهم فان اليسير منه فتح باب الخذلان وبدو حال الهجران
ونعوذ بالله من قضاء السوء وآداب المريد كثيرة وانما نبهنا ههنا
على بعض ما يعظم فيه الخطر والضرر مما حذرنا ائمتنا رضي الله عنهم و
بالغوا في التوصية به والنهي عنه وجميع ذلك محتمل بان يكون ذلك من
مراد المصنف رحمه الله تعالى ورضي عنه في قوله من جهل المريد ان يسيء
الادب فراينا ان لا يخلو هذا الموضع من هذا التنبيه فان ذلك نفع
للمريدين كثير والله الموفق للصواب اذا رايت عبدا اقامه الله بوجود

الاوراد فادامه عليها مع طول الامداد فلا تستحقرن ما منحه مولاه لانك لم
تر عليه سيما العارفين ولا بهجة المحبين فلولا وارد ما كان ورد
عباد الله تعالى المخصوصون ينقسمون الى قسمين مقربين وابرار فالمقربون
هم الذين اخذوا عن حظوظهم واراداتهم واستعملوا في القيام بحقوق
ربهم عبودية له وطلبا لمرضاته وهؤلاء هم العارفون والمحبون والابرار
هم الذين بقوا مع حظوظهم واراداتهم واقيموا في الطاعات ليجزوا
عليها برفع الدرجات في الجنان وهؤلاء هم الزاهدون والعابدون فكل
واحد منهم ممد في مقامه الذي هو فيه بمدد الهي اقتضى منهم القيام
بحقوق مقاماتهم على اختلافها فاذا رايت عبدا اقامه الله تعالى
في اعمال البر الظاهرة ومواصلة الاوراد المتواترة وامده في ذلك
بالمعونة والتيسير فذلك من اختيار الله تعالى له فلا تستحقرن ذلك
لاجل انك لم تر عليه سيما العارفين من ترك الاختيار والبراءة من
الحظوظ والارادات بين يدي المريد المختار ولا بهجة المحبين من الشغف
بمرضات محبوبهم والانبساط والادلال بين يدي حبيبهم فلولا الوارد
الالهي الذي اورده الله تعالى عليه ما استقام على عمله وورده فهو لم
يخرج عن دائرة عنايته وحيطة رعايته فلم يستحقر خطر ما منحه
الله وتشغل كثيرا ما بجحوه هل ذلك الا من وجود جهلك ومقتضى
عقلك وسياتي من كلام المصنف رحمه الله تعالى لا يستحقر الورد
الا جهول قوم اقامهم الحق لخدمته وقوم اختصهم بمحبته كلا نمد
هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا الحق
تعالى له الاختيار التام والمشيئة النافذة لا يسال عما يفعل وهم
يسالون فطائفة اقامهم الحق تعالى بخدمته حتى صلحوا لمحبته وهم
الزاهدون والعابدون كما تقدم وطائفة اختصهم بمحبته حتى

صلحوا القربة والدخول الى حضرته وهم العارفون والعلماء قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الزاهد صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة فاذا شهد العبد انفراد الله تعالى بهذه الاقامة والتخصيص منعه ذلك مما ذكرناه من الاستحقار وسلم الامر لمن بيده التدبير والاختيار وقال ابو يزيد رضي الله عنه اطلع الله على قلوب اوليائه فمنهم من لم يصلح لحمل المعرفة صرفا فشغله بالعبادة وذكر الحافظ ابو نعيم رضي الله عنه في كتاب حلية الاولياء عن سهل بن عبد الله رضي الله عنه انه قال ان الله تعالى يطلع على اهل قرية او بلدة فيريد ان يقسم لهم من نفسه قسما فلا يجد قلوب العلماء ولا قلوب الزهاد موطنا لتلك القسمة من نفسه فيمن عليهم ان يشغلهم بالتعبد عن نفسه وقال ابو العباس الدينوري رضي الله عنه ان لله عبادا لم يستصلحهم لخدمته فاهلهم لمعرفته وله عباد لم يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته وله عباد لم يستصلحهم لخدمته ولا لمعرفته فاهملهم والاشارة بالآية الكريمة التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى بينة في هذا المعنى قال رضي الله عنه قلما يكون الواردات الالهية الا بغتة صيانة لها ان يدعيها العباد بوجود الاستعداد الواردات الالهية هدايا من الله تعالى وتحف وكرامات يكرم بها عباده فلا يكون في الغالب الا بغتة اي فجاة لئلا يدعوها ويرون انفسهم اهلا لها بوجود استعدادهم وتهيئهم وتحف الله تعالى وهداياه مقدسة عن ان تعلل بامر ومنزهة عن ان تقابل باعمال هي محض كرم وفضل من الكريم المتفضل من رايته مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا لكل ما شهد وذاكرا لكل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله الاجابة عن كل سؤال والتعبير لكل مشهود والذكر لكل معلوم امارات على وجود جهل من اتصف بها كما قال اما الاجابة عن كل سؤال فلاقتضائها منه دعوى الاحاطة بجميع المعلومات وذلك محال في حقه

الجواب عن كل سؤال والتعبير عن كل مشهود والذكر عن كل معلوم من امارات الجهل

قال الله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا فكيف يتصور منه مع هذه الاجابة عن كل سؤال لولا وجود جهله وايضا فانه يجب عليه ان يراعي حال السائل من وجود الاهلية مما سئل عنه فيمتنع عن الاجابة لمن لا اهلية فيه لذلك ويفعل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه مع السائل الذي جاء يسئله ان يعلمه من غرائب العلم فانه استفصله وقال له ما فعلت في رأس العلم وفي كذا وكذا فاجابه السائل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذهب فاحكم ما هنالك ثم تعال حتى اعلمك من غرائب العلم وكما اخذ الله تعالى على العلماء ان لا يكتموا العلم عن اهله كذلك اخذ عليهم ان يصونوه عن غير اهله فمن لا يسلك هذا المسلك هو جاهل واما التعبير لكل مشهود فلان فيه نوعا من افشاء السر الذي يجب كتمه وقد قالوا قلوب الاحرار قبور الاسرار والسر امانة الله تعالى عند العبد فافشاؤه بالتعبير عنه خيانة والله لا يحب الخائنين وايضا فان الامور المشهودة لا تستعمل فيها الا الاشارات والايماء واستعمال العبارات فيها افصاح بها واشهار لها وفي ذلك ابتذال لها واذاعتها ثم ان العبارة عنها لا تزيدها الا غموضا وانغلاقا لان الامور الذوقية تستحيل ادراك حقائقها بالعبارات النطقية فيؤدي ذلك الى الانكار والقدح في علوم السادات الاخيار قال ابو علي الروذباري علمنا هذا اشارة فاذا صار عبارة خفي واما الذكر لكل معلوم فلعدم تفرقته بين المعلومات وقد يكون له علم يختص به فاذا ذكره لغيره استغربه وان كان ينتفع به فعدم تفريقه بين المعلومات في ذكرها من وجود جهله انما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لان هذه الدار لا تسع ما يريد ان يعطيهم ولانه جل اقدارهم عن ان يجازيهم في دار لا بقاء لها انما جعل الثواب للمؤمنين في الدار الآخرة فيما ظهر لنا لوجهين احدهما

ان الامور المشهودة لا تستعمل فيها الا الاشارات

قال الله تعالى

ان الدنيا لا تسع ما يريد ان يعطيهم من انواع النعيم حسًّا ولا معنًا اما
الحسن فلان الدنيا متدانية المسافات ضيّقة الاقطار ويعطي الله في
الدار الآخرة لاحد المؤمنين في ملك واحد منهم كما ورد في الخبر مسيرة سبع
مائة عام فما ظنك بخواصهم فتضيق المحالة مسافة الدنيا عن كلية جزائهم
واما المعنى فلان الدنيا موسومة بالدناءة والنقص والخساسة والحقارة والاشياء
التي يتنعم بها اهل الجنة امور شريفة رفيعة كما جاء في الاخبار ان موضع سوط
في الجنة خير من الدنيا وما فيها وان نور سواد حوراء يطمس نور الشمس وما اشبه
هذا ويكفي في هذا قوله عز وجل فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاءً
وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والثاني ان الله تعالى اجل
اقدار المؤمنين فلم يعجل لهم الجزاء على طاعاتهم في دار فانية منقضية منصرمة
لان كل ما يفنى وان طالت مدته كل شيء بل اعطاهم الخلود في النعيم والبقاء
الدائم في الملك المقيم وناهيك به شرفًا بتسميته اياهم باسمه الكريم وهو الحي الذي
لا يموت جاء في التفسير في قوله عز وجل وملكًا كبيرًا انه يرسل الله تعالى الملك
الى وليه ويقول له استاذن على عبدي فان اذن لك فادخل والا فارجع فيستاذن
عليه من سبعين حجابًا ثم يدخل عليه ومعه كتاب من الله عز وجل مكتوب على
عنوانه من الحي القيوم الذي لا يموت الى العبد الحي الذي لا يموت فاذا فتح الكتاب
وجد مكتوبًا فيه عبدي اشتقت اليك فزرني فيقول هل جئت بالبراق
فيقول نعم فيركب البراق فيغلبه الشوق على قلبه فيحمله شوقه ويبقى البراق الى
ان يصل الى بساط اللقاء من وجد ثمرة عمله عاجلًا فهو دليل على وجود القبول
ثمرة العمل وجدان الحلاوة فيه والتنعم به ويتصور ذلك في اكثر الاعمال
بالمواظبة عليه على حال تكره واستثقال له هذا هو غالب الامر قال بعض العارفين
ليس شيء من البر الا ودونه عقبة يحتاج الى الصبر فيها فمن صبر على شدتها

افضى الى

كلا

ثمرة العمل وجدان الحلاوة وهي علامة القبول

افضى الى الراحة والسهولة وانما هي مجاهدة النفس ثم مخالفة الهوى ثم
مكابدة في ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم وقال ثابت البناني رضي الله عنه
كابدت القران عشرين سنة وتلذذت به عشرين سنة وقال عتبة الغلام
رضي الله عنه كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال
بعض العلماء كنت اقرا القران فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه رضي الله عنهم ثم رفعت
الى مقام فوقه وكنت اتلوه كاني اسمعه من جبريل عليه السلام
يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانا الآن
اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيمًا لا اصبر عنه
وما ذكرنا من الحلاوة والنعيم انما تثمره الاعمال الصحيحة المستقيمة
السالمة من الرياء والدعوى قال ابو تراب رضي الله عنه اذا صدق العبد
في العمل وجد حلاوته قبل ان يعمله واذا اخلص فيه وجد حلاوته وقت
مباشرة العمل والاعمال الموصوفة بهذه الصفات مقبولة بفضل الله
تعالى وورد في الخبر لا يقبل الله تعالى من مسمع ولا من مراء دليل خطابه
ان العمل السالم من الرياء والسمعة مقبول قوله عز من قائل انما
يتقبل الله من المتقين وقبول الله تعالى لعمل العبد ورضاه به هو
ثوابه المعجل كما يقوله المصنف بعد هذا وذلك علامة على وجود
الجزاء عليه في الدار الآخرة حسبما ياتي في قوله وجدان ثمرات الطاعات
عاجلًا بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلًا وقال ابو سليمان
الداراني رضي الله عنه كل عمل ليس له ثواب في الدنيا ليس له جزاء في
الآخرة فحصل من هذا ان وجدان الحلاوة علامة على وجود القبول
المقتضي لوجود الرضى والجزاء ولذلك قال الحسن رضي الله عنه تفقدوا
الحلاوة في ثلاثة فان وجدتموها فابشروا وامضوا القصدكم وان لم

تجدوها فاعلموا ان الباب مغلق عند تلاوة القران وعند الذكر وفي السجود
وزاد غيره وعند الصدقة وبالاسحار وقيل في قوله تعالى ولمن خاف مقام
ربه جنتان قال جنة معجلة وهي حلاوة الطاعة ولذات المناجاة و
الاستيناس بفنون المكاشفات وجنة مؤجلة وهي فنون المثوبات وعلو
الدرجات قلت وهذه الحلاوة المذكورة لا تكون الا في مقام المعرفة الخاصة
وهي التي تنافيها المعصية قيل لبعضهم هل تعرف الله تعالى فغضب
على السائل وقال اتراني اعبد من لا اعرفه فقال له او تعصي من تعرفه وقيل
لبعضهم بم تعرف انك عرفته فقال لم اقصد مخالفته الا ورد على قلبي
استحيا منه وقال اسمعيل بن نجيد رضي الله عنه التهاون بالامر من قلة
المعرفة بالآمر فان العصيان في حال العرفان بعيد فان وقعت منه
زلة او هفوة بحكم وكان امر الله قدرا مقدورا وجد لذلك لا محالة مرارة
والما في قلبه فوجدان هذه المرارة والالم في المعصية علامة صحة ما وجد
من الحلاوة والنعيم في الطاعات فهذه هي الحلاوة التي هي الميزان للاعمال
المقبولة وغير المقبولة كما ذكرناه واما الحلاوة التي يجدها من دون اهل
هذا المقام في بعض العبادات فمدخولة معلولة الا ما فيها من تنشيط العباد
للمواظبة على العبادة والحلاوة على الاطلاق اذا وجدها العامل في العمل
لا ينبغي له ان يقف معها ولا يفرح بها ولا يسكن اليها وكذلك ايضا لا ينبغي
له ان يقصد بعمله الى نيلها لما له فيها من اللذة والحظ فان ذلك مما يقدح
في اخلاص عبادته وصدق ارادته وليكن اعتناؤه بحصولها ليكون ميزانا
لاعماله ومحكا لاحواله فقط قال الواسطي رضي الله عنه استحلاء الطاعات
سموم قاتلة قال في لطائف المنن وصدق الواسطي رضي الله عنه واقل ما في
ذلك انه اذا فتح لك باب الحلاوة في الطاعة تصير قائما فيها متطلبا الحلاوتها
فيفوتك صدق الاخلاص في نهوضك لها وتحب دوامها لا قياما بالوفاء

ولكن لما وجدت من الحلاوة والمتعة فتكون في الظاهر قائما بالله تعالى
وفي الباطن انما قمت لحظ نفسك ويخشى عليك ان تكون حلاوة الطاعة
جزاء تعجيله في الدنيا وتاتي يوم القيمة ولا جزاء لك اذا اردت ان تعرف
قدرك عنده فانظر فيما ذا يقيمك هذا ميزان صحيح وقد ورد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد ان يعلم منزلته عند الله فلينظر
كيف منزلة الله تعالى من قلبه فان الله عز وجل ينزل العبد عنده بحيث
انزله العبد من نفسه وهذا الانزال المذكور المنسوب الى العبد هو معنى
الاقامة المذكورة اذا العبد لا فعل له على التحقيق قال الفضيل بن عياض
رضي الله عنه انما يطيع العبد ربه على قدر منزلته منه قال الشيخ ابو طالب
المكي رضي الله عنه فاذا كان العبد لنظر مولاه مكرما ولحرماته معظما والى
محبوباته ومرضاته مسارعا كان الله عز وجل له في اخرته لوجهه مكرما ولثناه
معظما والى مسرته من النعيم المقيم مسارعا واذا كان العبد بحق مولاه
متهاونا ولامره مستخفا وبشعائره مستصغرا كان الله عز وجل له مهينا
وبشانه متهاونا والى ما يكره من العذاب الاليم له مسارعا والعياذ بالله من ذلك
قال وهب بن منبه رضي الله عنه قرأت في بعض الكتب ابن ادم اطعني فيما
امرتك ولا تعلمني بما يصلحك لاني عالم بخلقي انما اكرم من اكرمني واهين
من هان عليه امري لست بناظر في حق عبدي حتى ينظر عبدي في حقي
متى رزقك الطاعة والغنى به عنها فاعلم انه اسبغ عليك نعمه ظاهرة
وباطنة المطلوب من العبد شيئان اقامة الامر في الظاهر والتعلق بالله
في الباطن وهو الاستغناء به عن غيره فاذا رزق الله تعالى العبد هذين
الامرين فقد اسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة واوصله الى غاية الامل
في الدنيا والآخرة سبحانه جل وعلا وقال رضي الله عنه خير ما تطلبه منه ما
هو طالبه منك ان كان لا بد من الطلب فاطلب منه ما هو طالبه منك من الاستقامة

منزلة العبد عند الله تعالى بمقدار منزلة الله تعالى عند العبد

اسباغ نعمه تعالى على العبد بامرين

من سره ان ينظر الله تعالى مراده فليطلب منه تعالى ما يطلب منه

على سبيل العبودية له فذلك خير لك من طلبك لحظوظك ومراداتك لانك
حينئذٍ تكون بروله فيسعفك بمطلوبك عاجلاً من غير تاخير واما
ان طلبت منه حظ نفسك ونيل مرادك فقد يحصل فى ذلك تاخير مع
مع ما يفوتك حينئذٍ من حسن الادب فى الطلب يحكى عن ابى الحسن الترملى
رضى الله عنه قال وصف لى بانطاكية انسان اسود يتكلم على القلوب قال
فقصدته فلما رايته رايت معه شيئاً من المباحات يريد ان يبيعه فساومته
وقلت له بكم تبيع هذا فنظر الىّ ثم قال اقعد فانك جايع منذ يومين حتى
اذا بعنا هذا نعطيك شيئاً من ثمنه قال فمضيت الى غيره وتغافلت
كانى لم اسمع ما قال وساومت غيره ما كان بين يديه ثم رجعت اليه وقلت
له بكم تبيع هذا فنظر الىّ فقال اقعد فانك جايع منذ يومين حتى
اذا بعنا هذا نعطيك شيئاً من ثمنه قال فوقع على قلبى منه هيبة
فلما باع ذلك اعطانى منه شيئاً ومضى فمضيت خلفه لعلى استفيد
منه شيئاً قال فالتفت الىّ وقال اذا عرضت لك حاجة فانزلها
بالله تعالى ولا يكون لك فيها حظ فيحجبك عن الله عز وجل ومن دعاء
ابى القاسم الجنيد رضى الله عنه اللهم وكل سؤال سالتك فعن امرك
لى بالسؤال فاجعل سؤالى اليك سؤال محابك ولا تجعلنى ممن يعتمد
بسؤاله مواضع الحظوظ بل بسؤال القيام بواجب حقك ومن دعائه
رضى الله عنه ايضاً اللهم انى اسالك منك ما هو لك واستعيذك
من كل امر يسخطك اللهم ولا تشغلنى بشغل من شغله عنك ما اراده
منك الا ان يكون لك اللهم واجعلنى ممن يذكرك ذكر من لا يريد بذكره
منك الا ما هو لك اللهم اجعل غاية قصدى اليك ما هو لك ولا تجعل قصدى
اليك ما اطلبه منك الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض اليها من علامة
الاغترار هذا هو الحزن الكاذب الذى يكون عنه البكاء الكاذب قالوا كم من عين

دعوات ابى القاسم الجنيد قدس سره تشيرا بها الى توحيد العبادة والدعا

كم من عين جارية وقلب قاسية

جارية وقلب قاسٍ وهو من مكر الله الخفى حيث منعه ما ينفعه واعطاه ما يغتر
به من الحزن والبكاء سمعت رابعة العدوية رضى الله عنها رجلاً يقول واحزناه
فقالت قل واقلة حزناه لو كنت محزوناً لم يتهيا لك ان تتنفس واما الحزن
الصادق فبخلاف هذا وهو مقام من مقامات السالكين وهو يبعث على
الانكماش فى الاعمال والنهوض الى الطاعات على كل حال قال الشيخ ابو على الدقاق
رضى الله عنه صاحب الحزن يقطع من طريق الله تعالى فى شهر ما لا يقطعه
من فقد الحزن فى سنين وفى الخبر ان الله تعالى يحب كل قلب حزين وفى التورية
اذا احب الله عبداً نصب فى قلبه نايحة واذا ابغضه نصب فى قلبه مزماراً
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دايم الفكر وقيل اذا
فقد الحزن من القلب خرب ومن لم يذق طعم الحزن لم يذق لذة
العبادة فان الحزن الذى يجده العبد من نفسه ان لم يبعثه على النهوض و
الانكماش والاجتهاد فى العبودية فذلك من علامة الاغترار وليس بمقام
السالكين الابرار وقال رضى الله عنه ليس العارف من اذا اشار وجد الحق
اقرب اليه من اشارته بل العارف من لا اشارة له لفنائه فى وجوده وانطوائه
فى شهوده الاشارة الطف من العبارة وهى كناية وتلويح وايماء لا تصريح وهى
التى يستعملها اهل هذه الطريقة فيما بينهم عند ذكرهم لاسرار التوحيد كما
تقدم عند قوله من رايته مجيباً عن كل ما سئل ومعبراً لكل ما شهد فالمشير
الى الله الملاحظ لاشارته فان وجد الله تعالى اقرب اليه من اشارته فهو غير
عارف على التحقيق لانه بوصف التفرقة بشهوده للاغيار بل العارف الفانى
فى وجوده المنطوى فى شهوده غاب عن الاشارة والمشير والمشار به سئل
الدقاق رضى الله عنه عن المريد فقال حقيقة المريد ان يشير الى الله تعالى
فيجد الله مع نفس الاشارة فقيل له فالذى يستوعب حاله قال هو الذى يجد الله
باسقاط الاشارة وسئل ابو على الروذبارى رضى الله عنه عن الاشارة فقال

الحزن يقطع من المقامات ما لا يقطع فاقده

تعريف عارف الفانى على التحقيق

حقيقة المريد

بيان الاشارة

الاشارة الابانة عمّا تضمّنه الوجد من المشار اليه لا غير وفى الحقيقة انّ الاشارة
تصحبها العلل والعلل بعيدة من عين الحقايق **وقال الشبلى** رضى الله عنه
كلّ اشارة اشار بها الخلق الى الحقّ فهى مردودة عليهم حتّى يشيروا الى الحقّ بالحقّ
وليس لهم الى ذلك طريق **وقال ابو يزيد** رضى الله عنه ابعدهم من الله اكثرهم
اشارة اليه **الرّجا ما قارنه عمل والّا فهو امنية** الرّجا مقام شريف من
مقامات اليقين وهو يبعث على الاجتهاد فى الاعمال كما ذكرناه فى الحزن
لانّ من رجا شيئا طلبه ومن خاف من شئ هرب منه وامّا الرّجاء
الكاذب الّذى يفترّ صاحبه عن العمل ويحثّه على المعاصى والذّنوب فليس
هذا برجا عند العلماء ولكنّه امنيّة واغترار بالله تعا وقد ذمّ الله
تعا قوما ظنّوا مثل هذا واصرّوا على حبّ الدّنيا والرّضى بها وتمنّوا المغفرة
على ذلك وسمّاهم خلفا والخلف الرّدى من النّاس فقال عزّ وجلّ فخلف من
بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر
لنا **قال الشيخ معروف الكرخى** رضى الله عنه طلب الجنّة بلا عمل ذنب من
الذّنوب وارتجا الشّفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجا الرّحمة ممّن لا
يطاع جهل وحمق وقد قالوا من زعم انّ الرّجا مع الاصرار صحيح فكذلك
فليزعم ان طلب الرّبح فى الفقر وقدح النّار من البحر صحيح **وفى الحديث**
عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انّه قال الكيّس من دان نفسه وعمل لما
بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنّى على الله تعا **وقال**
الحسن رضى الله عنه انّ قوما الهتهم امانى المغفرة حتّى خرجوا من
الدّنيا وليست لهم حسنة يقول احدهم احسن ظنّى بربّى وهو يكذب
لو احسن الظّنّ بربّه لاحسن العمل وتلى قوله عزّ وجلّ وذلكم ظنّكم الّذى
ظننتم بربّكم اردكم فاصبحتم من الخاسرين وكان يقول رضى الله عنه
عباد الله اتّقوا هذه الامانى فانّها اودية النّوكى يحلون فيها والله

تعريف الرجاء المطلق

النوكى الحمقى

ما اتى الله

ما اتى الله عبدا بامانيه خيرا فى الدّنيا والآخرة **كتب** ابو عمير المنصور
الى بعض اخوانه امّا بعد فانّك قد اصبحت تؤمّل بطول عمرك وتتمنّى
على الله الامانى بسوء فعلك وانّما تضرب حديدا باردا **مطلب العارفين**
من الله الصّدق فى العبوديّة والقيام بحقوق الرّبوبيّة مطلب العارفين
من ربّهم اعلى من مطالب غيرهم سواء كان عابدا او عالما او زاهدا
لانّ مطلب العارفين انّما هو الصّدق فى العبوديّة والقيام بحقوق
الرّبوبيّة فقط من غير مراعات حظّ فلا بقا مع نفس وكلّ من عداهم
لم يفارق الحظوظ والاغراض فى مطالبهم وقد تقدّم من كلام المصنّف
رحمه الله ورضى الله عنه خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك **قال**
سيدى ابو مدين رضى الله عنه شتّان بين من همّته الحور والقصور
وبين من همّته رفع السّتور ودوام الحضور **بسطك كيلا يبقيك**
مع القبض وقبضك كيلا يتركك مع البسط واخرجك عنهما
كيلا تكون لشئ دونه القبض والبسط من الحالات الّتى يتلوّن فيها
العارفون وهما بمنزلة الخوف والرّجا للمريدين المبتدين وسببهما
الواردات الّتى ترد على باطن العبد وضعفهما وقوّتهما بحسب قوّة الواردات
وضعفها والمقصود هاهنا انّهما وصفان ناقصان بالنّسبة الى
تلوينه فيهما ثمّ اخراجه عنهما بفنائه عن نفسه وبقائه بربّه قال
فارس فوقهما فانّهما يقتضيان بقا العبد ووجوده فمن لطف الله
تعا بعبده رضى الله عنه والقبض اوّلا ثمّ البسط ثمّ لا قبض ولا بسط
لانّ القبض والبسط يقعان فى الوجود وامّا مع الفنا والبقا فلا
وكان الجنيد رضى الله عنه يقول الخوف يقبضنى والرّجا يبسطنى
والحقيقة تجمعنى والحقّ يفرقنى اذا قبضنى بالخوف افنانى عنّى
واذا بسطنى بالرّجا ردنى علىّ واذا جمعنى بالحقيقة احضرنى

البسط والقبض كل منهما على حده

...ما فوقهما فانهما يقتضيان بقاء العبد ووجوده
من لطف الله بعبده

واذا فرقني بالحق اشهدني غيري فغطاني عنه فهو في ذلك كله محركي غير
مسكني وموحشي غير مونسي بحضوري لذوق طعم وجودي فليته افناني
عني فمتعني او غيبني عني فروحني وقد تكلم صاحب كتاب عوارف المعارف
في القبض والبسط بكلام بديع طويل تركت نقله هاهنا اختصارا فمن
اراده فلينظره هناك العارفون اذا بسطوا اخوف منهم اذا قبضوا
ولا يقف على حدود الادب في البسط الا قليل انما اشتد خوف العارفين
في البسط ما لم يشتد في القبض من قبل ملايمته لهوا النفس بخلاف
القبض كما سيقوله المصنف الان فيخافون حينئذ من رجوعهم اليهم و
ذوقهم لطعم نفوسهم وفي ذلك الطرد والبعد وقد كتب يوسف بن الحسين
الرازي الى الجنيد رضي الله عنه لا اذاقك الله طعم نفسك فانك ان ذقتها
لا تذوق بعدها خيرا ابدا ومن ثم يتاكد عليهم في ذلك ملازمة الادب
ودوام الانقباض والانكسار وذلك امر عسير في هذا الحال ولذلك لا يقف
على حدود الادب في البسط الا قليل كما قاله المصنف رحمه الله تعا وقد
قيل قف على البساط واياك والانبساط وقال رجل لابي محمد الجريري كنت
على بساط الانس ففتح على طريق البسط فزلت زلة فحجبت عن مقامي فكيف
السبيل اليه دلني على الوصول الى ما كنت عليه فبكى ابو محمد وقال يا اخي الكل
في قهر هذه الخطة لكني انشدك وانشا يقول لبعضهم

قف بالديار فهذه آثارهم ، تبكي الاحبة حسرة وتشوقا ،
كم قد وقفت بربعها مستخبرا ، عن اهلها او سائلا او مشفقا ،
فاجابني داعي الهوى في رسمها ، فارقت من تهوى فعز الملتقا ،

وسئل بعض المشايخ رضي الله عنه عن تلك الزلة فقال الانبساط مع
الحق بغير ادب قال الاستاد ابو القاسم القشيري رضي الله عنه ومن
هذا خشي الاكابر والسادات قال في لطائف المنن البسط مزلة اقدام

الرجال

ضرر البسط من ترك الادب

الرجال فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجائهم والقبض اقرب الى وجود
السلامة لانه وطن العبد اذ هو في اسر قبضة الله تعالى و
احاطة الحق محيطة به ومن اين يكون للعبد البسط وهذا شانه
والبسط خروج عن حكم وقته والقبض هو اللايق بهذه الدار اذ
هي وطن التكليف وابهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة والمطالبة
بحقوق الله تعا قال واخبرني بعض الصوفية قال راى شيخنا
شيخه في المنام بعد موته مقبوضا فقال له يا استاد ما لك مقبوضا
فقال يا بني القبض والبسط مقامان من لم يوفيهما في الدنيا وفاهما
في الاخرة وكان هذا الشيخ الغالب عليه في حياته البسط البسط
تاخذ النفس منه حظها بوجود الفرح والقبض لا حظ للنفس فيه
في هذا اشارة لما تقدم من ان مراعات الادب في البسط امر عسير وذلك
ان في البسط وجود حظ النفس فيستولي عليها الفرح بذلك فلا تتمالك
حتى تقع في سوء الادب والقبض ليس فيه حظ للنفس فلذلك كان اسلم
وكان الاستاد ابو علي الدقاق رضي الله عنه يقول القبض حق الحق منك
والبسط حظ النفس منك ولان تكون بحقه منك اتم من ان تكون
بحظك منه واما اداب القبض والبسط فلا اعلم الان من استوفى
الكلام فيهما من علماء الصوفية ومصنفيهم وانما وجدنا لهم من
ذلك اشارات الى امور جميلة كقول الامام ابي القاسم القشيري
رضي الله عنه بعد ان تكلم على لفظتي القبض والبسط وتبيين
معانيهما الى ان قال وقد يكون قبض يشكل على صاحبه سببه يجد
في قلبه قبضا لا يدري ما موجبه وما سببه وسبيل صاحب هذا
القبض التسليم حتى يمضي ذلك الوقت لانه لو تكلف نفيه واستقبل
الوقت قبل هجومه عليه باختياره لزاد في قبضه ولعله بعد ذلك

في البسط حظ النفس والقبض بخلافه

اداب القبض والبسط

منه سوء ادب واذا استسلم لحكم الوقت فعن قريب يزول القبض فان
الحق سبحانه وتعالى قال والله يقبض ويبسط وقد يكون بسط يرد بغتة و
يصادف صاحبه فلتة لا يعرف لها سببا يهز صاحبه ويستفزه فسبيل
صاحبه السكون ومراعاة الادب فان هذا الوقت له خطر عظيم فليحذر صاحبه
مكرا خفيا كما قال بعضهم فتح علي باب من البسط فزللت زلة فحجبت عن
مقامي انتهى كلام الشيخ ابي القاسم القشيري رضي الله عنه وقد رايت
كلاما مستوفا في ادب القبض والبسط لسيدي ابي الحسن الشاذلي رضي الله
عنه فاحببت ان اذكره ها هنا لتتم به الفائدة التي تعرض لها المصنف
رحمه الله تعالى وان كان كلام الشيخ في ذلك اعم مما هو عند غيره من
الائمة الصوفية قال رحمه الله تعالى القبض والبسط قلما يخلو العبد
منهما وهما يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار والحق سبحانه يقتضي منك
العبودية فيهما فمن كان وقته القبض فلا يخلو من ان يعلم سببه او لا

اسباب القبض ثلاثة

واسباب القبض ثلاثة ذنب احدثته او دنيا ذهبت عنك او نقصت
او ظالم يؤذيك في نفسك او في عرضك او ينسبك لغير دين وغير ذلك
فاذا ورد عليك القبض من احد هذه الوجوه فالعبودية ان ترجع الى

نقتضي

العلم مستعملا له كما امرك اما في الذنب فبالتوبة والانابة وطلب الاقالة
واما فيما ذهب عنك من الدنيا او نقص فبالتسليم والرضا والاحتساب
واما فيما يؤذيك به ظالم فبالصبر والاحتمال واحذر ان تظلم نفسك
فيجتمع عليك ظلمان ظلم غيرك لك وظلمك لنفسك فان فعلت
ما التزمت به من الصبر والاحتمال اثابك سعة الصدر حتى تعفو
وتصفح وربما اثابك من نور الرضا ما ترحم به من ظلمك فتدعو له
فتجاب فيه وما احسن ذلك اذا رحم الله بك من ظلمك فتلك
درجات الصديقين والرحما وتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين

واما اذا

واما اذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سببا فالوقت وقتان ليل
ونهار فالقبض اشبه شيء بالليل والبسط اشبه شيء بالنهار فاذا
ورد القبض بغير سبب تعلمه فالواجب السكون والسكون على ثلثة

عن صح

اشيا عن الاقوال والحركات والارادات فان فعلت فعن قريب
يذهب عنك الليل بطلوع نهارك او يبدو نجم تهتدي به من ظلماته
او قمر تستضيء به او شمس تبصر بها فالنجوم نجوم العلم والقمر
قمر التوحيد والشمس شمس المعرفة وان تحركت في ظلمة ليلك فقل
ما تسلم من الهلاك واعتبر بقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم
الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
فهذا حكم العبودية في القبضين جميعا واما من كان وقته

اسباب البسط ثلاثة

البسط فلا يخلو ان يعلم له سببا او لا يعلم له سببا فالاسباب
ثلاثة السبب الاول زيادة في الطاعة او نوال من المطاع كالعلم
والمعرفة والسبب الثاني زيادة من دنيا بكسب او كرامة او
هبة او صلة والسبب الثالث بالمدح والثنا من الناس و
اقبالهم عليك وطلب الدعاء منك وتقبيل يدك فاذا ورد
عليك البسط من احد هذه الاسباب فالعبودية تقتضي ان ترى
النعمة والمنة من الله تعالى عليك واحذر ان ترى من ذلك شيئا
لنفسك وحظها ان تلازمها خوف السلب مما به انعم الله عليك
فتكون ممقوتا هذا في جانب الطاعة والنوال من الله تعالى واما
الزيادة من الدنيا فهي نعمة ايضا كما في الاولى وخف مما بطن من افاتها
واما مدح الناس لك وثناؤهم عليك فالعبودية تقتضي شكر النعمة
بما ستر عليك وخف من الله تعالى ان يظهر ذرة مما بطن منك فيمقتك
اقرب الناس اليك واما البسط الذي لا تعلم له سببا فحق العبودية

فيه ترك السؤال والاذلال والصولة على النساء والرجال اللهم الا ان تقول
سلم سلم الى الممات فهذه اداب القبض والبسط فى العبودية جمعًا ان
عقلت والسلام انتهى ما ذكره الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه وكلامه فى
ذلك حسنٌ والحمد لله الذى بيده سوابغ المنن ربما اعطاك فمنعك وربما
منعك فاعطاك منع الله عبده من نيل شهواته ولذاته والكون مع
من عاداته عطا جزيل منه لانه ابقاه معه واقتطعه عن حظوظه
واغراضه وحرره منها وعكس هذا هو المنع على التحقيق وان كان عطا فى
الظاهر قال الشيخ محى الدين بن العربى رضى الله عنه اذا منعت فذلك
عطاؤه واذا اعطيت فذلك منعه فاختر الترك على الاخذ فالواجب
على العبد ان يترك التدبير والاختيار لمن بيده ذلك فلن يعدم منه
خيرًا متى فتح لك باب الفهم فى المنع عاد المنع هو عين العطا سياتى
ان شاء الله تعا بيان هذا فى كلام المصنف رحمه الله فى قوله متى
اعطاك اشهدك بره ومتى منعك اشهدك قهره الى آخره الاكوان
ظاهرها غِرةٌ وباطنها عِبرةٌ فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها و
القلب ينظر الى باطن عبرتها الاكوان هاهنا كل ما يمكن ان يكون
للنفس فيه حظ من متاع الدنيا وزهرتها وهى رايقة الظاهر قبيحة
الباطن كما قيل على وجه مى مسحة من ملاحة ؞ وتحت الثياب
العار لو كان باديا ؞ فهى من حيث ظاهرها حلوة خضرة بالنظر
الى باطنها جيفة قذرة فالنفس تنظر الى زينتها الظاهرة فتغتر بها
فتهلك صاحبها والقلب ينظر الى مقابحها الباطنة فيعتبر بها
فيسلم من شرها وقد روى فى الكتب لسالفة ان الحواريين قالوا
لعيسى عليه السلام يا روح الله صف لنا اولياء الله تعا الذين لا
خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال عيسى عليه السلام هم الذين نطق بهم

والكون مع شهوة عاداته

متاع الدنيا رايقة الظاهر قبيحة الباطن

قبايحها

صفة اولياء الله

الكتاب

الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا
نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها وعاينوا آجل
الدنيا حين عاين الناس عاجلها فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم
وتركوا منها ما علموا ان سيتركهم فصار ذكرهم فيها فواتا وفرحهم
فيها حزنا ما عارضهم منها رفضوه وما اشرف لهم بغير الحق وضعوه
خلقت الدنيا عندهم فلم يجددوها وخربت فيما بينهم فلم يعمروها
وماتت فى صدورهم فلم يحيوها فهدموها وبنوا بها اخرتهم
احيوا ذكر الموت واماتوا ذكر الحياة يحبون الله ويحبون ذكره
ويستضيئون بنوره ويضيئون به لهم الخبر العجيب وعندهم
الخبر العجيب وكان بعض العلماء يقول ما سطع لى زينة من زخرف
الدنيا الا كشف لى باطنه فظهر لى عزوف عنها قال ابو طالب
رضى الله عنه فهذه عناية الله لمن وليه من اوليائه المقربين منه
فمن شهد الدنيا باول وصفها لم يغتر بآخره ومن عرفها بباطن حقيقتها
لم يعجب بظاهرها ومن كوشف بعاقبتها لم يستهوه زخرفها وكان عيسى
عليه السلام يقول ويلكم علماء السوء مثلكم مثل قناة خشن ظاهرها
جص وباطنها نتن ان اردت ان يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن
بعز يفنا العز الذى لا يفنى هو الغنى عن الاسبا كلها بوجود مسببها
لانه باق لا يفنى فالتعلق به عز لا يفنى والعز الذى يفنى هو الغنى
بالاسباب مع الغيبة عن مسببها لانها فانية والتعلق بها عز
فان لا يبقى وليس لك الا احدهما لانهما ضدان لا يجتمعان فان
اخترت العز الباقى الدائم بالله تعا لم يقدر احد ان يذلك
ويحكى ان رجلا امر بالمعروف لهرون الرشيد فتحنق عليه هرون وكانت
له بغلة سيئة الخلق فقال اربطوه معها تقتله برمحها ففعلوا ذلك

فعز الحاصل بالاسباب يفنى وعز الحاصل من موجدها لا يفنى

فلم تجده فقال اطرحوه في بيت وطينوا عليه الباب ففعلوا ذلك فرأى في بستان

وباب البيت مسدود فاخبر هرون بذلك فاتى بالرجل فقال من اخرجك

من البيت قال الذي ادخلني البستان قال من ادخلك البستان قال الذي

اخرجني من البيت فقال اركبوه دآبة وطوفوا به في البلد وليقل قائل الا ان

هرون الرشيد اراد ان يذل عبدا اعزه الله تعالى فلم يقدر فان اخترت العز

بالاسباب خذلتك واسلمتك احوج ما تكون اليها وكنت في غاية الذل

والهوان حكي عن بعضهم انه قال رايت في الطواف رجلا وبين يديه شاكرية

يطردون الناس وبعد ذلك بمدة رايت انسانا يتكفف الناس على الجسر

ويسأل شيئا قال فكنت انظر اليه وشبهته بذلك الرجل فقال الايش تنظر

فقلت اشبهك برجل رايته في الطواف من شانه كذا وكذا فقال انا

ذلك الرجل تكبرت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني في موضع

يترفع فيه الناس قال في التنوير فان اعتززت بالله دام عزك وان

اعتززت بغيره فلا بقاء لعزك ابدا اذ لا بقاء لمن انت به معتز قال

وانشدنا بعض الفضلاء

ليكن بربك عزك كي يستقر ويثبت ۞ فان اعتززت بمن يموت فان عزك ميت

قال ودخل بعض العارفين وهو يبكي فقال ما شانك قال مات استاذي

فقال له ذلك العارف ولم جعلت استاذك من يموت ويقال لك

اذا اعتززت بغير الله فقدته واستندت الى غيره فعدمته وانظر

الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما

الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما الطي الحقيقي ان تطوي

مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة هي اقرب اليك منك طي مسافة

الدنيا انما تتصور من العبد اذا اشرق نور اليقين في قلبه فحينئذ

تنعدم الدنيا في نظره وتنطوي في اعتباره ويرى الآخرة حاضرة لديه

انسان علی

طی حقیقی با شراق نور الیقین

موجودة عنده بل يراها اقرب اليه منه اذ ذاته فانية منطوية

بهذا الاعتبار فمن كانت هذه مشاهدته لا يتصور منه حب

الفاني وهي الدنيا واستبداله بالحاضر الباقي وهو الآخرة ولذلك

كان اصل الرغبة في الدنيا وايثارها على الآخرة ضعف اليقين

فمن لم يشرق في قلبه نور اليقين لم يشاهد الملك الكبير ومن لم

يشاهده احب الدنيا وهي لا شيء فلم تكن قيمته عند الله شيئا فهذا

هي الطي الحقيقي لمسافة الذي يكرم الحق به اولياءه وبه يتحقق عبوديتهم

لربهم عز وجل لا الطي مسافة الارض الذي ربما تكون استدراجا

ومكرا ولا الطي الليالي والايام بالوصال للصيام وترك الشراب

والطعام اذ لا يتمحض طاعة وبرا وسيأتي من كلام المصنف

رحمه الله تعالى لو اشرق نور اليقين لرايت الآخرة اقرب من ان ترحل

اليها ولرايت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها

العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله احسان عطية الخلق

لك حرمان على التحقيق لما فيه من رؤيتك لغير الله تعالى ووقوفك

مع حظوظك وشهواتك ومنع الله تعالى لك احسان لانه الزمك

الوقوف ببابه وعافاك من وجود حجابه وان شئت قلت العطاء

من الخلق حرمان لما فيه من وجود محبتك لهم على ذلك وتقلده

منتهم في اخذ عطيتهم والمنع من الله احسان لانه حبيبك و

كلما يفعل المحبوب محبوب ۞ ولله در القائل ما قال

فلا البس النعما وغيرك ملبس ۞ ولا اقبل الدنيا وغيرك واهب

وفي وصية علي رضي الله عنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد

نعمة غيره عليك مغرما وقال بعض الحكماء حمل المنن اثقل من الصبر

على العدم وقال آخر عز النزاهة اشرف من سرور الفائدة وقال رضي الله عنه

فلا اقبل صح

جل ربنا ان يعامله العبد نقدًا فيجازيه نسيئة جزاء المعاملة لا
يختص بالدار الآخرة بل ربما اظهر الحق تعالى منه لبعض اوليائه في
الدنيا انموذجا يحملهم على الاجتهاد في الاعمال ويتحققون بوجود قبولها
في كل الاحوال وذلك لعظيم كرمه وعميم فضله سبحانه عز وجل وعلا
كفا من جزائه اياك على الطاعة ان رضيك لها اهلًا هذا بيان
جزائهم المعجل وهو انه عرفهم من عظمته وجلاله وكبريائه ما استحقروا
معه انفسهم ان يكونوا اهلًا لان يكلفهم القيام بطاعته ويمدهم
فيها بتيسره ومعونته فنبأهم حينئذٍ حبه واستولى عليهم قربه
فانخنست اذ ذاك نفوسهم واضمحل وجودهم وذهب بهم الحيا
كل مذهب فهذا هو غاية الجزاء ونهاية العطاء عند العلماء العارفين
الذين يمنعهم وجدانه عن التطلع الى غيره من الحظوظ الآجلة كفا
العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته وما هو مورده
عليهم من وجود مؤانسته هذا بيان اخر لما يكرمهم به من الجزاء
المعجل وهو ان العاملين لربهم يفتح لهم من المعارف ويورد على قلوبهم
من انواع اللطائف ما يتنسمون منه روح الانس ويتنعمون به
في حضرة القدس وهذا من علامات وجود علامة الرضوان الاكبر
الذي يتلاشا دونه كل جزاء ويستحقر كان بعضهم يقول التملق
للحبيب والمناجاة للقريب في الدنيا ليس من الدنيا هو من الجنة ظهر
لاهل الله في الدنيا لا يعرفه الا هم ولا يجد سواهم روحًا لقلوبهم
وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا
ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من طلاوة المناجاة وقال احمد
ابن ابي الحوارى رضي الله عنه دخلت على ابي سليمان الداراني يومًا وهو
يبكي فقلت له وما يبكيك فقال يا احمد ولم لا ابكي اذا جن الليل

جزاء العارفين على الطاعة في الدنيا

اهلها

ونامت العيون

ونامت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه وافترش اهل المحبة اقدامهم وخرت
دموعهم على خدودهم وتقاطرت في محاريبهم اشرف الجليل عليهم سبحانه و
تعالى فنادى يا جبريل بعيني من تلذذ بكلامي ويستروح الى ذكري واني مطلع
عليهم في خلواتهم اسمع انينهم وارى بكاءهم فلم لا تنادي فيهم يا جبريل
ما هذا البكاء هل رايتم حبيبًا يعذب احبابه ام كيف يجمل بي ان
اخذ قومًا اذا جنهم الليل تملقوا الي فبي حلفت اذا وردوا علي القيمة لاكشف
لهم عن وجهي الكريم حتى ينظروا الي وانظر اليهم وقال رضي الله عنه
من عبده لشيء يرجوه منه او ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما
قام بحقوق اوصافه عمل العاملين لاجل حصول الجزاء او فرارا من عقوبة
المولى مدخول معلول ليس من شان العارفين والمحققين لان قيام
العبد بحق اوصاف مولاه يقتضي ان لا يعمل لاجل حظه من جلب ثواب
او دفع عقاب لانه عبد يستحق عليه مولاه كل شيء ولا يستحق هو عليه
شيء وهذا من اعلام المحبة لله تعالى لان المحب مجتمع الهم بامر محبوبه
لا مراد له الا ما اراد فعلى العبد ان يعمل لربه عز وجل لاجل جلاله و
عظمته وما هو عليه من محامد صفاته التي لا يشارك فيها فان
خالف هذا وعمل على طلب حظه لم يقم بحق صفات مولاه وكان ذلك
نتيجة جهله وغفلته وعدم حبه لربه ومعرفته قال سهل بن عبد الله
التستري رضي الله عنه ما طلعت شمس ولا غربت على احدٍ على وجه الارض
الا وهم جهال بامر الله تعالى الا من يؤثر الله عز وجل على نفسه وروحه و
دنياه واخرته وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه ان
اود الاوداء الي من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها
وفيما نقل وهب بن منبه رضي الله عنه من الزبور ومن اظلم من عبدني
لجنة او لنار لو لم اخلق جنة ولا نارًا الم اكن اهلًا ان اطاع او كما قال

من عبد الله ليجر نفع او دفع ضر فعبادته مدخولة معلولة

عزوجل وفي اخبار عيسى عليه السلام اذا رايت التقي مشغوفاً في طلب الرب
فقد الهاه ذلك عما سواه ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد
قد احترقوا من العبادة كانهم الشنان فقال ما انتم فقالوا نحن عباد
فقال ولاي شيء تعبدتم قالوا خوفنا الله تعالى من ناره فخفنا منها
فقال حق على الله تعالى ان يؤمنكم مما خفتم منه ثم جاوزهم فمر باخرين
اشد عبادة منهم فقال لاي شيء تعبدتم فقالوا شوقنا الله تعالى الى
الجنان وما اعد فيها لاوليائه فنحن نرجوها فقال حق على الله تعالى
ان يعطيكم ما رجوتم ثم جاوزهم ومر باخرين يتعبدون فقال ما انتم
قالوا نحن المحبون لله عزوجل لم نعبده خوفاً من ناره ولا شوقاً الى جنته و
لكن حباً له وتعظيماً لجلاله فقال انتم اولياء الله حقاً معكم امرت ان
اقيم فاقام بين اظهرهم وفي لفظ آخر انه قال للاولين مخلوقاً خفتم
ومخلوقاً احببتم وقال للاخرين انتم المقربون قال الشيخ ابو طالب المكي
رضي الله عنه وممن روي عنه هذا القول واقيم في هذا المقام جماعة
من التابعين باحسان منهم ابو حازم المدني كان يقول اني لاستحي
من ربي ان اعبده خوفاً من العذاب فاكون مثل عبد السوء ان لم
يخف لم يعمل واني لاستحي من ربي ان اعبده لاجل الثواب فاكون
مثل الاجير السوء ان لم يعط اجرة عمله لم يعمل ولكن اعبده محبة
قال الشيخ ابو طالب رضي الله عنه وقد روينا معنى هذا الكلام عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكونن احدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا
كالاجير السوء ان لم يعط الاجرة لم يعمل وقال بعض اخوان معروف
الكرخي رضي الله عنه اخبرني عنك يا ابا محفوظ اي شيء اهاجك على
العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقلت ذكرت الموت فقال واي
شيء الموت قلت فذكر القبر قال واي شيء القبر فقلت خوف النار

ورجاء الجنة

ورجاء الجنة قال واي شيء هذا ان ملكاً هذا كله بيده ان احببته
انساك جميع هذا وان كان بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا
وقال ابو طالب المكي رضي الله عنه وحدثونا عن علي بن الموفق قال رايت
في النوم كاني دخلت الجنة فرايت رجلاً قاعداً على مائدة وملكان عن
يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو ياكل ورايت رجلاً
قائماً على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضهم الجنة ويرد آخرين
قال ثم جاوزتهما الى حضرة القدس فرايت في سرادق العرش رجلاً قد
شخص ببصره وينظر الى الله تعالى لا يطرف راسه فقلت لرضوان
من هذا قال معروف الكرخي رضي الله عنه عبد الله تعالى لا خوفاً من
ناره ولا شوقاً الى جنته بل حباً فقد اباحه النظر اليه الى يوم القيمة
وذكر ان الاخرين بشر بن الحارث واحمد بن حنبل رضي الله عنهما
وقال ابو طالب روينا عن رابعة العدوية رضي الله عنها كانت احد
المحبين وكان الثوري رضي الله عنه يجلس بين يديها فيقول
علمينا مما افادك الله تعالى من طرائف الحكمة وكانت تقول له نعم
الرجل انت لولا انك تحب الدنيا وكان يعترف لها ويسلم لقولها و
كان عالماً زاهداً الا انه كان يؤثر كتب الحديث والاقبال على الناس
وهي ابواب الدنيا وقال لها الثوري رضي الله عنهما يوماً لكل عبد شريطة
ولكل ايمان حقيقة فما حقيقة ايمانك فقالت ما عبدت الله
خوفاً من النار فاكون كالعبد السوء ان خاف عمل ولا حباً للجنة فاكون
كالاجير السوء ان اعطي عمل ولكن عبدته حباً له وشوقاً اليه و
الاثار والحكايات في هذا المعنى كثيرة لا تنحصر فاذا عمل المريد على ما ذكرنا
كان عبداً لله حقاً فان طلب منه الثواب او استعاذ به من العقاب
فانما يطلبه ويستعيذه انجاز الموعد ربه وفراراً من دعوى رؤية عدم

حظه واتباعًا لما احبه منه واذن له فيه من طلب لفضله و
احسانه وكرمه وامتنانه وهذا وما اشبهه هو المعنى بالحديث
المروى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لرجل ما تقول فى الصلوة قال اتشهد ثم اقول اللهم انى اسالك
الجنة واعوذ بك من النار اما والله ما احسن دندنتك ولا
دندنة معاذ فقال صلى الله عليه وسلم حولهما ندندن الا ان يكون
رجاؤه لحصول ذلك وخوفه من فقده باعثا له على القيام بطاعته
وملازمته عبادته فيكون عمله اذ ذاك مدخولا معلولا هذا
هو مذهب العارفين المحققين وعليه تبنى قواعد التصوف كلها
قال رضى الله عنه متى اعطاك اشهدك بره ومتى منعك اشهدك
قهره فهو فى كل ذلك متعرف اليك ومقبل بوجود لطفه عليك
المطلوب من العباد ان يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الصفات
العلية والاسماء الحسنى ولا سبيل لهم الى معرفته الا بتعرفه لهم و
تعرفه لهم انما يكون بما ينزله عليهم من النوازل ويورده عليهم
من الاحكام ثم هو على قسمين احدهما ما وافق الهوى والطبع
ويسمى ذلك عطاء وما خالفهما ويسمى ذلك منعا فبوجود العطا
تشهد صفاته البرية من الجود والكرم والاحسان واللطف
والعطف وغير ذلك وبوجود المنع تشهد صفاته القهرية
من الجبرية والكبرياء والعزة والاستغناء فينبغى لك ايها
العبد ان لا تفرق بينهما ان اردت معرفة ربك ولم يسترقك
حب حظك اذا منعه لك عطاء على التحقيق فهو فى كلتى
الحالتين منعم عليك ومقبل بوجود لطفه اليك وهذا هو من
بيان ما تقدم من قوله متى فتح لك باب الفهم فى المنع عاد المنع

لا تفرق بين
اثار اللطف والقهر عطاء
المنعت عارف

هو عين العطا والله اعلم قال سفيان الثوري رضى الله عنه
اتيت ابا حبيب البدوى اسلم عليه ولم اكن رايته فقال الى انت
سفيان الثورى الذى يقال قال قلت نعم اسال الله عز وجل بركة
ما يقال قال فقال لى يا سفيان ما راينا خيرا قط الا من ربنا
عز وجل قلت اجل قال فما لنا نكره لقاء من لم نر خيرا قط الا
منه ثم قال يا سفيان منع الله اياك عطاء منه لك وذلك
انه لم يمنعك من بخل ولا عدم وانما منعه نظرا منه واختيارا
يا سفيان ان فيك لانسا ومعك شغل قال ثم اقبل على غنيمته
وتركنى انما يولمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه اذا كان منع
الله وعطاؤه نعمتين كما ذكرناه الآن فينبغى ان يكون فى كليتهما
قرة عين المريد فان تالم بالمنع وتلذذ بالعطا فذلك لعدم فهمه
وقصور علمه بل الاكمل والافضل له ان يتالم بالعطا ويتلذذ
بالمنع كما قال ابرهيم الخواص رضى الله عنه لا يصح الفقر للفقير
حتى يكون فيه خصلتان احداهما الثقة بالله والثانية الشكر
لله فيما زوى عنه مما ابتلى به غيره من الدنيا ولا يكمل الفقير حتى
يكون نظر الله له فى المنع افضل من نظره له فى العطا وعلامة
صدقه فى ذلك ان يجد للمنع من الحلاوة ما لا يجد للعطا لا
يعرفه غير باريه الذى خصه بمعرفته واياديه فهو لا يرى سوى مليكه
ولا يملك الا ما كان من تمليكه وكل شئ له تابع وكل شئ له خاضع
ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول وقضى عليك
بالذنب فكان سببا للوصول ينبغى ان لا ينظر العبد فى صور الاشياء
ولينظر الى حقائقها وصور الطاعات لا تقتضى وجود القبول
لها لما قد تضمنته من الآفات القادحة فى الاخلاص فيها وذلك

التالم فى المنع للجهل بحكمة الله تعالى
فيما اراده للعبد من اللطف

وربما صار الطاعة غير مقبولة
وجعل الذنب سببا للوصول

مانع من وجود القبول لها ووجود صورة الذنب لا يقتضى الابعاد و
الطرد فربما يكون سببًا فى وصوله الى ربه وحصوله فى حضرة قربه كما
قيل رب ذنب ادخل صاحبه الجنة وقد جاء فى الحديث الصحيح عن ابى
هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال والذى نفسى
بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله
فيغفر لهم وذلك انه يصحبه عند عمله بالطاعة ان يعجب بها ويعتمد
عليها ويتكبر بفعلها ويستصغر من لم يفعلها ويصحبه عند وقوعه
فى الذنب الالتجا الى الله تعالى والاعتذار اليه منه واستصغار نفسه
وتعظيم من لم يفعله قال ابو حازم رضى الله عنه ان العبد ليعمل
الحسنة تسره حين يعملها وما خلق الله تعالى له من سيئة اضر له
منها وان العبد ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها وما خلق الله من
حسنة انفع له منها وذلك ان العبد حين يعمل الحسنة تسره فيفتخر
فيها ويرى ان له فيها فضلا على غيره ولعل الله تعالى ان يحبط معها
عملا كثيرا وان العبد ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها ولعل الله
تعالى ان يحدث له بها وجلا حتى يلقا الله تعالى وان خوفها فى جوفه لباق
ثم بين المؤلف رحمه الله تعالى فى هذا المعنى بقوله معصية اورثت
ذلا وافتقارا خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا الذل والافتقار
من اوصاف العبودية والعز والاستكبار مناقضان لها لانهما
من صفات الربوبية ولا خير فى الطاعة اذا لزم عنها شئ مما يناقض
صفات العبودية لانها تحبطها وتبطلها كالامبالات بالمعصية اذا
لازمتها صفات العبودية لانها ايضا تمحها وتزيلها قال سيدى
ابو مدين رضى الله عنه انكسار العاصى خير من صولة المطيع وكان
سيدى ابو العباس المرسى كثير الرجاء لعباد الله تعالى الغالب عليه شهود

واسع الرحمة وكان يكرم الناس على نحو رتبهم عند الله تعالى حتى انه
ربما دخل عليه مطيع فلا يبتهل به وربما دخل عليه عاص فاكرمه
لان ذلك الطايع اتى وهو متكبر بعمله ناظر الى فعله وذلك
العاصى دخل عليه بكثرة معاصيه وذلة مخالفته وقد تقدم مثل
هذا عند قوله لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن
بالله تعالى فمن هذا المعنى ما روى عن ابان بن ابى عياش رضى الله عنهما
انه قال خرجت يوما من عند انس بن مالك بالبصرة فرأيت
جنازة يحملها اربعة من الزنج ولم يكن معهم رجل آخر فقلت سبحان
الله سوق البصرة وجنازة مسلم لا يتبعها احد فلاكونن خامسهم
فمضيت معهم فلما وضعوها بالمصلى قالوا تقدم فقلت انتم
اولى به فقالوا كلنا سواء فتقدمت فصليت عليه وقلت
لهم ما القصة قالوا اكترتنا تلك المرأة قال فقعدت حتى دفنوه
فلما كان بعد ساعة انصرفت تلك المرأة وهى تضحك فدخل فى
قلبى شئ فقلت لها لا ينجيك الا الصدق فاخبرينى ايش القصة
فقالت لى هذا ابنى ما ترك من المعاصى شيئا الا فعله فمرض ثلاثة
ايام فقال يا اماه اذا امت فلا تخبرى بوفاتى جيرانى فانهم
لا يحضرون جنازتى بل يشمتون بموتى واكتبى على خاتمى هذا لا اله
الا الله محمد رسول الله واجعليه على كفنى فلعل الله ان يرحمنى وضعى
رجلك على خدى وقولى هذا جزاء من عصى الله فاذا دفنتينى فارفعى
يدك الى الله تعالى وقولى انى رضيت عنه فارض عنه فلما مات
فعلت جميع ما اوصى به فلما رفعت يدى الى السماء سمعت صوتا
بلسان فصيح انصرفى يا اماه فقد قدمت على رب كريم رحيم غير
غضبان على فانما ضحكت من هذا ومن هذا المعنى الاخر ما روى

حكاية عجيبة

ان رجلاً من بني اسرآءيل اتى عابداً من بني اسرآءيل فوطئ رقبته وهو ساجد فقال له العابد ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله تعالى ايها المتالى على بل انت لا يغفر الله لك قال الحارث المحاسبي رضي الله عنه لانه انما تالى على الله تعالى ان لا يغفر له لعظيم قدر نفسه عنده وان الآسآءة اليه عند الله عظيمة لا يغفرها الله تعالى لعبادته وسجوده لانه عند نفسه عظيم القدر عند الله تعالى فجمع بين الكبر والعجب واغتر بالله تعالى ومن المغنيين جميعاً ما روى ان عيسى عليه السلام خرج ومعه صالح من صالحي بني اسرآءيل فتبعهما رجل خاطى مشهور بالفسق فقعد منتبذاً عنهما منكسراً فدعا الله تعالى وقال اللهم اغفر لي ودعا هذا الصالح وقال اللهم لا تجمع بيني وبين ذلك العاصي فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام قد استجبت دعاءهما جميعاً ورددت دعاء ذلك الصالح وغفرت لذلك المجرم وروي ايضاً عن خالد بن ايوب قال ان رجلاً كان في بني اسرآءيل كان يقال له خليع بني اسراءيل لكثرة فساده مر برجل آخر من بني اسراءيل يقال له عابد بني اسراءيل وعلى راس العابد غمامة تظلله فقال الخليع في نفسه انا خليع بني اسراءيل وهذا عابد بني اسراءيل فلو جلست اليه لعل الله ان يرحمني به فجلس اليه فقال العابد في نفسه انا عابد بني اسرآءيل يجلس الي فانف منه فقال له قم عني فاوحى الله عز وجل الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستانفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وفي حديث آخر فتحولت الغمامة على راس الخليع قال الحارث المحاسبي رضي الله عنه وانما اراد الله عز وجل من عباده قلوبهم فتكون جوارحهم تبعاً لقلوبهم فاذا تكبر العابد والعالم وانفا وتواضع الجاهل والعاصي وذل

وهذا الخليع بني اسرائيل

هيبة لله عز وجل وفزعا منه وخوفا فهو اطوع لله عز وجل من العابد والعالم بقلبه نعمتان ما خرج موجود عنهما ولا بد لكل مكون منهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد نعمة الايجاد ونعمة الامداد نعمتان لازمتان لكل مكون موجود باق لانه في ذاته معدوم متلاشي فنعمة الايجاد ازالة العدم السابق ولولا ذلك لم يزل معدوماً ونعمة الامداد ازالة العدم اللاحق ولولا ذلك لتلاشي وفني وقال سيدي ابو مدين رضي الله عنه الحق تعالى مستبد والوجود مستمد والمادة من عين الجود فلو انقطعت المادة لانهدم الوجود وهذه توطئة لما يريد بيانه من الفقر الذاتي للعبد انعم عليك اولا بالايجاد وثانيا بتوالي الامداد هذا الحد جزئيات الكلية المتقدمة وهو وجودك ودوام وجودك ومما لا ينبغي ان يتغافل عنه من انواع هذا الجنس نعمة ايجاد الايمان ومحبة الطاعة في قلبك وامدادهما وكذلك كراهية الكفر والمعصية فان ذلك من النعم العظيمة التي لا مدخل للعبد فيها ولا له وسيلة اليها ولولا تولي الله تعالى له بتبينك النعمتين في القسمين لالقاه في ظلمات الضلالات وغرق في بحار الجهالات والضلال وقد نبه الله عز وجل في كتابه العزيز على هذا المعنى فقال عز من قايل ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون ثم قال فضلا من الله ونعمة قال ابو القاسم القشيري رضي الله عنه وان من افكر في صنوف الضلال وكثرة طرق المحال وشدة اغاليط الناس في البدع والاهواء وما يتشعب بكل قوم من مختلفي النحل والارآء ثم افكر في ضعفه ونقصان عقله وكثرة تحيره في الامور وشدة جهله وتناقض تدبيره في احواله وشدة فقره الى الاستعانة باشكاله في اعماله ثم راى خالص يقينه وقوة استبصا

نعمة الايجاد والايمان ومحبة الطاعة وكراهية الكفر والمعصية من النعم التي لا مدخل فيها للعبد

8

فى دينه وتقا وجه توحيده عن غيرة الشرك وصفا عين عرفانه
عن وجه الشك علم ان ذلك ليس من طاقته لا بجهده وكده وسعيه
وجده بل بفضل ربه وسابغ طوله قال تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة فهو الظاهر بنعمائه واثار نعمه عليك متظاهرة والباطن
بالائه وزوائد كرمه لديك متواترة انتهى فعلى العبد ان يعرف
قدر هذه النعمة ويتوكل على مولاه فى بقائها وحفظها عليه ولا يعتمد
فى ذلك على عقله وعمله قال بعض العارفين من نظر فى توحيده الى
عقله لم ينجه توحيده من النار قال وعن ذى النون المصرى رضى الله
عنه ما هو قريب من هذا قال من كان فى توحيده ناظرا الى نفسه
لم ينجه توحيده من النار حتى يكون نظره فى توحيده الى الله عز وجل
فهذا هو شكر هذه النعمة العظيمة قال ابو طالب المكى بعد ان ذكر
ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله احبوا الله تعالى لما
اسدى اليكم من نعمه ولما يغذوكم به ايضا فمن افضل ما غذانا به نعمة
الايمان والمعرفة به وغذاه لنا منه دوام ذلك ومدده علينا بروح منه
وتثبيت عليه فى تصريف الاحوال اذ هو اصل الاعمال التى هى مكان
النوال فلو قلب قلوبنا عن التوحيد كما يقلب جوارحنا فى الذنوب بل لو
قلب قلوبنا فى الشك والضلال كما يقلب نياتنا فى الاعمال الى شئ كنا
نصنع وعلى اى شئ كنا نعول وباى شئ كنا نظهر ولاى شئ كنا نرجو فهذا
من كبار النعم ومعرفته هو شكر نعمة الايمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة
الايمان توجب العقوبة وادعاء الايمان انه عن كسب معقول واستطاعة
بقوة وحول هى كفر نعمة الايمان واخاف على من توهم ذلك ان يسلب
الايمان لانه بدل شكر نعمة الله كفرا انتهى كلام ابى طالب رضى الله عنه
وهو حسن فى هذا المعنى فاقتك لك ذاتية وورود الاسباب مذكرات لك

فاقة العبد ذاتية لا تزول ابدا كما ان الغنى ذاتية للرب

بما خفى عليك منها والفاقة الذاتية لا تدفعها العوارض اذا ثبت
ان نعمتى الايجاد والامداد لازمتان لك وانك فى ذاتك عدم لولا هما
فالفاقة اذا ذاتية لك والاضطرار لازم لوجودك فان كنت غنيا
بوجود النعمتين المذكورتين فان ذلك امر عرضى والامور الذاتية
لا تزيلها الامور العرضيات وانما اورد عليك الاسباب التى تضاد
وجودك وبقاء وجودك ليذكرك بذلك ما خفى عليك من وجود
الفاقة الذاتية لك والاضطرار اللازم لوجودك فتلازم مركزك
وتقوم بحق عبوديتك ولا تجاوز حدك وطورك قال بعضهم
انما حمل فرعون المدة قال انا ربكم الاعلى طول العوافى والغنا لبث
اربعمائة سنة لم يصدع راسه ولم يحم جسده ولم يضرب عليه عرق
فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة ساعة واحدة والمليلة
كل يوم لشغله ذلك عن دعوى الربوبية قال فى لطائف المنن
والاضطرار تعطيه حقيقة العبد اذ هو ممكن وكل ممكن مضطر
الى ممده ومدد يمده وكان الحق تعالى هو الغنى ابدا فالعبد مضطرا
اليه ابدا او لا يزايل العبد هذا الاضطرار لا فى الدنيا ولا فى الاخرة
ولو دخل الجنة فهو محتاج الى الله تعالى فيها غير انه غمس اضطراره
فى المنة التى افرغت عليه ملابسها وهذا هو حكم الحقايق اذ لا
يختلف حكمها لا فى الغيب ولا فى الشهادة ولا فى الدنيا ولا فى الاخرة
فالعلم صفة الكشف اى علم كان وفى اى وقت كان والارادة
صفتها التخصيص لى ارادة كانت وفى اى وقت كانت ومن
اتسعت انواره لم يتوقف اضطراره وقد عتب الله تعالى
اقواما اضطروا اليه عند وجود اسباب الجاتهم الى الاضطرار فلما
زالت زال اضطرارهم قال الله تعالى واذا مسكم الضر فى البحر ضل

الآية وقال عز وجل واذا مسّ الانسان الضرّ دعانا لجنبه الآية وقال
جل جلاله قل من ينجّيكم من ظلمات البرّ والبحر الآيتين الى غير ذلك
من الآيات الواردات في مثل هذا المعنى ولما لم تصل عقول العموم الى
ما تعطيه حقائق وجوداتهم سلّط الله عليهم للاسباب المثيرة
للاضطرار فيعرفوا قهر ربوبيّته وعظمة الهيبة انتهى خير اوقاتك
وقت تشهد فيه وجود فاقتك وتردّ فيه الى وجود ذاتك انما كان
هذا خير اوقاتك لك بوجود حضورك فيها مع ربّك وانقطاع
نظرك عن الوسايط والاسباب الموجبة لبعدك وحجبك فهي
لا محالة خير اوقاتك وهي مواسمك واعيادك على حسب ما
يقوله المؤلف رحمه الله تعالى بعد هذا يحكى عن عطاء السلمي
انه بقي سبعة ايام لم يذق شيئا من الطعام ولم يقدر على شئ
فسرّ قلبه بذلك غاية السرور فقال يا ربّ ان لم تطعمني ثلاثة
ايام اخر لاصلّين لك الف ركعة وقيل ان فتحا الموصلي
رضي الله عنه رجع ليلة الى بيته فلم يجد عشاء ولا سراجا ولا
حطبا فاخذ يحمد الله تعالى ويتضرّع اليه ويقول الهي لاي سبب
وباي وسيلة واستحقاق عاملتني بما تعامل به اولياءك وقال
بشر بن الحارث رضي الله عنه بلغني ان بنتا لفتح الموصلي عريت
فقيل له الا تطلب من يكسوها فقال لا ادعها حتى يرى الله عريها
وصبري عليها قال وكان ليالي الشتا جمع عياله اليه ومال
بكسائه عليهم ثم قال اللهم افقرتني وافقرت عيالي واعريتني
واعريت عيالي وجوّعتني وجوّعت عيالي باي وسيلة توسّلت
اليك وانما تفعل هذا باوليائك واحبائك فهل انا منهم حتى
افرح وقيل ان فضيل بن عياض رضي الله عنه بكا في ليلة مرة

فقال

فقال الهي اجعتني واجعت عيالي واعريتني واعريت عيالي
واقعدتني واقعدت عيالي في بيت ليس فيه مصباح وقد ما
تفعل هذا باوليائك واهل طاعتك الهي فباي عمل استحققت
هذا منك حتى ادوم لك عليه وقيل للربيع بن خثيم رضي الله عنه
قد غلا السعر فقال نحن اهون على الله تعالى من ان يجيعنا انما
يجيع اولياءه وقال رضي الله عنه متى اوحشك من خلقه فاعلم
انه يريد ان يفتح لك باب الانس فتح باب الانس بالله تعالى الاستيحاش
من الناس ولذلك قيل الاستيناس بالناس من علامات الافلاس
واذا فتح لك هذا الباب استوحشت من الاغيار كلها وتحققت
في انسك بربك ومعنى الوحشة منها ان تشمئز منها بقلبك وتنقبض
عنها بسرك ولا يكون للاشياء وقع عندك ولا تجد فيها مقنعا
لك كما جاء عن ابي يزيد رضي الله عنه حين اطلعه الله على انواع
من العجائب وروّحه باسنى الغرائب وكشف له عن الملكوت الاعلى
فقيل له هل استحسنت شيئا منها فقال لم ار شيئا استحسنه
فقيل له انت عبد الله حقا فاذا كان العبد على هذا الوصف كان
ذلك علامة على تحققه بمقام الانس ونزوله في حضرة القدس
وسيأتي هذا المعنى في قوله في مناجاته ربّ انت المونس لهم حيث
اوحشتهم العوالم وقال رضي الله عنه متى اطلق لسانك بالطلب
فاعلم انه يريد ان يعطيك اطلاق اللسان بالطلب هو ان يحلّ عنه
عقدة الصمت الذي اوجبه الاستغناء بالاغيار وعدم رؤية
الفاقة والافتقار فاذا حلّ عنه هذه العقدة بشهود فقره و
فاقته وانطلق لسانه بالطلب كان اذ ذاك داعيا بلسان الاضطرار
وكان مجاب الدعوة لصدق الموعد باجابة دعوة المضطر والله

وحشة العبد عن الخلق
علامة فتح باب الانس

اطلاق اللسان بالطلب
من علامات اعطاء الله الحاجة
للعبد

لا يخلف الميعاد وانشدوا

لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه * من فيض جودك ما علمتني الطلبا

وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من اذن له في الدعاء منكم فتحت له ابواب الرحمة وما يسئل الله شيئا
قط احب اليه من ان يسأل العفو والعافية في الدنيا والآخرة وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اعطي الدعاء لم يحرم الاجابة
قال الشيخ ابو زكريا الخفاق رضي الله عنه وكيف لا يجيبه وهو يحب صوته
ولولا ذلك ما فتح له باب الدعاء عن انس بن مالك رضي الله عنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا اصب عليه البلاء صبا و
سحه عليه سحا فاذا دعا قالت الملائكة صوت معروف وقال جبريل
يا رب عبدك فلان اقض حاجته فيقول الله دعوا عبدي فاني احب
ان اسمع صوته فاذا قال يا رب قال الله تعالى لبيك عبدي وسعديك
لا تدعوني بشيء الا استجبت لك ولا تسألني شيئا الا اعطيتك اما
ان اعجل لك ما سألت واما ادخر لك عندي افضل منه واما ان ادفع
عنك من البلاء ما هو اعظم من ذلك العارف لا يزال اضطراره ولا
يكون مع غير الله قراره معرفة العارفين هي معرفتهم بانفسهم وبما هي عليها
من الفاقة والافتقار الى العزيز الجبار وبقدر ما يتحققون بذلك في
انفسهم تكون معرفتهم بالله عز وجل كما جاء في الخبر من عرف نفسه
عرف ربه فلذلك كان العارف لا يفارقه الاضطرار قال ابو العباس
المرسي رضي الله عنه في قوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه الولي لا
يزال مضطرا قال ابن عطاء معنى كلام الشيخ ان العامة اضطرارهم
بمثيرات الاسباب فاذا زالت الاسباب زال اضطرارهم وذلك لغلبة
دائرة الحس على مشهدهم فلو شهدوا قبضة الله تعالى الشاملة المحيطة

لعلموا ان اضطرارهم الى الله تعالى دائم وانما لم يكن له مع غير الله تعالى
قرار لوجود وحشته من الاشياء ونفوره بقلبه عنها كما تقدم وكان
رحمه الله تعالى قصد بهذا ان يعلمك ان ما تقدم من الاستيحاش
من الخلق وانطلاق اللسان بالطلب من الحق نعتان من نعوت
العارفين انار الظواهر بانوار اثاره وانار السرائر بانوار اوصافه
لاجل ذلك افلت انوار الظواهر ولم تافل انوار القلوب والسرائر ولذلك
قيل ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب انوار
الظواهر التي بها انارها الحق هي الادراكات والاحساسات والحركات
التي اتصف بها ظاهر العبد وانوار السرائر التي بها انارها الحق
تعالى هي المعارف والعلوم ولطائف الادراكات والفهوم التي اشتمل
عليها باطنه وسره فانوار الظواهر متعلقة بانوار الآثار الحادثات
وانوارها معانيها ولطائفها المستكنة فيها وانوار السرائر متعلقة بانوار
الصفات الازليات ولاجل اختلاف المتعلقين في الحدوث
والقدم والفناء والبقاء كان ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى من
افول انوار ما تعلق بالحادثات الفاني وعدم افول ما تعلق بالقديم
الباقي ثم انشد المؤلف مستشهدا به على ما ذكرناه ومعناه بين

طلعت شمس من احب بليل * فاستضاءت فلا تلاها غروب

وفي هذا تنبيه على ان الامور الباقية التي ينبغي ان يغتبط بها و
يفرح بحصولها ويعتني بترتيبها ومراعاة حالها بخلاف الامور
الفانية الآفلة فحينئذ يكون العبد على ملة ابرهيم عليه السلام
حيث قال لا احب الآفلين يروى ان رجلا سأل سهل بن عبد الله
عن القوت فقال هو الحي القيوم الذي لا يموت فقال انما سألناك
عن القوام قال القوام هو العلم قيل سألناك عن الغذاء قال الغذاء

العارف لا يزال مضطرا

فرق انوار الظواهر وانوار السرائر

البيت المذكور

لعلموا

هو الذكر قال انما سالناك عن طعم الجسد قال مالك والجسد دع من يتولاه او لا يتولاه آخرا اذا دخلت عليه علة فرده الى صانعه اما رايت الصنعة اذا ما عيبت ردوها الى صانعها حتى يصلحها وفي معناه انشدوا بيت

شعر

كمل حقيقتك التي لم تكمل ٭ والجسم دعه في الحضيض الاسفل
اتكمل الفاني وتترك باقيا ٭ هملا وانت بامره لم تحفل
فالجسم للنفس النفيسة آلة ٭ ما لم تحصله بها لم يحصل
تغنى وتبقى دائما في غبطة ٭ او شقوة وندامة لا تنجلي
اعطيت جسمك خادما فخدمته ٭ اتملك المفضول رق الافضل
شرك كثيف انت في حبلاته ٭ ما دام يمكنك الخلاص فعجل
من يستطيع بلوغ اعلا منزل ٭ ما باله يرضى بادنى منزل

وقيل في معناه ايضا

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته ٭ وتطلب الربح مما فيه خسران
عليك بالنفس فاستكمل فضيلتها ٭ فانت بالنفس لا بالجسم انسان

وقال رضي الله عنه ليخفف الم البلاء عليك علمك بانه سبحانه وتعالى هو المبتلي لك فالذي واجهتك منه الاقدار هو الذي عودك حسن الاختيار اذا علم العبد ان الله رحيم به ومتعطف عليه وناظر اليه فكلما يورده عليه من انواع البلايا والرزايا ينبغي له ان لا يكترث بذلك ولا يبالي به فانه لم يتعود منه الا خيرا فليحسن به ظنه وليعتقد ان ذلك اختيار له وان له في ذلك مصالح خفية لا يعلمها الا هو كما قال تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم قال ابو طالب المكي رضي الله عنه في هذه الآية فالعبد يكره العيلة والفقر والخمول والضر وهو خير

طريق حسن الظن به تعالى للمبتلى بالبلايا

له في الآخرة وقد يحب الغنا والعوافي والشهرة وهو شر له عند الله تعالى واسوء عاقبة وفي معنى قوله عز وجل واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قيل ظاهرة العوافي وباطنة البلايا لانها نعمة في الآخرة فاذا كل ما يصيب المؤمن فهو نعمة كائنا ما كان والحمد لله على نعمه قال في التنوير انما يقويهم على حمل اقدار شهود حسن اختياره

وانشد له لنفسه بهذه البيتين

وخفف عني ما الاقي من العنا ٭ بانك انت المبتلي والمقدر
وما الامر عما قضى الله معدل ٭ وليس له منه الذي يتخير

وكان الاستاذ ابو علي رضي الله عنه يقول لحرمت مرة وكنت في صورة وحشية من ذلك فدخلت الحمام ففتح على قلبي بشيء من الرضى فكنت الثم كل واحدة من تلك القروح فخرجت ولم يبق منها اثر وقال الاستاذ ابو القاسم القشيري رضي الله عنه سمعت الاستاد ابا علي الدقاق رضي الله عنه يقول في اخر عمره وقد اشتد به العلة من امارات التاييد حفظ التوحيد في اوقات الحكم ثم قال كالمفسر لقوله مشيرا الى ما كان فيه من حاله هو ان يقرضك بمقاريض القدرة في امضاء الاحكام قطعة قطعة وانت شاكر حامد وقال الجنيد رضي الله عنه كنت نائما عند سري السقطي رضي الله عنه فانبهني وقال لي يا جنيد رايت كاني واقف بين يديه فقال لي يا سري خلقت الخلق وكلهم ادعوا محبتي وخلقت الدنيا فهرب مني تسعة اعشارهم وبقي معي العشر فخلقت الجنة فهرب مني تسعة اعشار العشر وبقي معي عشر العشر فخلقت النار فهرب مني تسعة اعشار العشر وبقي معي عشر عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء

بيان خلاصة الخلائق بعد هروب الهوارب منه تعالى

فهرب مني تسعة اعشار عشر العشر فقلت للباقين معي لا للدنيا اردتم
ولا للجنة اخذتم ولا من النار هربتم فماذا تريدون قالوا انك
تعلم ما نريد فقلت لهم اني مسلط عليكم من البلا بعدد انفاسكم
ما لا تقوم له الجبال الرواسي تصبرون قالوا اذا كنت انت المبتلي
فافعل ما شئت فهؤلاء عبادي حقا حقا **من ظن انفكاك لطفه
عن قدره فذلك لقصور نظره** وقصور النظر في عدم رؤية
اللطف في القدر من ضعف اليقين وقلة حسن الظن بالمقدر الحكيم
اذ لو كمل نظر العبد وقوي بصره لراى في ذلك من الفوائد و
المصالح ما لا يحصى وما غاب عنه اكثر ولكان كما **روي عن بعض
الصالحين** العارفين انه قال لقد مرضت مرضة فاحببت ان لا
تزول وكان عمران بن الحصين رضي الله عنه قد استسقى بطنه
فلبث على ظهره ملقا سطيحا ثلثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد
نقب له سرير من جريد وكان تحته ثقب لغائطه وبوله فدخل عليه
مطرف واخوه العلا ابن الشخير فجعل يبكي لما راى من حاله فقال
له لم تبكي قال لاني اراك على هذه الحالة العظيمة فقال لا تبك
فان احبه الى احبه الى الله تعالى **ثم قال** احدثك بشيء لعل الله
ينفعك به واكتم علي حتى اموت ان الملائكة تزورني فآنس بها
وتسلم علي فاسمع تسليمها **وقال بعضهم** دخلنا على سويد بن شعبة
نعوده فراينا ثوبا ملقا ما ظننا ان تحته شيئا حتى كشف فقالت
له امرأته اهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت
الضجعة ودبرت الحراجيف واصبحت نضوا ما اطعم طعاما
ولا اسيغ شرابا منذ كذا فذكر اياما ثم قال ما يسرني اني
نقصت من هذا قلامة ظفر فهؤلاء شاهدوا في بلاياه عطايا

وفي محنته

وفي محنته منته وفي عنفه لطفه فاوجب لهم ذلك من الرضا
بما هم فيه والتنعم به والتلذذ ما حملهم على ان لا يحبوا زوال ذلك
ولا نقصانه ووجود الالطاف والمنن في البلايا لا يحصى ولكنا
نذكر منها هاهنا ما يزداد المريد به قوة وحسن ظنه بربه عز وجل
ويحمله ذلك على القيام بواجبها فنقول البلايا التي يبتلي الله تعالى
بها عباده مناقضة لاراداتهم ومنغصة لشهواتهم وكلما ازعج
النفس ونغصها والمها فهو محمود العاقبة من قبل ان ذلك مراد
الله وملازمة بابه بصدق الرجا والافتقار وهذا هو اعظم
فوائد البلايا ويجد ذلك من نفسه كل من نزلت به بلية او اصابته
رزية وفيها ايضا ضعف وذهاب قوتها وبطلان صفاتها
اذ بوجود ذلك يقع العبد في الذنوب والمعاصي ويتاكد منه
الرغبة في الدنيا والحرص على اتباع الهوى وقد قيل لا يخلو المؤمن
من علة او عيلة او قلة او ذلة **وفي الخبر عن الله تعالى** الفقر سجني
والمرض قيدي احبس بذلك من احببت من عبادي وفيها ايضا
يحصل له طاعة القلوب واعمالها وذرة منها خير من امثال الجبال
من اعمال الجوارح وذلك مثل الصبر والرضى والزهد والتوكل
وحب لقاء الله تعالى **وقيل** لعبد الواحد بن زيد رضي الله عنه
هاهنا عبد قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال له حبيبي
اخبرني عنك هل قنعت به فقال لا قال فهل انست به قال لا
قال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما مرادك منه الصلوة والصيام
قال نعم قال لولا اني استحيي منك لاخبرتك ان معاملتك خمسين
سنة مدخولة **قال ابو طالب المكي** رضي الله عنه اراد بذلك انه لم
يرفعك باعمالك الى مقام المقربين فيوجدك مواجد العارفين

ذكر الطاف الله تعالى في بلاياه

فيكون مزيدك منه اعمال القلوب التى تستعمل بها كل محبوب مطلوب
لان القناعة بر حال الموقن والانس مقام المحبة والرضا وصف التوكل
اى انما انت عنده فى طبقة اصحاب اليمين فمرادك منه مراد العموم من
اعمال الجوارح وهذا اشارة الى ما قلناه من افضلية اعمال القلوب على اعمال
الجوارح فمن وفقه الله تعالى الى منازل هذه المقامات وتوفية حقوقها
فى البلايا النازلة به فقد حصل على كل كنوز البر ذكر ابو ابرهيم بن اسحق
ابن ابرهيم النجيبى القرطبى المكى رحمه الله فى كتاب النصايح له ان عروة بن
الزبير رضى الله عنه امتحن بقرحة فى ساقه بلغت بره الى نشر عظم
ساقه فى الموضع الصحيح منها فقال له الاطباء الا نسقيك مرقدا فلا
تحس ما نصنع بك فقال لا ولكن شانكم بها فنشرت الساق ثم
حسمت بالنار فما حرك عضوا ولا انكر منه حتى مسته النار
فما زاد على ان قال حسن قال واصيب حينئذ ابنه محمد وكان من احب
ولده اليه فلما راى القدم بيد بعضهم قال اما ان الله تعالى يعلم انى لم
امش بها الى معصية قط ثم قال يا غلام اغسلها وكفنها وادفنها
فى مقابر المسلمين ثم جعل يقول ليهنك لئن اخذت لقد ابقيت وان
ابتليت لقد عافيت ولئن اخذت لطالما اعطيت وذكر بن قتيبة
فى عيون الاخبار له عن المداينى قال قدم رجل من عبس ضرير محطوم الوجه
على الوليد فسأله عن سبب ضرره قال بت ليلة فى بطن وادى ولا اعلم
على وجه الارض عبسيا يزيد ماله على مالى فطرقنا سيل فذهب بما كان
لى من اهلى ومالى وولدى الا صبيا رضيعا وبعيرا صعبا فند البعير
والصبى معى فوضعته واتبعت البعير لاحبسه فما جاوزت الا
وراس الولد فى بطن الذئب قد اكله فتركته واتبعت البعير فاستدار
ورمحنى رمحة حطم بها وجهى فاذهب عينى فاصبحت لا مال ولا اهل

حكايات الاولياء ومصايبهم في مصايبهم

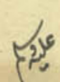
ولا ولد

ولا ولد ولا بدن قال فقام الوليد فقال اذهبوا به الى عروة ليعلم
ان فى الناس من هو اعظم بلاء منه وروى عن عبد الواحد بن زيد
رضى الله عنه انه خرج مع بعض اخوانه الى ناحية من نواحى البصرة
فاواهم السير الى كهف جبل واذا فيه عبد مقطع بالجذام يسيل
جسده قيحا وصديدا فقال له يا هذا لو دخلت البصرة فعالجت
نفسك من هذا الذى بك فرفع طرفه الى قبة السماء وقال يا سيدى
باى ذنب سلطت على هؤلاء ليسخطونى عليك ويكرهوك الى
يا سيدى لك العتبى من ذلك الذنب واستغفرك لا اعود ابدا
قال ثم اعرض عنا بوجهه فانصرفنا وتركناه رضى الله عنه وروى
عن بشر بن الحارث الحافى رضى الله عنه انه قال رايت ببغداد رجلا
قد قطعه البلا وقد سالت حدقتاه على خديه وهو فى ذلك كثير
الذكر عظيم الشكر لله تعالى قال واذا هو قد صرع من جنبه بر قال
فوضعت راسه فى حجرى وجعلت اسال الله تعالى ان يكشف ما
به وادعوا له فافاق فسمع دعائى له فقال من هذا الفضولى الذى
يدخل بينى وبين ربى ويعترض عليه فى نعمته على وبحار اسه من
حجرى قال بشر رضى الله عنه فاعتقدت ان لا اتعرض على عبد
فى نعمة اراها عليه من البلاء وروى فى بعض الاخبار ان يونس
وجبريل عليهما السلام التقيا فقال يونس لجبريل دلنى على اعبد
اهل الارض فاتى به على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه قال
واذا هو يقول متعتنى بهما حيث شئت وسلبتهما حيث شئت
وابقيت لى فيك الامل يا بر يا وصول فقال يونس يا جبريل انما
سالتك ان ترينى صواما قواما فقال له ان هذا كان قبل البلاء
هكذا وقد امرت ان اسلبه بصره فاشار الى عينيه فسالتا

فقال متعتني بهما حيث شئت وسلبتهما حيث شئت وابقيت
لي فيك الامل يا برّ يا وصول فقال جبريل عليه السلام هلم تدعوا وندعوا
معك ان يرد الله عليك يدك ورجلك ونظرك فتعود الى العبادة
التي كنت فيها فقال لما احب ذلك قال ولم قال اذا كانت محبته
في هذا فمحبته احب الي من ذلك قال يونس يا جبريل تالله ما
رايت احدًا اعبد من هذا قال جبريل يا يونس لان هذا طريق ليس
يوصل الى رضاه بشيء افضل منه وفي الخبر اذا احب الله عبدًا
ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضي اصطفاه وفيها ايضا يحصل
له كفارة الذنوب والخطايا ويستوجب من الله تعالى جزيل الهبات
والعطايا ولا سبيل له الى ذلك الا بما يرد عليه من انواع البلايا لان
العبد قد يعجز عن القيام بوظائف الطاعات ويتكاسل عن المواظبة
على نوافل الخيرات فيكون حينئذ محرومًا من ثوابها غير حاصل
له تكفير سيئاته بها وان قدر عليها ولم يتكاسل عنها من له
بتخليصها عن الشوائب وتسليمها من الآفات والمعائب وحينئذ
يبطل عمله ويخيب من ايقاعه به امله فليحسن العبد ظنه بمولاه
وليعلم انما يختاره له خير مما يختاره لنفسه بشهوته وهواه
فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال للرجل الذي قال
اوصني قال لا تتهم لله تعالى في شيء قضاه عليك وذكر مسلم رحمه
الله تعالى من حديث صعيب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم عجبًا لامر المؤمن ان امره كله له خير وليس ذلك لاحد
الا للمؤمن ان اصابته سراء شكر فكان خيرًا له وان اصابته ضراء
صبر فكان خيرًا له وذكر البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابي
هريرة وابي سعيد الخدري رضي الله عنهما انهما سمعا رسول الله صلى الله

ف الخبر المبشر للمبتلي بالبلايا

عليه وسلم يقول ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن
حتى الهم يهمه الا كفر به من سيئاته وذكرا ايضًا من حديث ابن مسعود
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه
اذًى من مرض فما سواه الا حط به عنه من سيئاته كما تحط
الشجرة ورقها وذكر البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله
عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يشاك بشوكة
فما فوقها الا كتب له درجة ومحيت عنه بها خطيئة وذكر البخاري
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
يرد الله به خيرًا يصب منه وفي حديث انس بن مالك
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المريض
اذا برأ وصح من مرضه كمثل البردة تقع من السماء في صفائها
ولونها وروي عن عيسى عليه السلام انه قال لا يكون عالمًا من لم
يفرح بدخول المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجو بذلك
من كفارة خطاياه وروي عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اخبار
كثيرة في الحمى والعمى وغير ذلك وذكر البزار من حديث ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوضع يده عليه وعليه حمى فوجد حرها من فوق اللحاف فقال ما
اشدها عليك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم انا كذلك يشدد
علينا البلاء ويضاعف لنا الاجر قال يا رسول الله اي الناس
اشد بلاءً قال صلى الله عليه وسلم الانبياء ثم الصالحون ان كان
احدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد الا عباءة يحويها وان كان احدهم
ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان احدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح
احدكم بالرخا وقيل في معنى قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا



والله يحب المطهّرين اى من الاثام والذّنوب بالحمّى والامراض لما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه للحمّى اذهبى الى اهل قبا وروي في
بعض الاخبار مبدلاً من اهل قبا للانصار ففيه انّ رسول الله صلّى
الله عليه وسلم رآى يوماً شخصاً اسود فقال من انت فقال انا مِلدم صورة
الحمّا فقال صلّى الله عليه وسلم اذهبى الى الانصار فانّ لهم علينا حقوقاً
فاصبح النّبى صلّى الله عليه وسلم فلم يرا احداً من الانصار حضر الصّلوة
فطلبهم فقيل اخذتهم الحمّا قال النّبى صلّى الله عليه وسلم قوموا بنا
نعدهم فقال لهم الحمّا طهارة وكفّارة فقالوا يا رسول الله ادع الله حتى
يزيدنا منها وذكر مسلم رحمه الله من حديث جابر رضى الله عنه
ان رسول الله صلّى الله عليه وسلم دخل على امّ السّائب وامّ المسيّب فقال ما
لك يا امّ السّائب ويا امّ المسيّب ترقدين قالت الحمّا لا بارك الله
فيها فقال النّبى صلّى الله عليه وسلم لا تسبّى الحمّا فانّها تذهب خطايا
بنى ادم كما يذهب الكير خبث الحديد وذكر البخاريّ من حديث انس

عطايا الرزية على ذهاب البصر

ابن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول
انّ الله عزّ وجلّ قال اذا ابتليت عبدى المؤمن بحبيبتيه ثم صبر
عوّضته منهما الجنّة يريد عينيه كذا قال فى آخر الحديث من قول
احد الرّواة والحبيبتان هما العينان وهما الكريمتان ايضاً وروى
انّ انس بن مالك رضى الله عنه وابا ظلال كانا فى بيت ثابت البنانى
فقال انس رضى الله عنه يا ابا ظلال متى فقدت بصرك فقال وانا
صبىّ لا اعقل فقال الا احدّثك حديثاً حدّثنيه حبيبى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يرويه عن جبريل وجبريل يرويه عن ربّه عزّ وجلّ قال
يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا الّا ما
علّمتنا قال جلّ وعلا جزاؤه الخلود فى دارى والنّظر الى وجهى ومن طريق

هلال بن سويد وهو ابو ظلال المذكور انّه سمع انساً رضى الله عنه
يقول مرّ بنا ابن امّ مكتوم رضى الله عنه فسلّم فقال رسول الله صلّى
الله عليه وسلم الا احدّثكم بما حدّثنى به جبريل عليه السّلام
انّ الله يقول حقّ علىّ من اخذت كريمتيه ليس له جزاء الّا الجنّة .
وفي حديث بريدة رضى الله عنه عن النبى صلّى الله عليه وسلم قال ما اصيب
عبد بعد ذهاب دينه باشدّ من ذهاب بصره وما ذهب بصر عبدٍ
فصبر الّا لقى الله تعالى ولا حسنا عليه وذكر البخاريّ ومسلم رضى الله
عنهما من حديث بن عبّاس رضى الله عنهما قال انّ امرأة سوداء اتت
النّبى صلّى الله عليه وسلم فقالت انى اصرع وانىّ اتكشّف فادع الله
تعالى فقال صلّى الله عليه وسلم ان شئت صبرت ولك الجنّة وان
شئت دعوت الله لك ان يعافيك قالت اصبر قالت فانى انكشف
فادع الله لى ان لا انكشف فدعا صلّى الله عليه وسلم لها الى غير ذلك

ومن فوايد المصيبة

وممّا روي عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم فى هذا الباب ممّا لا
يحصى كثرة وفيها ايضاً يحصل له تجديد التّوبة واداء الحقوق و
التّبعات والظّلامات وكثرة الاستغفار وحسن التّذكار و
كثرة ذكر الموت اذ ذاك ابلغ ما يذكر به وقد قيل انّ الحمّا بريد
الموت وقيل فى قوله او لا يرون انّهم يفتنون فى كلّ عام مرّة او

فايدة ذكر الموت

مرّتين ثمّ لا يتوبون ولا هم يذّكّرون اى يختبرون بها وفى حديث
عائشة وانس رضى الله عنهما قيل يا رسول الله هل يكون يوم القيمة
مع الشّهداء غيرهم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم نعم من ذكر الموت
كلّ يومٍ عشرين مرّة وفى لفظ الحديث الآخر من ذكر ذنوبه فتحزّن
وقد كان السّلف رضى الله عنهم يستوحشون اذا خرج عنهم عام
ولم يصابوا فيه بنقص فى نفسٍ او مالٍ وقيل لا يخلو المؤمن فى كلّ

اربعين يومًا ان يروّع بروعة او يصاب بنكبة وكانوا يكرهون فقد ذلك
فى هذا العدد من غير ان يصابوا فيه بشئ وفيها ايضًا يقع له فيها خلف
ما يفوته من الطاعات ونوافل العبادات فيكتب له فى مرضه مثل ما
كان يعمل من ذلك فى صحّته وذلك ابلغ له فى الوصول الى غرضه لانه من
اختيار الله تعالى له وهو خير له من اختياره لنفسه وفى الخبر يقول
الله تعالى للملائكة اكتبوا لعبدى صالح ما كان يعمله فى صحّته فانه فى
وثاقى ان اطلقته ابدلته لحمًا خيرًا من لحمه ودمًا خيرًا من دمه وان
توفّيته توفّيته الى رحمتى وفى الحديث الصحيح من حديث ابى موسى
الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد
او سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا الى غير ذلك من الالطاف
التى لا نعلمها وانما ذكرنا هذه المعانى لانها لائقة بكلام المؤلف رحمه
الله تعالى عليه وكانها مفسّرة لقوله وايضًا فان العبد محتاج
اليها غاية الاحتياج لانه فى حال نزول البلاء به يتسخط ويخرج
ويضطرب ايمانه ويتزلزل ايقانه فيحتاج الى مذكّر يذكّرنا مثال
هذه المعانى ليحصل له بذلك من الرجاء وحسن الظنّ بالله تعالى
والمحبّة له ما يرجا له بذلك ان مات من فوره حسن الخاتمة
وحبّ الله تعالى والاعمال بنحو بتمامها وهذا الغرض هو الذى اوجب لنا
فى هذا الفصل الاكثار من الحكايات واظهار نسبة اكثر الاحاديث فيه
الى رواتها الثقات لتطمئنّ قلوب اهل البلاء بذلك وتسلك الى
الله تعالى واضحات تلك المسالك والله تعالى ولىّ التوفيق لا يخاف
عليك ان تلتبس الطرق عليك وانما يخاف عليك من غلبة الهوى
عليك الطرق الى الله تعالى واضحة لا يحتاج لان الحقّ سبحانه وتعالى هو الذى
تولّى ذلك وبه انزل الكتاب وارسل الرسل ونصب عليه الادلة والبراهين

الطريق الى الله تعالى واضحة وانما العمى الهوى

فلا يخاف

فلا يخاف على العبد من التباسها عليه وانما يخاف من غلبة الهوى
عليه حتى يعميه ذلك عن رؤيتها قال احمد بن خضرويه البلخى رضى الله
عنه الطريق واضح والحقّ لايح والداعى قد اسمع فما التحيّر بعد هذا
الا من العمى سبحان من ستر سرّ الخصوصيّة بظهور البشريّة
وظهر بعظمة الربوبيّة فى اظهار العبوديّة سرّ الخصوصيّة هو حقيقة
المعرفة التى اختصّ بها اهل ولاية الله تعالى بحيث لا يبقى معها وجود
لغير ولا كون وذلك لما جعل فيهم من التهيّئ والقابليّة فمن لطيف
حكمة الله تعالى ان ستر ذلك بما اظهره من البشريّة التى من لوازمها
وجود الغير والكون ولولا هذا الستر لكان سرّ الله مبتذلًا غير
مصون كما قال فى لطائف المنن ولابدّ للشمس من سحاب وللحسناء من
نقاب ثمّ قال انّ من حقيقة ظهور البشريّة الاتّصاف بصفة الافتقار
والاحتياج وغير ذلك من اوصاف الحدوث وذلك هو حقيقة التعبّد
والتألّه فظهر لنا من ذلك لزوم وجود اله معبود وهى عظمة الربوبيّة
التى ظهرت لنا من وراء حجاب العبوديّة ولولا ذلك لكان باطنًا
لا يظهر كما قال ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه العبوديّة جوهرة
اظهرتها الربوبيّة فسبحان اللطيف الخبير ومن هو على كلّ شئ
قدير والتسبيح الذى ذكره هاهنا فى غاية المناسبة لما ذكرنا فى المعنى
لا تطالب ربّك بتأخّر مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخّر ادبك
اذا دعوت ربّك وسالت منه مطلبًا من المطالب ولم يظهر لك الاجابة
فحسّن به ظنّك ولا تطالبه بالوفاء بذلك فانه يفعل ما يشاء لا يسأل
عمّا يفعل ولكن طالب نفسك بتأخّر ادبك فانها اهل للمطالبة
وسوء ادبها من وجوه احدها انك دعوته ليجاب فى دعائك فيحصل
لك بذلك غرض وذلك مما يقدح فى كمال عبوديّتك وسيأتى هذا المعنى

ستر المعرفة بالبشرية وظهورها بالعبودية فتعالى الله

سوء اداب الداعى

عند قوله لا يكن طلبك سببًا الى العطا منه فيقل فهمك عنه وليكن
طلبك لاظهار العبودية وقيامًا باحكام الربوبية والثانى اعتقادك
انه لم يستجب لك اذا ظهر لك عدم الاجابة منه وليس من شرط الاجابة
ان تظهر لك بل له ان يخفيها عنك لما فى ذلك من المصالح و
الاجابة اليه امرها يجعلها ما يشاء مما تعلمه او تجهله وقد
تقدم هذا المعنى عند قوله لا يكن تاخر امد العطا مع الالحاح
فى الدعاء موجبًا ليأسك الى آخره والثالث وهو اشدها اعتراضك
على ربك فى حكمه ومطالبتك له اذا تاخرت اجابة دعائك ثم
ذكر المؤلف رحمه الله تعالى الحالة التى اذا كان عليها العبد قام
بحق الادب ووصل الى غاية الارب فقال **متى جعلك فى الظاهر**
ممتثلاً لامره ورزقك فى الباطن الاستسلام لقهره فقد اعظم المنة
عليك هذان الامران هما اللذان يلزمانك فى اقامة العبودية
لربك لا غير فمتى يسرهما الله تعالى لك واقامك فى مراعات احكامهما
ووفقك لذلك فقد اعظم المنة عليك فلماذا تتشوف وما
الذى تلتمس بعدهما ان كنت عبدًا حقيقيًا **قال سيدى ابو الحسن**
رضى الله عنه صحبت اخًا فى الله تعالى فى البداية واعتزلنا فى مغارة
عسى ان نكون من اولياء الله فلن يفتح الله علينا بما فتح به عليهم
فاقمنا زمانًا نقول لعل فى هذه الجمعة يفتح الله علينا لعل فى
هذا الشهر يفتح الله علينا بما فتح عليهم فبينما نحن كذلك فاذا بشيخ
على باب المغارة يستاذن فاذنا له فدخل فسلم ووقف فقلنا له
من انت قال عبد الملك فعلمنا انه من اولياء الله تعالى فقلنا له
كيف حالك فقال كيف حالك كيف حالك يرددها كالمنكر
علينا ثم قال كيف حال من يقول لنفسه اكون وليًا فى هذه الجمعة



حكاية غريبة

اكون وليا

اكون وليًا فى هذا الشهر اكون وليًا فلا ولاية ولا فلاح ولا دنيا ولا آخرة
يا نفس لم لا تعبدين الله تعالى كما امرك مخلصة لوجهه الكريم قال الله
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم انصرف عنا فانتبهنا
ولعلطنا وتيقظنا من اين دخل علينا وعلمنا ان الله تعالى رحمنا
به فرجعت على نفسى باللوم والتوبيخ وقلت لها يا نفس من انت وما
عملك وما خطرك انت لا شئ وتبنا واستغفرنا الله قال ففتح الله
علينا بجوده وفضله **ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه** التخصيص
هاهنا هو ان يظهر الحق سبحانه وتعالى على بعض عباده اثر عنايته وتولية
لطفه ورعايته فمنهم من يستمر له ذلك حتى يتحقق بالعرفان ويتخلص
عن رؤية الاغيار والاكوان وهؤلاء هم خواص المقربين اهل العلم
بالله والحب له **ومنهم** من يوفقه على بلوغ ذروة الكمال ويربيه فى
حاله بما يليق به من علوم واعمال وهؤلاء عامة المقربين وخاصة
اصحاب اليمين العباد والزهاد واهل المجاهدة والاوراد وهؤلاء
وان شاركوا الاولين فيما يتحفهم الحق سبحانه وتعالى من لطايف الكرامات
وفيما يمنحهم اياهم من القيام بوظايف الطاعات والعبادات فلم
يتخلصوا من رؤية نفوسهم ولم ينفكوا من مراعات حظوظهم بل هم
ساكنون الى الاسباب مغتبطون بوجود الحجاب وقد يخص الحق
سبحانه وتعالى هؤلاء باظهار الكرامات على ايديهم وبسببهم
تسكينًا لنفوسهم وتثبيتًا لليقين فى قلوبهم ويمنعها الاولين
لانهم لا يحتاجون اليها لما هم فيه من الرسوخ فى اليقين والقوة
والتمكين كما قال صاحب كتاب عوارف المعارف وقد يكون
من لا يكاشف بشئ من معانى القدرة افضل ممن يكاشف بها
اذا كاشفه الله تعالى بصرف المعرفة فالقدرة اثر من القادر ومن

ظهور الكرامات تثبيت لتسكين نفوس اهل اليقين واهل الكمال لا يحتاجون اليها

ربما من ليس له الكرامات افضل ممن له الكرامات

اهل لقرب القادر لا يستغرب ولا يستكثر شيئا من القدرة ويرى القدرة
تتحلى له من سجف اجزاء عالم الحكمة وسئل الشبلى رضى الله عنه وقيل
له ان ابا تراب ذكر انه جاع فى البادية فراى البادية كلها طعاما فقال
عبد رفق به ولو بلغ الى محل التحقيق لكان كمن قال انى اظل عند
ربى يطعمنى ويسقينى قال فى لطائف المنن واعلم ان الكرامة
تارة تظهر للولى فى نفسه وتارة تظهر منه لغيره فان ظهرت
للولى فى نفسه فالمراد تعريفه بقدرة الله تعالى وفردانيته
واحديته وان قدرته لا تتوقف على الاسباب وان العوائد والوسائط
هو حاكم عليها ليست هى حاكمة عليه وانما جعل العوائد والوسائط
والاسباب حجب قدرته وسحب شمس احديته فواقف عندها مخذول و
نافذ منها اليه بالعناية موصول قال وقال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه
فائدة الكرامات تعريف اليقين من الله تعالى بالعلم والقدرة و
الارادة والصفات الازلية بجمع لا يفترق وامر لا ينعقد كانها
صفة واحدة قائمة بذات الواحد ايستوى من تعرف الله تعالى
اليه بنوره كمن تعرف الى الله بعقله ولاجل انها تثبيت لمن اظهرت
له وربما وجدها اهل البدايات فى بداياتهم وفقدها اهل النهايات
فى نهاياتهم اذ ما عليه اهل النهايات من الرسوخ فى اليقين والقوة
والتمكين لا يحتاجون معها الى مثبت وهكذا كان السلف رضى الله
عنهم لم يحوجهم الحق سبحانه الى وجود الكرامات الحسية لما اعطاهم
من المعارف الغيبية والعلوم الاشهادية ولا يحتاج جبل الى مرساة
فالكرامة رافعة لزلزلة الشك فى المنة ومعرفة بفضل الله تعالى
فيمن اظهرت عليه له مع الله سبحانه وتعالى والناس فى الكرامات
على ثلثة اقسام قوم يجعلونها غاية الامر فان وجدوها عظموا من

نحو ثمّ

والناس فى الكرامات على ثلثة اقسام

اظهرت عليه فان فقدوها لم يتوجهوا بالتعظيم وقسم قالوا وما
هى الكرامات انما هى خدع يخدع بها اهل الارادة ليقفوا على حدودهم
وحتى لا يلجوا مقاما ما ليس هو لهم حتى قال ابو تراب النخشبى رضى الله
عنه لابى العباس الرقى ما يقول اصحابك فى هذه الامور التى تكرم
الله تعالى بها على عباده فقلت ما رايت احدا الا وهو مؤمن بها
قال ابو تراب النخشبى من لم يؤمن بها فقد كفر انما سالتك عن
طريق الاحوال فقلت ما اعرف لهم قولا فقال ابو تراب بل قد
زعم اصحابك انها خدع من الحق سبحانه وتعالى وليس الامر كذلك
انما الخدع فى حال السكون اليها واما من لم يفرح بها ولم يساكنها
فتلك مرتبة الربانيين وكان هذا من ابى تراب بعد ان عطش
القوم وهم اصحابه فضرب بيده الارض فنبع الماء فقال فتى
اريد ان اشربه فى قدح فضرب بيده الارض فناوله قدحا
من زجاج ابيض فشرب وسقانى قال ابو العباس الرقى رضى الله عنه
وما زال القدح معنا الى مكة قال الشيخ ابو الحسن الشاذلى رضى
الله عنه والقول الفصل فى ذلك انه لا ينبغى ان تطلب ادبا مع الله
تعالى ومن اظهرت عليه عظم لانها شاهدة له بالاستقامة مع الله
تعالى قال والقسم الثالث وهو ان تظهر الكرامة فى الولى لغيره فالمراد
بذلك تعريف ذلك العبد الذى شهدها بصحة طريق هذا الولى
الذى اظهرت عليه الكرامة اما ان يكون جاحدا فيرجع الى الاعتراف
او كافرا فيعود الى الايمان او شاكا فى خصوصية هذا العبد
فاظهرت عليه ليعرفه الله تعالى بما فيه من ودائع الاحسان انتهى كلامه
وقال ابو نصر السراج رضى الله عنه سالت ابا الحسن بن سالم فقلت
له ما معنى الكرامات وهم قد اكرموا حتى تركوا الدنيا اختيارا وكيف

اكرموا بان تجعل لهم الحجارة ذهبًا فما وجه ذلك فقال لا يعطيهم ذلك
لقدرها ولكن يعطيهم ذلك حتى يحتجوا بكون ذلك على نفوسهم عند
اضطرابها وجزعها من فوت الرزق الذي ضمنه الله تعالى لهم فيقولون
الذي يقدر على ان يصير لك الحجارة ذهبًا كما ذا تنظرين اليه اليس هو بقادر
بان يسوق لك رزقك من حيث لا تحتسبينه فيحتجوا بذلك على ضجيج
نفوسهم عند فوت الرزق ويقطعوا بذلك ضجيج نفوسهم فيكون ذلك
سببًا لرياضة نفوسهم وتاديبًا لها قال ابو نصر وقد حكى لنا ابن سالم
في معنى ذلك حكاية عن سهل بن عبد الله رضي الله عنه انه قال كان
رجل بالبصرة يقال له اسحق بن احمد وكان من ابناء الدنيا فخرج من
الدنيا يعني من جميع ماله وتاب وصحب سهلًا فقال يومًا لسهل
يا ابا محمد ان نفسي هذه ليست تترك الضجيج والصياح والصراخ
من خوف فوت القوت والقوام فقال له سهل رضي الله عنه خذ ذلك
الحجر وسل ربك ان يصيره لك طعامًا تاكله فقال له ومن امامي
في ذلك حتى افعل فقال سهل رضي الله عنه امامك ابرهيم عليه السلام
حيث قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي المعنى في ذلك ان النفس لا تطمئن الا برؤية العين
لان من حيلتها الشك فقال ابرهيم رب ارني كيف تطمئن نفسي فاني
مؤمن بذلك والنفس لا تطمئن الا برؤية العين قال فكذلك الاولياء
يظهر الله تعالى لهم الكرامات تاييدًا لنفوسهم وتهذيبًا لها وزيادة لهم
انتهى كلام ابي نصر رضي الله عنه وقال بعض العلماء ما رايت هذه
الكرامة تظهر الا على ايدي البله من الصادقين وكان رجل يصحب سهل
ابن عبد الله فقال يومًا ربما اتوضا للصلوة فيسيل الما من بين
يدي قضبان ذهب وقضبان فضة فقال سهل اما علمت ان الصبيان

اذا بكوا

اذا بكوا اعطوا خشخاشة يشتغلون بها وفي حكاية جعفر الخلدي
عن الجنيد رضي الله عنه قال جاءني ابو حفص النيسابوري رضي الله
عنه مرة ومعه عبد الله الرباطي ومعهم جماعة وكان فيهم رجل
اصلع قليل الكلام فقال لابي حفص قد كان فيمن مضى لهم الآيات
الظاهرة يعني بهم الكرامات وليس لك شيء من ذلك فقال له ابو
حفص رضي الله عنه ثم فجاء به الى سوق الحدادين الى كير عظيم
يحمى فيه حديدة عظيمة فادخل يده في الكير واخذ الحديدة المحماة
فاخرجها فبردت في يده فقال له يجزيك هذا فسال بعضهم عن
معنى اظهار ذلك من نفسه فقال كان مشرفًا على حاله فخشي على
حاله ان يتغير عليه ان لم يظهر له ذلك فخصه بذلك شفقة
عليه وصيانة لحاله وزيادة لايمانه بل ربما يفر منها العارفون
ويخاف منها المحققون فقال بعض السلف الطف ما يخادع
به الاولياء الكرامات والمعونات وذكر عن ابي حفص وغيره انه كان
جالسًا وحوله اصحابه قال فنزل ظبي من الجبل فبرك عندهم قال فبكى
ابو حفص رضي الله عنه فسئل عن بكائه فقال كنتم حولي فوقع
في قلبي ان لو كان عندي شاة لذبحت لكم فلما برك هذا الظبي
عندنا شبهت نفسي بفرعون حين سال الله ان يجري معه النيل
فاجراه معه فبكيت وسالته الا قالة بما تمنيت وسيبت الظبي
ويحكى عن بعض الابدال انه قال لتلميذ من تلامذة الشيخ ابي مدين
رضي الله عنه ما بالنا لا يعتاص علينا شيء وهو يعتاص عليه اقل
الامور مع انا نتمنى مقامه وهو لا يتمنى مقامنا فبلغ ذلك الشيخ
ابا مدين فقال قل له تركنا مرادنا لمراده وعن بعضهم انه كان
يسير في البادية فانتهى الى بير فاذا الماء ارتفع الى راس البير

فقال انى اعلم انك قادر على هذا ولكنى لا اطيقه فلو قيضت لى بعض الاعراب ليصفعنى صفعات ويسقينى شربة ماكان اسلم لى ثم انى اعلم ان ذلك الرفق ليس من جهته **وقال يحيى بن معاذ** الرازى رضى الله عنه اذا رايت الرجل يشير الى الآيات والكرامات فطريقه طريق الابدال واذا رايته يشير الى الالاء والنعماء فطريقه طريق المحبة وهو اعلى من الذى قبله واذا رايته يشير الى الذكر وقلبه معلق بالذكر للذى ذكر وطريقه طريق العارفين وهذا اعلى درجة من جميع الاحوال وقال ابو يزيد رضى الله عنه كنت فى بدايتى يرينى الآيات والكرامات ولا التفت اليها فلما رانى كذلك جعل لى الى معرفته سبيلا **لا يستحقر الورد الا جهول الوارد يوجد فى الدار الآخرة والورد ينطوى بانطواء هذه الدار واولى ما يعتنا به ما لا يخلف وجوده الورد هو طالبه منك والوارد انت طالبه منه واين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه** الورد هو عبارة عما يقع بكسب العبد من عبادة ظاهرة او باطنة والوارد هو الذى يرد على باطن العبد من لطائف وانوار ينشرح بها صدره ويستنير بها قلبه وسره فالورد ما من العبد للحق تعالى من معاملة وعبودية والوارد ما من الحق سبحانه وتعالى للعبد من لطف وكرامة والورد احق ما يعتنى به العبد ويراعيه من الوارد لوجهين احدهما ان الورد يختص بهذه الدار لا يقع الا فيها فهو منقطع بانقطاعها وفان بفنائها فينبغى للعبد ان يستكثر من الاوراد قبل فواتها اذ لا يمكنه خلف ما فات **والثانى** ان الورد هو حق الحق منك والوارد هو حظك منه وقيامك بحقوقه عليك اولى واليق بالعبودية من طلب حظوظك ووقوفك معها فاذا ثبت عزية الورد على الوارد باعتبار العبد كان استحقاره من غاية الجهل وكان مستحقره جهولا كما قال فى لطائف

والورد احق بالمراعاة من الوارد لوجهين

المنن واعلموا ان الله تعالى اودع انوار الملكوت فى اصناف الطاعات فاى من فاته من الطاعات صنف واعوزه من الموافقة جنس فقد فقد من النور بمقدار ذلك فلا تهملوا شيئا من الطاعات ولا تشتغلوا عن الورد بالواردات فلا ترضوا لانفسكم بما رضى به المدعون من جرى الحقائق على السنتهم وخلوا انوارها من قلوبهم وان الحق تعالى بحكمته جعل الطاعة الجارية على العباد مقرعة لباب الغيب فمن قام بالطاعة والمعاملة بشرط الادب لم يحتجب الغيب عنه فالتطهر من العيب يفتح لك باب الغيب ولا تكن ممن يطلب الله لنفسه ولا يطالب نفسه لله فذلك حال الجاهلين الذين لم يفهموا عن الله عز وجل ولا واجههم المدد من الله والمؤمن ليس كذلك بل المؤمن من يطالب نفسه لربه ولا يطالب ربه لنفسه فان توقف الوقت استبطى ادبه ولا يستبطى مطلبه ثم ذكر كلاما كثيرا **وفى كلامه رحمه الله تعالى** تنبيه على تاكد امر الاوراد وعظم مواقعها من الدين وان مراعاتها من احسن سمات العارفين **وقد رؤى الجنيد** رضى الله عنه وفى يده سبحة فقيل له انت مع شرفك تاخذ بيدك سبحة فقال نعم سبب وصلنا به الى ما وصلنا لا نتركه ابدا وكان يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلى اربعمائة ركعة ثم يعود الى بيته **وروى الجنيد** رضى الله عنه بعد وفاته فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال طاحت تلك الاشارات وفنيت تلك العبارات وابيدت تلك الرسوم وغابت تلك العلوم وما نفعنا الا ركعات كنا نركعها فى السحر **وحكى محمد الحريرى** رضى الله عنه قال كنت عند الجنيد رضى الله عنه فى حال نزعه وكان يوم الجمعة وهو

الطاعة مقرعة لباب الغيب

وانما حجاب الغيوب وجود العيوب

يقرأ القرآن فختم فقلت في هذه الحالة يا ابا القاسم فقال ومن اولى مني
بذلك وهو ذا تطوى صحيفتي وقال ابو الحسن الدراج رضي الله عنه
ذكر الجنيد رضي الله عنه اهل المعرفة بالله وما يراعونه من الاوراد و
العبادات بعدما الطفهم الله تعالى به من الكرامات فقال الجنيد رضي
الله عنه العبادات على العارفين احسن من التيجان على رؤس الملوك
وقال ابو بكر العطار رضي الله عنه حضرت الجنيد رضي الله عنه عند
الموت في جماعة من اصحابنا قال وكان قاعدا يصلي ويثني رجليه
اذا اراد ان يسجد فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجليه فثقل
عليه حركتهما فمد رجليه فرآه بعض صدقائه ممن حضر ذلك
الوقت وكانت رجلا ابي القاسم تورمتا فقال ما هذا يا ابا القاسم
فقال هذه نعم الله الله اكبر فلما فرغ من صلاته قال له ابو محمد
الحريري رضي الله عنه يا ابا القاسم لو اضطجعت فقال يا ابا محمد
هذا وقت منة الله الله اكبر فلم يزل كذلك حاله حتى مات رحمة
الله عليه ورضوانه قال الحصري رضي الله عنه الناس يقولون الحصري
لا يقول بالنوافل وعلي اوراد من حال الشباب لو تركت منها ركعة
لعوقبت وقال محمد بن ثابت البناني رضي الله عنه لما حضرت ابي الوفاة
جعلت القنه الشهادة فقال لي يا بني دعني فاني في وردي السابع
قال ابو طالب المكي رضي الله عنه ومداومة الاوراد من اخلاق المؤمنين
وطريق العابدين وهي مزيد الايمان وعلامة الايقان وفي خبر ان
عائشة رضي الله عنها سئلت عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
كان عمله ديمة وفي لفظ آخر كان صلى الله عليه وسلم اذا عمل عملا اتقنه
واثبته وفي الخبر المشهور احب الاعمال الى الله تعالى ادومها وان قل
وجاء في الاثر كلام تارة يروى عن الحسن بن علي رضي الله عنهما وتارة يروى

عبادة الجنيد حالة الموت

عن الحسن البصري

عن الحسن البصري ومرة عن عائشة رضي الله عنها وبعضهم يحكيه
عن النبي صلى الله عليه وسلم في المنام من استوى يوماه فهو مغبون ومن
كان يومه شرا من امسه فهو محروم ومن لم يكن في مزيد فهو في
نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له وقد يكون استحقار
الورد من المكر والاستدراج للعبد ويكون مبدأ ذلك ان تلوح
له خيالات وتظهر له صور كرامات توجب له استحسان حالته و
اختيار بطالته وفي ذلك رفض العبودية بالكلية وهي امارة لوجود
الطرد والبعد والعياذ بالله وصاحب هذا عظيم الجهالة وشديد
العماية والضلالة وقد قال الجنيد رضي الله عنه لرجل ذكر المعرفة
فقال الرجل اهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب
البر والتقرب الى الله تعالى قال الجنيد رضي الله عنه ان هذا كلام قوم
تكلموا باسقاط الاعمال وهذه عندي عظيمة والذي يسرق ويزني
احسن حالا من الذي يقول هذا وان العارفين بالله اخذوا الاعمال
عن الله واليه رجعوا فيها ولو بقيت الف عام لم انقص من اعمال
البر ذرة الا ان يحال بي دونها وانه لاوكد في معرفتي واقوى في
حالي قال السهروردي رضي الله عنه في كتاب عوارف المعارف فلما
من تعوق بخيال او قنع بمحال ولم يحكم اساس خلوته بالاخلاص
فيدخل الخلوة بالزور ويخرج بالغرور فيرفض العبادات ويستحقرها
فيسلبه الله تعالى لذة المعاملة ويذهب من قلبه هيبة الشريعة و
يفتضح في الدنيا والآخرة فيعلم الصادق ان المقصود من الخلوة
التقرب الى الله تعالى بعمارة الاوقات وكف الجوارح عن المكروهات
فيصلح لقوم من ارباب الخلوة مداومة الاوراد وتوزيعها على الاوقات
وكف الجوارح عن المكروهات ويصلح لقوم ملازمة ذكر واحد ويصلح

من استوى يوماه فهو مغبون

ترك الورد من المكر

لقوم دوام المراقبة ويصلح لقوم الانتقال من الذكر الى الاوراد ولقوم
الانتقال من الاوراد الى الذكر انتهى ما يتعلق بغرضنا من كلام السهروردي
رضي الله عنه وهو مناسب لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى وليس ممن هذا
المعنى ما روي عن ابي سليمان الداراني رضي الله عنه واحمد بن عاصم
الانطاكي رضي الله عنهما انهما قالا اذا صارت المعاملة الى القلوب
استراحت الجوارح وان كان ظاهرها موهما له فان ابا نصر السراج
رضي الله عنه فسره بعد ان حكاه عن ابي سليمان الداراني رضي
الله عنه فقال وهذا الذي قال ابو سليمان يحتمل معنيين احدهما
انه اراد بذلك استراحة الجوارح من المجاهدات والمكابدات من الاعمال
اذا اشتغل بحفظ قلبه ومراعات سره من الخواطر المشغلة والعوارض
المذمومة التي تشغل عن ذكر الله قلبه ويحتمل ايضا انه اراد بذلك
ان يتمكن من المجاهدات والاعمال والعبادات وتصير وطنه ويستلذ
بها قلبه ويجد حلاوتها ويسقط عنه التعب ووجود الالام التي كان
يجدها قبل ذلك انتهى كلام ابي نصر ومعناه صحيح والله سبحانه وتعالى
اعلم وبه التوفيق والصواب ٥ ورود الامداد بحسب الاستعداد وشروق
الانوار على حسب صفاء الاسرار ورود الموارد الامدادية من الله تعالى
على عبده بحسب القوة الاستعدادية المجبولة فيه وشروق الانوار اليقينية
على حسب صفاء سره من كدرات التعلق بالاثار والركون الى الاغيار ٥
الغافل اذا اصبح ينظر فيما ذا يفعل والعاقل ينظر ماذا يفعل
الله به اول خاطر يرد على العبد هو ميزان توحيده فالغافل اذا
اصبح اول خاطر يرد عليه نسبة الفعل الى نفسه فيقول ماذا افعل
اليوم فهو مشتغل بتدبير نفسه مصروف عن النظر الى مولاه وذلك
لوجود غفلته عنه فهو حقيق بان يكله الله الى نفسه فيتشتت عليه

اول خاطر العبد حين اصبح هو ميزانه في توحيده

قلبه ويتنغص عليه مراده والعاقل اول خاطر يرد عليه نسبة
الفعل الى الله تعالى فيقول ماذا يفعل الله بي فهو ناظر الى الله تعالى
والى ما يرد عليه منه وذلك لوجود عقله ودوام يقظته فلا جرم
يكفيه الله تعالى تعلقات الآمال ويفرغه من جميع الاشغال ويرضيه
ويقر عينه بما يقيمه فيه من الاعمال او بما يورده عليه من الاحوال
وهذه سعادة عظيمة ومنة من الله تعالى لمن وليه من عباده
جسيمة قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اصبحت وما لي سرور
الا في مواقع القدر وقال ابو عثمان رضي الله عنه منذ اربعين
سنة ما اقامني الله تعالى في حال فكرهته ولا نقلني الى غيره فسخطته
ومن املح ما رايت في هذا المعنى الذي ذكره المؤلف وما يجب ان
يحذو على مثاله كل عاقل متصوف ما ذكره الشيخ ابو القاسم
عبد الرحمن الصقلي رحمه الله تعالى في كتاب صفة الاولياء ومراتب
احوال الاصفياء بسنده الى ايوب بن بشر الطالقاني قال حدثنا
رجل من اصحابنا قال رايت رجلا في مرج الديباج ليس معه شيء
فدنوت منه فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت يرحمك الله
اين تريد فقال لا ادري قلت هل رايت احدا يريد مكانا لا يدري
اين يذهب فقال انا واحد منهم فقلت اين تنوي فقال الى مكة
فقلت تنوي مكة ولا تدري اين تذهب قال نعم وذلك اني كم
مرة اردت ان اذهب الى مكة فيردني الى طرسوس وكم مرة اردت
طرسوس فيردني الى عبادان فنيتي الى مكة ولا ادري اين اذهب
فقلت فمن اين المعاش قال لا ادري قلت اخبرني باسباب ذلك قال
من حيث يريد يجوعني مرة ويشبعني مرة ويكرمني مرة ويهينني مرة
ومرة يقول لي ما على الارض ازهد منك ومرة يقول انت لص

ومرة ينيمني على الفراش ويطعمني الطيب ويدهن رأسي ويكحل عيني ومرة
يردني الطرد العنيف ولا ينيمني الا عند النواويس قلت يرحمك
الله من يفعل ذلك قال الله عز وجل قال الغالقاني في بحر قلت فسر لي رحمك
الله كيف هذا قال انا رجل اسير نهاري فاذا جن بي الليل بت فربما
يؤديني الليل الى قرية فاذا نظر الى اهلها قال بعضهم لبعض هذا
لص لا تدعوه هنا ياوي الليلة في هذه القرية فاذا صلينا العشاء
الآخرة يدخل رجل المسجد فيقول يا نايم فاقول لبيك فيقول بالعنف
قم من ها هنا ليس لك ها هنا موضع فاقول نعم وكرامة فاين ابيت الليلة
فيقول خارج النواويس فاقول نعم وكرامة لا يكون لي ماوى الا عند
النواويس تلك الليلة فاذا اصبحت سرت فيؤديني الليل الى قرية
فاذا رآني اهلها قال بعضهم لبعض قد ورد عليكم الليلة رجل زاهد
خير فاضل فيقول هذا عندي يبيت ويقول هذا عندي يبيت فاذا
صليت العشاء الآخرة فيقول رجل منهم قم بنا الى البيت فاقول حبا
وكرامة فامضي معه الى منزله فياتيني بالطعام الطيب ويدهن راسي
ويكحل عيني وياتيني بالفراش اللين فينومني عليه ولا يدع شيا من البر
الا فعله بي حتى اصبح فهذا حالي مع سيدي فقلت يرحمك الله متى
قدر لك ان تدخل بغداد فان منزلي في موضع كذا وكذا قال فبينما انا
يوما قاعد فاذا بانسان يدق الباب فخرجت فاذا انا بصاحبي
فسلمت عليه وادخلته البيت فقلت له اي شي صنع بك مولاك قال
آخر ما فعل بي ضربني ضربا شديدا وقال لي يا لص ثم اراني ظهره
فاذا اثر الضرب عليه فقلت ايش القصة قال كان اجاعني جوعا
شديدا فلما بلغت الانبار رجعت الى مقثاة قد نبذ فيها المدوده
والمر فقعدت اكل فنظر الي صاحب المقثاة فاقبل الي بعصاة فجعل

يضرب ظهري ويقول يا لص ما اخرب مقثاتي غيرك منذ كم
ارصدك حتى وقعت عليك قال واذا بفارس اقبل مسرعا اليه
فاقلب السوط في راسه فقال تعمد الى رجل زاهد تضربه وتقول
لمثل هذا يا لص قال فما كان بين ان كنت عنده لصا اذ صرت
عنده زاهدا الا كما حدثتك قال فاخذ بيدي صاحب المقثاة
فذهب بي الى منزله فما ابقى من الكرامة شيا واستحلني فخرجت من
عنده وجئت اليك وقد يكون من معنى نظره الى ما يفعل الله به
ان ينظر الى ما يرد على قلبه من الاشارة من قلبه فيكون اقدامه و
احجامه بوجود بصيرة وحسن توفيق وهذا ميزان شريف
اقتضاه دوام التجائه وصدق افتقاره قال سيدي ابو مدين
رضي الله عنه احرص ان تصبح وتمسي مفوضا مستسلما لعله ينظر
اليك فيرحمك وقال بعضهم من اهتدى الى الحق لم يهتد الى نفسه
ومن اهتدى الى نفسه لم يهتد الى الله تعالى فانظر اذا استقبلك
شغل فان عاد قلبك في اول وهلة الى حولك وقوتك فانت المنقطع
عنه وان عاد قلبك الى الله تعالى فانت الواصل الى الله تعالى وكل العالم
في قبضته وتخصيص اهل الوصلة بانهم في كنف ايوائه ولا يكلهم
الى غيره واعتبر هذا المعنى بعمرة الحديبية وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما صده المشركون فيها عن مكة ومنعوه من ان يتم بين
اظهرهم نسكه رجع في الحال من تلك العمرة ولم يتعرض لهم بما يحصل
له في الظاهر عزة او نصرة بعد ما كان دعا اليه من بيعة الرضوان
تحت الشجرة وما عزم عليه من مناجزة من حاده من الكفرة وعمل
في ذلك على ما اظهره الله له من اياته العظام عند بروك ناقته
صلى الله عليه وسلم لما اراد توجيهها الى البيت الحرام وقال حينئذ

مظهراً لما قصده ومقرراً لما اعتمده انما حبسها حابس الفيل لا يدعوني اليوم قريش الى خطة فيها صلة الرحم الا اجبتهم اليها فكان كما قال صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وصالحهم على وضع الحرب فيما بينهم عشر سنين لينقلبوا في الارض آمنين فلما استتبت بينهم الصلح وانزل الله تعالى سورة الفتح ظهرت الفوائد التي تضمنها ذلك التدبير الحسن وقرت اعين الصحابة رضي الله عنهم بما ابرزه اليهم من اللطائف والمنن وقد صح بجميع ما قلناه الخبر ونقله الينا علماء الحديث والسير وليكن من دعاء صاحب هذا المقام ومناجاته ليوافق عقده وقوله في جميع تصرفاته اللهم اني اصبحت لا املك لنفسي ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ولا استطيع ان آخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم وفقني لما تحبه وترضاه من القول والعمل في عافية انك ذو الفضل العظيم وليقل ايضاً ما رايته لسيدي الشيخ ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه اللهم ان الامر عندك وهو محجوب عني ولا اعلم امراً اختاره لنفسي فكن انت المختار لي واجعلني في اجمل الامور عندك واحمدها عاقبة في الدين والدنيا والاخرة انك على كل شيء قدير انما استوحش العباد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن الله تعالى في كل شيء فلو شهدوه في كل شيء لم يستوحشوا من شيء الزهاد والعباد في حجبة عن ربهم بنظرهم لنفوسهم ومراعاة حظوظهم فهم يفرون من الاشياء ويستوحشون منها لانها موجودة في نظرهم والزهد في المزهود شاهد له في الوجود كما قال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه والله لقد عظمتها اذ زهدت فيها فهم يخافون منها ان تعوق عليهم اغراضهم وتفوتهم مقاصدهم بميلهم اليها وافتتانهم بها ولو كانوا من اهل العلم بالله والمحبة لله لراوه ظاهراً في الاشياء

استيحاش العباد والزهاد من الشيء لغيبتهم عن الله

كلها ولكان لهم في ذلك من قرة اعينهم ما يشغلهم عن رؤيتهم لنفوسهم فلا يكون لهم من الاشياء وحشة ولا يخشون منها فتنة لانها فانية متلاشية بهذا الاعتبار امرك في هذه الدار بالنظر في مكوناته وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته رؤية العباد لربهم عز وجل على حسب تجليه لهم ففي هذه الدار يرونه ظاهراً في المكونات بانوار بصائرهم لما تجلى لهم من وراء حجاب ولذلك امرهم بالنظر فيها وفي الدار الاخرة يرونه معاينة بانوار ابصارهم من غير حجاب ولا مانع وهذا غاية الظهور والكشف علم منك انك لا تصبر عنه فاشهدك ما برز منه عدم الصبر عن الله من وجود الاختصاص بمعرفته وهو حال شريف يقتضي وجود المعية الاختصاصية والمعية الاختصاصية تقتضي دوام المشاهدة والحضور فالمشاهدة الحقيقية غير متصورة في هذه الدار لما هي عليه من الدناءة والنقص والفناء والذهاب فاكرم الله تعالى عبده لعلمه بعدم صبره عنه بان اشهده ما برز منه من الاثار والاكوان تسلية له بالاثر عن النظر فحصلت له حينئذ المعية الاختصاصية اللائقة بحاله حتى اذا اقعده في مقعد الصدق وحصلت له عند رؤية الحق خلع عليه خلع التقريب والتكريم وواجهه بوجهه الكريم فحصلت له حينئذ المعية الحقيقية والمشاهدة السرمدية وما ذلك على الله بعزيز لما علم الحق منك وجود الملل لون لك الطاعات وعلم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك في بعض الاوقات ليكون همك اقامة الصلوة لا وجود الصلوة فما كل مصل مقيم تلوين الطاعات لوجود الملل وتحجيرها في بعض الاوقات لوجود الشره نعمتان عظيمتان انعم الله بهما على عبده فان الملل والشره آفتان عظيمتان قاطعتان على العبد سبيل عبوديته والملل تكره يعرض للانسان من عمل يلحقه فيه مشقة فيصبر عليه ويتحمل التعب فيه

لوجود الملل منك لون لك الطاعات

حتى يضجر ويسام فيترك ذلك العمل ويرفضه استثقالا له وهو شيء يعرض
للطبع بعد ايثاره للشيء ومحبته له والشره مجاوزة الحد في التسارع الى
العمل والحرص عليه الذي يوجب وجود الملل المداومة على نمط واحد من العبادات
فتسامها النفس وتستثقلها فاذا الوثت عليها استحلتها واستخفتها وقد

قال بعض الشعرا

لا يصلح النفس اذ كانت مطورة ، الا التنقل من حال الى حال

والموجب لوجود الشره صلاحية الاوقات كلها لايقاع العبادات فيها
مع شدة الحرص عليها وعند وجود الشره يقع النقص والتقصير فيها
فلذلك عين لها اوقاتا يوقع فيها واوقاتا لا توقع فيها وذلك هو معنى
تحجيرها في الاوقات وان كان الملل والشره واقعين في الصلوة لم يكن
الآتي بها مقيما لها لوقوع التقصير منه فيها ولم يؤمر الا باقامة
الصلوة لا بوجود صورة الصلوة وقال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه
كل موضع ذكر فيه المصلون في معرض المدح فانه انما جاء لمن اقام
الصلوة اما بلفظ الاقامة او بمعنى يرجع اليها قال الله سبحانه وتعالى
الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة وقال تعالى رب اجعلني مقيم
الصلوة ومن ذريتي وقال عز وجل واقم الصلوة لذكري وقال جل جلاله
والمقيمي الصلوة ولما ذكر المصلين بالغفلة قال تعالى فويل للمصلين
الذين هم عن صلاتهم ساهون ولم يقل فويل للمقيمين الصلوة فالاقامة
انه اذا صلى المؤمن صلوة فتقبلت منه خلق الله من صلاته
صورة في ملكوته راكعة ساجدة الى يوم القيمة وثواب ذلك لصاحب
الصلوة واقامة الصلوة حفظ حدودها ظاهرا وباطنا قال ابن
عطاء الله رضي الله عنه اقامة الصلوة حفظ حدودها مع حفظ
السر مع الله عز وجل لا يختلج سرك سواه قال الامام ابو القاسم

مدبّرة

ولم يؤمر الا باقامة الصلوة لا بوجود صورة الصلوة

واقامة الصلوة

القشيري

القشيري رضي الله عنه هو القيام باركانها وسننها ثم الغيبة عن شهودها
برؤية من يصلي له فيحفظ عليه احكام الامر بما يجري عليه منه وهو عن
ملاحظتها محو فنفوسهم منه مستقبلة الى القبلة وقلوبهم مستغرقة
في حقائق الوصلة وتمثيل المؤلف رحمه الله تعالى بالصلوة دون
سائر العبادات احسن لان ذلك اكثر ما يقع فيها وقد يكون ذلك
استطرادا للكلام على الصلوة حسبما يقوله باثر هذا الصلوة
طهرة للقلوب من ادناس الذنوب كما روي في الحديث الصحيح
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله انما مثل الصلوة كمثل
نهر غمر يمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما
ترون ذلك يبقي من درنه شيئا واستفتاح لباب الغيوب
لان القلوب اذا طهرت وتزكت رفع عنها الحجب والاستار
فرأت ما غاب عنها من الاسرار الصلوة محل المناجاة لان فيها
يكون الثنا والدعا والمناجاة مخاطبة الاسرار عند صفاء
الاذكار للملك الجبار ومعدن المصافاة وهي زوال الاكدار
الكونية بينك وبين ربك حتى يصفو قلبك وسرك فيصفو
لك حينئذ شهوده ويمحو ذاتك وجوده تتسع فيها ميادين
الاسرار حتى تتكاثر عليك في الظهور وتشرق فيها شوارق
الانوار فيكون قلبك نورا على نور وهذه العبارات ليست
معانيها متقاربة ولما كانت هذه الاحوال التي ذكرها المؤلف
رحمه الله تعالى من فوائد الصلوة وان المقصود منها انما هو
تحصيلها كان ذكر المؤلف لها كالدليل على ما قاله من ان
المامور به انما هو اقامة الصلوة لا وجود صورة الصلوة
فان الصلوة المعتبرة انما هي صلاة الخاشعين لا صلاة الغافلين

منافع الصلوة وفضائلها

التي لا تنتهض لبلوغ هذه المقاصد السنية ولذلك كانت الصلوة ام
العبادات واساس الخيرات **قال الله عز وجل** واقم الصلوة لذكري فاخبر
ان الصلوة المراد منها الذكر **وقد روي** معنى ذلك عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال انما فرضت الصلوة وامر بالحج والطواف واشعرت
المناسك لاقامة ذكر الله ولذلك كانت قرة عين حبيب الله صلى الله
عليه وسلم على ما سيأتي الكلام عليه حيث تعرض المؤلف رحمه الله له **وفي
بعض الاخبار** ان العبد اذا قام الى الصلوة رفع الله الحجب بينه وبينه
وواجهه بوجهه الكريم وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى الهوى
يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وان المصلي لينثر عليه
البر من عنان السماء الى مفرق رأسه ويناديه مناد لو يعلم المناجي
من يناجي ما انفتل وان ابواب السماء تفتح للمصلي وان الله تعالى
يباهي ملائكته بصفوف المصلين **وفي التورية** يا ابن آدم لا تعجز
ان تقوم بين يدي مصليا باكيا فانا الله الذي اقتربت من قلبك
وبالغيب رأيت نوري فكانوا يرون ان تلك الرقة والبكاء وتلك
الفتوح التي يجدها المصلي في قلبه من دنو الرب من القلب **وقال
محمد بن علي الترمذي** رضي الله عنه دعى الله تعالى الموحدين الى هذه
الصلوة الخمس رحمة منه عليهم وهيأ لهم فيها الوان الضيافة لينال
العبد من كل قول وفعل شيئا من عطاياه فالافعال كالاطعمة و
الاقوال كالاشربة وهي عرس الموحدين هيأها لهم رب العالمين لاجل
رحمته في كل يوم خمس مرات حتى لا يبقى عليهم دنس ولا غبار **وقال
ابو طالب المكي** رضي الله عنه حدثت ان المؤمن اذا توضأ للصلوة
تباعدت عنه الشياطين في اقطار الارض خوفا منه لانه يتأهب
للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه ابليس وضرب بينه وبينه سرادق

لينتشر

لا ينظر اليه

لا ينظر اليه وواجهه الجبار بوجهه الكريم فاذا قال الله اكبر اطلع
الملك على قلبه فاذا ليس في قلبه اكبر من الله فيقول الملك صدقت
الله في قلبك كما تقول قال فيتشعشع في قلبه نور يلحق بملكوت العرش
فيكشف له بذلك النور ملكوت السموات والارض ويكتب له حشو
ذلك النور حسنات **قال** وان الغافل والجاهل اذا قام الى الصلوة
احتوشته الشياطين كما تحتوش الذباب على نقطة العسل فاذا كبر
اطلع الملك على قلبه فاذا كل شيء في قلبه اكبر من الله عنده فقال الملك
كذبت ليس الله في قلبك كما تقول قال فيثور من قلبه دخان يلحق
بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه من الملكوت قال فيرد ذلك
الحجاب صلوته ويلتقم الشيطان قلبه ولا يزال ينفخ فيه ويوسوس
اليه ويزين اليه حتى ينصرف من صلوته لا يعقل شيئا مما كان فيه
ومعاني هذه الاخبار والاثار موافقة لمعنى ما ذكره المؤلف رحمه
الله تعالى وادلة عليه فلذلك اوردتها هاهنا والله ولي التوفيق
برحمته **علم وجود الضعف منك فقلل اعدادها وعلم احتياجك
الى فضله فكثر امدادها** هذا من فضل الله تعالى الذي عوّد عبده
بتقليل اعدادها بان جعل الخمسين خمسا وذلك تخفيف منه
بما علم من وجود ضعفه وتكثير امدادها بان جعل الخمسة ثواب
خمسين وذلك فضل منه عليه اذ كان محتاجا اليه فله الحمد والشكر
على ذلك وهذه المعاني مذكورة في حديث الاسرا **متى طلبت عوضا
على عمل طولبت بوجود الصدق فيه ويكفي المريب وجدان السلامة**
تقدم ان العمل لاجل حصول الجزاء مدخول معلول وحكينا هنالك
من الاثار والحكايات عن العارفين وارباب القلوب ما فيه مقنع وقد كرر
المؤلف رحمه الله هذا المعنى في مواضع متفرقة من هذا الكتاب

وما ذكره ها هنا تقبيح لحال طالب الجزاء على العمل ومعنى ما ذكره ان العمل
على هذا الوجه معرض للبطلان لانه اذا طالب ربه بالجزاء على عمله
طالبه ربه بوجود الصدق فيه والصدق الوفا بحقه في العمل وانا
له توفية ذلك مع كونه طالبا للحظ من ربه فهو لا محالة مريب
فيكفيه وجدان السلامة من غير مزيد عليها **قال الواسطي** رضي الله
عنه العبادات الى طلب العفو عنها اقرب منها الى طلب الاعواض عليها
وقريب من هذا ما قاله النصراباذي رحمه الله تعالى العبادات الى
طلب الصفح والعفو عن تقصيرها اقرب منها الى طلب الاعواض والجزاء
عليها **وقال خير النساج** رضي الله عنه ميراث اعمالك ما يليق بافعالك
فاطلب ميراث فضله فانه اتم واحسن قال الله تعالى قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون **لا تطلب عوضا
عن عمل لست له فاعلا يكفي من الجزاء لك على العمل ان كان له قابلا**
المنفرد بخلق اعمال العباد واختراعها هو الله عز وجل فكيف يطلب العبد
الجزاء على عمل لا مدخل له فيه على الحقيقة ومعنى كون القبول جزاء قد تقدم
اذا اراد ان يظهر فضله عليك خلق ونسب اليك فضل الله عليك
عظيم فاذا اراد ان يظهره عليك خلق لك الطاعة وحلاك بها ونسبها
اليك وقال لك يا عبدي انت مطيع ومتق ومجتهد وعامل وسأثيبك
على ذلك فاذا شهد العبد هذا الفضل العظيم واستولى عليه الخجل والحيا
من سيده الكريم وانطلق لسانه في هذا الحال بالدعاء والسؤال
وقال يا رب كما تفضلت علي بخلق الطاعة لي وحليتني بها ووصفتني
بصفات حميدة انا خلي عنها في الحقيقة ووعدتني مع ذلك جزيل
الثواب والنجاة من العقاب فتقبل مني عملي وانجز لي ما وعدتني كان في
ذلك مصيبا والا فلا فحق العبد ان لا ينسب الى نفسه شيئا

فضل الله العظيم على العبد

من محاسن

من محاسن الصفات ومحاسن الاعمال حقيقة ولا ادبا اذ لا اهلية
فيه لذلك واما مذام الصفات والاعمال ومساويها فمقتضى الادب
ان يضيف ذلك الى نفسه وان يعترف بان ذلك من ظلمه
وجهله قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه اذا عمل العبد حسنة
وقال يا رب انت بفضلك استعملت وانت اعنت وانت
سهلت شكر الله تعالى له ذلك وقال يا عبد بل انت تقربت
وانت اطعت واذا نظر الى نفسه وقال انا عملت وانا اطعت
وانا تقربت اعرض الله تعالى عنه وقال يا عبدي انا وفقت وانا
اعنت وانا سهلت واذا عمل سيئة وقال يا رب انت قدرت
وانت قضيت وانت حكمت غضب المولى جلت قدرته وقال له
يا عبدي بل انت اسأت وانت جهلت وانت عصيت واذا قال
العبد يا رب انا ظلمت وانا اسأت وانا جهلت اقبل المولى
جلت قدرته عليه وقال يا عبدي انا قضيت وانا قدرت
وقد غفرت وقد حلمت وقد سترت **لا نهاية لمذامك ان ارجعك
اليك ولا تفرغ مدايحك ان اظهر جوده عليك** من ارجعه الحق
الى نفسه ووكله الى عقله وحسه فقد طرده عن بابه وابعده
عن جنابه وكانت احواله مدخولة معلولة واعماله مستقبحة
مرذولة ومن اواه اليه واظهر جوده عليه فقد اصطنعه
لنفسه ورفعه الى حضرة قدسه وكانت احواله حسنة جميلة
واعماله كلها ممدوحة مقبولة كما قيل **شعر**
لما انتسبت الى حماك تعرفت ۞ ذاتي فصرت انا والامر انا
كن باوصاف ربوبيته متعلقا ۞ وباوصاف عبوديتك متحققا
التعلق باوصاف الربوبية ان تشهد وجودك ولوازم وجودك

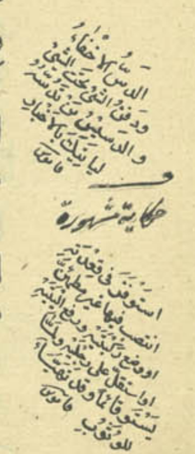
كن باوصاف الله تعالى متعلقا وبعبوديتك متحققا

لاشئ من جميع ذلك لك ولا منك وانما هى عوارٍ عندك فلا ترى وجودك
الا بوجوده ولا بقاءك الا ببقائه ولا عزتك الا بعزته ولا قدرتك
الا بقدرته ولا غناك الا بغناه الى غير ذلك من الاوصاف ولا يتم لك
ذلك الا بان تتحقق باوصاف عبوديتك من عدمك وفقرك
وذلك وعجزك والتعلق والتحقق المذكوران متلازمان بل هما شئ
واحد ولا تعدد فيهما على التحقيق **منعك ان تدعى ما ليس لك**
مما هو للمخلوقين افتبيح لك ان تدعى وصفه وهو رب العالمين
اورد هذا كالدليل على ما ذكره آنفا من انه لاحظ للعبد من صفات
مولاه الا التعلق بها فقط وان ادعاءه شيئا منها من كبائر معاصى
القلب ومن مشاركة المربوب للرب ومن مقتضى لغيرته التى اتصف
بها واعلمنا بشانها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث
قال ما احد اغير من الله تعالى ومن غيرته انه حرم الفواحش
ما ظهر منها وما بطن تحريم ذلك على العبد والتسجيل عليه باستحقاق
الطرد والبعد ومن افحش الفواحش عند العارفين وجود شئ
من الشركة فى قلب العبد بادعاء شئ من اوصاف الربوبية لنفسه
عقدا اوقولا لان ذلك منازعة له وتكبر عليه **وفى حديث بن**
عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل
الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدة منهما القيته فى النار
ومعنى المنازعة الدعوى قولا وعبارة والاضمار فعلا واشارة ومعنى
الغيرة فى حقه تعالى انه لا يرضى بمشاركة غيره له فيما اختص به من
صفات الربوبية وفيما هو حق له من الاعمال الدينية واذا كان الحق
تعالى ما نعا لك ومحرما عليك ان تدعى ما ليس لك مما اعطى المخلوقين
من الاموال ومسميا ذلك ظلما وعدوانا فكيف يبيح لك ان تدعى صفه

وهو رب

وهو رب العالمين لا شريك له لا انت ولا غيرك فهو اذا من اعظم
الظلم واشد العدوان اعاذنا الله من ذلك **قلت وهذا المعنى** الذى
ضمنه المصنف رحمه الله هذه المسألة هو الغرض الاقصى الذى هو
مرمى نظر الصوفية وكلما اصنفوه ودونوه وامروا به ونهوا عنه
من افعال واقوال واحوال انما هى وسائل الى هذا المقصد الشريف
والمقام المنيف فشانهم ابدا انما هو العمل على موت نفوسهم واسقاط
حظوظهم بالكلية كما قيل الصوفى دمه هدر وملكه مباح
وليس ذلك هو المقصود لهم بالذات وانما غرضهم من ذلك ما
يلزم عنه من انفراد الله تعالى عندهم بالوجود ولوازم الوجود
انفرادا لا يشاركونه فى شئ منها البتة كما ذكرناه آنفا وهذا
هو كيميا السعادة التى اعوز اكثر الناس ولم يحظوا منه الا
بالافلاس اذ بذلك يستحق المرء عبودية الله تعالى الذى لا مقام
للعبد اشرف منه كما قال **الشاعر**
السّتَ لى خلفا منى كفى شرفا   فما وراك لى قصد ومطلوب
ولهذا المعنى كانت عندهم دقائق خطرات الحظوظ وخفيات
هو اجس الهوى وكلما يقتضى بقاء النفس وثبوتها من محبة المقام
وايثار الالطاف والكرامات ذنوبا عظيمة واخلاقا لئيمة قادحة
فى صدق العبودية والاخلاص للربوبية يتوبون من جميع ذلك
الى ربهم ويتعوذون به من شره ويخافون من مساكنته وملاحظته
غاية البعد ونهاية المكر والطرد **كما قيل**
اذا قلت ما اذنبت قالت مجيبة   وجودك ذنب لا يقاس به ذنب
ذكر انه كان لبعض الملوك عبد يقدمه على اشكاله واقرانه
فشكى اهل اقليم عاملهم الى الملك فقال تخيروا من شئتم اوليه عليكم

فاختاروا ذلك العبد لما راوا من ميل الملك اليه فقال الملك ارجعوا
فان اختار الولاية وليته عليكم فرغب الغلام في الولاية فامر بكتب المنشورة
وامر باستقباله اذا وافا محل ولايته والمبالغة في لطافة بانواع
الكرامات والمبار ودس من يرش عليه ماء ورد فيه سم ثم امر من يقول
اذا اشرف على الموت هذا جزاء من اختار الولاية على خدمة مولاه ففي
هذا عبرة لاولي الابصار وتبصرة لارباب الاعتبار والى هذا المعنى الجليل
المؤدي الى سواء السبيل تشير الحكاية المشهورة المروية عن ابي يزيد رضي
الله عنه حكيت يحيى بن معاذ رضي الله عنه انه رآه في بعض مشاهداته
من بعد صلوة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا
اخمصيهما مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا
بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فاطال ثم قعد فقال اللهم
ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهوى فرضوا
بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم طي الارض
فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم
كنوز الارض فانقلبت لهم الاعيان فرضوا بذلك واني اعوذ بك
من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم لقاء عبدك الخضر فرضوا
بذلك واني اعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات
الاولياء ثم التفت فرآني فقال يحيى فقلت نعم يا سيدي فقال منذ
متى انت هاهنا فقلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني
بشيء فقال احدثك بشيء يصلح لك ادخلني في الفلك الاسفل فدورني
في الملكوت السفلي فاراني الارضين وما تحتها الى الثرى ثم
ادخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات واراني ما فيها من
الجنان الى العرش ثم اوقفني بين يديه فقال سلني اي شيء رأيت حتى



اهبه لك

اهبه لك فقلت يا سيدي ما رأيت شيئا استحسنه فاسألك اياه
فقال انت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن بك ولافعلن
فذكر اشياء فقال يحيى بن معاذ فهالني ذلك فامتلأت به وعجبت
منه فقلت يا سيدي لم لا سألته المعرفة به اذ قال لك ملك الملوك
سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك غيرة عليه
مني لا احب ان يعرفه سواه قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه
بعد ان ذكر هذه الحكاية فهذا حال عبد من نفسه مأخوذ اذ كان
ربه عز وجل له موجودا طال مقامه في المقامات فقصرت عن وصفه
الصفات وحق له اذا نظر الى الحسن الذي حسن المحاسن كلها عن حسنه
وشانت الزينات جميعها بعد النظر الى زينته وشهد الجمال الذي جمل
الجمال المتجملون بجماله ان لا يستحسن سواه وكيف يحب غير ما استحسن
او زين في عينه الا اياه ام كيف ينظر غيرا اياه ام كيف يطلب ما احب
او يصير مع غير ما طلب بل كيف يهتم بغير ما طلب فهذا نعت عبد
مطلوب بمعنى ما طلب ووصف شخص محبوب بعين ما احب الله
يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس انتهى وفي الاشارات
عن الله سبحانه وتعالى يا عبدي اعزل نفسك ينعزل معها الملك و
الملكوت فتلحق الدارين بالملك وتلحق العلوم بالملكوت فتكون
عبدي من وراء ما ابدي فلا يستطيعك ما ابدي لانك عندي
واذا كنت عندي كنت عبدي واذا كنت عبدي كان عليك نوري
فلا يستطيعك ما ابدي وان ارسلته اليك لان نوري عليك و
ليس نوري عليه فاذا جاك لم يطقك فاوذنك بر فتاذن انت له
والعبارات عندهم في هذا المعنى خارجة عن الحصر وفيما رسمناه
منها كفاية وانما ذكرنا هذه المعاني وان كانت في الظاهر اعلى

من ان يتناولها كلام المؤلف رحمه الله تعالى لان مرجع امره اليها اذا دققنا
فيه النظر وتصرفنا فيه بوجوه العبر وكان باطنه هو المقصود المعتبر
وكلام الصوفية رضي الله عنهم كثيرا ما يجري هذا المجرى والله تعالى يجزيهم عنا
خيرا ويمن علينا بالفهم عنهم وحسن القبول منهم ويفتح اسماعنا للاصغا
اليهم ويشرح صدورنا باستحسان ما يرد منهم ويبدو اليهم بمنه
وفضله كيف تخرق لك العوائد وانت لم تخرق من نفسك العوائد

ميزان الكرامة والاستدراج

خرق العوائد بانكشاف عالم القدرة لا يكون الحق تعالى بها الا من خرق عوائد
نفسه وفنى عن ارادته وحظوظه فمن لم يصل الى هذا المقام لا يطمع
فيها وان ظهر له ما صورته صورة الكرامة ينبغي له ان يخاف عند ذلك
من الاستدراج والمكر ولا يحب ذلك ولا يطلبه فان احبه او طلبه فهو
دليل على بقائه مع ارادته وحظوظه وعاداته فكيف تخرق العوائد
لمن هذه صفته على سبيل الكرامة وهل هذا الا محال لا يستقيم قال
الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه وجميع الاسرار من الغيوب التي تكنها
الحجب والاستار لا يظهر عليها الا مطلوب والمطلوب لا يكون محجوبا وهو
عن نفسه مسلوب فمن بقيت عليه من نفسه بقية ونظر الى حركته
وسكونه بعينه نظرة خفية فيسترها عليه رحمة منه له لانه لو كشف
بها هلك في حيرة الهوى او غرق في بحر الدنيا ونفس حبه وعين طلبه
اياها هو حجابه عنها واستتارها عنه حتى يكون كارها لظهورها
كراهيته لظهور الخلق على معصيته وخائفا منها لخوفه على نفسه
في تظاهرها عليه بهلكته فهناك حين يبتلى بها ويختبر ليظهر كيف
يعمل وكذا للشيخ ابي عبد الله القرشي رضي الله عنه قال من لم يكن
كارها لظهور الايات وخوارق العادات منه كراهية الخلق لظهور
المعاصي فهي في حقه حجاب وسترها عنه رحمة فاذا امن خوف عوائد

نفسه لا يريد ظهور شيء من الايات وخوارق العادات له بل تكون نفسه
عنده اقل واحقر من ذلك فاذا فني عن ارادته جملة وكان له تحقيق في
رؤية نفسه بعين الحقارة والذلة حصلت له اهلية ورود الالطاف
ووجود الاسعاف وسلك الى مرتبة الصديقية المهيع الباهج وضرب
مع اهل الارادة بالقدح الفالح قال الشيخ ابو العباس ابن العريف
رضي الله عنه اصبحت يوما مهموما فقلت للشيخ ابي القاسم بن رويل
حدثني بحكاية عسى الله تعالى ان يفرج بها ما بي فقال نعم وصف لي رجل
ببعض السواحل يعرف بابي الحيار فقصدته فوجدته على ساحل البحر
فسلمت عليه وجلست فلم يتكلم ولم اكلمه حتى اذا كان وقت الصلوة
اقبل نفر من بعض الاودية متفرقون فاجتمعوا اليه وتقدمهم واحد
منهم وصلى بهم ثم افترقوا ولم يكلم احد منهم احدا وجلس الشيخ
مكانه وجلست عنده حتى اذا كان وقت الصلوة اقبل النفر و
صلوا ثم انصرفوا حتى حان وقت صلوة العصر اجتمعوا وصلوا ثم
جلسوا بعد ذلك وتذاكروا في سير الصالحين ومقامات الاولياء
الى قريب الاصفرار ثم تفرقوا واجتمعوا للمغرب ثم تفرقوا فجلست
عندهم ثلاثة ايام وهم على ذلك ثم وقع في نفسي ان اساله عن مسالة
استفيدها فتقدمت اليه فقلت له ايها الشيخ مسالة اسالك
عنها قال قل فنظر الجماعة الي كالمنكرين ففزعت فقلت له ايها الشيخ
متى يعلم المريد انه مريد قال فاعرض عني فلم يجبني فخفت ان اكون
اغضبته فقمت عنه فلما كان اليوم الثاني قلت لا بد ان اساله
عن المسالة وعزمت على ذلك فتقدمت اليه وقلت ايها الشيخ متى
يعلم المريد انه مريد قال فاعرض عني كالاولى فلم يجاوبني فقمت وعدت
في الثالثة وسالته عن المسالة بعينها فاجتمع وقال لا تقل هكذا الظنك

وطريق مهيع كمقعد
بين وبهج كمنع
افرح وسر كابهج و
الفلج الظفر والفوز
والفالج الفائز
من السهام وفي الجيم
وقارن في الحاء الفلح محركة
والفلاح الفوز اقول
لا يخفى ان الفالج
بالجيم في العبارة
يكون انسب واولى
لوجوه لا تخفى منه

متى يعلم المريد انه
مريد ووجه تسمية
المريد

تريد ان تسال عن اول قدم يضعه المريد فى الارادة فقلت نعم قال لى اذا
اجتمع فيه اربع خصال احدها ان تطوى له الارض وتكون عنده كقدم
واحد وان يمشى على الماء وان ياكل من الكون متى اراد وان لا ترد له
دعوة فعند ذلك يضع اول قدم فى الارادة واما متى ما علم المريد عندنا
انه مريد يسقط من حد الارادة **قال الشيخ ابو العباس بن العريف** رضى
الله عنه فصحت صيحة كادت نفسى تذهب معها ثم قلت له ايأستنا
من الارادة يا ابا القاسم وتعجبت من علو همة هذا الشيخ انتهى **واعلم**
انه اول ما يخرق له من العادة تسميته باسم مريد مع كونه
مسلوب الارادة وما احسن ما قاله **الشاعر**

تكون مريدا ثم فيك ارادة ۞ اذا لم ترد شيئا فانت مريد

والتحقيق فى هذا ان من تمحضت ارادته لعبودية الله عز وجل
برعاية حقوقه لاجل ما وجب عليه من ذلك لا يتوصل به الى نيل
حظ ما هو الذى يسمى مريدا فلم يسم بذلك الا لانه متصف
بالارادة الحقيقية المتعلقة باشرف المطالب ونهاية الامال
والمآرب وذلك امر وجودى يصح ان يشتق منه اسم لمن قام
به ذلك الامر لانه يسمى بذلك لاجل ما سلب عنه من الارادة
المجازية المتعلقة بحظوظه لكن لما كان سلب احدهما يقتضى
وجود الآخر لاقتضاء الواجب صح لذلك الشاعر ان يطلق اسم
الارادة على من سلبت منه ويحجره على من وجدت فيه رشاقة
وملاحة ونعمة وبهذا يتبين لك صحة كلام ابى يزيد رضى الله عنه
واستقامته حيث قيل له ما تريد فقال اريد ان لا اريد وانه
ليس بمختبل ولا متناقض كما توهم بعضهم **قال فى التنوير** واعلم انه
قد قال بعضهم ان ابا يزيد لما اراد ان لا يريد فقد اراد وهذا قول

من لا معرفة عنده وذلك ان ابا يزيد رضى الله عنه انما اراد ان لا
يريد لان الله تعالى اختار له وللعباد اجمع عدم الارادة معه فهو
فى ارادته ان لا يريد موافق لارادته تعالى له ولذلك **قال الشيخ
ابو الحسن** رضى الله عنه فكل مختارات الشرع وترتيباته هو مختار
الله تعالى ليس لك من الامر شئ واسمع واطع وهذا موضع الفقه
الربانى والعلم اللدنى وهو ارض لتنزل علم الحقيقة الماخوذ
عن الله عز وجل **قال** فابان الشيخ بهذا الكلام ان كل مختار للشرع
لا يناقض اختياره مقام العبودية المبنى على ترك الاختيار
لئلا ينخدع عقل قاصر عن درك الحقيقة بذلك فيظن ان
الوظائف والاوراد ورواتب السنن ارادتها يخرج بها العبد
من صريح العبودية لانه قد اختار الشيخ ان كل مختارات الشرع
وترتيباته ليس لك منه شئ فانما انت مخاطب ان تخرج عن تدبيرك
لنفسك واختيارك لها الا عن تدبير الله ورسوله فافهم قال
فقد علمت اذا ان ابا يزيد ما اراد ان لا يريد الا لان الله تعالى
اراد منه ذلك فلم تخرجه هذه الارادة عن العبودية المقتضاة
منه انتهى **وقد طال بنا الكلام** فى هذا المعنى حتى آل الى بعد
المناسبة بينه وبين المسالة المنبه عليها من الكتاب و
الحديث شجون يجر بعضه الى بعض ولكن لما كان مقصدنا
فى هذا التنبيه استغنام ذكر الفوائد تفاصلها ومظانها
لتقرع مسائل هذا الفن الغريب اسماع من اراد الله تعالى
توفيقه ممن بينه وبينه بعد المشرقين صح منا ذلك وكنا
سائرين فيه على اوضح المسالك وبالله التوفيق والله اعلم بالصواب

ما الشان وجود الطلب انما الشان ان ترزق حسن الادب

حسن الادب من حسن العبودية

هذا اذا التزم العبد طلب حوايجه وحظوظه من مولاه ولم يطلب ذلك
من غيره فلا يظن انه وفا بما يجب عليه من حق الربوبية فليس ذلك بالشان
المعتبر عند المحققين وانما الشان ان يتادب العبد بين يدي مولاه
ادبا حسنا بان يفوض امره اليه ويرضى بما قسم له ولا يطلب منه كما
سيقوله المؤلف بعد هذا ويطلب منه عبودية منه له لا لقصد نيل
حظه فبهذين الوجهين يحسن ادبه ويصح سواله وطلبه وذلك
هو الوفا على التحقيق **ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ولا اسرع**
بالمواهب اليك مثل الذلة والافتقار اضطرار العبد هو اخص
اوصاف عبوديته ولذلك لم يطلب من العبد شيء اجل منه **قال**
ابو محمد عبد الله بن منازل رضى الله عنه العبودية الرجوع الى الله
تعالى في كل شيء على حد الاضطرار وفيه ايضا خاصية اجابة الدعاء

وفي غاية الاضطرار خاصية اجابة الدعاء

قال الله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه والاضطرار المطلوب
منه ان لا يتوهم العبد شيئا من نفسه من الحول والقوة ولا يرى
لنفسه شيئا من الاسباب يعتمد عليه ويستند اليه ويكون بمنزلة
الغريق في البحر لا يرى لغياثه الا مولاه ولا يرجو لنجاته من
هلكته احدا سواه **وقال بعض العارفين** المضطر الذي يقف
بين يدي مولاه فيرفع يديه اليه بالمسألة فلا يرى بينه وبين
الله حسنة يستحق بها شيئا فيقول يا مولاي هب لي بلا شيء

تعريف المضطر

والذلة والافتقار امران لازمان له وهما موجبان لاسراع
مواهب الحق تعالى الى العبد المتصف بهما واليه الاشارة بقوله
عز من قائل ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فذلتهم
اوجبت لهم عزتهم ونصرتهم **كما قيل شعر**
واذا تذللت الرقاب تقربا ؛ منها اليك فعزها في ذلها

وقال ايضا

وقال ايضا
حين اسلمتني الى الذال واللام ؛ تلقيتني بعين وزاي
قال في لطائف المنن والجالب للتوفيق وعلامة صدق الرجى الى الله

والجالب للتوفيق وعلامة صدق الرجى الى الله

تعالى في اول كل فعل وترك بتحقيق الفقر والفاقة اليه والانغماس في
بحر الذلة والمسكنة بين يديه واستصحاب ذلك الى الفراغ من
ذلك ابدا **وقد قال الله** سبحانه وتعالى ولقد نصركم الله ببدر و
انتم اذلة **وقال تعالى** انما الصدقات للفقراء والمساكين فلا تدخل
جنة عملك وعلمك وما اعطيت من نور وفتح وتقول كما قال من
خذل واخبر الله تعالى عنه بقوله ودخل جنته وهو ظالم لنفسه
قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا ولكن ادخلها كما بين لك وقل
كما رضي لك ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا
بالله وافهم هاهنا قوله صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم كنز من كنوز الجنة **وفي رواية** كنز من كنوز تحت العرش فالترجمة
ظاهر الكنز والمكنوز فيها يصلح صدق التبري من الحول والقوة و
الرجوع الى حول الله تعالى وقوته **لولا انك لا تصل اليه الا بعد فنا**
مساويك ومحو دعاويك لم تصل اليه ابدا ولكن اذا اراد ان
يوصلك اليه غطا وصفك بوصفه ونعتك بنعته فوصلك

اذا اراد ان يوصلك اليه

اليه بما منه اليك لا بما منك اليه الوصول الى الله تعالى لا يكون الا
بمحو صفات النفس وقطع علاقات القلب في شيء من ذلك لا يتصور من
العبد من حيث هو لان ذلك طبعه وجبلته ولو لم يكن الا ارادته
وعمله في تحصيل هذا الغرض بنفسه وهما من جملة المساوى و
الدعاوى المحتاج الى محوهما **قال سيدي ابو العباس** رضى الله عنه
لن يصل الولي الى الله تعالى حتى تنقطع عنه شهوة الوصول الى الله تعالى

يعنى انقطاع ادب لا انقطاع ملل قال ابو الحسن رضى الله عنه ولن
يصل الولى الى الله تعا ومعه شهوة من شهواته او تدبير من تدبيراته
او اختيار من اختياراته فلو خلى الله عبده وذلك لم يصل اليه ابدا
ولكن اذا اراد الله تعا ان يوصل عبده اليه تولى ذلك له بان يظهر
له من صفاته العلية ونعوته القدسية ما يغيب بذلك صفات
عبده ونعوته عنه ويكون ذلك علامة على محبته له كما اشار اليه
بقوله فى الحديث الصحيح فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به
وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها
وعند ذلك لا يكون له ارادة ولا اختيار الا ما اختاره مولاه
واراده فيكون حينئذ واصلا الى الله بما من الله اليه من الفضل
والكرم لا بما من العبد اليه من الاجتهاد والعمل فسبحان المتفضل
على من يشاء بما شاء وقال رضى الله عنه لولا جميل ستره لم يكن عمل
اهلا للقبول العبد مبتلى بنظره الى نفسه وفرحه بعمله من حيث نسبته
اليه وشهوده حوله وقوته عليه وهذا لا يخلص له عنه الا بما شاء
ربه وقد يكشف حجابه فيرى ربه ويطلب حمد الناس له وهذا كله
من الشرك الخفى القادح فى الاخلاص الحقيقى والاخلاص شرط
فى قبول الاعمال كما تقدم وقال يحيى بن معاذ رضى الله عنه مسكين
ابن ادم جسم معيب وقلب معيب يريد ان يخرج من بين
معيبين عملا بلا عيب فعمل العبد لما كان بهذه المثابة لم يكن
فيه اهلية لوجود القبول لولا جميل ستر الله عليه وعظيم حلمه
وبره فليعتمد المريد على فضل الله تعا وكرمه لا على اجتهاده و
عمله قال ابو عبد الله القرشى رضى الله عنه اذا طالبهم بالاخلاص
تلاشت اعمالهم واذا تلاشت اعمالهم زاد فقرهم وفاقتهم فتبرؤا عن

الحاجة فى الطاعة الى حلمه تعا
اشد من الحاجة فى المعصية
اليه

كل شى ومن كل شى لهم ومنهم انت الى حلمه اذا اطعته احوج منك
الى حلمه اذا عصيته شرف العبد ورفعة قدره انما تكون بنظره
الى ربه عز وجل واقباله عليه وسكونه اليه واعتماده عليه و
دناءته وخسته وسقوطه من عين الله انما يكون بنظره الى
نفسه واقباله على غيره واستناده الى سواه فالعبد عند عمله
بالطاعة معرض لهذه الاخطار من نظره لنفسه واستعظام
عمله وعجبه بطاعته وسكونه الى معاملته وليته يسلم فيه
من دقائق الريا والتصنع بخلاف المعصية فى جميع هذه
الاشياء فانها تحمله على الحذر والخوف من ربه وتوجب له الانكسار
والخضوع وشدة الافتقار اليه فكذلك كان العبد الى حلم الله
تعا اذا اطاعه احوج منه الى حلمه اذا عصاه وفى الخبر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اوحى الله تعا الى نبى من الانبيا
قل لعبادى الصديقين لا يغتروا فانى ان اقم عليهم عدلى وقسطى
اعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادى الخاطئين لا تياسوا من
رحمتى فانى لا يكبر على ذنب اغفره ولهذا المعنى قال ابو يزيد
رضى الله عنه توبة المعصية واحدة وتوبة الطاعة الف توبة
الستر على قسمين ستر عن المعصية وستر فيها فالعامة
يطلبون الستر من الله تعا فيها خشية سقوط مرتبتهم عند
الخلق والخاصة يطلبون الستر من الله عنها خشية سقوطهم
من نظر الملك الحق العامة يغلب عليهم شهود الخلق والتصنع لهم
والتزين ومحبة حمدهم وكراهية ذمهم فهم يعملون المعصية
ويستخفون بها ويطلبون الستر من الله تعا عليهم فيها اى فى
حال كونهم عاملين بها لئلا يراهم الخلق فيسقطون من اعينهم

وفى امثالهم قال الله عز وجل يستخفون من الناس ولا يستخفون من
الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول **قال سيدى الامام ابو القاسم
القشيري** رضى الله عنه فى هذه الاية الغالب على قلوبهم رؤية الخلق ولا
يشعرون ان الحق مطلع عليهم اولئك الذين وسم الله قلوبهم بوسم
الفرقة **وروى** عدى بن حاتم رضى الله عنه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال يؤمر يوم القيمة باناس الى الجنة حتى اذا
دنوا منها ونظروا اليها واستنشقوا رائحتها وما اعد الله لاهلها
نودوا ان ارجعوهم فلا نصيب لهم فيها قال فيرجعون بحسرة ما
رجع الاولون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل
ان تريناما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك
كان اهون علينا **قال الله عز وجل** ذلك اردت بكم كنتم اذا خلوتم
بارزتمونى بالعظايم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤن
الناس بخلاف ما تعطونى من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى
واجللتم الناس ولم تجلونى وتركتم للناس ولم تتركوا لى فاليوم
اذيقكم اليم العذاب مع ما حرمتم من الثواب **وفى بعض
الكتب** ان لم تعلموا انى اراكم فالخلل فى ايمانكم وان علمتم انى
اراكم فلم جعلتمونى اهون الناظرين اليكم **قال ابن عباس** رضى
الله عنهما فى قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور
هو الرجل تمر به المراة فى القوم فيرى القوم انه غض بصره
عنها فاذا غفلوا نظر اليها ويريهم انه يغض بصره ويوده
انه لو اطلع على عورتها ويقدر عليها **قال رضى الله عنه** فى
رواية اخرى هو الرجل يكون فى القوم فتمر بهم المراة فيريهم
انه يغض بصره عنها فاذا راى من القوم غفلة لحظ اليها

ونظر

ونظر فاذا خاف ان يفطنوا غض بصره فقد اطلع الله عز وجل
على قلبه انه يود انه لو نظر الى عورتها وهذا كله شان المرائين الذين
يستخفون بنظر الجبار ويهابون الناس ان يطلعوا عليهم فيما
يرتكبونه من الاوزار **والخاصة** من اهل الايمان واليقين برآء
من هذا الوصف الذميم لا التفات لهم الى الخلق مدحا ولا ذما
وهممهم مصروفة عن النظر اليهم والاعتماد عليهم فى جلب نفع
او دفع ضر وحالهم انما هو القناعة بعلم الله تعالى ومراقبة نظره
فهم يطلبون الستر من الله تعالى عنها فى ان يغيبها عن نظرهم
ولا يخطرها بقلوبهم فتميل اليها انفسهم فيعملون بها ويقعون
فى مخالفة ربهم والتعرض لسخطه والسقوط من عينه وشتان
ما بين الحالتين والى هذا المعنى اشار **سيدى ابو الحسن الشاذلي**
رضى الله عنه فى دعائه بقوله **اللهم** انا نسألك التوبة ودوامها
ونعوذ بك من المعصية واسبابها وذكرنا بالخوف منك قبل
هجوم خطراتها واحملنا على النجاة منها ومن التفكر فى طرائقها
وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها واستبدلها بالكراهة
لها والطعم لما هو بضدها **من اكرمك فانما اكرم فيك جميل
ستره فالحمد لمن سترك ليس الحمد لمن اكرمك وشكرك** العبد
هو محل للافات والعيوب وستر الله الجميل هو الذى يحبب الناس
الى الناس فاذا اكرمك احد فلا يذهبن ذلك بك الى ان ترى
لنفسك وصفا محمودا تستحق به الاكرام فتكون جاهلا بنفسك
ولا يحملنك ايضا رؤية اكرام الخلق لك لوجود جهلهم بحالك
على ان تحمدهم عليه دون ربك الذى اضطرهم الى اكرامك و
ستر عنهم عيوبك واظهر لهم محاسنك فتكون بذلك كافرا بنعمة

ربك ظالما بوضع الحمد في غير موضعه ما صحبك الا من صحبك
وهو بعيبك عليم وليس ذلك الا مولاك الكريم خير من تصحب من
يطلبك لك لا لشئ يعود منك اليه الصاحب على الحقيقة هو
من بذل احسانه لك واسبغ نعمه عليك ولم يمنعه من ذلك
ما يعلم من عيوبك التي يكرهها منك وليس ذلك الا مولاك و
خير صاحبك ايضا من اعتنى بك وآثرك واردك من غير
منفعة ينالها منك وليس ذلك ايضا الا مولاك فاتخذه
صاحبا ودع الناس جانبا لو اشرق نور اليقين لرايت الآخرة
اقرب اليك من ان ترحل اليها ولرايت محاسن الدنيا قد
ظهرت كسفة الفنا عليها نور اليقين تتراءى به حقائق
الامور على ما هي عليه فيحق به الحق ويبطل به الباطل والآخرة حق
والدنيا باطل فاذا اشرق نور اليقين في قلب العبد ابصر به الآخرة
التي كانت غائبة عنه حاضرة لديه حتى كانها لم تزل
فكانت اقرب اليه من ان يرحل اليها فحق بذلك حقها عنده
وابصر الدنيا الحاضرة لديه قد انكسف نورها واسرع اليها
الفنا والذهاب فغابت عن نظره بعد ان كانت حاضرة
فظهر له بطلانها حتى كانها لم تكن فيوجب له هذا النظر
اليقيني الزهادة في الدنيا والتجافي عن زهرتها والاقبال على
الاخرة والتهيئ لنزول حضرتها ووجدان العبد لهذا هو علامة
انشراح صدره بذلك النور كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفتح قيل يا رسول
الله هل لذلك من علامة يعرف بها قال صلى الله عليه وسلم نعم
التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد

موجب نور اليقين
في القلب وعلامته

للموت قبل نزوله او كما قال صلى الله عليه وسلم وعند ذلك تموت شهواته
وتذهب دواعي نفسه فلا تامره بسوء ولا تطالبه بارتكاب منهي
ولا تكون له همة الا المسارعة في الخيرات والمبادرة لاغتنام
الساعات والاوقات وذلك لاستشعاره حلول الاجل وفوات صالح
العمل والى هذا المعنى الاشارة بحديثي حارثة ومعاذ رضي الله عنهما
روى انس بن مالك رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله
عليه وسلم يمشي اذا استقبله شاب من الانصار فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم كيف اصبحت يا حارثة فقال اصبحت مؤمنا
بالله حقا قال النبي صلى الله عليه وسلم انظر ماذا تقول فان
لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة فقال يا رسول الله صلى
الله عليك وسلم عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي واظمات
نهاري فكاني بعرش ربي بارزا وكاني انظر الى اهل
الجنة يتزاورون فيها وكاني انظر الى اهل النار يتعاوون
فيها فقال ابصرت فالزم عبد نور الله الايمان في قلبه فقال
يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنودي يوما في الخيل يا خيل الله اركبي فكان اول فارس
ركب واول فارس استشهد فبلغ امه ذلك فجاءت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اخبرني عن ابني فان يك
في الجنة فلن ابكي ولن اجزع وان يك غير ذلك بكيت ما عشت
في الدنيا فقال صلى الله عليه وسلم يا ام حارثة انها ليست بجنة
ولكنها جنة في جنان وحارثة في الفردوس الاعلى فرجعت
وهي تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارثة وروى انس رضي الله عنه
ايضا ان معاذ بن جبل رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو يبكي فقال كيف اصبحت يا معاذ قال اصبحت بالله مؤمنا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق
ما تقول قال يا نبي الله ما اصبحت صباحا قط الا ظننت اني لا امسي ولا
امسيت مساء الا ظننت اني لا اصبح ولا خطوت خطوة قط الا ظننت
اني لا اتبعها اخرى وكاني انظر الى كل امة جاثية تدعى الى كتابها
معها نبيها واوثانها التي كانت تعبد من دون الله تعالى وكاني
انظر الى عقوبة اهل النار وثواب اهل الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم
عرفت فالزم فهذان الرجلان الفاضلان حارثة ومعاذ بن جبل
رضي الله عنهما لما اشرقت عليهما انوار اليقين وتمكن من قلوبهما
اي تمكين صدر عنهما ما صدر مما ذكرناه من فنون العبر فشاهدا
امر الدارين بمنزلة رأي العين فسلمت اعمالهما من العيوب والافات
وحفظا من الخطيئات والسيئات فطهرت منهما الاسرار والقلوب
وسارعا في كل امر محبوب وطارت ارواحهما اشتياقا الى لقاء
الواحد الفرد وطابت انفسهما بالموت حتى صار عندهما احلى من
الشهد حيث جاء على فاقة الا افلح من ندم وكذلك غيرهما من الصحابة
وكبار التابعين وائمة الدين رضي الله عنهم اجمعين ولقد اصاب
معبر عن حالهم ٭ فاسمع مقالا صادقا مقبولا ٭
ان الالى ماتوا على دين الهوى ٭ وجدوا المنية منهلا معسولا
وروى انس بن مالك رضي الله عنه ان حرام بن ملحان رضي الله عنه
وهو خال انس رضي الله عنهما طعن يوم بير معونة في راسه فتلقا
دمه بكفه ثم نضحه على راسه ووجهه وقال فزت ورب الكعبة
وكان جبار بن سلمى فيمن حضر بير معونة مع عامر بن الطفيل
ثم اسلم بعد ذلك فكان يقول مما دعاني الى الاسلام اني طعنت

رجلا منهم فسمعته يقول فزت والله قال فقلت في نفسي والله ما فاز
اليس قتلته حتى سألت بعد ذلك عن قوله فقالوا الشهادة فقلت
فاز لعمري والله والمطعون هاهنا والله اعلم هو عامر بن فهيرة
رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شان الامراء الثلثة
يوم موتة اخذ الراية زيد رضي الله عنه فاصيب ثم اخذها جعفر رضي
الله عنه فاصيب ثم اخذها ابن رواحة رضي الله عنه فاصيب
ثم اخذها خالد بن الوليد رضي الله عنه عن غير امرة ففتح الله عليه
اظنه قال صلى الله عليه وسلم والله ما يسرنا انهم عندنا او قال
ما يسرهم انهم عندنا وعيناه صلى الله عليه وسلم تذرفان فلله
درهم لقد حازوا مرتبة شريفة ومنزلة عالية منيفة فيا ويل لامثالنا الذين
عميت بصائرهم واظلمت سرائرهم فحجبت عنا شموس المعارف ووقعنا
في اودية المهالك والمتالف واغتررنا بهذه الدار الغرارة الفتانة
السحارة فنشبت مخالبنا في شباكها وارتكبنا في مصائدها واشراكها
من غير شعور منا بحالها وتزوير محالها فكنا في قصدنا اليها وتعويلنا
عليها بمنزلة ظمآن لاح له سراب حسبه ماء فلما جاءه لم يجد فيه هنا
ولا غنا ثم مع ذلك كله ننتسب الى الدين وندعى الى كمال المعرفة واليقين
والدخول في غمار اولياء الله المتقين مع ان احدنا لو خير بين
حلول الحين والبقا في الدنيا معلقا باشفار العين لاختار البقا
فيها على هذا الحال مع كونه لا يحدث نفسه في طاعة بازدياد ولا
عن معصية بانتقال وهذه كلها اخلاق يهودية لا تليق بمن ينتسب الى
الملة المحمدية قال الله عز وجل مخبرا عن اليهود وكاشفا عن اسرارهم
وهاتكا لاستارهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين
اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب

تذكرة الحسرة على امثالنا

ان يعمروا والله بصير بما يعملون فلو لم ينبه العاقل عن محبة البقا فى هذه
الدار ويامر بايثار دار القرار الا تشبهه باليهود الناقضين للعهود
المتهاونين باوامر المعبود لكان ذلك ابلغ ناهٍ وآمرٍ فضلاً عمّا
ورد فى ذلك من مواعظ وزواجر نزع الله عن قلوبنا حجاب الغفلة والغرور
وحمانا عن مشابهة كل ظلوم وكفور وحبب الينا لقاءه ورزقنا
ما رزق اصفياءه واحباءه بمنه وكرمه **ما حجبك عن الله وجود**
موجود معه اذ لا شئ معه ولكن حجبك عنه توهم موجود معه
تقدم ان لا موجود سوى الله تعالى على التحقيق وان وجود ما سواه انما
هو وهم مجرد فلا حاجب لك عن الله تعالى الا توهم وجود ما سواه لا غير
والتوهمات باطلة فلا حجاب لك عن الله تعالى اذاً وقد استوفى المؤلف
رحمه الله تعالى ذكر جميع انواع اعتبارات هذا المعنى قبل هذا **قال**
فى لطائف المنن واشبه شئ بوجود الكائنات اذا نظرت اليها
بعين البصيرة وجود الظلال والظل لا موجود باعتبار جميع
مراتب الوجود ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم واذا ثبتت
ظلية الاثار لم تنسخ احدية المؤثر اذ الشئ انما يشفع بمثله ويضم
الى شكله كذلك ايضا من شهد ظلية الاثار لم تعوقه عن الله
تعالى وان ظلال الاشجار فى الانهار لا تعوق السفن عن التسيار
ومن ههنا يتبين لك ايضا ان الحجاب ليس امرا وجوديا
بينك وبين الله تعالى ولو كان بينك وبينه حجاب وجودى
للزم ان يكون اقرب اليك منه ولا شئ اقرب من الله تعالى
فرجعت حقيقة الحجاب الى توهم الحجاب فما حجبك عن الله تعالى
وجود موجود معه وذلك كرجل بات فى مكان واراد البراز فسمع
صوت الرياح من كوة هناك فظنه زئير اسدٍ فمنعه ذلك الزئير

حقيقة لا موجود سوى الله تعالى

عن البراز فلما اصبح لم يجد هناك اسداً وانما هو الريح انضغط فى تلك
الكوة فما حجبه وجود اسدٍ وانما حجبه توهم الاسد **لولا ظهوره فى**
المكونات ما وقع عليها وجود ابصار لو ظهرت صفاته اضمحلت
مكوناته ظهور الحق سبحانه وتعالى من وراء حجاب المكونات هو الذى اوجب
ظهورها ووقوع الابصار عليها ولولا وجود حجابيتها لم يقع عليها ابصار
ولتلاشت لوجود التجلى الحقيقى كما قال لو ظهرت صفاته اضمحلت
مكوناته بل لم يكن هناك بصر ولا ابصار ولا مبصر كما جاء فى الحديث
الصحيح حجابه النار وفى رواية النور لو كشف عنها لاحرقت سبحات
وجهه كل شئ ادركه بصره **اظهر كل شئ لانه الباطن وطوى كل شئ**
لانه الظاهر من اسمائه تعالى الظاهر والباطن واسمه الظاهر يقتضى
بطون كل شئ حتى لا ظاهر معه فينطوى حينئذٍ وجود كل شئ واسمه
الباطن يقتضى ظهور كل شئ حتى لا باطن معه فيظهر اذ ذاك
وجود كل شئ فالحق سبحانه وتعالى هو الموجود بكل اعتبار والحمد
لله رب العالمين **اباح لك ان تنظر فى المكونات وما اذن لك**
ان تقف مع ذوات المكونات قل انظروا ماذا فى السموات ولم يقل
انظروا السموات فتح لك باب الافهام لئلا يدلك على وجود الاجرام امر
الله تعالى بالنظر فى المكونات ليس لذاتها لان فى ذلك البعد عن
الله تعالى بالنظر الى ما سواه ولم يبح هذا وانما امرهم بذلك ليتوصلوا
بنظرهم فيها اليه لوجود ظهوره فيها والاشارة الى هذا المعنى
بين فى قوله تعالى قل انظروا ماذا فى السموات والارض والمعنى
المقصود يعنى وجود الظن فيه ومنها يستفاد وهو معنى قوله
فتح لك باب الافهام فلو اسقطها وقال انظروا السموات لكان منه
دلالة على وجود الاجرام وهى اغيار وفيه البعد عنه فكيف يدل

حجاب الحق ظهوره تعالى

وجوده

على ذلك وهو لم يأذن فيه **قال في لطائف المنن** فما نصبت الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها فمراد الحق منك ان تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها قال ولنا في هذا المعنى

ما ابينت لك المعالم الا لتراها بعين من لا يراها ۞ فارق عنها رقي من ليس يرضا ۞ حالة دون ان يرى مولاها ۞

الاكوان ثابتة باثباته وممحوة باحدية ذاته الاكوان من ذاتها العدم المحض كما تقدم وانما حصل لها وصف الثبوت باثبات الله تعالى لها وجعلها اكوانا فالثبوت لها امر عرضي والحق اللازم هو وجود احدية الله تعالى والاحدية مبالغة في الوحدة فلا تتحقق الا اذا كانت الوحدة بحيث لا يمكن ان يكون اشد ولا اكمل منها فمن مقتضى حقيقتها محو الاكوان وبطلانها بحيث لا توجد اذ لو وجدت لم تكن احدية ولكان في ذلك تعدد واثنينية كما قيل **هذا شعر**

رب وعبد ونفي ضد ۞ قلت له ليس ذاك عندي ۞
فقال ما عندكم فقلنا ۞ وجود فقد وفقد وجدي ۞
توحيد حق بترك حق ۞ وليس حق سواي وحدي ۞

وانشدوا فيه

سر سرى من جناب القدس افنانى ۞ لكن بذاك الفنا عني فاحياني ۞
وردني للبقا حتى اعبر عن ۞ جمال حضرته بكل هيماني ۞
وطرت في ملكوت من عجائبه ۞ لم الق غير وجود ما له ثاني ۞

وانشد المصنف رحمه الله لنفسه في لطائف المنن يوصي رجلا من اخوانه اسمه حسن فقال **شعرا**

حسن بان تدع الوجود باسره ۞ حسن فلا يشغلك عنه شاغل ۞
ولئن فهمت لتعلمن بانه ۞ لا ترك الا للذي هو حاصل ۞

ومتى شهدت سواه فاعلم انه ۞ من وهمك الادنى وقلبك ذاهل ۞
حسب الاله شهوده لوجوده ۞ والله يعلم ما يقول القائل ۞
ولقد اشرت الى الصريح من الهدى ۞ دلت عليه ان فهمت دلائل ۞
وحديث كان وليس شئ غيره ۞ يقضي به الان اللبيب العاقل ۞
لا غرو ان لا نسبة منسوبة ۞ ليذم ذو ترك ويحمد فاعل ۞

وقال رضي الله عنه **الناس يمدحونك بما يظنون فيك فكن انت ذاما لنفسك لما تعلم منها** ذم العبد لنفسه واحتقاره لما يتحققه من عيوبها وآفاتها مطلوب منه لان ذلك يؤديه الى الحذر من غرورها وشرورها فتصلح بذلك اعماله وتصدق بذلك احواله والا فسدت عليه واعتلت لدخول الافات عليها ولا يصدنه عن ذلك ثناء الناس عليه ومدحهم له لانه يعلم من عيوب نفسه ما لا يعلمه غيره من الناس ثم انهم لما قاموا بحق ما يجب عليهم من حق المدح له وحسن الظن به ينبغي له ايضا ان يقوم هو بحق ما يجب عليه من اتهام نفسه وسوء اعتقاده فيها **قال بعضهم** من فرح بمدح نفسه فقد امكن الشيطان ان يدخل في بطنه **وقال آخر** اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان يقال لك بئس الرجل انت فانت والله بئس الرجل **وقيل لبعض الصحابة** لن يزال الناس بخير ما ابقاك الله فيهم فغضب وقال اني لاحسبك عراقيا **قال بعضهم** لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الي بمقتك واشهدك على مقته **وقال الآخر** اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تؤاخذنا بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون **وقال الامام ابو حامد الغزالي** رضي الله عنه وانما كرهوا المدح خيفة ان يفرحوا

حق على العبد ان يذم نفسه

دعاء من يمدحه الناس عند مدحهم

بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بجاههم عند الله
يبغض على الحقيقة هو المبعد من الله تعالى الملقى في النار مع الاشرار فهذا
الممدوح ان كان مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب عند الله تعالى
والمذموم اليهم عند الله تعالى من اهل النار فما اعظم جهله اذ فرح
بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل الله
تعالى وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الارزاق والآجال
بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه
حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه انتهى كلام ابي حامد
رضي الله عنه المؤمن اذا مدح استحى من الله سبحانه ان يثنى
عليه بوصف لا يشهده من نفسه المؤمن الحقيقي هو الذي لا
يشهد من نفسه صفة محمودة يستحق بها ان يمدح او يثنى عليه
وانما يشهد ذلك من ربه عز وجل فاذا اثنى الناس عليه وذكروا
محاسنه استحى من الله عز وجل استحيا تعظيم واجلال ان
يثنى عليه بصفة ليست فيه فيزداد بذلك مقتا لنفسه و
احتقارا او نفورا عنها ويقوى عنده رؤية احسان الله تعالى
وشهود فضله في اظهار المحاسن عليه وهذا هو الشكر الذي
ينال به المزيد مع سلامته من السكون الى ثناء العبيد قال
اجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس الاغترار
بمدح الناس وثنائهم غاية في الجهل والغباوة وذلك من علامة
المقت لان المغتر بذلك ترك بنفسه لظن غيره به وهو على
كل حال اعلم بنفسه وقد شبه الحارث المحاسبي رضي الله عنه بالرضى
بالمدح بالباطل كمن يهزو به ويقال له ان العذرة التي تخرج
منك لها رائحة طيبة كرائحة المسك وهو يفرح بذلك ويرضى

بالسخرية عليه قلت ولا شك ان الذنوب والعيوب التي يعلمها العبد من
نفسه انتن واقذر من العذرة التي تخرج من جوفه ولا فرق بين
الحالين الا انه في حال المدح يعلم ان المادح لم يشاركه في معرفة
ذنوبه وعيوبه مشاركة ذلك المستهزي للمستهزئ به في معرفة
حال ما يخرج من جوفه فهو بجهله وغباوته قد رضي ان يكون له
في قلوب العبيد الجاهلين بحاله قدر وجاه من غير مبالاة بسقوطه
من عين مولاه الذي يعلم من حاله ما لا يعلمه هو ولا غيره من
حيث رضي بالمدحة وفرح بها ولم يقابل ذلك بالاباء والكراهية
هذا اذا كان المادح من اهل العلم والدين واما اذا كان جاهلا
او فاسقا فلا غباوة اعظم من الرضى بمدحهم والفرح به قال يحيى
ابن معاذ الرازي رضي الله عنه تزكية الاشرار هجنة بك و
محبتهم لك عيب عليك وقيل لبعض الحكماء ان العامة يثنون عليك
فاظهر الوحشة من ذلك وقال لعلهم راوا مني شيئا اعجبهم ولا خير
في شيء يسرهم ويعجبهم ويروى عن بعض الحكماء انه مدحه بعض
العوام فبكى فقال له تلميذه اتبكي وقد مدحك قال انه لم يمدحني
حتى وافق بعض خلقي خلقه فلذلك بكيت فانظر هذا فقد نبهك
هذا الحكيم على العلة في ذلك قال رضي الله عنه اذا اطلق الثناء
عليك ولست له باهل فاثن عليه بما هو اهله المؤمن هو الذي لا
يرى نفسه اهلا لان يمدح او يثنى عليه لان موجبات ذلك ليس له
منها شيء كما تقدم فاذا اطلق الله السنة الناس بالثناء عليه
ولا اهلية فيه لذلك فينبغي ان يعرف الحق لاهله فيستعمل نفسه
بالثناء على الله تعالى بما هو اهله ليكون ذلك شكرا لنعمة اطلاق
الالسنة بالثناء عليه من غير استحقاق لذلك ولا ثبوت اهلية

فهذا الممدوح ان كان عند ربه يبغض اليهم على الحقيقة مدح الخلق صح

اليه

غباوة

فرق الزهاد والعارفين اذا مدحوا

الزهاد اذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق والعارفون
اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق تقدم ان الزهاد
في غيبة عن الله تعالى فهم لا يشاهدون الا الخلق فاذا مدحوا واثني
عليهم شهدوا ذلك من الخلق فانقبضوا عند ذلك لانهم يخافون
من فوت نصيبهم من ربهم لاجل ما يتوقعون من الاغترار بذلك
والعارفون حاضرون مع ربهم فهم لا يشاهدون معه غيره فاذا
مدحوا شهدوا الثناء من ربهم فانبسطوا لذلك وكان ذلك
مزيدا في حالهم ومقامهم لغيبتهم عن انفسهم وكان بعض العارفين
يمدح وهو ساكت فقيل له في ذلك قال وما علي من ذلك ولست
اغلط في نفسي بل لست في البين والمجري والمنشي هو الله تعالى
وقيل هذا المعنى في الخبر المروي اذا مدح المؤمن ربا الايمان في قلبه
قال ابو طالب المكي رضي الله عنه وفيه ايضا طريق العارفين ان
يعلوا الايمان العلي الى المولى الاعلى فيفرح بذلك لمولاه ويضيفه
الى سيده الذي تولاه فيرد الصنعة الى صانعها ويشهد من الفطرة
فاطرها فيكون ذلك مدحا للصانع ووصفا للفاطر لا ينظر الى
وصفه ولا يعجب بنفسه انتهى **قلت** وللمصنف رحمه الله قصائد
في مدح شيخه ابي العباس المرسي رضي الله عنه وكان ينشدها بين
يديه ويقع ذلك منه موقعا عظيما وكان يستعيد منه بعضها
ويقول في بعضها ايدك الله بروح القدس نحو ما كان يقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لشاعره حسان بن ثابت رضي الله عنه
مع ان حب المدح عندهم من الرذائل التي تشبه الفضائل ولهذا
النظر والشهود الجمعي استقام لهم من مدحهم لانفسهم وثنائهم
عليها ما لم يستقم لغيرهم كما وقع لجماعة منهم **وقد روي** في ذلك

عن سيدي

عن سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وسيدي ابي الحسن
الشاذلي رضي الله عنه وسيدي ابي العباس المرسي رضي الله عنه
وغيرهم غير شيء مع ان ذلك معدود عندهم من الصدق القبيح
وما ذلك الا لما ذكرناه ولا يتاول لما وقع لهم من ذلك بما تاوله
به علماء الظاهر مدح يوسف عليه السلام لنفسه وثناؤه
عليها بغاية الحفظ والعلم لعدم الحاجة اليه في هذا المقام
والله تعالى اعلم وعلامة الصادق في حب المدح وان كان صاحب
هذا المقام لا يحتاج الى علامة ان لا يكره ذم الناس له من حيث
نسبة ذلك اليهم لانهم مصرفون في قبضة القدرة يسمح لهم
ويصفح عنهم ولا يجد في قلبه عليهم ولا يصل شيء من الاذى
اليهم كما قيل

شعر

رب رام لي باحجار الاذى ... لم اجد بدا من العطف عليه
فعسى يطلع الله على ... فرح القوم فيدنيني اليه

علامة عدم الصدق في العبودية حصول البسط عند العطا ووجدان القبض عند المنع

متى كنت اذا اعطيت بسطك العطا واذا منعت قبضك
المنع فاستدل على ثبوت طفوليتك وعدم صدقك في عبوديتك
القبض عند المنع والبسط عند العطا من علامة بقاء الحظ والعمل
على نيله وهو مناقض للعبودية عند العارفين فمن وجد
ذلك فليعرف به عدم صدقه في عبوديته وانه طفيلي
بين اهل الله تعالى في ادعائه مقاماتهم وهو لم يؤهل لها
والطفيلي هو الذي ياتي الى الولائم والضيافات فيدخل مع
اهلها من غير دعوة وهو منسوب الى رجل من اهل الكوفة من
بني عبد الله بن غطفان كان يقال له طفيلي الاعراس وطفيلي
العرائس وكان ياتي الى الولايم من غير دعوة اليها فشبه المصنف

هذا به قال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه اكثر الخلق مع الله
تعالى في احوالهم وارائهم على الظنون ما تحقق منهم الا قليل الا تراه
تعالى يقول وما يتبع اكثرهم الا ظنا ممن تحقق في حاله مع الله تعالى
غاب عن كل ما منه وله من الاحوال والافعال نظرا الى ما اليه من
رعاية الحق وحياطته وتوليته وكان للحق من حيث الحق له لا من حيث
هو للحق ولكن اكثر العبيد يشيرون اليه ما المعرفة ويظهرون حالة
المحبة فاذا ورد عليهم وارد بلاء او خلاف مراد رجعت نفوسهم
الى حد الاشفاق عليها والاهتمام بها ونسوا ما دعوا اليه واشاروا
اليه ولو كانوا للحق من حيث الاستحقاق لنسوا في جنب ما اشاروا
اليه جميع الموارد سا أم سر لان من حصل في ميدان الوصول
لا تعترض عليه عارضة تخالف حاله عما سواه وقال رضي الله عنه
اذا وقع منك ذنب فلا يكن سبب يؤسك من حصول الاستقامة
مع ربك فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك الاستقامة على العبودية
لا يناقضها فعل الذنب على سبيل الغلبة والهفوة اذا اجرى القدر
عليه بذلك وانما يناقضها الاصرار عليه فاذا وقع من العبد ذنب
فينبغي له ان يبادر الى التوبة منه ولا ييأس بسبب وقوعه فيه من
الاستقامة مع ربه ويرى انه طرده وابعده رؤية توجب له القنوط
من رحمة الله تعالى واليأس من روح الله عز وجل لانه قد يكون ذلك
الذنب آخر ذنب قدر عليه وقد وقع ذلك وفرغ منه اذا اردت ان
ينفتح لك باب الرجا فاشهد ما منه اليك وان اردت ان ينفتح لك
باب الحزن فاشهد ما منك اليه الرجا والحزن حالان عن مشاهدتين
من اراد ان ينفتح له باب الرجا فليشهد ما من الله تعالى له من الفضل
والكرم والاسعاف والالطاف فيغلب عليه حينئذ حال الرجا ومن اراد ان ينفتح

مراده واهله صح

لا يناقض الاستقامة وقوع الذنب بل يناقضها الاصرار عليه

اسبابه فتح ابواب الرجاء والحزن

له باب الحزن فليشهد ما منه الى الله تعالى من المخالفة والعصيان
وسوء الادب بين يديه فسيغلب عليه حينئذ حال الحزن ربما
افادك في ليل القبض ما لم تستفده في اشراق نهار البسط لا
تدرون ايهم اقرب لكم نفعا تقدم ان القبض يؤثره العارفون
على البسط لما فيه من عدم حظ النفس ووجود قدرتهم على الوفا
باداته دون البسط وقد ينفتح لهم فيه من ابواب المعارف ما لا
ينفتح لهم من البسط فينبغي للعبد ان يعرف نعمة الله تعالى في ليل
القبض كما يعرفه في اشراق نهار البسط كما يعلم ان في الليل من
المنافع ما ليس في النهار فليكل علم ذلك الى الله وليحسن ظنه وانه
لا يدري ايهما اقرب اليه نفعا كما اشار اليه بالآية الكريمة
وتسميته القبض بالليل والبسط بالنهار مجاز بديع وقد تقدم
نحوه من كلام سيدي ابي الحسن رضي الله عنه مطالع الانوار
القلوب والاسرار نجوم العلم واقمار المعرفة وشموس التوحيد مطالعها
وموضع شروقها قلوب العارفين واسرارهم هذه هي الانوار الحقيقة
من المطالع الروحانية بخلاف الانوار المحسوسة قال في لطائف
المنن واعلم ان الله سبحانه وتعالى اذا تولى وليا صان قلبه من
الاغيار وحرسه بدوام الانوار حتى لقد قال بعض العارفين اذا كان
الله تعالى قد حرس السماء بالكواكب والشهب كيلا يسترق السمع فيها
فقلب المؤمن اولى بذلك يقول الله تعالى فيما يحكيه عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم تسعني ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن
فانظر رحمك الله هذا الامر الاكبر الذي اعطيه هذا القلب حتى صار
لهذه الرتبة اهلا ولهذا قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه لو كشف
عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والارض فما ظنك بنور المؤمن

ان القبض من مختارات العارفين على البسط

واستعارة ط

مطالع الانوار القلوب والاسرار

المطيع قال ولقد سمعت شيخنا ابا العباس رضي الله عنه يقول لو كشف
عن حقيقة الولي لعُبِدَ لان اوصافه من اوصافه ونعوته من نعوته
قال ولقد اخبرني بعض المريدين قال صليت خلف شيخي صلوة فشهدت
ما ابهر عقلي وذلك اني شهدت بدن الشيخ والانوار قد ملأته وانبثت
الانوار من وجوده حتى اني لم استطع انظر اليه قال ولو كشف الحق سبحانه
عن مشرقات انوار قلوب اوليائه لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات
انوار قلوبهم واين نور الشمس والقمر من انوارهم الشمس يطرأ عليها الكسوف
والغروب وانوار قلوب اولياء الله تعالى لا كسوف لها ولا غروب كذلك
قال قائلهم

ان شمس النهار تغرب بالليل ، وشمس القلوب ليست تغيب

نور مستودع في القلوب مدده النور الوارد من خزائن الغيوب
اليقين المستودع في القلوب يستمد ويتزايد ضياؤه من النور الوارد
من خزائن الغيوب وهو نور الاوصاف الازلية كما ذكرناه عن الشيخ
ابي العباس المرسي رضي الله عنه قبل هذا وقد تقدم من كلام المصنف
رحمه الله انار الظواهر بانوار اثاره وانار السرائر بانوار اوصافه
نور يكشف لك به عن اثاره ونور يكشف لك به عن اوصافه النور
المدرك بالحواس يكشف لك به عن اثاره وهي الاكوان المحدثة وليس
لك الى ذلك كثير حاجة الا من حيث تستدل بها على المؤثر والنور
المستودع في القلوب يكشف لك به عن اوصافه الازلية حتى تراها
عيانا وفي هذا غاية بغيتك وبه يشرف قدرك ومنزلتك اذ
بذلك تتحقق في المعرفة وترتفع في المشاهدة ولا تحتاج الى دليل يدلك
وهذا فرقان ما بين النورين قال في لطائف المنن نور الشمس تشهد
به الاثار ونور اليقين تشهد به المؤثر قال ولنا في هذا المعنى

هذه

هذه الشمس قابلتنا بنور ، ولشمس اليقين ابهر نورا
فرأينا بهذه النور لكن ، بهاتيك قد رأينا المنيرا

ربما وقفت القلوب مع الانوار كما حجبت النفوس بكثائف الاغيار
القلوب نورانية فتحجب بوقوفها مع لطائف الاغيار النورانية مع
العلوم والمعارف والنفوس ظلمانية فتحجب بحبسها بكثائف الاغيار
الظلمانية من العادات والشهوات فالقلوب محجوبة بالانوار كما ان
النفوس محجوبة بالظلمات والحق وراء ذلك كله قال الشيخ ابو الحسن
التستري رضي الله عنه في قصيدته النونية قال شعر

تقيدت الاوهام لما تداخلت ، عليك ونور العقل اورثك السجنا
وهمت بانوار فهمنا اصولها ، ومنبعها من اين كان فما همنا
وقد تحجب الانوار للعبد مثل ما ، تبعد من اظلام نفس حوت ضغنا

ستر انوار السرائر بكثائف الظواهر اجلالا لها ان تبتذل بوجود
الاظهار وان ينادى عليها بلسان الاشتهار انوار السرائر انما
خفيت عن العيان بما سترها به من كثائف الظواهر مع ان الظهور
التام لا ينبغي ان يكون الا لها لانها رفيعة القدر جليلة الخطر فاجلها
عن الابتذال لها بوجود اظهارها وصيانها من ان ينادى عليها
بلسان الاشتهار بين الاغيار فيكون ذلك نوعا من الاهانة لها
وقد تقدم مثل هذا الستر في قوله سبحان من ستر سر الخصوصية
بظهور البشرية قال رضي الله عنه سبحان من لم يجعل الدليل
على اوليائه الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من
اراد ان يوصله اليه لا دليل على الله سواه ولا وصول اليه بغيره وكذلك
اولياؤه ولما كان الوصول الى الله تعالى لا يكون الا بالعناية و
الخصوصية ويستحيل ان يكون بطلب وسبب كان اولياؤه

حجاب القلوب بالانوار
كحجاب النفوس بكثائف الاغيار

حكمة ستر الانوار
وعدم اظهارها

من لم يعرف الله تعالى
يعرف اولياءه ومن وصل
اليهم وصل الى الله تعالى بجناب
ذاته الاعز الاعلى

المخصوصون بالقرب كذلك لما خلع الله عليهم الخلع العظيمة وتولاهم
بمنته الجسيمة واصطفاهم لنفسه واختصهم لمحبته وانسه
وطهر اسرارهم من انجاس الاغيار وصان قلوبهم بما اودع فيها
من الانوار والاسرار فكانوا لذلك ضنائنه في عباده وخباياه
في بلاده كما قال في بعض الاشارات عنه سبحانه اوليائي تحت
قبائي لا يعرفهم احد غيري وهذا من غيرته عليهم لان الحق
سبحانه وتعالى اغير على اوليائه من ان يظهرهم الى من لا يعرفهم
فلم يجعل لاحد عليهم دليلا الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل
اليهم الا من اراد ان يوصله اليه لا نه يلبسهم لباس التلبيس
بين الانام ويظهرهم بما يحقرهم في اعين الخواص والعوام بان لا
يكون لاحد دليل عليهم او وصول بسبب اليهم قال في لطائف
المنن فاولياء الله تعالى اهل كهف الايوا فقليل من يعرفهم
قال وقد سمعته رضي الله عنه يعني شيخه ابا العباس المرسي
رضي الله عنه يقول معرفة الولي اصعب من معرفة الله تعالى فان الله
عز وجل وعلا معروف بكماله وجماله وحتى متى تعرف مخلوقا مثلك
ياكل كما تاكل ويشرب كما تشرب قال فيه واذا اراد الله تعالى
ان يعرفك بولي من اوليائه طوى عنك وجود بشريته و
اشهدك وجود خصوصيته وقال صاحب كتاب انوار القلوب
لله سبحانه وتعالى عباد من بهم على العامة واظهرهم للخاصة
فلا يعرفهم الا شكل مثلهم او محب لهم ولله سبحانه وتعالى
عباد ضن بهم عن العامة والخاصة ولله عباد اظهرهم للعامة
والخاصة ولله عباد يظهرهم في البداية ويسترهم في النهاية
ولله عباد يسترهم في البداية ويظهرهم في النهاية ولله عباد

ف
طريق معرفة الولي
لذي الفضل الخاص

لا يظهر على

لا يظهر على حقيقة ما بينه وبينهم الا الحفظة فمن سواهم حتى يلقونه
بما اودعهم منه في قلوبهم وهم شهداء الملكوت الاعلى والصفيح
الايمن من العرش الذين تولى الله قبض ارواحهم بيده فتطيب
اجسادهم به فلا يعدوا عليها الثرى حتى يبعثوا بها مشرقة بنور
البقاء المجعول فيهم ببقاء الا يدمع الباقي الاحد عز وجل انتهى
وقال ابو يزيد رضي الله عنه اولياء الله تعالى عرائس ولا يرى العرائس
الا من كان محرما لهم واما غيرهم فلا وهم مخدرون عنده في
حجاب الانس لا يراهم احد في الدنيا ولا في الاخرة وقال ابو علي الجورجاني
رضي الله عنه الولي هو الفاني في حالته الباقي في مشاهدة الحق
تولى الله سياسته فتوالت عليه انوار التولي لم يكن له عن نفسه
اخبار ولا مع غير الله تعالى عز وجل قرار وفي الاشارات عن الله سبحانه
وتعالى انما سميت الولي وليا لانه يليني دون من سواه فهم منزهون
بتنزيه الحق تعالى لهم من ان يوصل اليهم بغيره ولذلك صدر
المؤلف رحمه الله تعالى كلامه بالتسبيح ربما اطلعك على غيب ملكوته
وحجب عنك الاستشراف على اسرار العباد من لطف الله تعالى اخفاء
اسرار الناس بعضهم عن بعض لا سيما سر يقتضي وجود غيب وهو
ظاهر ما ذكره المؤلف ها هنا بدليل الكلام الذي عقبه به وقد
يظهر لبعض الناس ما سوا ذلك من الاسرار الملكوتية ووجه
الفرق بينهما ما يذكره المؤلف الان ويحتمل ان يريد ما هو اعم
مما ذكرناه ويدخل في ذلك اسرار الولاية اذا اختص الحق تعالى
بها بعض عباده ويكون في ذلك تنبيه على العلة الموجبة لخفاء
الولي حسب ما ذكره المؤلف في المسالة التي فرغنا منها حيث يمتنع
الوصول اليه بطلب او سبب واخفاء ذلك ايضا عن عامة المؤمنين

ف
حكمة عدم اطلاعك على
اسرار العباد وفايده
اخفاء اولياء الخاصة لهم
وللعامة

من النعم العظيمة اذ لو ظهرت اسرار الولاية على احد لا وجبت على من ظهرت
له حقوقًا لا يقدر على القيام بها فان فرط فى ذلك وترك القيام بذلك
الحقوق رأسًا وقع بسبب ذلك فى محذورات لا يقوم لها شئ ومن كلام سهل
رضى الله عنه وقد سئله بعض تلامذته كيف نعرف اولياء الله تعالى
فقال ان الله تعالى لا يعرفهم الا لاشكالهم او من اراد ان ينفعه بهم
ولو اظهرهم حتى يعرفهم الناس لكانوا حجة عليهم من خالفهم بعد علمه
بهم كفر ومن قعد عنهم خرج ولكن الله تعالى جعل اختياره تغطية امورهم
رحمة منه لخلقه ورأفة ولكن الله تعالى قد اخبر بكراماتهم فقال عز وجل
الله ولى الذين امنوا والله ولى المؤمنين فافردهم به ولو اظهرهم حتى
يبرزهم لكان فى النظر اليهم حجة وكان الاستماع لحديثهم فرضًا
انتهى والمعنى الذى ذكرته فى هذه المسألة فهمته من الكلام الذى
ذكره الشيخ ابو طالب رضى الله عنه فى كتاب الشكر قال فيه ثم بعد ذلك
من لطائف النعم شمول ستره لهم بعضهم من بعض وسترهم عن
العلماء والصالحين منهم لولا ذلك لما نظروا اليهم ثم حجب الصالحين
عنهم ولو اظهر عليهم ايات يعرفون بها حتى يكون الجاهلون على يقين
من ولاية الله تعالى لهم وقربته منهم لبطل ثواب المحسنين اليهم ولحرم
قبول احسانهم عليهم ولحبطت اعمال المسيئين اليهم ففى حجب ذلك
وستره ما عمل العاملون لهم فى الخير والشر على الرجا وحسن الظن
من وراء حجاب اليقين وتاخرت عقوبات المؤذين لهم عن العاجلة
ففى ستر هذا نعم عظيمة لما ستر عليهم من عظيم شانهم عند الله عز
وجل وجليل قدرهم ففى سترها منة عظيمة على الصالحين فى نفوسهم
من سلامة دينهم وقلة فتنتهم ونعم جليلة على المنتهكين لحرمتهم
المصغرين لشعائر الله تعالى من اجلهم اذ كانوا اساؤا اليهم

من وراء حجاب فهذا هو لطف خفى من لطف الله تعالى المنعم الوهاب
كما جاء فى الخبر من آذى لى وليًا فقد بارزنى بالمحاربة ثم انا
الثائر لوليى فقد يكون مثل ذلك من آذى نبيًا وهو لا يعلم نبوته
قبل ان يخبر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الله عز وجل
نبأه فلا يكون وزره وزر من انتهك حرمته بعد علمه انه نبى
الله عز وجل لعظيم حرمة النبوة انتهى ما ذكره الشيخ ابو طالب
رضى الله عنه فالوجه الاول اولى بتقرير معنى ما ذكره المؤلف
رحمه الله والله اعلم من اطلع على اسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة
الالهية كان اطلاعه فتنة عليه وسببًا لجر الوبال اليه المطلع على
الاسرار التى تقتضى وجود العيب اذا لم يتخلق صاحبه بالرحمة الالهية
فيرحم المذنبين ويصفح عن الجاهلين ويحسن الى المسيئين و
يحلم على الظالمين ويرؤف بعباد الله اجمعين فانه يكون
ذلك الاطلاع فتنة عليه لان ذلك يؤديه الى رؤية نفسه
واستعظام امرها والعجب بعلمه والكبر على غيره وهذا هو
اعظم الفتنة وتكون ايضًا سببًا الى جر الوبال اليه من ادعائه
لصفات ربه ومنازعته لكبريائه وعظمته وهذا هو اعظم الوبال
وغاية الخزى والنكال وفى بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما نزعت الرحمة الا من قلب شقى وفى حديث عبد الله
ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم
من فى السماء وفى الاشارات عن الله سبحانه وتعالى انه قال
عبدى انى استخلفتك شققت لك من الرحمانية شقا
فكن ارحم بالمرء من نفسه وقد ادب الله خليله ابرهيم عليه السلام

الاطلاع على اسرار العباد سوى التخلق بالرحمة الالهية كان فتنة ووبال على صاحبه

نزعت

في بعض مواطنه العظيمة المقدار وعلمه كيف يتخلق بهذه الاخلاق
الكريمة عند اطلاعه على الاسرار روي عن قسامة بن زهير رضي الله
عنه انه قال بلغني ان ابرهيم عليه السلام حدثت نفسه انه ارحم
الخلق قال فرفعه الله تعالى حتى اشرف على اهل الارض فابصر اعمالهم
وما يعملون قال يا رب دمر عليهم فقال الله تعالى انا ارحم بعبادي
منك يا ابرهيم اهبط فلعلهم يتوبون ويرجعون وعن علي
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما ارى الله تعالى
ابرهيم ملكوت السموات والارض اشرف على رجل بمعصية من معاصي
الله تعالى فدعا عليه فهلك وكذلك آخر وآخر فهلكوا فاوحى الله
تبارك وتعالى اليه ان يا ابرهيم انك رجل مستجاب الدعوة فلا
تدعو على عبادي فانهم مني على ثلاث خصال اما ان يتوبوا الي
فاتوب عليهم واما ان تخرج منه نسمة تسبح لي واما يبعث
الي فان شئت عفوت عنه وان شئت عاقبته وقيل
ان سبب امر الله بذبح ولده هو هذا المعنى الذي ظهر منه من غلظته
على العصاة وقلة رحمته لهم وذكر في بعض التفاسير انه عليه
الصلاة والسلام كان يعرج به كل ليلة الى السماء وهو قوله
عز وجل وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض فعرج
به ذات ليلة فاطلع على مذنب على فاحشة فقال اللهم اهلكه
ياكل رزقك ويمشي على ارضك ويخالف امرك فاهلكه الله تعالى
فاطلع على آخر فقال اللهم اهلكه فنودي كف عن عبادي رويدا
رويدا فاني طال ما رايتهم عاصين فلما اهبط اري في المنام
ما ذكر الله تعالى عنه حيث يقول اني ارى في المنام اني اذبحك
فانظر ماذا ترى فلما شمر لذلك واخذ السكين بيده قال

اللهم هذا

اللهم هذا ولدي وثمرة فؤادي واحب الناس الي فسمع قائلا يقول
اما تذكر الليلة التي سألت اهلاك عبدي وما تعلم اني رحيم بعبادي
كما انت شفيق بولدك فاذا سالتني هلاك عبدي اسالك ذبح
ولدك واحد بواحد والبادي اظلم حظ النفس في المعصية ظاهر
جلي وحظها في الطاعة باطن خفي ومداواة ما يخفى صعب علاجه
النفس شانها ابدا طلب الحظوظ والفرار من الحقوق فهي لا تسعى الا
في ذلك وتحقق عملها بالطاعة فضلا عن المعاصي ومن حاسب نفسه
وراقب خواطره تبين له مصداق هذا وقد يجد من النشاط
واللذة في نوع من العبادة ما لا يجده في نوع آخر وان كان هذا
النوع الآخر اتم فضيلة منه وما ذاك الا لاجل ان حظها
فيه اكثر من الآخر فاهل الخبرة والبصيرة يتهمون انفسهم اذا
الفت بابا من ابواب العبادات لمعرفتهم بخدعها ومكائدها
فيشوشون ذلك عليها وينتقلون عنها وقد حكي عن ابي محمد
المرتعش رضي الله عنه انه قال حججت كذا وكذا حجة على التجريد
فبان لي ان جميع ذلك كان مشوبا بحظي وذلك ان والدتي
سالتني يوما ان استقي لها جرة ماء فثقل ذلك على نفسي فعلمت
ان مطاوعة نفسي في الحجات كانت بحظ وشوب من نفسي اذ
لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع فهذا
مما تبين ان حظ النفس في الطاعة موجود ولكنه خفي على
العامل فلذلك تعسر مداواته لانه يحتاج الى دقة فهم ونفوذ ادراك
ليطلب بذلك آفات نفسه ولطائف خدعها وخفايا
حظوظها فيعمل على تصفية اعماله من ذلك فلا جرم اذا كان ذلك
متعذرا يجب عليه اتهام نفسه ومخالفتها في كل ما تدعو اليه كائنا

ومداوات ما يخفى من العيوب صعب

حكاية حدثت النفس لصاحبه بالخير والحج للغزا موافقا لمراده

ماكان **قال ابو بكر الخفاف** رضى الله عنه سمعت بعض مشايخنا يقول
عن احمد بن ارقم البلخى قال حدثتنى نفسى بالخروج الى اسبيجاب للغزو فقلت
سبحان الله ان الله تعالى يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه
تامرنى بالخير لا يكون هذا ابدا ولكنها استوحشت فتريد لقاء الناس
فتستروح اليهم وتتسامع الناس بها فيستقبلونها بالبر والتعظيم
والاكرام فقلت لها لا اسلك العمران ولا انزل على معرفة فاجابت
فاسات ظنى بها وقلت الله اصدق قولا فقلت لها اقاتل العدو
حاسرا فتكونى اول قتيل فاجابت اشيا مما ارادها فاجابت الى
كل ذلك فقلت يا رب نبهنى لها فانى لها متهم ولقولك مصدق
فالهمت كانها تقول لى انك تقتلنى كل يوم مرات بمخالفتك
اياى ومنع شهواتى ولا يشعر لى احد فان قاتلت وقتلت كانت
قتلة واحدة فنجوت منك وتتسامع الناس بى فيقال استشهد احمد
فيكون شرفا لى وذكرا فى الناس قال فقعدت ولم اخرج ذلك العام
فهكذا خدع النفس وغرورها اعاذنا الله من شرها وسياتى من
كلام المصنف رحمه الله اذا التبس عليك امران انظر اثقلهما
على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا **ربما دخل
الريا عليك من حيث لا ينظر الخلق اليك** ريا العبد بالعمل حيث

الرياء الخفى

يكون بمرأى من الناس ظاهر لا يحتاج الى امارة عليه وريائه بعمله
حيث لا يراه احد امر خفى لا يعرف الا بالامارات والعلامات بل هو
اخفى من دبيب النمل ومن اماراته ان يلتمس بقلبه توقير الناس له
وتعظيمه وتقديمه فى المحافل والمجالس ومسارعتهم الى قضا حوائجه
واذا قصر احد فى حقه الذى يستحقه عند نفسه استبعد ذلك
واستنكره ويجد تفرقة بين اكرامه واكرام غيره واهانته واهانة

سواه حتى ربما يظهر بعض سخفاء العقول ذلك على السنتهم فيتوعدون
من قصر فى حقهم بمعاجلة الله تعالى له بالعقوبة وان الله تعالى لا
يدعهم حتى ينتصر لهم ويأخذ بثارهم فاذا وجد العبد هذه الامارات
من نفسه فليعلم انه مرائى بعمله وان اخفاه عن اعين الناس
وقد روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال ان الله تعالى يقول
للفقراء يوم القيمة الم تكونوا يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبتدئون
بالسلام الم تكونوا تقضى لكم الحوايج وفى الحديث لا اجر لكم قد
استوفيتم اجوركم **وقال عبد الله بن المبارك** رضى الله عنه روى
وهب بن منبه رضى الله عنه ان رجلا من العباد قال لاصحابه
انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان يكون
قد دخل علينا فى امرنا هذا من الطغيان اكثر مما قد دخل
على اهل الاموال فى اموالهم ان احدنا اذا لقى احب ان يعظم
لمكان دينه وان يسأل الحاجة احب ان تقضى له لمكان دينه
وان اشترى شيئا احب ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ
ذلك ملكهم فركب فى موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد
امتلى من الناس فقال السايح ما هذا قيل هذا الملك قد اظلك
فقال للغلام ائتنى بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل
يحشوا شدقه ويأكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا
هذا قال كيف انت قال كالناس **وفى حديث آخر** بخير فقال
الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السايح الحمد لله
الذى صرفك عنى وانت لى ذام ومن هذا النوع من الريا خاف
الكبار وعدوا نفوسهم بسببه من الاشرار كما روى عن
الفضيل بن عياض رضى الله عنه انه قال من اراد ان ينظر الى

مرآئ فلينظر الى وسمع مالك بن دينار رضى الله عنه امرأة وهى تقول
له يا مرآئ فقال لها يا هذه اين وجدت اسمى الذى اضله اهل البصرة و
دخل رجل على داود الطائ رضى الله عنه فقال له ما حاجتك فقال
زيارتك فقال اما انت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ما
ذا ينزل بى اذا قيل لى من انت فتزار أمن الزهاد انت لا والله أمن
العباد انت لا والله أمن الصالحين انت لا والله ثم اقبل على
يوبخ نفسه ويقول كنت فى الشبيبة فاسقا فلما كبرت صرت مرآئيا
والله للمرائ اشد من الفاسق الى غير ذلك مما يروى عنهم فى هذا المعنى
ولا يسلم من الريآء الخفى والجلى الا العارفون الموحدون لان الله
تعا طهرهم من دقائق الشرك وغيب عن نظرهم رؤية الخلق بما اشرق
على قلوبهم من انوار اليقين والمعرفة فلم يرجوا منهم حصول منفعة
ولم يخافوا من قبلهم وجود مضرة فاعمال هؤلاء خالصة وان عملوها
بين اظهر الناس ومراء منهم ومن لم يحظ بهذا وشاهد الخلق و
توقع منهم حصول المنافع ودفع المضار فهو مرائ بعمله وان عبد
الله تعالى فى قبة جبل بحيث لا يراه احد ولا يسمع به وقد
تقدم قول يوسف بن الحسين الرازى رضى الله عنه اعز شئ
فى الدنيا الاخلاص وكم اجتهد فى اسقاط الريا عن قلبى وكانه
ينبت فيه على نوع آخر استشرافك ان يعلم الخلق بخصوصيتك
دليل على عدم صدقك فى عبوديتك الخصوصية ها هنا ما
اختص الله تعا به بعض عباده من علم نافع او عمل صالح وصدق
العبودية فيه ان يقنع بعلم الله تعا بحاله ولا يتطلع ان يعلم
بذلك احد من الخلق فيشغله حينئذ الحيا من ربه والشكر له
عن الاستشراف الى معرفة الخلق بذلك ويغار على حاله من رؤية

عدم القناعة بعلم الله تعا فى صلاحك دليل عدم صدقك فى العبادة

الاغيار له ولهذا افضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا
كما ورد فى الخبر عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقال عيسى عليه السلام
اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه وليمسح شفتيه فاذا خرج
الى الناس راوا انه لم يصم واذا اعطى احدكم فليعط بيمينه وليخفها عن
شماله واذا اصلى احدكم فليدل عليه ستر بابه فان الله تعا يقسم الثنا كما
يقسم الرزق وقد سئل حكيم من الحكما عن علامة الصدق فقال كتمان
الطاعة وقال احمد بن ابى الحوارى رضى الله عنه من احب ان يعرف
بشئ من الخير ويذكر به فقد اشرك فى عبادته لان من عبد على المحبة
لا يحب ان يرى خدمته سوى مخدومه وقال الشيخ ابو عبد الله القرشى
رضى الله عنه كل من لم يقنع فى اقواله وافعاله بسمع الله ونظره دخل
عليه الريآء لا محالة وقال احدهم ما اخلص احد قط الا احب ان يكون
فى جب لا يعرف وقال سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه من
احب ان يطلع الخلق على ما بينه وبين الله تعا فهو غافل وقال ابو الخير
الاقطع رضى الله عنه من احب ان يطلع الناس على عمله فهو مرائ ومن
احب ان يطلع الناس على حاله فهو كذاب وقال بعضهم لمن استوصاه
لا تحب ان تعرف ولا تحب ان تعرف انك ممن لا يحب ان يعرف فعلى
العبد اخفا حاله جهده وان يبالغ فى كتمانه اقصى ما عنده وقال
الحسن رضى الله عنه ادركت اقواما ما من احد منهم يستطيع ان يسر
شيئا من عمله الا اسره وان كان الرجل ليجلس مع القوم وانه لفقيه
وما يعلم به حتى يقوم ولقد ادركت اقواما يأتى على احدهم الزور
فيقوم فيصلى وما يشعر به الزور ولقد ادركت اقواما ما من عمل
يقدرون ان يعملوا لله سرا فيكون علانية ابدا ولقد ادركت اقواما
يجمع احدهم القرآن وما يعرف به جاره ولقد ادركت اقواما يجتهدون

علامة الصدق

فى الحديث
ان لزورك عليك حقا الزور
الزائر وهو فى الاصل
مصدر وضع موضع
الاسم كصوم ونوم بمعنى
صائم ونائم

في الدعاء وما يسمعهم احد وقال محمد بن واسع رضي الله عنه ادركت
رجالا لايكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد بل ما تحت خده
من دموعه ولا تشعر به امرأته ولقد ادركت رجالا يقوم احدهم في الصف
فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذي الى جنبه وفي رواية عنه
ان كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته معه لا تعلم فان وقع منه
اعلان واظهار في وقت ما فليشتغل حينئذ بمراقبة قلبه وصونه
ان يعمل فيه الفرح باطلاع الناس على حاله ولينكر ذلك على نفسه و
ليكرهه ولا يرضه منها وليجاهد نفسه في ذلك اشد المجاهدة فاذا
خالف هذا واستشرف الى معرفة غير الله عز وجل بحاله وغفل عن
مجاهدة نفسه في حال ظهور ذلك منه ولو في لحظة خيف عليه ان
يعمل الفرح في قلبه فيقع عند ذلك في الفتنة فان كان ضعيف
الارادة لم يسلم من الوقوع في الريا الجلي والخفي لان سببه قد استثبت
له وان كان قوي الارادة وسالك سبيل المعرفة لم يسلم من السكون
والركون فيفقد حينئذ الغيرة على الحال وينحط بذلك من ذروة
الكمال ولهذا كان اسقاط المنزلة عند الناس من ضرورات سالكي
هذه الطريقة كما تقدم عند قوله ادفن وجودك في ارض الخمول فان
تحقق العبد بالمعرفة ومشاهدة الوحدانية الصرفة جاز له الاخبار
باعماله والاظهار لمحاسن احواله ثباتا منه على نفي الغيرة واداء
لواجب حق الشكر كان بعض السلف يصبح فيقول صليت البارحة
كذا وكذا ركعة وتلوت كذا وكذا سورة فيقال له اما تخشى من الريا
فيقول وهل رايتم من يرائي بفعل غيره وكان آخر يفعل مثل ذلك
فيقال له لم لا تكتم ذلك فيقول الم يقل الله تعالى وما بكم من نعمة
فمن الله واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث فان

قصد من هذا حاله الى هداية عباد الله تعالى لهم الى الله تعالى باظهار احواله
واعماله والاقتداء بها والاهتداء بهديه فهو خارج عن النمط الاول كله
وداخل في حكم هذا المنزع الثاني فعلانيته هذا افضل من سره لانه
سلم من الآفات التي تعرض لغيره وحصلت منه الفوائد التي تضمنها
اظهاره وجهره وقد جاء في الخبر السر افضل من العلانية والعلانية
افضل لمن اراد الاقتداء به وهذا ارجح الوجوه عند العلماء في قوله
صلى الله عليه وسلم للرجل الذي ساله عن فرحه باطلاع الناس على بعض
اعماله لك اجران اجر السر واجر العلانية وقد فعل ما ذكرناه من
الاظهار جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم منعنا من ذكر
وقايعهم خشية الاطالة وكان ذلك منهم لاجل هذا الغرض ومقام
هذا العبد مقام النصحاء لعباد الله تعالى والدعاء لهم الى الله عز وجل
فلا جرم كان له الدرجات العلى عند الله لانه من ائمة المتقين لله عز وجل
وقد اخبر الله عز وجل بجزائهم وذكر عقب دعائهم بذلك فقال عز من
قائل اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما
خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قال في لطائف المنن اعلم
ان مبنى امر الولي على الاكتفاء بالله تعالى والقناعة بعلمه والاغتناء بشهوده
قال الله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى اليس الله بكاف
عبده وقال جل وعلا الم يعلم بان الله يرى وقال جل وعلا اولم يكف بربك
انه على كل شيء شهيد فمبنى امرهم رضي الله عنهم في بدايتهم على الفرار من
الخلق والانفراد بالملك الحق واخفاء الاحوال وكتم الاعمال تحقيقا
لعبادتهم وتثبيتا لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم وحبا في اخلاص
اعمالهم لسيدهم حتى اذا تمكن اليقين وايدوا بالرسوخ والتمكين
وتحققوا بحقيقة الفناء وردوا الى وجود البقاء فهناك ان شاء الحق

اظهرهم وان شاء سترهم وان شاء اظهرهم هادين لعباده اليه وان شاء
سترهم فاقطعهم عن كل شئ وظهور الولي ليس بارادته لنفسه لكن بارادة
الله تعالى له بل مطلبهم ان كان له مطلب الخفا لا الجلا كما قدمناه له فلما
لم يكن الظهور مطلبهم واراد الله سبحانه اظهارهم فاظهرهم تولاهم
في ذلك بتاييده وواردات مزيده ولقوله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن
ابن سمرة لا تطلب الامارة فانك ان اعطيتها من غير مسألة اعنت
عليها وان اعطيتها عن مسألة وكلت اليها ومن تحقق منهم بالعبودية
لله تعالى لا يطلب ظهورا ولا خفاء بل ارادته وقف على اختيار سيده
وقال الشيخ ابو العباس رضي الله عنه من احب الظهور فهو عبد الظهور
ومن احب الخفا فهو عبد الخفا ومن كان عبد الله عز وجل فسوا عليه
اظهره ام اخفاه **غيب نظر الخلق اليك لنظر الله اليك وغب عن اقبالهم
عليك بشهود اقباله عليك** هذا المعنا هو حقيقة صدق عبودية
العبد الذي اشار اليه في المسألة التي قبل هذه وهو ان لا يكون له شعور
بما من الخلق اليه من نظر واقبال ولا تشوف اليه ولا طلب له وانما يكون
شعوره وتشوفه وطلبه لما من الله تعالى اليه من نظره اليه واقباله
عليه فيغيب عن الحالين باعلاهما وذلك بان يعلم ان ما من الخلق
اليه امر وهمي باطل ينقاد اليه كل ذي عقل قاصر سخيف يوجب له
هذا الانقياد انواعا من الكبائر والرذائل من الانحطاط في اهواء
الناس وتحسين مواقع نظرهم منه بالتصنع والتزين لهم وتربية
الجاه والحشمة لديهم تكبرا وتعظيما عليهم ومعاشرتهم بالدهان
والنفاق وتخالف الاسرار والاعلان وهذا عذاب اليم استعجله
في دنياه اذ يفوته بذلك راحة قلبه وطيب عيشه ويسلبه ثوب الغنا
والعزة ويلبسه لباس الطمع والذلة فتردى بذلك همته وتقل قيمته

وظهور الولي ليس بارادته

غيب نظر الخلق اليك ... عن اقبالهم عليك

والعذاب

والعذاب الآخرة اكبر   **وقد قال الشاعر**
من راقب الناس مات غما   وفاز باللذة الجسور
ورأى سهل بن عبد الله رضي الله عنه رجلا من الفقراء بمكة فقال
له شيئا فقال يا استاذ لا اقدر على هذا من اجل الناس فالتفت سهل
الى اصحابه فقال لا ينال العبد حقيقة من هذا الامر حتى يكون باحد
وصفين حتى يسقط الناس من عينه فلا يرى في الدار الا هو
وخالقه فان احدا لا يقدر ان يضره ولا ينفعه او يسقط نفسه
عن قلبه فلا يبالي باي حال يرونه انتهى ثم من له بحصول ما
اراده منهم واغراضهم مختلفة وطباعهم متباينة فربما استحسن
من نفسه شيئا لم يستحسنه غيره وربما ارضى شخصا بما لا يرضي
آخر فهو يعمل بزعمه فيما ينفعه عند الناس وهو ساع فيما يضره
عندهم وعند الله تعالى مع مقاساة التعب والنصب في نفسه وفي
الحكاية المذكورة عن لقمان وابنه تنبيه على هذا المعنى ذكر ان
لقمان دخل ذات يوم السوق وهو راكب حمارا وابنه يسوقه
فقالوا الناس حين رأوه شيخ لا يشفق على صبي فاركبه خلفه
فقالوا اثنان على حمار هل لارادتنا لثا فنزل لقمان وبقي الولد فقالوا
شيخ ماشي وصبي راكب فنزل الولد يمشي مع والده وساقا
جميعا الحمار قالوا حمار فارغ وهذان يسوقانه وكان غرض لقمان
بهذا ان يري لابنه شان الناس مع من يراعي نظرهم وانه لا يسلم احد
منهم على اي حال يكون فرضى الناس غاية لا تدرك واحمق الناس
من طلب ما لا يدرك وهذا حال من انقاد الى الاوهام من ضعفاء
العقول وسخفاء الاحلام واما من كان له عقل وافر وحلم
فاخر فلا يميل الا الى ما هو حق ووجود صدق وهو ما من الله

لا ينال السالك حقيقة الفقر والتصوف حتى يكون باحد الوصفين

حكاية لقمان الحكيم وابنه

ما اكترث له ما ابالي به

قوله مذكر في الا نقطاع عن الناس وعن نظرهم بالكلية

عزّ وجلّ اليه من نظرٍ واقبالٍ وجزيل عطاء وعظيم نوال فهو يعمل فيما
يؤدّيه الى هذه المطالب من غير اكتراث بذمّ ذامّ او عيب عايب ويقول
بلسان حاله انّ الّذي يكرهون منّي ذاك الّذي يشتهيه قلبي
ويقول ايضًا ما قال محمّد بن اسلم رضي الله عنه ما لي ولهذا الخلق كنت .
في صلب ابي وحدي ثمّ صرت في بطن امّي وحدي ثمّ دخلت الدّنيا
وحدي ثمّ تقبض روحي وحدي فادخل في قبري وحدي ثم ياتيني منكر
ونكير فيسألاني وحدي واقف بين يدي الله تعالى وحدي ثمّ
يوضع عملي وذنوبي في الميزان وحدي فان بعثت الى الجنّة بعثت
وحدي وان بعثت الى النّار بعثت وحدي فما لي وللنّاس وقد سئل
الحارث بن اسدٍ المحاسبي رضي الله عنه عن علامة الصّادق فقال
الصّادق هو الّذي لا يبالي لو خرج كلّ قدرٍ له من قلوب النّاس من اجل
اصلاح قلبه ولا يحبّ ان يطّلع النّاس على مقدار مثاقيل الذرّ من
اليسير من عمله ولا يكره ان يطلع النّاس على السّيّئ من عمله فانّ
كراهته لذلك تدلّ على انه يحبّ الزّيادة عندهم وليس هذا من
اخلاق الصّادقين من عرف الحقّ شهده في كلّ شيء فلا يستوحش
من شيء ويستانس به كلّ شيء كما تقدّم من نعت العارفين ومن
فني به غاب عن كلّ شيء فلا يكون منه على الاشيا اعتماد ولا اليها
استناد ومن احبّه لم يؤثر عليه شيئًا من مراداته وشهواته
وهذه الامور الّتي ذكرها المؤلّف رحمه الله هي علامة بلوغ المقامات
العليّة وبها تصحّ وتكمل ومن لم يجدها في نفسه فلا ينبغي له انْ
يدّعي تلك المقامات وليعمل على مجاهدة نفسه فيما يصحّحها ويكمّلها
انما حجب الحقّ عنك شدّة قربه منك شدّة القرب حجاب كما انّ
شدّة البعد حجاب لانّ شدّة قربه منك موجبة لاضمحلالك وذهابك

علامة بلوغ المقامات العلية

شدة القرب حجاب

والمضمحل الذّاهب لا نسبة بينه وبين الثّابت الموجود فكيف تراه
قال في لطائف المنن فعظيم القرب هو الّذي غيّب عنك شهود القرب
قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه حقيقة القرب ان تغيب في القرب عن
القرب لعظيم القرب لمن شمّ رائحة المسك فلا يزال يدنو وكلّما
دنى منها تزداد رائحتها فلمّا دخل البيت الّذي هو فيه انقطعت
رائحته عنه واانشد بعض العارفين شعرا

ذات الشعبين موضع باليمامة فاتك

كم ذا تموّه بالشّعبين والعلم ، والامر اوضح من نارٍ على علمٍ
اراك تسأل عن نجدٍ وانت بها ، وعن تهامة هذا فعل متّهمٍ

انما احتجب لشدّة ظهوره وخفي عن الابصار لعظم نوره هذه
عبارة تداولها النّاس فضربوا لمعناها مثلا بالشّمس وذلك انّ
الشّمس نورها اقوى من سائر الانوار المحسوسة وقوّة نورها هي الّتي
حجبت الابصار الضّعيفة عن ادراك كنهها فقد صار ظهورها
هو الّذي اوجب وجود نورها حجابًا لها وليس الحجاب على الحقيقة منها
فانّ الظّاهر لذاته لا يحجب من ذاته وانّما الحجاب عليه من غيره و
الحجاب هاهنا ضعف البصر عن مقاومة فيضان النّور فالحقّ
سبحانه وتعالى احتجب عن الخلق بشدّة ظهوره وخفي عن الابصار
لعظيم نوره وانشدوا في هذا المعنى

لقد ظهرت فما تخفى على احدٍ ، الّا على اكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما اظهرت محتجبًا ، وكيف يعرف من بالعزّة استترا
لكنّه يخفى لفرط ظهوره ، حسًّا ويدركه البصير من الورى

وانشدوا ايضًا .

بالنّور يظهر ما ترى من صورةٍ ، وبه وجود الكائنات بلا امترا
فاذا نظرت بعين عقلك لم تجد ، شيئًا سواه على الذوات مصوّرا

واذا طلبت حقيقة من غيره ٨ فنذيل جهلك لا تزال معتزا ١٨
وقال رضي الله عنه لا يكن طلبك تسببا الى العطاء منه فيقل فهمك
عنه وليكن طلبك لاظهار العبودية وقياما بحقوق الربوبية
لم يامر الله عباده بالطلب والسؤال منه الا ليظهر افتقارهم اليه
وسؤلهم بالتضرع والخضوع بين يديه ليكون ذلك اظهار العبوديتهم
وقياما بحقوق ربوبية ربهم لا لان يتسببوا به لحصول ما طلبوه
ونيل ما رغبوه مما لهم فيه متعة وحظ هذا هو فهم العارفين عن
الله تعالى ويدل على هذا المعنى ما يذكره المؤلف الآن قال ابو نصر
السراج سالت بعض المشايخ عن الدعاء والتفويض لاهل التسليم
ما وجهه فقال يدعوا الله على وجهين احدهما يريد بذلك تزيين
الجوارح الظاهرة بالدعاء لان الدعاء ضرب من الخدمة يريد ان يزين
جوارحه بهذه الخدمة والوجه الثاني ان يدعوا ائتمارا لما امر الله
تعالى من الدعاء انتهى وقد قيل فائدة الدعاء اظهار الفاقة
بين يديه والا فالرب يفعل ما يشاء ومقتضى هذا ان لا ينقطع
سؤاله ولا رغبته وان اعطاه كل مطلب وانا له كل سؤل ومآرب
فلا يفرق بين العدم والوجود والمنع والعطاء فيما يرجع الى اظهار
الفاقة والفقر فيكون عبد الله في الاحوال كلها كما ان ربه
في الاحوال كلها وقبيح بالعبد ان يصرف وجهه عن باب مولاه لما
ينيله من شهوته وهواه قال سيدي ابو الحسن رضي الله عنه
لا يكن همك في دعائك الظفر بقضاء حوائجك فتكون محجوبا
وليكن همك مناجاة مولاك قال الامام ابو القاسم القشيري
شر الناس من يبتهل الى الله عند هجوم البلاء بخلوص الدعاء وشدة
التضرع والبكاء فاذا زالت شكايته ورفعت عنه آفاته ضيع

لا يكن طلبك تسببا الى العطاء منه تعالى

الوفاء ونسي البلاء وقابل الوفد بنقض العهد وابدل العقد برفض
الود اولئك الذين ابعدهم الله في سابق الحكم وخوطهم في سلك
اهل الود وقد قيل بلاء يلجيك الى الانتصاب بين يدي معبودك
خير لك من عطاء ينسيك اياه ويقصيك عنه كيف يكون
طلبك اللاحق سببا في عطائه السابق هذا دليل على نفي السببية
المذكورة لان ما طلبه العبد امر سابق في الازل تقديره وطلبه
امر لاحق فيما لا يزال فكيف يكون اللاحق سببا في وجود السابق
وهل السبب ابدا الا متقدم على المسبب جل حكم الازل ان
ينضاف الى العلل هذا دليل آخر على ما ذكره وهو ان حصول
ما طلبه الداعي حكم من الله تعالى في الازل فلا يكون سببه الدعاء
والسؤال لان احكام الله تعالى تجل عن ان تنضاف الى علة
او تسبب من قبل ان له الارادة المطلقة والمشيئة النافذة
فصنعته علة لكل شيء ولا علة لصنعه كما قال العارفون
المحققون عنايته فيك لا لشيء منك واين كنت حين
واجهتك عنايته وقابلتك رعايته لم يكن في ازله اخلاص
اعمال ولا وجود احوال بل لم يكن هناك الا محض الافضال وعظيم النوال عناية الله تعالى في الازل حين لم تكن حين لا حين
غير معللة بشيء منك من الاخلاص في الاعمال او وجود احوال
التوسل بجميع ذلك اليه واين كنت اذ ذاك وانت عدم محض
بل لم يكن هنالك الا محض كرمه وافضاله وعظيم احسانه ونواله
لا غيره قال الواسطي رحمه الله تعالى اقسام قسمت ونعوت اجريت
كيف تستجلب بحركات او تنال بسعايا علم ان العباد يتشوفون
الى ظهور سر العناية فقال يختص برحمته من يشاء وعلم ان لو خلاهم

اللاحق لا يكون سببا للسابق

عناية فيك لا لشيء منك

وذلك لترکوا العمل اعتمادًا على الازل فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين
ظهور سرّ العناية التي مقتضاها الرّحمة هو تخصيص المشيئة في قوله عزّ وجلّ
يختص برحمته من يشاء ولا علة له من العبد والاحسان المنسوب اليه
في قوله تعالى انّ رحمة الله قريب من المحسنين امارة وعلامة على ملك العناية
وليس بعلّة موجبة وانّما اسند الرّحمة اليه وعلّقها به لئلا يتّكل
العباد على السّابقة ويتركوا العمل الذي هو مقتضى العبوديّة الواجبة
لله عليهم الى المشيئة يستند كل شئ لان وقوع ما لم يشأ الحقّ محال
ولا تستند هي الى شئ لاستحالة وجود النّقص فيما يجب له من الكمال
وهذه العبارات التي ذكرها المؤلّف رحمه الله تعالى من اول الفصل
الى هنا بلغت الغاية في الحسن واستغنت بترداده وتكرارها
عن البيان والشّرح وفيها اشارة الى احكام الازل وفقد الاسباب
والعلل فيجب على العبد ان يبنى عليها اعماله واحواله فيلزم العبوديّة
والافتقار ويدع التّدبير والاختيار لمن بيده ذلك وهذا هو ادب
التّوحيد جعلنا الله من اهله بمنّه وفضله قال ابو بكر بن محمّد بن موسى
الواسطيّ رضي الله عنه انّ الله تعالى لا يقرّب فقيرًا لاجل فقره ولا
يبعد غنيًّا لاجل غناه وليس للاعراض عنده خطر حتّى بها يصل و
بها يقطع ولو بذلت له الدّنيا والآخرة ما اوصلك اليه بها ولو اخذتها
كلها ما قطعك بها قرّب من قرّب من غير علّة وقطع من قطع من غير
علّة كما قال الله تعالى ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور وقال رضي
الله عنه ما خالف احد ولا وافق وكلّ مستعمل بمشيئته وقدرته
انّى يكون الوفاق والخلاف وهو يقلّب الليل والنّهار بما فيهما وهو
قائم على الاشياء وبالاشياء في بقائها وفنائها لا يؤنسه وجد ولا
يوحشه فقد بل لا وجد ولا فقد وانّما هي رسوم تحت الرّسوم

ربّما دلّهم الادب على ترك الطّلب اعتمادًا على قسمته واشتغالًا بذكره
عن مسألته قد يكون من الادب ترك السّؤال والطّلب لمن هو مستغرق
في الاذكار راضٍ بما يجري عليه من تصاريف الاقدار وهو احد
مذاهب القوم قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه واختلف
النّاس في اي شئ افضل الدّعاء ام السّكوت والرّضا فمنهم من
قال انّ الدّعاء في نفسه عبادة قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم الدّعاء
مخّ العبادة والاتيان بما هو عبادة اولى من تركها ثمّ هو حقّ الحقّ
سبحانه وتعالى فان لم يستجب للعبد ولم يصل الى حظ نفسه فلقد
قام بحقّ ربّه ولانّ الدّعاء اظهار فاقة العبوديّة وقد قال الامام
ابو حازم الاعرج لان احرم الدّعاء اشدّ من ان احرم الاجابة و
طايفة قالوا السّكوت والجمود تحت جريان الحكم اتمّ والرّضا بما
سبق من اختيار الحقّ اولى ولهذا قال الواسطي اختيار ما جرى لك
في الازل خير لك من معارضة الوقت وقد قال صلى الله عليه وسلم
مخبرًا عن الله تعالى من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل
ما اعطي السّائلين وقال قوم يجب ان يكون العبد صاحب دعاء
بلسانه صاحب رضى بقلبه ليأتي بالامرين جميعًا قال الامام
ابو القاسم والاولى ان يقال انّ الاوقات مختلفة ففي بعض الاحوال
الدّعاء افضل من السّكوت وهو الادب وفي بعض الاحوال
السّكوت افضل من الدّعاء وهو الادب وانّما يعرف ذلك
في الوقت لان علم الوقت يحصل في الوقت فاذا وجد بقلبه
اشارة الى الدّعاء فالدّعاء اولى وان وجد اشارة الى السّكوت فالسّكوت
له اولى ويصحّ ان يقال ينبغي للعبد ان لا يكون ساهيًا عن شهود
ربّه تعالى في حال دعائه ثمّ يجب ان يراعي حاله فان وجد في الدّعاء

الادب ترك الطلب والاشتغال بذكره عن مسألته

ان الدعاء في نفسه عبادة

الجمع بين المقامين

الدعاء وتركه بحسب اقتضاء الاوقات المختلفة

زيادة بسط في وقته فالدعاء له اولى وان عاد الى قلبه وقت الدعاء شبه
زجر مثل قبض فالاولى ترك الدعاء في هذا الوقت وان لم يجد في قلبه
لا زيادة بسط ولا حصول زجر فالدعاء وتركه هنا سيان وان
كان الغالب عليه في هذا الوقت العلم فالدعاء اولى لكونه عبادة
وان كان الغالب في هذا الوقت المعرفة والحال فالسكوت اولى
ويصح ان يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب او للحق سبحانه فيه
حق فالدعاء اولى وما كان للنفس فيه حظ فالسكوت اتم وفي
الخبر المروي ان العبد يدعو الله تعالى وهو يحبه فيقول يا جبريل
اخر اجابة عبدي فاني احب ان اسمع صوته وان العبد ليدعو
وهو يبغضه فيقول يا جبريل اقض حاجته فاني اكره ان اسمع صوته
. انتهى كلام ابي القاسم وهو حسن بديع هو اوفى مما ذكره المؤلف
رحمه الله تعالى انما يذكر من يجوز عليه الاغفال وانما ينبه من يمكن
منه الاهمال اورد هذا كالدليل لما ذكره من ان ترك الطلب قد يكون
من الادب وذلك لان في الطلب اشعارا واظهارا بتجويز الاغفال
عليه فيقع بذلك التذكير له وتلويحا لاحتمال وجود الاهمال منه فيكون
ذلك تنبيها له وجميع ذلك محال على الحق تعالى عن ذلك علوا كبيرا
فلاجل هذه العلل كان ترك الطلب عند هؤلاء ادبا وقد سئل الواسطي
ان يدعو فقال اخشى ان دعوت ان يقال لي ان سألتنا ما لك عندنا
فقد اتهمتنا وان سألتنا ما ليس لك عندنا فقد اسأت الثناء
علينا وان رضيت اجرينا لك من الامور ما قضينا لك في
الدهور روي عن عبد الله بن المبارك رضي الله عنه انه قال ما دعوت
منذ خمسين سنة وما اريد ان يدعو لي احد لانه ماض على ما سبق
ورود الفاقات اعياد المريدين الاعياد عبارة عن الاوقات العائدة

في الطلب اشعارا بتجويز الاغفال وتلويحا لاحتمال وجود الاهمال

ورود الفاقات اعياد المريدين

على الناس

على الناس بالمسرات والافراح فهم مختلفون في ذلك فمنهم من مسرته
وفرحه بوجود حظه ونيل شهوته وغرضه وهذا حال عامة المسلمين
ومنهم من مسرته وفرحه بفقدان حظوظه واعواز امانيه واغراضه
وهذا حال الخاصة من المريدين لان مدار امرهم انما هو على مراعاة
قلوبهم وتصفية اسرارهم من كدورات الاغيار والاثار ولا يتأتى لهم
ذلك الا بوجدان ما يقهرهم من ضرورة الفاقات وانواع الحاجات
والضرورات فتراهم يؤثرون الفقر على الغنا والشدة على الرخا والذل
على العز والمرض على الصحة اذ يحصل لهم بذلك رقة وحلاوة لا يعرف
قدرها الا هم لانها من وجودهم بقرب ربهم لرؤيتهم له في حال فقدان .
حظهم وكلما زادوا فاقة وبلاء زادهم مولاهم قربة ولما كان بعضهم
يطوف حول الكعبة وهو يقول

متزر بشملتي كما ترى ۞ وصبية باكية كما ترى ۞
وامرأتي عريانة كما ترى ۞ يا من يرى الذي بنا ولا يرى ۞
اما ترى ما حل بي ما ترى ۞

فسمعه بعضهم فجمع له كسرة خبز ودفعها اليه فقال له اليك عني
لو كان معي شيء ما امكنني ان اقول هذا القول قال في التنوير
وفي البلايا والفاقات من اسرار الالطاف ما لا يفهمها الا اولوا
البصائر الم تر ان البلايا تحمل النفس وتذلها وتدهشها عن طلب
حظوظها ويقع مع البلايا وجود الذلة ومع الذلة تكون النصرة
قال الله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وقال ابو اسحق ابراهيم
الهروي رضي الله عنه من اراد ان يبلغ الشرف كل الشرف فليختر
سبعا على سبع فان الصالحين اختاروها حتى بلغوا سنام الخيرات
بان يختار الفقر على الغنا والجوع على الشبع والدون على المرتفع

والذل على العز والتواضع على الكبر والحزن على الفرح والموت على الحياة
وقد تقدم عند قول المؤلف رحمه الله من ظن انفكاك لطفه عن
قدره فذلك لقصور نظره الشفا في هذا المعنى فواجب اذًا ان يكون
ورود الفاقات اعياد المريدين كما قال فاذا فقدوا ذلك بموانع الاسباب
استشعروا وجود الحجاب وبعدهم عن محل الاقتراب فحزنوا لذلك و
تاسفوا وودوا لو عاد اليهم الحال الاول ومن هذا المعنى مما حكى
عن خير النساج رضي الله عنه قال دخلت بعض المساجد فاذا فيه
فقير فلما رآني تعلق بي وقال ايها الشيخ تعطف علي فان محنتي
عظيمة قلت وما هي قال فقدت البلا وقوبت بالعافية فنظرت فاذا
هو فتح عليه بشيء من الدنيا وقال بعضهم ان الفقير الصادق ليحترز
من الغنا حذرًا ان يدخل عليه الغنا فيفسد عليه فقره كما ان الغني
يحترز من الفقر حذرًا ان يدخل عليه الفقر فيفسد عليه غناه وقد
تقدم من حكايات عطاء السلمي رضي الله عنه وفتح الموصلي وفضيل بن
عياض والربيع بن خيثم رضي الله عنهم ما يوافق ما ذكرنا وانشدوا
في ذكر عيادة البلايا المريدين والعارفين وقيل انها لابي علي الروذباري
رضي الله عنه

شعر

قالوا غدا العيد ماذا انت لابسه ۞ فقلت خلعة ساقٍ حبه جرعا
فقر وصبر هما ثوباي تحتهما ۞ قلب يرى الفه الاعياد والجمعا
احرى الملابس ان تلقى الحبيب به ۞ يوما التزاور في الثوب الذي خلعا
الدهر لي مأتم ان غبت يا املي ۞ والعيد ما كنت لي مرأى ومستمعا
ربما وجدت من المزيد في الفاقات ما لا تجده في الصوم والصلوة
ورود الفاقات يحصل بها للمريد مزيد كبير من صفا القلب وطهارة
السر وقد لا يحصل ذلك في الصوم والصلاة لان الصوم والصلاة

قد يكون

قد يكون له فيهما شهوة وهوى كما تقدم وما كان هذا سبيله لا يؤمن
فيه من دخول الآفات فلا تفيد تحلية ولا تزكية بخلاف ورود
الفاقات فانها مباينة للهوى والشهوة على كل حال وقد تقدم نحو
من ذلك المعنى عند قوله اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا
تبال معها وان قل عملك الفاقات بسط المواهب الفاقات تحضر
مع الحق وتجلسه على بساط الصدق وناهيك ما يكون في تلك
المحاضرة والمجالسة من المواهب الربانية والنفحات الرحمانية
ان اردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك انما
الصدقات للفقراء هذا مثل ما ذكره الآن وذكر الآية الكريمة عقبه
اشارة بديعة وتصحيح الفاقة والفقر هو التحقيق باوصاف
العبودية المذكورة في المسالة التي تاتي باثر هذه ومما يتعلق
بظاهر الآية الكريمة التي استشهد بها المؤلف رحمه الله تعالى
عليه على طريقة القوم ما قال بعضهم صدق الفقير اخذه الصدقة
ممن يعطيه لا من يصل اليه على يديه فالحق تعالى هو المعطي على
الحقيقة لانه جعلها لهم فان قبلها من الحق فهو الصادق
في فقره لعلو همته ومن قبلها من الوسايط فهو المتوسم
بالفقر مع رداءة همته تحقق باوصافك يمدك باوصافه
تحقق بذلك يمدك بعزه تحقق بعجزك يمدك بقدرته تحقق
بضعفك يمدك بحوله وقوته هذا مناسب لما ذكره من
الفاقات والمواهب وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله
كن باوصاف ربوبيته متعلقا وباوصاف عبوديتك متحققا
قال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه بعد كلام ذكره
وتصحيح العبودية ملازمة الفقر والضعف والعجز والذل لله تعالى

تحقق العبد باوصافه
سبيل الامداد باوصافه تعالى

واضدادها اوصاف الربوبية فمالك ولها فلازم اوصافك وتعلق باوصافه
وقل من بساط الفقر الحقيقي يا غني من للفقير غيرك ومن بساط الضعف
يا قوي من للضعيف غيرك ومن بساط العجز يا قادر من للعاجز غيرك
ومن بساط الذل يا عزيز من للذليل غيرك تجد الاجابة كانها طوع
يدك فاستعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين انتهى كلام
سيدي ابي الحسن وهو معنى ما ذكره المؤلف رحمه الله ههنا و
اكثر كلام المؤلف جار على منهاج كلام ابي الحسن رضي الله عنهما وغفر
لهما ونفع بهما وقال رضي الله عنه ربما رزق الكرامة من لم تكمل له
الاستقامة الكرامة الحقيقية انما هي حصول الاستقامة والوصول

الكرامة الحقيقية حصول الاستقامة والوصول الى كمالها

الى كمالها ومرجعها الى امرين صحة الايمان بالله عز وجل واتباع
ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا فالواجب على
العبد ان لا يحرص الا عليهما ولا يكون له همة الا في الوصول اليهما
واما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين اذ قد
يرزق ذلك من لم يكمل له الاستقامة قال سيدي ابو الحسن رضي الله عنه
انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد الايقان
وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى
والمخادعة فمن اعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر
كذاب وذو خطا في العلم والعمل بالصواب كمن اكرم بشهود الملك على
نعت الرضا فجعل يشتاق الى سياسة الدواب وخلع الرضا وكل
كرامة لا يصحبها الرضا عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور

وكل كرامة لا يصحبها الرضا عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور ناقص او هالك مثبور

ناقص او هالك مثبور قال سيدي ابو العباس رضي الله عنه ليس الشان
من تطوى له الارض فاذا هو بمكة او غيرها من البلاد انما الشان
ان تطوى عنه اوصاف نفسه فاذا هو عند ربه وذكر عن سهل بن

عبد الله

عبد الله رضي الله عنه الكرامات فقال وما الآيات وما الكرامات
هي شيء ينقضي لوقتها ولكن اكبر الكرامات ان تبدل خلقا مذموما
من اخلاق نفسك بخلق محمود وقال بعض المشايخ لا تعجبوا ممن لم
يضع في جيبه شيئا فيدخل يده في جيبه فيخرج منه ما يريد ولكن
تعجبوا ممن يضع في جيبه شيئا فيدخل يده في جيبه فلا يجده فلا
يتغير وقيل لابي محمد المرتعش رضي الله عنه ان فلانا يمشي على الماء
فقال عندي من مكنه الله من مخالفة هواه فهو اعظم من المشي
على الماء وفي الهوى وقال ابو يزيد رضي الله عنه لو ان رجلا بسط
مصلاه على الماء وتربع في الهوى فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف
تجدونه في الامر والنهي وقيل له فلان يقال انه يمر في ليلة الى
مكة فقال الشيطان يمر في لحظة من المشرق الى المغرب وهو في لعنة
الله وقيل له ان فلانا يمشي على الماء فقال الحيتان في الماء والطير
في الهوى اعجب من ذلك وقال الجنيد رضي الله عنه حجاب قلوب الخاصة
المختصة برؤية النعم والتلذذ بالعطاء والسكون الى الكرامات
وقد تقدم قبل هذا عند قوله ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه
من علامة اقامة الحق لك في الشيء ادامته اياك فيه مع حصول النتائج

علامة اقامة الحق لك في الشيء ادامته اياك فيه

لا اعتبار بما يقوم فيه العبد لنفسه من عمل او حال وانما العبرة بما يقيمه
فيه ربه وعلامة اقامة الله عبده في الشيء ان يديمه عليه وتحصل
له ثمرته ونتيجته وينبني على هذا آداب ومعاملات وقد اشرنا
الى نحو هذا عند قول المؤلف رضي الله عنه ارادتك التجريد مع اقامة الله
اياك في الاسباب من الشهوة الخفية الى آخره من عبر من بساط
احسانه اصمتته الاساءة ومن عبر من بساط احسان الله
اليه لم يصمت اذا اساء من شاهد احسان نفسه وعمله بطاعة ربه

انبسط لسانه بالنصيحة والموعظة لعباد الله تعالى فان وقعت منه اساءة
ومخالفة انقبض عن ذلك وصمت لما يعتريه من الخجل والحيا وهذه طريقة
اهل التكليف الذين ينظرون الى ما منهم الى الله تعالى من عمل صالح ومن
شاهد احسان الله تعالى اليه وغاب عن رؤية احسانه هو انبسط لسانه
في الحالين من غير فرق لان مشاهدته لوحدانية ربه وقيوميته اوجبت
جراءته على ذلك وقد قيل جرا الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان
وهذه طريقة اهل التعريف الذين ينظرون الى ما من الله اليهم قلت وما
ذكرته هاهنا من لفظتي التعريف والتكليف وما نبهت به عليهما من
الكلام اللطيف اشرت به الى مسالة عظيمة مهمة ينبني عليها اداب واحكام
جمة وهي مسالة اختلاف الناس في معاملتهم لربهم بحسب تباينهم في مراتب
قربهم ومن احكامها مسالة التعبير التي فصّل المؤلف عليها في هذا الفصل ولم
يذكر معها سواها مما ينبني على ذلك الاصل وقد نبه عليها في لطائف
المنن واتى فيها بكلام مستوعب حسن فرأينا ان ننقله هاهنا بكماله
ولنبين به مقصودنا في تفصيله واجماله قال فيه وقال رضي الله عنه يعني
شيخه ابا العباس المرسي رضي الله عنه الناس على ثلاثة اقسام عبد هو بشهود
ما منه الى الله تعالى وعبد هو بشهود ما من الله اليه وعبد هو بشهود ما من الله
الى الله قال ومعنى كلام الشيخ هذا ان من الناس من يكون الغالب عليه شهود
تقصيره واساءته فيقوم مقام المعتذرين بين يدي الله تعالى
وتلازمه الاحزان وتخالفه الاشجان ويستولي عليه الكمد كلما بدت منه
سيئة او كشف له عن اوصاف سوء وعبد آخر الغالب عليه شهود ما
من الله اليه من الفضل والاحسان والجود والامتنان فهذا تلازمه
المسرة بالله والفرح بنعمة الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا هو خير مما يجمعون فالاول هو حال العباد والزهاد والثاني

الناس على ثلاثة اقسام

هو حال العناية والوداد الاول شان اهل التكليف والثاني شان
اهل التعريف الاول حال اهل اليقظة والثاني حال اهل المعرفة
فلذلك قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه العارف من عرف شدائد
الزمان في الالطاف الجارية من الله تعالى عليه وعرف اساءته في احسان
الله اليه فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون وقال رضي الله عنه قليل
العمل مع شهود المنة من الله خير من كثير العمل مع رؤية التقصير من
النفس وقال بعض اهل المعرفة لا تخلو شهود التقصير من الشرك في
التقدير قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه قرأت ليلة من الليالي
قل اعوذ برب الناس حتى انتهيت الى قوله تعالى من شر الوسواس الخناس
الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس فقيل لي شر الوسواس
وسواس يدخل بينك وبين حبيبك فينسيك الطافه الحسنة ويذكرك
افعالك السيئة ويقلل عندك ذات اليمين ويكثر عندك ذات
الشمال ليعدل بك عن حسن الظن بالله ورسوله الى سوء الظن
بالله ورسوله فاحذر هذا الباب فقد اخذ منه كثير من الزهاد
والعباد واهل الجد والاجتهاد ولذلك قل ان تجد الزاهد و
العابد الا مكمودا حزينا لانه يعلم ان الله تعالى طالبه بالعبودية
وحمله اعباها والزمه ما اشفقت السموات والارض والجبال
من حمله قال الله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض و
الجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه
كان ظلوما جهولا فعاين الزهاد ثقل ما حملوا ولم ينفذوا الى
شهود لطف الحامل للاثقال عن عباده المتوكلين عليه فلذلك
لزمهم الكمد واستولى عليهم الحزن واهل المعرفة بالله تعالى علموا
انهم حملوا من التكليف امرا عظيما وعلموا ضعفهم عن حمله والقيام

به متى وكلوا الى نفوسهم قال الله عز وجل خلق الانسان ضعيفا وعلموا
انهم اذا رجعوا الى الله تعالى حمل عنهم ما حملهم قال الله عز وجل ومن
يتوكل على الله فهو حسبه فرجعوا اليه بصدق المرجع فحمل عنهم الاثقال
فساروا الى الله محمولين في محفات المنن فروح عليهم بنفحات
اللطف والاخرون ساروا الى الله حاملين لاثقال التكليف
فتلازمهم المشقات وتطول بهم المسافات فان شاء ادركهم
بلطفه واخذ بايديهم من شهود معاملتهم الى شهود سابق توفيقه
لهم وطابت لهم الاوقات واشرقت فيهم انوار العنايات واما القسم
الثالث الذين هم مع الله تعالى بشهود ما من الله الى الله هؤلاء هم
اهل التوحيد والداخلون في ميادين التفريد واهل القسم الاول
هم الذين غلب عليهم شهود ما منهم الى الله تعالى لم يخرجوا عن باطن
الشرك وان خرجوا عن ظاهره لانهم اقبلوا على نفسهم موبخين
لها شاهدين بتقصيرهم واساءتهم فلو لم يشهدوا الفعل
لها ومنها ما توجهوا اليها بالتوبيخ اذا قصرت فلذلك قال
ذلك العارفون الذين سبق قولهم لا يخلوا شهود التقصير من الشرك
في التقدير فان قلت اذا كان توبيخ النفس وذمها يستلزم
دقيقة من الشرك فكيف تصنع والله تعالى قد ذم النفس و
امرنا بتوبيخها اذا قصرت ووبخها هو اذا كانت كذلك فالجواب
ان ذمها لان الله قد امرك بذمها من غير ان تشهد لها قدرة
وتضيف اليها فعلا تراها هي الفاعلة له واما القسم الثاني
وهو الذي يشهود ما من الله تعالى اليه فهو وان كان خيرا من
الاول لكنه ما سلم من اثبات لنفسه اذ راى نفسه مهداة
اليها هدايا الحق فلولا اثباته لنفسه ما شهد ذلك فلاجل

هذين

هذين المعنيين اثر اهل الله القسم الثالث وهو ان يكون بشهود
ما من الله الى الله فافهم انتهى كلامه رحمه الله ولاجل ما تضمنه من الفوائد
الجليلة والمقاصد النبيلة دعانا قرب المناسبة الى ما ذكره على ما
هو عليه في هذا الموضع والله الموفق لا رب غيره تسبق انوار الحكما
اقوالهم فحيث صار التنوير وصل التعبير الحكماء هم العارفون بالله
تعالى والعاملون به والانوار المنسوبة اليهم هي انوار معارفهم وهي
قوة يقينهم بان الامور كلها بيد الله تعالى لا شريك له فيها فاذا
ارادوا ارشاد عباد الله تعالى ونصيحتهم باذن الله تعالى لهم تسببت
انوار قلوبهم الى الله تعالى بالالتجاء والافتقار اليه في ان يتولى امر قلوب
عباده بان يجعل فيها اهلية واستعدادا لقبول ما يريدون
ايراده عليهم من كلام الحكمة فيجيبهم الى ذلك فاذا تكلموا ابتلغته
قلوبهم التي وصل اليها اثار اسرار انوار الحكماء كما تتلقى الارض
الميتة وابل المطر فينتفعون بذلك اتم انتفاع وقد اوصى لقمان
الحكيم ابنه فقال يا بني ما بلغت من حكمتك فقال لا اتكلف ما لا
يعنيني فقال يا بني انه قد بقي عليك شيء آخر جالس العلماء
وزاحمهم بركبتك فان الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما
يحيي الارض الميتة بوابل المطر وانما قلنا ان الحكماء هم العارفون
بالله العاملون به لانهم خائفون من الله تعالى وفي بعض الآثار
راس الحكمة مخافة الله سبحانه وتعالى والخوف من ثمرات العلم
بالله عز وجل قال الله جل جلاله انما يخشى الله من عباده العلماء
والعلم الموجب للخشية هو العلم بالله تعالى فقط والحكماء هم العلماء
بالله وان كانوا ضعفاء في سائر العلوم الرسمية كليلة السنتهم
في البيان عنها كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز

تسبق انوار الحكما اقوالهم

وللكلام شان عظيم لان كل كلام يبرز بكسوة القلب الذي منه برز

اللسان ترجمان القلب فاذا صفى من الاكدار وتزكى من الاغيار واشرقت فيه الانوار
كانت ترجمانية لسانه على حسب ذلك فيتكلم بالكلام النورانى الذى يلج
اذان السامعين فتنفتح له اذان قلوبهم ويستجيبون لندآء جيبهم روى
الحافظ ابو نعيم رضى الله عنه عن سعيد بن عاصم رضى الله عنه قال كان
قاض يجلس قريبا من مسجد محمد بن واسع فقال له يوما وهو يوبخ جلساءه
مالى ارى القلوب لا تخشع ومالى ارى العيون لا تدمع ومالى ارى الجلود لا
تقشعر قال محمد بن واسع يا عبد الله ما ارى القوم اوتوا الامر قبلك
ان الذكر اذا خرج من القلب وقع على القلب قلت وقد حاز المؤلف
رحمه الله تعالى قصب السبق فى هذا المعنى الذى ذكره ومن مارس كلامه
فى هذا الكتاب وفى غيره وحصل له منه التاثير المحمود سلم ما قلنا
وكفى بشهادة شيخه ابى العباس المرسى رضى الله عنه على عظم قدره و
دعائه له برهانا اله على ذلك قال فى لطائف المنن وكنت قد قلت
لبعض اصحاب الشيخ يعنى ابا العباس اريد لو نظر الى الشيخ برعايته
وجعلنى فى خاطره فقال ذلك للشيخ فلما دخلت على الشيخ قال رضى
الله عنه لا تطالبوا الشيخ بان تكونوا فى خاطره بل طالبوا انفسكم
بان يكون الشيخ فى خواطركم فعلى مقدار ما يكون عندكم تكونوا
عنده ثم قال اى شئ تريد ان تكون والله ليكونن لك شان عظيم والله
ليكونن لك كذا وكذا والله ليكونن لك كذا وكذا وكذا لم اثبت منه
الا على قوله والله ليكونن لك شان عظيم قال فكان من فضل الله سبحانه
وتعالى ما انكره قال واخبرنى سيدنا جمال الدين ولد الشيخ قال
قلت للشيخ هم يريدون ان يصدروا ابن عطا فى الفقه فقال الشيخ
هم يصدرونه فى الفقه وانا اصدره فى التصوف قال ودخلت عليه
فقال اذا عوفى الفقيه ناصر الدين يجلسك فى موضع جدك ويجلس الفقيه

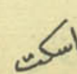
مناقب الشيخ المؤلف المصنف قدس الله سره

فى ناحية وانا من ناحية وتتكلم ان شاء الله فى العلمين فكان ما
اخبر به رضى الله عنه قال وسمعته رضى الله عنه يقول اريد ان
استنسخ كتاب التهذيب لولدى جمال الدين قال فذهبت انا
فاستنسخته من غير ان اعلم الشيخ واتيت بالجزء الاول فقال
ما هذا قلت كتاب التهذيب استنسخته لكم فاخذه فلما نهض
ليقوم قال اجعل بالك الولى لا يتفضل عليه احد تجده هذا ان
شاء الله تعالى فى ميراثك فلما اتيته بالجزء الثانى لقينى بعض
اصحابه عند نزولى من عنده قال قال الشيخ عنك والله لاجعلنه
عينا من عيون الله تعالى يقتدى به فى علم الظاهر والباطن
فلما اتيته بالجزء الثالث ونزلت من عنده لقينى بعض اصحابه
وقال طلعت عند الشيخ فوجدت عنده مجلدة حمرا فقال هذا الكتاب
استنسخه لى ابن عطاء والله ما ارضى له بمجلسه جده ولكن بزيادة
التصوف قال واخبرنى بعض اصحابه قال قال الشيخ يوما اذا
اتى ابن فقيه الاسكندرية فاعلمونى به فلما اتيت اعلمنا
الشيخ بك فقال تقدم فقدمك بين يديه ثم قال جا جبريل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ملك الجبال حين كذبته
قريش فقال له هذا ملك الجبال قد امره الله تعالى ان يطيع امرك
فى قريش فسلم عليه ملك الجبال فقال يا محمد ان شئت ان اطبق
عليهم الاخشبين فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ولكن ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من يوحد الله تعالى
ولا يشرك شيئا فصبر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء
ان يخرج الله من اصلابهم كذلك صبرنا على جد هذا الفقيه
لاجل هذا الفقيه قال وخرجت يوما من عند الفقيه المكين الاسمر

ونخرج معي ابو الحسن الحريري وكان من اصحاب الشيخ ابي الحسن فسلمت عليه
وسلم علي ببشاشة واقبال فقلت من اين تعرفني فقال وكيف لا اعرفك
كنت يوما عند الشيخ ابي العباس وكنت انت عنده فلما نزلت قلت له
يا سيدي انه ليعجبني هذا الشاب انقطع فلان وفلان عن الملازمة
وهذا الشاب ملازم لي فقال الشيخ يا ابا الحسن لا يموت هذا الشاب
حتى يكون داعيا يدعو الى الله تعالى فكان مثل ما قال الشيخ رحمه الله
تعالى قال وكنت كثيرا ما يطرأ علي الوسواس في الطهارة فبلغ ذلك
الشيخ فقال بلغني ان بك وسواس في الوضوء فقلت نعم فقال
رضي الله عنه هذه الطائفة تلعب بالشيطان لا الشيطان يلعب
بهم ثم مكثت اياما ودخلت عليه فقال لي ما حال ذلك الوسواس فقلت على
حاله فقال ان كنت لا تترك الوسوسة فلا تأتنا فشق ذلك علي
وقطع الله الوسواس عني قال وكان رضي الله عنه يلقن للوسواس

الدعاء لرفع الوسواس

سبحان الملك الخلاق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما
ذلك على الله بعزيز قال وعملت قصيدة امدحه بها فقال حين
انشدت ايدك الله بروح القدس قال ثم عملت قصيدة اخرى
باشارته جوابا لقصيدة مدحه بها انسان من بلاد اخميم فلما
قرئت عليه قال رضي الله عنه صحبني هذا الفقيه وبه مرضات
وقد عافاه الله منها ولا بد ان يجلس ويحدث في العلمين جميعا
يشير الشيخ الى مرض الوسوسة قال ولقد انقطع عني ببركة الشيخ
حتى صرت اخاف ان اكون لشدة التوسعة التي اجدها قد
تساهلت في بعض الامر والمرض الاخر كان بي الم براسي فشكوت
ذلك اليه فدعا لي فعافاني الله وشفاني قال وبت ليلة من الليالي
مهموما فرايت الشيخ في المنام فشكوت اليه ما انا فيه قال


اسكت

اسكت والله لاعلمنك علما عظيما قال فلما انتبهت جئت الى
الشيخ رضي الله عنه وقصصت عليه الرؤيا فقال هذا ان شاء
الله تعالى قال وجاء يوما من السفر فخرجنا للقائه فلما سلمت
عليه قال لي يا احمد كان الله لك ولطف بك وسلك بك سبيل
اوليائه وبهاك بين خلقه قال فلقد وجدت بركة هذا الدعاء
وعلمت انه لا يمكنني الانقطاع عن الخلق واني مرادهم لقوله
وبهاك بين خلقه قال وكنت انا لامره من المنكرين وعليه من
المعترضين لا لشيء سمعته منه ولا لشيء صح نقله عنه حتى جرت
بيني وبين اصحابه مقاولة وذلك قبل صحبتي اياه وقلت
لذلك الرجل ليس الا اهل العلم الظاهر وهؤلاء القوم يدعون
امورا عظيمة وظاهر الشرع يأباها فقال ذلك الرجل بعد ان
صحبت الشيخ تدري ما قال لي الشيخ يوم تخاصمنا قلت لا
قال دخلت عليه فاول ما قال لي هؤلاء كالحجر ما اخطاك
منه خير مما اصابك فقلت ان الشيخ كوشف من امرنا
ولعمري قد صحبت الشيخ اثني عشر عاما فما سمعت منه شيئا
ينكره ظاهر العلم من الذي كان ينقله عنه من يقصد
الاذى قال وكان سبب اجتماعي معه ان قلت في نفسي بعد ان
جرت المخاصمة بيني وبين ذلك الرجل دعني اذهب فارى ذلك
الرجل فصاحب الحق له امارات لا تخفى شانه قال واتيت الى
مجلسه فوجدته يتكلم في الانفاس التي امر الشارع بها فقال
الاول اسلام والثاني ايمان والثالث احسان وان شئت
قلت الاول عبادة والثاني عبودية والثالث عبودة وان
شئت قلت الاول شريعة والثاني حقيقة والثالث تحقق

ونحو هذا وما زال تقول وان شئت قلت الى ان بهر عقلى كان الرّجل
انّما يغرف من فيض بحرٍ الهى ومددٍ ربّانى فاذهب الله ما كان عندى
ثمّ اتيت تلك اللّيلة المنزل فلم اجد شيئا يقبل الاجتماع بالاهل
فاقبلت على عبادتى ووجدت معنى غريبا لا ادرى ما هو فانفردت
فى مكان انظر الى السّماء والى كواكبها وما خلق الله فيها من عجائب
قدرته فحملنى ذلك على العود اليه مرّة اخرى فاتيت فاستؤذن لى
فلمّا دخلت عليه قام وتلقّانى ببشاشة واقبالٍ حتّى دهشت
خجلاً واستصغرت نفسى ان اكون اهلاً لذلك فكان اوّل ما
قلت له يا سيّدى انا والله احبّك فقال احبّك الله كما احببتنى
ثمّ شكوت له ما اجد من هموم واحزان فقال احوال العبد اربعة
لا خامس لها النّعمة والبليّة والطّاعة والمعصية فان كنت
بالنّعمة فمقتضى الحقّ منك الشّكر وان كنت بالبليّة فمقتضى
الحقّ منك الصّبر وان كنت بالطّاعة فمقتضى الحقّ منك شهود
المنّة وان كنت بالمعصية فمقتضى الحقّ منك وجود الاستغفار
قال فقمت من عنده وكانّما كانت الغموم والاحزان ثوبا نزعته
قال ثمّ سألنى بعد ذلك بمدّة كيف حالك فقلت افتّش على الهمّ
فلا اجده

قال

ليلى بوجهك مشرقٌ ۞ وظلامه فى النّاس سارِ
والنّاس فى سدف الظّلام ۞ وانت فى ضوء النّهارِ

الزم فوالله ان لزمت لتكوننّ مفتيا فى المذهبين يريد مذهب اهل
الشّريعة اهل العلم الظّاهر ومذهب اهل الطّريقة اهل العلم
الباطن انتهى ما نقلته من لطائف المنن وانّما اوردت
ذلك هاهنا على طوله لتعرف به قدر المؤلّف رحمه الله ولتدفع

بواضح برهانه طعن الطّاعن وتعسف المتعسّف ولتتعرض بذلك
لنزول الرّحمة من الله علينا وموالات منحه وعطاياه لدينا وقد
قيل عند ذكر الصّالحين تنزل الرّحمة مع ما فى ذلك من قرب المناسبة
لمعنى ما اورده المؤلّف من الكلام الحائز به قصب السّبق بين
من عاصره من الائمّة الاعلام وامّا شيخه ابو العبّاس وشيخ
شيخه ابو الحسن فحالهما اوضح من نار على علم وقد طرزت
بكلامهما الكتب والدّفاتر وذهبت بمأثرهما وعلومهما الالسنة
والاقلام والصّحف والمحابر ولولا خشية الملالة وكراهة
الاطالة لذكرنا من ذلك ما يبهر عقول السّامعين والمطالعين
ويرغم اناف الجاحدين والمعاندين ۞ قال الشّاعر
سيكفيك من ذاك المسمّى اشارةً ۞ ودعه مصونا بالجمال محجّبا
من اذن له فى التعبير بهيت فى مسامع الخلق عبارته
وحليت اليهم اشارته المأذون له فى التعبير هو الذى يتكلّم
لله وفى الله وبالله ولذلك كان كلامه صوابا قال الجنيد
رضى الله عنه الصّواب كلّ نطق عن اذن اشار بهذا والله اعلم
الى قوله لا يتكلّمون الّا من اذن له الرّحمن وقال صوابا فاذا
قرع اسماع السّامعين كلامه فهمت فى مسامعهم عبارته
فلم تفتقر الى معاودة ولا تكرار وحليت اليهم اشاراته
فلم يحتاج جوامعها الى اطناب ولا اكثار بخلاف غير المأذون له
فى ذلك قيل لسيّدى الشّيخ حمدون القصّار رضى الله عنه
ما بال كلام السّلف الصّالح انفع من كلامنا قال لانّهم تكلّموا
لعزّ الاسلام ونجاة النّفوس ورضى الرّحمن ونحن نتكلّم لعزّ
النّفس وطلب الدّنيا وقبول الخلق ربّما برزت الحقائق مكشوفة

من اذن له فى التعبير عن المعارف

الانوار اذا لم يؤذن لك فيها بالاظهار من لم يستكمل الاوصاف المذكورة
لم يؤذن له في اظهار شيء من الحقائق الربانية فان اظهرها برزت
مكسوفة الانوار بما غشيها من ظلمة رؤية الاغيار فمجتها اذان
السامعين وانكرتها قلوبهم وعلامة استكمال الاوصاف المذكورة
ان يفتح له باب التعبير مع وجود السلامة من آفات المنطق
قال في لطائف المنن ان من اجل مواهب الله تعالى لاوليائه وجود
العبارة وسمعت شيخنا سيدي ابا العباس رضي الله عنه يقول
الولي يكون مشحونا بالعلوم والمعارف والحقائق لديه مشهودة
حتى اذا اعطي العبارة كان كالاذن له من الله تعالى في الكلام
قال وسمعت سيدي ابا العباس رضي الله عنه يقول كلام المأذون
له يخرج وعليه كسوة وطلاوة وكلام الذي لم يؤذن له يخرج
مكسوف الانوار حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة
فتقبل من احدهما وترد على الآخر عباراتهم اما لفيضان وجد
او لقصد هداية مريد فالاول حال السالكين والثاني حال
ارباب المكنة والمحققين انما يقع التعبير منهم عما يطالعون به
من الامور الغيبية والعلوم الاشهادية لاحد معنيين اما
حال غلبة الوجد عليهم وفيضانه فهم معذورون في ذلك
لوجود الغلبة وهذا حال السالكين من اهل البداية واما
لقصد هداية مريد فيلزمهم ذلك لما فيه من فائدة الارشاد
والهداية وهذا حال اهل التمكين والمحققين من اهل النهاية
فان عبر السالك لا عن غلبة وجد كان في ذلك نوع من الدعوى
وان عبر المتمكن عن غير قصد هداية مريد كان ذلك افشاء
سر لم يؤذن له فيه وايضا فحاله يقتضي وجود الصمت وعدم النطق

علامة الاذن في تعبير المقامات فتح باب التعبير مع وجود السلامة

انما يقع التعبير للعارف من المعارف لاحد الامرين

لانه في حضرة مولاه الحق تعالى يتلقى ما يرد على سمع قلبه من عجائب
العلوم وغرائب الفهوم فكيف يصدر منهم نطق او تعبير
على غير الوجه المذكور والصمت من آداب الحضرة قال الله عز وجل
وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا العبارة قوت العائلة
المستمعين وليس لك الا ما انت له آكل المستمعون موسومون
بالفقر والحاجة الى فهم معنى ما يستمعون اليه من المواعظ و
الحكم وهو قوت قلوبهم وغذاء ارواحهم كما ان المستطعمين
والسؤال موسومون بالفقر والحاجة الى اقوات ابدانهم
وكما ان اقوات هؤلاء مختلفة فلا يصلح لواحد من هؤلاء
ما يصلح للآخر من الاطعمة والاشربة لاختلاف طبايعهم
وامزجتهم فكذلك اقوات الآخرين مختلفة فلا يصلح لواحد
منهم من العبارات التي تتضمن وجود القوت المعنوي ما
يصلح للآخر لاختلاف مذاهبهم وتباين مطالبهم فاذا
سمعت عبارة من عالم او عارف او واحد من اهل هذه
الطريقة ولم تحظ منها بشيء فاعلم انها لا تصلح لقوتك و
غذائك وهي صالحة لقوم آخرين ومما ينتظم في هذا السلك
ان تقرع اسماع بعض الناس العبارة من بعض الاشخاص
فيفهم منها معنى لم يقصده المتكلم ويتأثر باطنه بذلك
تأثرا عجيبا وقد يقع ذلك لجماعة من الناس فيفهم كل واحد
منهم ما لا يفهمه الآخر ويحصل لهم بذلك التأثر مع ان
المتكلم لم يرد شيئا من ذلك وربما كان مضادا له وقد
يسمع ارباب القلوب من الجمادات كما اخبرنا الشيخ الامام
مفتي الانام تقي الدين محمد القشيري رحمه الله قال كان بغدا

العبارة عن المعارف قوت ذوي الفقر والحاجة

سر فهوم مختلفة من كلام واحد على تفاوت درجات ومقام

فقيه يقال له الجوزي يقرئ اثنا عشر علمًا فخرج يومًا قاصدًا للمدرسة
فسمع منشدًا يقول

اذا العشرون من شعبان ولت ... فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب باقداحٍ صغارٍ ... فقد ضاق الزمان على الصغار

قال فخرج هائمًا على وجهه حتى اتى مكة ولم يزل مجاورًا بها حتى مات رحمه الله
تعالى قال وقرأ على الشيخ مكين الدين الاسمر رضي الله عنه قول القائل

الشاعر

لو كان لي مسعد بالراح يسعدني ... لما انتظرت بشرب الراح افطارا
الراح شرب شريف انت شاربه ... فاشرب ولو حملتك الراح اوزارا
يا من يلوم على صهبا صافية ... خذ الجنان ودعني اسكن النارا

فقال انسان هناك لا يجوز قراءة هذه الابيات قال الشيخ مكين الدين
للقارئ اقرأها هذا رجل محجوب والشيخ مكين الدين هذا هو الذي شهد
له سيدي الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه انه من السبعة الابدال
قال ويكفيك في هذا ان ثلاثة سمعوا مناديًا ينادي يا سعتر بري ففهم
كل واحد منهم مخاطبة عن الله خوطب بها في سره سمع واحد اسع
ترى بري وسمع الآخر منهم الساعة ترى بري وسمع الآخر ما اوسع بري
فالمسموع واحد واختلفت افهام السامعين كما قال سبحانه وتعالى
تسقى بماءٍ واحدٍ ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقال عز وجل قد علم
كل اناس مشربهم فاما الذي ترى بري فمزيد دل على النهوض الى الله تعالى
بالاعمال فيستقبل الطريق بالجد فقيل له اسع الينا بصدق المعاملة
ترى برنا بوجود المواصلة واما الثاني فكان سالكًا الى الله تعالى
طاولته الاوقات فخاف ان تفوته الوصلة فقيل له ترويحًا على قلبه لما
احرقته نار الشغف الساعة ترى بري واما الآخر فعارف كشف له

سمع اسع

عن وسع الكرم وخوطب من حيث اشهد فسمع ما اوسع بري قال
وقال الشيخ محي الدين بن العربي رحمه الله دعانا بعض الفقراء الى دعوة
بزقاق القناديل بمصر فاجتمع بها جماعة من المشايخ فقدم الطعام
وعمروا الاوعية وهناك وعاء زجاج قد اتخذ للبول ولم يستعمل فقرب
فيه رب المنزل الطعام والجماعة ياكلون فاذا الوعاء يقول منذ
اكرمني الله تعالى باكل هذه المشايخ مني لا ارضى لنفسي ان اكون بعد
ذلك محلًا للاذى ثم انكسر نصفين قال الشيخ محي الدين قلت للجماعة
سمعتم ما قال الوعاء فقالوا نعم فقلت ما سمعتم فاعادوا القول
الاول الذي تقدم فقلت قال قولًا غير ذلك فقالوا وما هو قلت
قال كذلك قلوبكم قد اكرمها الله تعالى بالايمان فلا ترضوا بعد ذلك
ان تكونوا محلًا لنجاسة المعصية وحب الدنيا جعلنا الله واياكم
من اهل الفهم عنه والتلقي منه قلت وهذه المنازع كلها مما تستملح
وتستطرف وتتاثر بها القلوب السليمة وتنقاد لها النفوس
الكريمة وقد جرت عادة ائمة اهل الطريقة باستعمالها وايرادها
في محالها فلا حرج علينا اذا اتى ذكر بعض ذلك اذا كانت لمناسبة
تامة وجدت فيها فائدة خاصة او عامة وبالله التوفيق لا رب
غيره ربما عبر عن المقام من استشرف عليه وربما عبر عنه من وصل
اليه وذلك ملتبس الا على صاحب بصيرة كما ان الواصل الى مقام
من مقامات اليقين يعبر عنه كذلك يعبر عنه من استشرف عليه
ولم يتحقق فيه بالمنازلة والوصول والتباس ذلك على من ليس له بصيرة
ظاهرة واما ذو البصيرة فلا يخفى عليه ذلك لانه يرى في الكلام صورة
المتكلم الباطنة وما هو عليه من كمال او نقص وقيل تكلموا تعرفوا
لا ينبغي للسالك ان يعبر عن وارداته فان ذلك يقلل عملها في قلبه

ربما عبر عن المقام من استشرف عليه وربما عبر عنه من وصل اليه

لا ينبغي للسالك ان يعبر عن وارداته

ويمنعه وجود الصدق مع ربه الواردات الالهية لا ينبغي للسالك ان
يعبر عنها اختيارا منه بل يخفيها ويصونها ولا يطلع احدا عليها
الا شيخا مرشدا الا ان نفسه تجد في ذلك لذة واسترواحا تتقوى
بها صفاته فيقل بسبب ذلك عمل الواردات في قلبه من التاثير المحمود
ولاجل غلبة احكام نفسه واثبات حظه يمنعه ذلك من وجود
صدقه مع ربه وقد تقدم هذا المعنى في قوله استشرافك ان يعلم
الخلق بخصوصيتك الى آخره لا تمدن يدك الى الاخذ من الخلائق
الا ان ترى ان المعطي فيهم مولاك فان كنت كذلك فخذ ما وافق
العلم هذه قاعدة عظيمة يحتاج اليها السالكون المتجردون ليبنوا
عليها احوالهم فيما يصل اليهم من الرزق على ايدي الخلق وقد ذكرها
المؤلف رحمه الله تعالى بعبارات بديعة موجزة جمع فيها جملة
المعاني التي يحتاج اليها مما ذكرناه فلنبسط كلامه ذلك على حسب
عادتنا معه على الوجه الذي ذكرناه في مقدمة هذا التنبيه وهذا
قصدنا في جميع ما تكلمنا عليه من مسائل كتابه فنقول على حسب ذلك
ارزاق العباد المعتادة لهم تنقسم الى قسمين احدهما يصلون اليه
باسباب واعمال وتصرفات كالتجارات والصناعات وغيرها وهذا حال
اهل الاسباب والثاني رزق يصل اليهم على ايدي الخلق من غير عمل
ولا سعي وهذا حال اهل التجريد وكل واحد من القسمين له آداب
واحكام تخصه فاحكام القسم الاول وادابه لم يتعرض لها
المؤلف رحمه الله وهي مذكورة في فن الفقه وغيره فواجب على
كل من دخل في شيء من الاسباب تحصيل علمه وطلبه من حيث هو
واحكام القسم الثاني وادابه هي التي تعرض لها المؤلف رحمه الله
تعالى واجمل رضي الله عنه جميع ذلك في مراعاة شرطين وجعلهما

قاعدة عظيمة

من شروط

من شروط صحة الاخذ الشرط الاول ان لا يرى لعطائه الا من مولاه عز وجل
وهذا هو الاصل وانما اشترط على الآخذ لانه مقتضى حاله من تحقيق
التوحيد وتخليص التجريد وبه يصح له مقام القناعة والتوكل ويسقط
عن قلبه هم الرزق ويزول به عنه علاقات الخلق وان لم يكن على هذا
الوصف كان عبدا للناس مولها قلبه اليهم فيكثر طمعه فيهم ورغبته
فيما في ايديهم واستشرافه اليهم فيقع بسبب ذلك في كبائر الذنوب من
معاصي القلب والجوارح مثل المداهنة والنفاق والرياء والتصنع
والتلبس والغش وعدم النصيحة وقلة الشفقة وغير ذلك من
الصفات المذمومة المناقضة للعبودية لله عز وجل وقال سيدي الشيخ
يحيى بن معاذ رضي الله عنه من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الاقدار
وكل الى المخلوقين ولا يكفي في تلك الرؤية المذكورة ان يكون علما وايمانا
فقط بل لا بد ان يكون حالا وذوقا دعى بعض الناس سيدي الشيخ
شقيق البلخي رضي الله عنه وكان في طبقة من اصحابه نحو خمسين
رجلا فوضع الرجل طعاما واسعا وانفق نفقة كثيرة فلما قعدوا
قال شقيق رضي الله عنه لاصحابه ان هذا الرجل يقول من لم يرى اني صنعت
هذا الطعام واني اقدمه اليهم فطعامي عليهم حرام فقاموا كلهم
وخرجوا الا شابا كان فيهم نقصت مشاهدته عنهم فقال لصاحب
المنزل لشقيق رحمك الله ما اردت بهذا قال اردت ان اختبر توحيد
اصحابي كلهم لا يرونه فيما صنع ولا ينظرون اليه فيما قدم الا ذلك الرجل
وحده وانما اشترطنا في رؤية العطاء من الله تعالى ان يكون حالا
وذوقا لان ذلك هو اللائق بحال المتجرد كما ذكرناه لان التجريد حال
شريف لا يدخل فيه بالاختيار والتعمل لان ذلك من اتباع هوى
النفس وطلب الحظ والراحة وانما يقيم الحق فيه من اراده من اهل

الشرط الاول ان لا يرى العطاء الا من الله تعالى

لا بد ان يكون رؤية العطاء من الله حالا وذوق

التقوى والمراقبة بعد كمال شغله بالله تعا وجد في الهرب عن كل ما
يقطعه عن الله تعا فحينئذ يسلبه الله تعا من تدبيره واختياره
ويكاشفه بوحدانيته في ارادة واصداره ويكون تركه الاسباب
بحكم الوقت واشارة الحال كما روى عن سيدنا الشيخ ابي حفص النيسابوري
رضي الله انه كان حدادا وكان غلامه يوما ينفخ عليه الكير فادخل
الشيخ يده في النار واخرج الحديد من النار فغشي على غلامه وترك
ابو حفص الحانوت واقبل على شانه وكان رضي الله عنه يقول تركت
العمل فرجعت اليه وتركني العمل فلم ارجع اليه قال سيدي الشيخ
ابرهيم الخواص رضي الله عنه لا ينبغي للصوفي ان يتعرض للقعود القعود
عن الكسب الا ان يكون رجلا مغلوبا قد اغناه الحال عن المكاسب واما
من كانت الحاجة به قائمة ولم يقع له عزوف يحول بينه وبين التكلف
فالعمل اولى به والتكسب بالسعي احل له وابلغ لان القعود لا يصلح
لمن لم يستغن عن التكلف وقال سيدي الشيخ ابو عبد الله القرشي
رضي الله عنه ما دامت الاسباب قائمة في النفس فالاكتساب اولى وقال
بعض المنقطعين كنت ذا صنعة جليلة فاريد مني تركها فحاك
في صدري من اين المعاش فهتف بي هاتف لا اراه تنقطع الي
وتتهمني في رزقي علي ان اخدمك وليا من اوليائي او منافقا
من اعدائي وقد اشترط رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحة
قبول العطا عدم الاستشراف الى الناس ولا يكاد يحصل هذا
الشرط لمن ذكرناه من اهل التجريد الا بهذه الرؤية المذكورة
روى سيدي الشيخ زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءه معروف من اخيه من غير مسالة
ولا استشراف نفس فليقبله فانما هو رزق ساقه الله تعالى

لا ينبغي للصوفي ان يتعرض للقعود عن الكسب الا ان يكون مغلوبا

اليه وروي

اليه وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من وجه اليه
من هذا الرزق شيء من غير مسالة ولا استشراف فليأخذه
وليوسع في رزقه فان كان عنده شيء فليدفعه الى من هو احوج
منه وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعطيني العطا فاقول اعطه يا رسول الله من هو افقر
مني فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم خذه فتموله او تصدق به
وما جاءك من هذا المال وانت غير مستشرف ولا سائل فخذه
وما لا فلا تتبعه نفسك قال سالم رضي الله عنه فمن اجل ذلك
كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يسال احدا شيئا ولا يرد شيئا
اعطيه فالاستشراف الى الناس مذموم قادح في التوحيد فلا
ينبغي للمريد ان يأخذ عطاء على هذا الوجه روي ان سيدنا
الشيخ احمد بن حنبل رضي الله عنه خرج يوما الى باب الشام
فاشترى دقيقا ولم يجد في الموضع من يحمله لم فوافي ايوب
الحمال فحمله ودفع اجرته اليه فلما دخل الدار بعد اذنه اتفق
ان اهل الدار قد خبزوا ما كان عندهم من الدقيق وتركوا
الخبز على السرير ينشف فراه ايوب وكان يصوم الدهر فقال
احمد لابنه صالح ادفع اليه رغيفين فردهما فقال احمد ضعهما
فصبر قليلا ثم قال خذهما والحقه بهما فلحقه فاخذهما فرجع
صالح متعجبا فقال له احمد عجبت من رده واخذه قال نعم قال هو
رجل صالح فلما راى الخبز استشرف نفسه له فاعطي فلم يأخذ
فرددناه اليه بعد الياس فقبله واما الاستشراف الى الرزق
مع قطع نظره الى الخلق فلا يضره ذلك لانه خلق ضعيف ذو
فاقة ورزق معلوم لا بد منه واستشرافه الى الرزق في الحقيقة

من وجه اليه من هذا الرزق شيء من غير مسالة ولا استشراف فليأخذه وليوسع في رزقه

استشراق الى الرازق ولا ينافي ذلك حقيقة العبودية ولكن ان كثر منه
الاستشراف الى الرزق وشغل صاحبه عن دوام المحاضرة والمناجاة
مع الحق فليصرفه عن ذلك صرفا جميلا ولينتهج له من التعلق والوثوق
بالله سبيلا قال سيدي الشيخ ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه
كنت في بدايتي واقفا بين العشائين اصلي وانا فارغ بلا سبب حتى جاءتني
نفسي فقالت لي السلام عليك فقلت وعليك السلام فقالت لي العشا
فادهتني بداهية فتوقفت ثم الهمني الله تعالى فقلت لي تدرين له موصف
فقالت لا فقلت لها اتدرين ايش هو ومتى هو قالت لا قلت لها انا رب
او عبد قالت بل عبد قلت فالعبد يقدر على شيء ما هذا الكفر والشرك
الذي ابتليتيني بهما امرني الى خالقك فاطلبي منه العشا لانه خالقك
والقادر على كل شيء فيعطيك ويجيب لك طلبك فتطعمي وتاكلي فما لك
واياي وما هذه الحيرة قال فهربت الى خالقها فجاء عشا متمكن
كثير قال وكذا يحتج عليها ومن هنا تثبت الاقدام وذكر ايضا
مسألة عظيمة مفيدة تتضمن كيف يكون حال الفقير في التسبب في
الرزق وما يحتاج اليه نيته من الرفق وجعلها من قواعد الفقر
والارادة فرأينا ذكرها في هذا الموضع من الواجب المتعين ليتحقق
في العمل بها كل من يقف عليها من مريد متدين قال رضي الله عنه
اعلم ان الفقير لا يخلو اما ان يكون جالسا او ماشيا اما قاعدة
الجالس فان جلسته موضع البيت وهو مكانه وزمانه وطرف
سجادته لا يتعداه ولا يكون التفاته لوقت ولا الى سبب معلوم
لانه لا يدري الاوقات ما هي ولا يجدها ولا يدري متى هي ولا
وقتها ويعلم ان جميع الاشياء تطلبه وتحتاج اليه لانها خلقت
من اجله وهو خليفة فيها وقد فرغ من جميعها فلا التفات ولا امل

مسألة عظيمة مفيدة

فيماذا

فيماذا بل يكون هدفا عليه للاقدار تجري عليه ولا كسب له ولا سبب في التحصيل
ثم قال واما الماشي من الفقراء الذي يكون في سفر او غيره فلا تتجاوز
همته خطوته مثاله ان يكون ماشيا فيخطر له الغير والالتفات
اليه من بلد او شخص او مطعم او مشرب فيهلك ويظفر به العدو
وتزل قدمه فان تمادى بالتعلق بشيء من هذه القواطع والشواغل
ومشى الى شيء منها وفقدها ومات مات قاتل نفسه ومثال ذلك
تقديرا ان يكون في يوم صائف ووهج وقد اصابه العطش الشديد
فيعرض له خيال ما فيجيء العدو فيروج عليه ان اسرع فتلحق ذلك
الماء فتشرب فيزول عطشك فان مشى راكبا الى هذا الخاطر فيجيء
الموضع فيجده سرابا فهناك يظفر به العدو ويقول له الا ان
تموت فيقتله من ساعته فيموت قاتل نفسه اذا كان جاهلا بربه
واياته ولم يعرف دواءه من دائه ولا يعلم العلم ولا يسال العلماء
لبقائه مع نفسه قال فحكمه اذا جاءه هذا الخاطر بالترويج
من العدو في سفره من السرعة الى الماء او الركون الى الاغيار
من منازل او اشخاص او غير ذلك ان يعرض عن العدو ويقول
يمكن ان الله تعالى يتوفاه قبل لحوقه فبالضرورة يطيعه في ذلك
ويسلمه ويقول ايضا له قال النبي صلى الله عليه وسلم من مشى الى طمع
فليمش رويدا او قال صلى الله عليه وسلم من تأنى اصاب او كاد ومن
عجل اخطأ او كاد والعجلة من الشيطان ومن هذا كثير فلا يشك
شاك انه كما يحتاج يحتج للنفس والشيطان بهذه القواعد
من العلم انهم ينقطعون ولا حجة عندهم بعد الاستعانة
بالله والتعلق به ثم يقول له ايضا اتنكر ان الله تعالى قادر
ان يطعمني ويسقيني ان شاء ينبع لي عينا الساعة قبل وصولي

لذلك الماء فيقول له الشيطان بالضرورة نعم فيقول للشيطان فاذا كان
هذا كذلك فانه سبحانه اعلم بمصالحي ومنافعي من كل مخلوق فاذا حصل
له هذا العلم رجع يمشي متانيا همته مع خطوته ناظرا لما يرد عليه
من ربه فان وصل الى ما خطر له اولا او راه من بعد ولم يجد ماء
ولم يجد ما تعلق به خاطره اولا من صاحب او طعام بقي على اصله
لا تغير عنده ولا تردد فيظفر هو بالعدو وقتله كما فعل الشيطان
بغيره السيء وضده انتهى ما اردنا ذكره من كلام الامام وهو
عندي من نفيس الكلام المقرب غاية المرام لما تضمنه من المعاني
البديعة والانفاس الرفيعة ولما فيه من تجريد التوحيد والاداب
المرضية من العبيد فهو جدير بان يكتب ويرسم ويكمل به الغرض
الذي تقدم والله اعلم واحكم والشرط الثاني ان لا ياخذ
الا ما يوافق العلم وهذا شرط لازم للتجرد ايضا قال سيدي الشيخ
ابو طالب المكي رضي الله عنه ينبغي لمن لا معلوم عنده من الاسباب
ان يتورع في اخذها ويتخير المعطين لها كما يتخير اهل المكاسب في
الاكتساب لان الله سبحانه وتعالى في كل شيء حكما والقعود عن
المكاسب لا يسقط احكامها والقاعد عن الطلب لا يسقط احكام
الطالب ولان ترك العمل عمل يحتاج الى علم ولم يكن سيرة الفقراء
الصالحين ان ياخذوا من كل احد ولا في كل وقت ولا ياخذون
كل ما يعطون مما يزيد على كفايتهم الا ان يكونوا مما يخرجونه
لغيرهم انتهى فموافقة العلم التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى
على قسمين موافقة العلم الظاهر وموافقة العلم الباطن اما
موافقة العلم الظاهر فهو ان لا ياخذ الا من يد بالغ عاقل
تقي وقد جاء في الحديث لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك

الا تقي فلا تاخذ من يد ظالم ولا عامل بالربا ولا جاهل بما يحل و
يحرم من وجوه المكاسب ولا تاخذ من يد صبي ولا عبد غير ماذون
لهما ولا معتوه واما موافقة العلم الباطن فان لا ياخذ الا ما
كان على وجه الرفق والمعونة ولا ياخذ الا ما هو مفتقر اليه في
الحال ولا غنى له عنه من ضرورته وحاجاته من غير اسراف
ولا اقتار ولا باس ان ياخذ ما زاد على ذلك ان كان في خلقه
سخاء وبذل ايثار وتخلق بمحاسن الاخلاق لا ليتوصل به الى
حظ عاجل من جاه او رياسة او قبول عند الناس ولا ياخذ ما
يعطاه على سبيل الابتلاء والاختيار اما الابتلاء بان ياتيه
قبل وقته او زائد على حاجته فان اخذه فليخرجه في السر
فيا من بذلك من آفة الاظهار واما الاختيار فلا ياخذ شيئا
قد نوى تركه لله تعالى من شهوة كان ابتلي بها قد ملكته واثرته
ومنعته من القيام بحقوق الله فليوف بعهد الله وليدفع
ذلك عن نفسه ان خاف انحلال عزمه وفساد نيته وان لم
يخف ذلك فلياخذه وليخرجه الى غيره وهذا اشد شيء على
النفس وهو اعظم درجات الزهد ولا ياخذ من منان ولا فخور
ولا مظهر لعطيته ولا ياخذ ممن يثقل على قلبه قبول عطيته
فقد قيل لا تاكل الا طعام من يرى لك الفضل عليه في اكله
ولا تاكل الا طعام من يرى انه وديعة عنده ولا تاكل الا طعام
زاهد لانه يسر باكلك ولا تاكل الا طعام من يراك صاحبه
افضل من الطعام وقد روي انه اهدي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم سمن واقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش
وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض وقال

صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان لا اقبل الا من قرشي او انصاري او ثقفي
او دوسي قال سيدي الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه ونقل هذا عن
جماعة من التابعين رضي الله عنهم فمن ذلك انه جاءت الى سيدي فتح
الموصلي رضي الله عنه صرة فيها خمسون درهما فقال حدثني عطاء
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من آتاه الله رزقا من غير مسألة فرده
فانما يرده على الله تعالى ثم فتح الصرة فاخذ منها درهما ورد سائرها
وكان الحسن رضي الله عنه يروي هذا الحديث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحدثنا عنه ان رجلا اهدى اليه كيسا فيه الوف ورزمة
فيها من دقيق خراسان فرد ذلك فقال له بعض اصحابه في ذلك
فقال من جلس مثل مجلسي وقبل من الناس شيئا مثل هذا لقي الله
وما له عنده من خلاق وكان الحسن رضي الله عنه يقبل من
اصحابه وكان ابرهيم التيمي رضي الله عنه يسأل من اصحابه الدرهم و
الدرهمين ويعرض عليه غيرهم المائتين فلا ياخذ وكان بعض العباد
اذا دفع اليه بعض اهل الدنيا شيئا قال ضعه عندك واعرض على
قلبك حالي كيف انا عندك بعد الاخذ افضل او دون ذلك
واصدقني فان قال له انت عندي الآن افضل منك قبل ذلك
او قال له انت عندي بعد الاخذ كما كنت قبل قبل منه ذلك وان
اخبره بنقصانه في قلبه لم يقبل منه وكان بعضهم يرد على اكثر
الناس صلاتهم فعوتب في ذلك فقال انما ارد عليهم الا اشفاقا
عليهم ونصحا لهم يذكرون ذلك ويحبون ان يعلم به وهو يذهب
اموالهم ويحبط اجورهم ويروى عن الاعمش رضي الله عنه انه قال جاء
شاب من العرب الى سيدي الشيخ ابرهيم النخعي رضي الله عنه بالفي
درهم فقال يا ابا عمران خذ هذه الدراهم والله ما هي من ذي سلطان

ولا من كذا

ولا من كذا ولا كذا فقال له ابرهيم بارك الله فيك وجزاك خيرا قال
فلما ولى قلت له ما منعك ان تاخذها والله ما الامر اتك نمتص
قال صدقت ولكن هذا شاب من العرب لم تحنكه السن ولم
تحنكه الادب فكرهت ان يجلس في حيه ويقول اعطيت ابرهيم
الفي درهم فيحبط الله بذلك عمله واجره وتذهب دراهمه وممن
ذهب الى هذا الثوري رضي الله عنه كان يشترط على بعض من
كان ياخذ منه ان لا يذكره لاشفاقه عليه لا من اجله بل من ذهاب
اجره لانه قيل في معنى قوله عز وجل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن
والاذى قال المن ان يذكره والاذى ان يظهره وقال الجنيد رضي
الله عنه للرجل الخراساني الذي جاءه بالمال وسأله ان ياكله
فقال له الشيخ بل افرقه على الفقراء فقال له الرجل انا اعلم بالفقراء
منك فلم اختر هذا قال له الشيخ وانا اؤمل ان اعيش حتى اكل هذا
فقال له الرجل اني لم اقل لك انفقه في الخل والبقل وانما قلت
لك انفقه في الطيبات والوان الحلاوات فكلما نفد اسرع كان
احب الي قال الشيخ ومثل هذا لا يحل ان يرد عليه فقبله فقال
الرجل ما ببغداد من هو اعظم منة علي منك فقال الشيخ وما
ببغداد احد ينبغي ان يقبل منه شيء الا من كان مثلك وكان
السري رضي الله عنه يرسل الى احمد بن حنبل رضي الله عنه الشيء فيرده
فقال السري يا احمد احذر آفة الرد فانها اشد من آفة الاخذ
فقال احمد اعد علي ما قلت فاعاده فقال ما رددت عليك الا
وعندي قوت شهر فاحبسه لي عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه
الي وعلى الجملة فلا ينبغي ان ياخذ المريد الا من يد زاهد عارف
فبذلك يسلم من جميع الآفات ويكفى من جميع المؤنات وقال الشيخ

ابو بكر الدقاق رضى الله عنه انا منذ اربعين سنة اصحب هؤلاء فما رايت
رفقا لاصحابنا الا من بعضهم لبعض او ممن يحبهم ومن لم يصحبه التقوى
والورع فى هذا الامر اكل الحرام النص ومن اراد ان يسلم مثل هؤلاء
فليفعل قال الشيخ ابو طالب المكى رضى الله عنه كان بشر رضى الله عنه
لا يقبل من الناس شيئا وكان بعضهم يقول احب ان اعلم من اين ياكل
فقال له من يخبر امره انا اعلمك من اين ياكل كان له صديق عاقل
يعنى نظيره فى العقل والدين لان بعضهم كان لا يقبل الا من النظراء
ولا يقبل من الاتباع وهذا الصديق العاقل كان يقوم بكفايته
ولم يكن يظهر امره ولا يلتقى معه هذا هو السرى رضى الله عنه
قال بشر رضى الله عنه ما سالت احدا قط شيئا من الدنيا الا سرى
السقطى لانه قد صح عندى زهده فى الدنيا فانه يفرح بخروج الشيء
من يده ويتبرم ببقائه عنده فيكون قد اعانه على ما يحب وكان
سرى رضى الله عنه يوجه الى الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه
فى حاجاته فيقبل منه فكان اذا ذكر عنده احمد بن حنبل رضى الله
عنه يقول ذلك الفتى المعروف بطيب الغذا انه ليعجبنى امره وان
بلغت به الحاجة كل مبلغ واشرف على الضعف وتحققت الضرورة
وسال مولاه فلم يقدر له شيئا ووقته يضيق عن الكسب لشغله بحاله
فعند ذلك يقرع باب السؤال ويسال من دون هؤلاء ممن جهل حاله
جاء فى الاثر من جاع فلم يسال فمات دخل النار وقد سال من الناس
عند الحاجة والفاقة سيدنا موسى وسيدنا الخضر عليهما السلام
كما اخبر الله تعالى بقوله عز وجل حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما
اهلها وكان الشيخ ابو حفص جعفر الحداد رضى الله عنه وهو شيخ
الجنيد رضى الله عنهما يسال من بابا او بابين بين العشاءين

ويكون ذلك معلومه الى وقت حاجته من يوم او يومين وكان له
مقام فى الزهد والتوكل قال ابو طالب ولم يعب هذا عليه عموم ولا
خصوص ونقل عن الشيخ ابى سعيد الخراز رضى الله عنه قال كان
يمد يديه عند الفاقة ويقول ثم شيء لله ونقل عن ابرهيم ابن ادهم
رضى الله عنه انه كان معتكفا بجامع البصرة مرة وكان يفطر فى
كل ثلاثة ايام ليلة وليلة افطاره يطلب من الابواب وكان الثورى
رضى الله عنه يسال فى البوادى من الحجاز الى صنعا اليمن قال وكنت
اذكر لهم حديثا فى الضيافة فيخرجون الى طعاما فاتناول منه حاجتى
واترك ما بقى وليجتنب المريد الاكل بالدين وقبول ارفاق
النساء فان قيل كيف يرد ما يعطاه فى الوجوه التى حكمتم عليه بعدم
الاخذ فيها وهو انما ياخذ من يد ربه كما تقدم وهل الرد الا ذلك
الا رادا على الله سبحانه وتعالى فكيف يستقيم ذلك فالجواب
ان القيام بحق الشريعة والطريقة لا بد منه والتوحيد لا ينافى
ذلك وقد قيل الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وكل
باطن من العلم يخالف ظاهرا من الحكم فهو مردود ووجه صحة
الرد للعطا عند مشاهدة التوحيد ظاهر اذ لا فرق فى ذلك
بين يد المعطى ويد الاخذ فكما يشهد الاخذ يد الله تعالى فى العطا
عند يد المعطى فيا خذ ما يعطاه عند موافقة العلم اتباعا لاذن
الله تعالى وامره ويشهد يد الله تعالى فى المنع عند يده نفسه بالرد
عند مخالفة العلم فلا ياخذه ولا يقبله اتباعا لنهى الله تعالى
عن ذلك وعدم اذنه فيه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى الكبش الذى اهدى له مع السمن والاقط وكما فعل فتح الموصلى
والحسن البصرى رضى الله عنهما مع رويتهما للحديث الذى ذكر فيه

ان ردّ الهبة ردّ على الله تعالى وقد تقدّم ذكره فبهذا يندفع ذلك الخيال
والله الموفّق لصالح الاعمال وانّما اطلت الكلام فى هذه المسئلة
لانّ جميع تفاريعها ومسائلها داخلة تحت كلام المؤلّف رحمه الله
تعالى على كمال ايجازه واختصاره ولانّ الحاجة ماسّة اليها وليعلم
من ذلك اختصاره فكلامه فيها من بديع الكلام ومستحسنه
ولسيّدى ابى العبّاس المرسى رضى الله عنه كلام بديع مختصر منوّع
من كلام الله تعالى قال للناس اسباب وسببنا نحن الايمان والتقوى
قال الله تعالى عزّ وجلّ ولو انّ اهل القرى آمنوا واتّقوا لفتحنا
عليهم بركات من السّماء والارض وقد جوّد المؤلّف رحمه الله تعالى
صياغته واحسن سياقته فى مقصد الارشاد والهداية والله اعلم
ربّما استحيى العارف ان يرفع حاجته الى مولاه لاكتفائه بمشيئته فكيف
لا يستحيى ان يرفعها الى خليقته تقدّم انّ من الادب ترك الطلب و
السؤال من الله تعالى اكتفاء بمشيئته ورضا بسابق قسمته وانّ
العارفين المحقّقين يستحيون من الله تعالى فى ذلك فكيف لا
يستحيون من مولاهم عزّ وجلّ عند سؤالهم للمخلوقين وهل ادبهم
فى ذلك واستحياؤهم من ربّهم الّا واجب عليهم فلا يسألون
منهم شيئا ولا يرفعون اليهم حاجة لانّهم فقراء محتاجون و
مولاهم هو الغنىّ الحميد وقد تقدّم هذا المعنى عند قوله لا تتعدّ
نيّة همّتك الى غيره فالكريم لا تتخطّاه الآمال قال سهل رضى
الله عنه ما من قلب ولا نفس الّا والله مطّلع عليه فى ساعات
اللّيل والنّهار فايّما قلب او نفس رأى فيه حاجة الى سواه الّا
سلّط عليه ابليس وقال ابو على الدّقّاق رضى الله عنه من علامات
المعرفة ان لا تسأل حوائجك قلّت او كثرت الّا من الله عزّ وجلّ

العارف يستحيى ان يرفع حاجته الى مولاه تعالى

ما من قلب ولا نفس الا والله مطلع عليه فايما قلب او نفس رأى فيه حاجة الى سواه سلط عليه ابليس

من علامات المعرفة ان لا تسأل حوائجك الا من الله

مثل موسى

مثل موسى عليه الصّلاة والسّلام اشتاق الى الرّؤية فقال ربّ ارنى
انظر اليك واحتاج مرّة الى رغيف فقال ربّ انّى لما انزلت الىّ
من خير فقير وقال الشّيخ القشيرى رضى الله عنه انّ بعض الفقراء
كان يأتى كلّ يوم ويقف بحذاء الكعبة بعدما يطوف ما شاء
الله ويخرج من جيبه رقعة ينظر فيها فلمّا كان بعد ايّام
فعل مثل ذلك ثمّ تباعد ومات رحمه الله فجاء بعض من يرفعه ونظر
فى الرّقعة فاذا فيها مكتوب واصبر لحكم ربّك فانّك باعيننا
قال فكان الرّجل اصابته الفاقة فصبر ولم يظهر حاله للمخلوق
حتّى مات رحمه الله تعالى عليه وقال الشّيخ ابو بكر الجوهرى رضى الله عنه
كنت بعسقلان على برج احرس فمرّ بى رجل عليه جبّة صوف
متخرّقة فقمت اليه مسلّما وعانقته واجلسته وجاذبت
معه فى فنون العلم وكان قدماه حافيتين فقلت له لم لا
تسأل اصحابنا فى نعل تقيك من الحفا قال يا اخى لردّ امس
بالحبال وحبس عين الشمس بالعقال ونقل ماء البحر بالغربال
اهون علىّ من موقف لسؤال والتجاء من المخلوقين النّوال
ثمّ اخرجنى من باب المدينة فانتهى الى صخرة منقورة فاذا عليها
مكتوب كُل مِن كدّ يمينك وعرق جبينك فان ضعفت
نفسك ويقينك فاسئل المولى يعينك قال فى التّنوير اعلم
يرحمك الله انّ رفع الهمّة لسالكى الطّريق الى الآخرة عن الخلق
وعدم التّعرّض لهم ازين لهم من الحلىّ للعروس وهم احوج اليه
من الماء لحيوة النّفوس ومن خلعت عليه خلعة الملك فحفظها
وصانها فحرىّ بان تدوم له ولا تسلب عنه والمدنس لخلع
المواهب فحرىّ ان لا تترك له فلا تدنّس ايّها الاخ ايمانك

بطمعك فى المخلوقين ولا تجعل اعتمادك الا على رب العالمين وكن ايها
الاخ ابرهيميا فقد قال الله تعالى مخبرا عن سيدنا ابرهيم عليه الصلاة والسلام
قال لا احب الافلين وما سوى الله عز وجل آفل اما وجودا او امكانا
قال الله عز وجل ملة ابيكم ابرهيم فواجب على كل مؤمن ان يتبع ملة ابرهيم
ومن ملته رفع الهمة عن الخلق لانه عليه السلام يوم زج به فى
المنجنيق تعرض له سيدنا جبريل عليه السلام فقال الك حاجة فقال
اما اليك فلا واما الى الله فبلى قال فاسئله فقال حسبى من سؤالى
علمه بحالى فانظر كيف رفع الهمة عن الخلق ووجهها الى الملك الحق
فلم يستغث بجبريل عليه السلام ولا احتال على السؤال من الله تعالى
بل راى ربه عز وجل اقرب اليه من جبريل عليه السلام ومن سؤاله
فلذلك سلمه من النمرود ونكاله وانعم عليه بنواله وافضاله وخصه
بوجود اقباله ومن ملة ابرهيم عليه الصلاة والسلام معاداة كل ما
شغل عن الله تعالى وصرف الهمة بالود الى الله سبحانه وتعالى لقوله
عز وجل فانهم عدو لى الا رب العالمين والغنا ان اردت الدلالة
عليه فهو الياس من الناس قال سيدى ابو الحسن رضى الله عنه ايست
من نفع نفسى لنفسى فكيف لا ايأس من نفع غيرى لنفسى ورجوت الله
تعالى لغيرى فكيف لا ارجوه لنفسى وهذا هو الكيميا والاكسير الذى من حصل له
حصل له غنى ولا فاقة فيه وعز لا ذل معه وانفاق لا نفاد له وهو
كيميا اهل الفهم عن الله عز وجل وقال سيدى ابو الحسن رضى الله عنه
صحبنى انسان وكان ثقيلا على فبسطته يوما فانبسط فقلت له يا
ولدى ما حاجتك ولم صحبتنى فقال يا سيدى قيل لى انك تعلم الكيميا
فصحبتك لاتعلم منك ذلك فقلت له صدقت وصدق من حدثك
لكن اخالك لا تقبل فقال بل اقبل فقلت انى نظرت الخلق فوجدتهم

سكون ابراهيميا

كيمياء اهل الفهم

على قسمين اعدا واحبا فنظرت الى الاعدا فوجدتهم لا يستطيعون
ان يشوكونى بشوكة لم يردنى الله تعالى بها فقطعت نظرى عنهم ثم
تعلقت بالاحبا فوجدتهم لا يستطيعون ان ينفعونى بشئ لم يردنى
الله تعالى به فقطعت اياسى منهم وتعلقت بالله تعالى فقيل لى انك
لن تصل الى حقيقة الامر حتى تقطع اياسك منا كما قطعته عن
غيرنا ان نعطيك غير ما قسمناه لك فى الازل وقال مرة اخرى
لما سئل عن الكيميا فقال اخرج الخلق من قلبك واقطع اياسك
من ربك ان يعطيك غير ما قسم لك وليس يدل على فهم العبد كثرة
عمله ولا مداومته على ورده وانما يدل على نوره وفهمه غناه بربه
والتجاؤه اليه بقلبه وتجرده من رق الطمع وتحليه بحلية الورع
وبذلك تحسن الاعمال وتزكوا الاحوال قال الله تعالى انا جعلنا
ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فتحسين الاعمال
انما هو بالفهم عن الله تعالى والفهم هو ما ذكرناه من الاغتنا بالله
تعالى والاكتفا به والاعتماد عليه ورفع الحوائج اليه والدوام بالعكوف
على بابه بين يديه وكل ذلك من ثمرة الفهم عن الله تعالى انتهى ما
يتعلق بغرضنا من كلام صاحب كتاب التنوير وهو من الكلام
النفيس الخطير وانت رحمك الله اذا تاملته بعين بصيرتك ناصحا
لربك فى علانيتك وسرك علمت منه انما تضمنه عظيم الموقع
وانه مستحسن منا ايراده فى هذا الموضع اذ هو منوط بالايمان
والتوحيد محتاج اليه كل سالك ومريد فمن راعاه حق رعايته
وصرف الى العمل بمقتضاه عنان عنايته فقد تحقق بحقائق
الايمان وكان من ولاية الله تعالى بمكان ومن اهمله وضيعه وجهل
قدره وموضعه خيف من الشرك الخفى والجلى واستحق ان يطرد

فهم العبد بغناه بربه تعالى
لا بكثرة عمله ومداومته ورده

عن بابِ مولاه العلي فيقوى طمعه في الخلق ويضيق عليه متسعات ابواب الرزق
كما قال بعض العارفين المكاشفين رضي الله عنهم قيل لي في نوم كاليقظة
او يقظة كالنوم لا تبدين فاقتك الى غيري فاضاعفها عليك مكافاة لسوء
ادبك وخروجك عن حدك في عبوديتك انما ابتليتك بالفاقة لتفزع
الي منها وتتضرع بها الدي وتتوكل فيها علي سبكتك بالفاقة لتصير ذهبا
خالصا فلا تصيرن بعد السبك نحاسا خالصا وسمتك وحكمت لنفسي
بالغنا فان وصلتها بي وصلتك بالغنا وان وصلتها بغيري قطعت
عنك مواد معونتي وحسمت اسبابك عن اسبابي وطردتك عن بابي فمن
وكلته الي ملك ومن وكلته الى غيري هلك انتهى ومنهم من يانف من قبول
الرفق على ايدي الخلق وترتفع همته عن ذلك وان لم يكن منه سؤال ولا طلب
يحكى عن حماد بن سلمة رضي الله عنه انه قال كان في جواري امرأة ارملة
ولها ايتام وكانت ليلة ذات مطر فسمعت صوتها تقول يا رفيق ارفق
قال فخطر ببالي انها اصابتها فاقة فصبرت حتى احتبس المطر ثم حملت معي
عشرة دنانير ووقفت عليها الباب فقالت حماد بن سلمة فقلت نعم فقلت
كيف الحال فقالت بخير وعافية احتبس المطر ودفي الصبيان قلت خذي
هذه الدنانير فاصلحي بها بعض شانك قالت فصاحت بنت لها خماسية
اتريد يا حماد ان تكون بيننا وبين معبودنا واسطة ثم قالت لامها
لما رفعت صوتك باظهار السر علمت ان الله يؤدبنا باظهار الرفق
على يد مخلوق وذكر ابو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه عن عباس بن دهقان
رحمه الله تعالى قال كنت يوما عند بشر بن الحارث رضي الله عنه وهو يتكلم
في الرضا والتسليم فاذا هو برجل من المتصوفة فقال له يا ابا نصر انقبضت
عن اخذ البر من ايدي الخلق لاقامة الجاه فقال له الشيخ ان كنت متحققا
بالزهد منصرفا عن الدنيا فخذ من ايديهم ليمتحي جاهك عندهم

مراد العارفين من [illegible] من قبول الرفق على يد الخلق

واخرج بما

واخرج بما يعطونك الى الفقراء وكنت بعقد التوكل تاخذ قوتك
من الغيب فاشتد ذلك على اصحاب بشر رضي الله عنه فقال بشر ايها
الرجل الجواب الفقراء ثلاثة فقير لا يسئل واذا اعطي لا ياخذ فذلك
من الروحانيين اذا سال الله اعطاه واذا اقسم على الله ابر قسمه
وفقير لا يسال فاذا اعطي قبل فذلك من اوسط الخلق عنده التوكل
والسكون الى الله تعالى وهو ممن توضع له الموائد في حضرة القدس
وفقير اعتقد الصبر وموافقة الوقت فاذا طرقته الحاجة خرج
الى العبيد الله وقلبه الى الله بالسؤال وكفارة سؤاله صدقه فقال
الرجل رضيت رضي الله عنك وقال رضي الله عنه اذا التبس عليك امران
انظر اثقلهما على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا
هذا ميزان صحيح باعتبار غالب الانفس لانها مجبولة على الجهل والشره
فشانها ابدا انما هو طلب الحظوظ والفرار من الحقوق كما تقدم
عند قوله حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة
باطن خفي فاذا وجد المريد من نفسه ميلا وخفة عند بعض
الاعمال دون البعض اتهمها وترك ما مالت اليه وخف عليها وعمل ما
استثقلته قال بعض العارفين منذ عشرين سنة ما سكن قلبي الى
نفسي ساعة واحدة وسكون القلب الى النفس هو اتباع الاخف عليها
دون الاثقل وهو معدود عندهم من نفاق القلب ومن بقي عليه شيء
من دواعي الهوى وان قل لا يؤمن عليه من مثل هذا اذ الخفة العارضة
النفس انما يكون لاجل موافقة هواها وهواها لا يميل الا الى الباطل
فاذا التبس عليك امران واجبان او مندوبان ولم تعلم ايهما واجب وافضل
لتقدمه على الآخر فانظر ايهما اثقل على نفسك فاعمل به وانما قلنا
باعتبار غالب الانفس لان النفس المطمئنة لا توصف بالجهل ولا بالشره

استمع

اذا التبس عليك امران فاتبع اثقلهما

حكاية عجيبة

فقد يخف عليها العمل ولا يدل ذلك على انه باطل فليكن نظر العبد حينئذٍ
الى ما هو اكثر فائدة واعظم مزيدًا فليقدمه على غيره **وقد ذكر الشيخ**
ابو طالب المكي رضي الله عنه حكاية عجيبة في شره النفس وكونها لا تميل الا الى
الباطل **قال حدثني** بعض اخواني عن بعض هذه الطائفة قال
قدم علينا بعض الفقراء فاشترينا من جارٍ لنا لحم جمل مشويًا ودعوناه
اليه في جماعة من اصحابنا فلما مد يده واخذ لقمة وجعلها في فيه
لفظها ثم اعتزل وقال كلوا انتم فانه قد عرض لي عارض يمنعني عن
الاكل فقلنا لا ناكل ان لم تاكل فقال انتم اعلم اما انا فغير اكل ثم انصرف
قال وكرهنا ان ناكل دونه فقلنا لو دعونا الشوا فسالناه عن اصل
هذا الجمل فلعل ان له سببًا مكروهًا فدعوته فلم نزل به نساله
عنه حتى اقر انه كان ميتًا وان نفسه شرهت الى بيعه حرصًا
على ثمنه فشويته فوافق انكم اشتريتموه قال فقذفته للكلاب قال
ثم اني لقيت الرجل بعد وقت فسالته لاي معنى تركت اكله وَ
باي عارض فقال اخبرك ما شرهت نفسي الى طعامٍ منذ عشرين سنة
للرياضة رضيتها به فلما قدمتم الي هذا شرهت نفسي اليه شرهًا
ما عهدته قط فعلمت ان في الطعام علة فتركت اكله لاجل
شره النفس اليه **قال الشيخ ابو طالب** رضي الله عنه فانظر رحمك الله
كيف اتفقا في شره النفس عن قضية واحدة ثم اتفقا في التوفيق
والخذلان فعصم العالم بالورع لتحققه وترك الجاهل مع شره النفس
بالحرص وترك المراقبة اعني البايع للجمل وعصم الآخرون للتوفيق لحسن
الادب وهو قمع شره النفس على الاكل بعد صاحبهم ثم تدرك
البايع بعد وقوعه بصدق المشتري وحسن نيته انتهى
وثم ميزان آخر اصح واكثر تحقيقًا من الاول وهو ان تقدر نزول

ميزان اصح تحقيقة احد الا ميزان

الموت

والموت ميزان على الاحوال والافعال

الموت بك فاي عمل سرك ان تكون مشغولًا به اذ ذاك فهو حق
وما عداه باطل **قال في لطايف المنن** والموت ميزان على الافعال
والاحوال كما هو ميزان في دايرة الرتب اما الرتب فكما تقدم يعني
انه علامة على صحة مرتبة الولاية واما الافعال والاحوال فاذا
التبس عليك امر لا تدري هل رضي الله تعالى تركه او فعله او حالة
انت بها لا تدري هل قمت فيها بحق او قمت فيها بهوى فاورد الموت
على ما انت فيه من افعال واحوال وكل حالةٍ وعمل يثبت مع
تقدير ورود الموت عليها ولم ينهزم فهو حق وكل حالة وعمل
هزمها الموت فهو باطل اذ الموت حق والحق يهزم الباطل و
يدمغه لقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا
هو زاهق **وقوله سبحانه وتعالى** قل ربي يقذف بالحق علام
الغيوب **وقوله** سبحانه وتعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل انّ
الباطل كان زهوقًا **وما** كنت قائمًا فيه بحق ولم يهزمه الموت
اذ هو حق والموت حق والحق لا يهزم الحق وقد تجاريت الكلام
انا وبعض من يشتغل بالعلم في انه ينبغي خلاص النية فيه اولا
وان لا يشتغل به الا لله فقلت الذي يقرأ العلم لله هو الذي اذا
قلت له غدًا تموت لا يضع الكتاب من يده قلت وهذا فصل الخطاب
ونهاية الصواب فان العبد في هذه الحالة لا يصدر منه الا العمل
الصالح الخالص من شوائب الريا ومما زجر حظ النفس واتباع
الهوى وهذا هو المطلوب من العبد ولا يستثبت له ذلك الا بان
يتحقق مما يقدره من حلول الموت وحصول الفوت وهذا معنى
قصر الامل الذي هو اصل حسن العمل وهو ان لا يقدر لنفسه وقتًا
ثانيًا يكون فيه حيًا وعند ذلك يخلص عمله من الآفات ويتطهر من

انواع الرعونات لان توقع الموت في كل نفس ولحظة يهدم عليه ذلك كما ذكره
المؤلف رحمه الله وكل عمل استرسل فيه صاحبه غافلا عن تقدير
وقوع ذلك ان لم يكن متحققا به لا يسلم مما ذكرناه فاذا تقيد من
الاخلاص من يأخذ في علم غير متعين عليه الاخذ فيه لا يجتني ثمرته
الا في ثاني حال ويكون في الحالة الراهنة متمكنا من ايقاع طاعة
تزيد مصلحتها على مصلحة ما اخذ فيه من العلم فيفوز بثوابها او
يتنجز له حصول التقرب بها لان في ذلك فوز نفسه وفوات حظه
وآية ذلك انه قد يعرض له في حالة الاخذ فيه غرض دنياوي
يكون اختصاص نفسه به اكثر فيقدمه على ما كان اخذا فيه
ويتشاغل به من غير مبالات بما يفوته من ذلك وانما عبرنا
بلفظ الاخذ ليدخل فيه تعلم المتعلم وتعليم المعلم فان الامر
فيهما واحد وكل عمل لا اخلاص فيه ليس بالله ولا لله مردود على صاحبه
غير مضروب به وجهه وبهذا يتبين لك غرور اكثر الخلق في
علومهم واعمالهم الا من رحمه الله تعالى ولهذا يشهد اكثر الناس
عند نزول الموت بهم يندمون على ما اسلفوه من عمل ويودون
ان لو انسئ لهم في الاجل وهيهات هيهات فنعوذ بالله من الغفلة
في زمان المهلة فانها مبدأ كل عمل فاسد ومنشأ وجود
الغرة والجهالة لكل عامل وعابد وما ذكرنا من معرفة اختلاف
درجات المصالح ليقدم الفاضل منهما على المفضول لا يصح الا ممن
ايده الله بنور اليقين وجبله على النصيحة له في الدين وكان له
حظ وافر من الخوف والحذر وموافقة مولاه في كل ورد و
صدر ولا شك ان هذه المرتبة بعيدة المنال متعذر ادراكها
على الآحاد من الرجال وسبيل من لم يصل اليها ممن ذكرناه اذا كان

غرور اكثر الخلق في علومهم واعمالهم

منصفا

منصفا ان يستعين بنظر من هو اصح منه حالا واصوب
مقالا وفعالا ويفوض جميع اموره اليه ويعتمد اشارته في كل ما
يشير به عليه وعلامة انصافه وجود اتهامه لنفسه وعدم
اعتماده على عقله وحدسه ومن لم يكن منصفا فالكلام معه
هذيان فاسد وضرب في حديد بارد وسيأتي مزيد تنبيه على
غرور الاخذ من العلم في موضع اليق من هذا والله ولي المتقين
**من علامة اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل عن
القيام بحقوق الواجبات** هذه من الصور التي يتبين فيها خفة
الباطل وثقل الحق على النفس وما ذكره هو اكثر حال الناس فترى
الواحد منهم اذا اعتقد التوبة لا همة له الا في النوافل من الصيام
والقيام وتكرر المشي الى بيت الله الحرام وما اشبه هذا وهو مع
هذا غير متدارك لما فرط فيه من الواجبات ولا متحلل لما الزم نفسه
من الظلمات والتبعات وما ذلك الا انهم لم يشتغلوا برياضة
انفسهم التي خدعتهم ولم يجعلوا بمجاهدة اهوائهم التي استرقتهم
وملكتهم ولو اخذوا في ذلك لكان لهم فيه اعظم شغل ولم يجدوا
فسحة لشيء من الطاعات والنوافل **قال بعض العلماء** رضي الله عنهم
من كانت الفضائل اهم اليه من اداء الفرائض فهو مخدوع **وقال
محمد** بن ابي الورد هلاك الناس في حرفتين اشتغال بنافلة و
تضييع فريضة وعمل بالجوارح بلا مواطاة القلب عليه وانما
حرموا الوصول بتضييع الاصول **قال الخواص** رضي الله عنه
انقطع الخلق عن الله عز وجل بخصلتين احدهما انهم طلبوا
النوافل وضيعوا الفرايض والثانية انهم عملوا اعمالا
بالظاهر ولم يأخذوا انفسهم بالصدق فيها والنصح لها

من الصور التي يتبين فيها خفة الباطل وثقل الحق

وابى الله ان يقبل من عامل عملاً الا بالصدق واصابة الحق قال الشيخ ابو طالب رضى الله عنه فافضل شئ للعبد معرفته لنفسه ووقوفه على حده واحكامه للحالة التى اقيم فيها وابتداره بالعمل بما افترض عليه بعد اجتنابه ما نهى عنه بعلم يؤدبه فى جميع ذلك وورع يحجزه عن الهوى فى ذلك ولا يشتغل بطلب فضل حتى يفرغ من فرض لان الفضل لا يصح الا بعد حوز السلامة كما لا يخلص الربح للتاجر الا بعد حصول راس المال فمن تعذرت عليه السلامة كان من الفضل ابعد والى الاغترار اقرب قيد الطاعات باعيان الاوقات كي لا يمنعك عنها وجود التسويف ووسع عليك الوقت كي يبقى لك حصة فى الاختيار انعم عليك فيما امرك به من الطاعات الموقتة بالاوقات بنعمتين عظيمتين احداهما تقييدها لك باعيان الاوقات لتوقعها فيه فتفوز بثوابها وان لم تفعل هذا وسوفت بها ولم تعملها حتى تفوت فيفوتك ثوابها والنعمة الثانية توسع اوقاتها عليك ليبقى لك نصيب من الاختيار حتى تاتى بالطاعة فى حال سكون وتمهل من غير حرج ولا ضيق فله الحمد والشكر وله الفضل والمنة على نعمه كلها ظاهرها وباطنها علم قلة نهوض العباد الى معاملته فاوجب عليهم وجود طاعته فساقهم اليها بسلاسل الايجاب عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل لما علم الله قلة نهوض العباد الى معاملته الواجبة عليهم من اقامة العبودية لمشاهدة الربوبية فى حال طواعيه منهم اذ فى ذلك قرة اعينهم وغاية نعيمهم اوجب عليهم وجود طاعته فى حال كراهية منهم لاجل ما خوفهم به ان لم يفعلوا اضاقهم بسلاسل ايجابه وتحذيره اليه واستدراجهم بذلك الى ما فيه نعيمهم مما لا علم لهم به

افضل شئ للعبد وقوفه على حده والعمل بما افترض عليه

قيد الطاعات بالاوقات وتوسعة الوقت لنا من النعم العظيمة

ايجاب الطاعات على العباد سوقهم الى الجنة بالسلاسل

وفعل بهم ما يفعل بالصبى الا تراه كيف يؤدب ويصرف عن استرساله عن مقتضى طبعه وجبلته ويلزم امورا شاقة عليه فيفعلها وهو كاره لذلك والغرض انما هو حصوله على منافعه التى هو جاهل بها فاذا كبر وعقل عرف ذلك عيانا وقد عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل كما فعل باسارى الكفار حين يراد بهم الدخول فى الاسلام فينقادون الى الجنة بالسلاسل فى رقابهم وهذا حديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب الله من اقوام يقادون الى الجنة بالسلاسل قلت وتعبير المؤلف رحمه الله ورضى عنه بالسلاسل والسوق بها واستعماله ذلك فى التكليف الذى الزم العباد به من بديع الاستعارات كما قال الشاعر وهو ابو فراس الهذلى

وليس كعهد الدار يا ام مالك ۞ ولكن احاطت بالرقاب السلاسل

وكذلك تمثيله بالحديث المذكور فيه ذلك والاشارة به الى المقصود فى غاية الحسن قال بعض العلماء رضى الله عنهم يجوز ان يكون معنى التعجب المنسوب الى الله فيه اظهار عجيب هذا الامر لخلقه لانه بديع الشان وهو ان الجنة اخبر الله بما فيها من النعيم المقيم والعيش الدائم والخلود فيه الذى من حكم من سمع به من ذوى العقول ان يسارع اليها ويبذل مجهوده فى الوصول اليها ويحتمل المكاره والمشاق لينالها وهؤلاء يمتنعون عن ذلك ويرغبون عنها ويزهدون فيها حتى يقادون اليها بالسلاسل كما يقاد الى المكروه العظيم الذى تنفر منه الطباع وتالم منه الابدان وتكرهه النفوس وقد قرا بعض القرا وقيل جماعة بل عجبت ويسخرون وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال

وفعل بهم

لقد عجب الله تعالى من صنع فلان وفلانة في حديث الانصاري الذي قال
لامرأته اكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث صحيح مشهور
فالعجب منسوب الى الله تعالى وقد ورد في الكتاب والسنة فهو اذاً من
الصفات السمعية اوجب عليك وجود خدمته وما اوجب عليك الا
دخول جنته هذه عبارة حسنة موافقة لما تقدم والمقصود
من هذا كله الاعلام بان الله تعالى غني عن خلقه لا تنفعه طاعتهم
ولا تضره معصيتهم وان التكاليف كلها انما اوجبها عليهم
لما يرجع اليهم من مصالحهم لا غير قلت ما ذكره المؤلف رحمه
الله ورضي عنه هو حال عامة الناس الذين من شأنهم التأبي
وعدم الانقياد للاوامر والنواهي ولذلك احتاجوا الى التخويف
والتحذير والموالاة للخطر والمبالغة في النكير واما الخاصة منهم
فلم يحتاجوا الى شيء من ذلك لان الله سبحانه وتعالى شرح صدورهم
ونور بصائرهم وكتب في قلوبهم الايمان وحبب اليهم الطاعة
وبغض اليهم العصيان فلم يقتصروا على ما اقتصر عليه المذكورون
من فعل الواجبات واجتناب المحذورات فقط بل اضافوا الى ذلك
المبادرة الى اعمال الطاعات والمسارعة الى نوافل الخيرات وبالجملة
صارت اعمالهم قربات وذلك لتمام حريتهم وصحة عبوديتهم نعم
العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه قال في التنوير وانما جعل
الله سبحانه وتعالى الايجاب على العباد علماً بما هم عليه من وجود
الضعف وبما نفوسهم متصفة به من وجود الكسل فاوجب
عليهم ما اوجب لانه لو خيرهم فيما اوجب عليهم لم يكونوا به
قائمين الا القليل وقليل ما هم فاوجب عليهم وجود طاعته
وفي التحقيق ما اوجب عليهم الا دخول جنته فساقهم الى الجنة
بسلاسل الايجاب عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل واعلم
رحمك الله انا لما تلمحنا الواجبات فرأينا الحق سبحانه وتعالى جعل
في كل ما اوجبه تطوعاً من جنسه في اي الانواع كان ليكون
ذلك التطوع من ذلك الجنس جابراً لما عساه ان يقع من الخلل
في قيام العبد بالواجبات وكذلك جاء في الحديث انه ينظر في مفروض
صلوة العبد فان نقص منها شيء كمل من النوافل فافهم رحمك الله
هذا ولا تكن مقتصراً على ما افترض عليك بل ليكن فيك ناهض
حب يوجب اكبابك على معاملة الله تعالى فيما لم يوجب عليك
ولو كان العباد لا يجدون في موازينهم الا الافعال الواجبات
وثواب ترك المحرمات لفاتهم من الخير والمنة ما لا يحصره حاصر
ولا يحرزه حارز فسبحان الفاتح للعباد باب المعاملات و
المهيئ لهم اسباب المواصلات قال واعلم ان الحق سبحانه وتعالى علم ان
في عباده ضعفاء واقوياء فاوجب الواجبات وبين المحرمات فالضعفاء
اقتصروا على القيام بما اوجب والترك لما حرم وليس في قلوبهم من
سلطان الحب ووجود الشغف ما يحملهم على المعاملة من
غير ايجاب فمثلهم كمثل العبد يعلم السيد منه انه ان لم يخارجه
لم يهد اليه شيئاً فلذلك وقت سبحانه وتعالى الاوراد ووظف
وظائف العبودية وعرف ذلك بالمطالع والمغارب وبالزوال
وصيرورة ظل كل شيء مثله في الصلوة وبالحول في الاموال
النامية العين والماشية وبوقت حصول المنفعة في الزرع
وآتوا حقه يوم حصاده وبعشر ذي الحجة في الحج وشهر رمضان
في الصيام فوظف الوظائف ووقتها وجعل للنفوس فيها
فسحة الحظوظ والسعي في الاسباب واهل الله تعالى هم اهل الفهم عنه

التطوع جبيرة لما وجب على العباد من جنسه عند وقوع الخلل فيها

اي خدمته لا يجابه جملة

بسكل

عند اهل الفهم الاوقات كلها وقتا واحدا

جعلوا الاوقات كلها وقتا واحدا والعمر كله نهجا الى الله تعالى قاصدا فعلموا
ان الوقت كله له فلم يجعلوا منه شيئا لغيره ولذا قال سيدي ابو الحسن
رضي الله عنه عليك بورد واحد وهو اسقاط الهوى ومحبة المولى
ابت المحبة ان يستعمل محبا الا فيما يوافق محبوبه وعلموا ان الانفاس
امانة الحق عندهم وودائعه لديهم وعلموا انهم مطالبون برعايتها
فوجهوا هممهم لذلك وكما ان له الربوبية الدائمة فكذلك حقوق
ربوبيته عليك دائمة فربوبيته غير موقتة بالاوقات فحقوق
ربوبيته ينبغي ايضا ان يكون كذلك ولذلك قال سيدنا ابو الحسن
رضي الله عنه ان لكل وقت سهما من العبودية يقتضيه الحق
تعالى منك بحكم ربوبيته من استغرب ان ينقذه الله من شهوته
وان يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز القدرة الالهية وكان
الله على كل شيء مقتدرا من استرقته الشهوات واستولت عليه
الغفلة فلا ينبغي له ان يستغرب ان ينقذه الله من اسر شهوته
وان يخرجه من وجود غفلته لما يشاهده من استحكام ذلك
فيه فان في ذلك نسبة العجز الى القدرة الالهية والله متصف
بالاقتدار على كل شيء وهذا من الاشياء وليعلم العبد ان قلوب العباد
ونواصيهم بيده فلا يقنط ولا ييأس وليقصد باب مولاه بالذلة
والافتقار فعساه يسهل عليه ما استصعبه ويظهر فيه ما
استغربه وما ذلك على الله بعزيز وليعتبر هذا المعنى بالحكايات
التي تروى عن الصالحين الذين تقدمت لهم في بداياتهم الزلات
ووقعت منهم قبل توبتهم الهفوات فتداركهم الله بلطفه
واستنقذهم بجوده وعطفه فاصلح اعمالهم وصفى احوالهم
وابدل سيئاتهم حسنات ورفعهم من اسفل سافلين الى اعلى الدرجات

استغراب انقاذ الله تعالى من الشهوة واخراجه من غفلته استعجاز القدرة الالهية العياذ به تعالى

الحكايات في لطف الله تعالى وفضله على بعض اخص العصاة

كل ذلك في اقرب زمان واقصر مدة واوان والحكايات في هذا المعنى
عن الشيوخ مثل سيدي الشيخ الفضيل بن عياض وسيدي الشيخ عبد الله بن
المبارك وسيدي الشيخ ابي عقال رضي الله عنهم اجمعين معروفة
مشهورة ومن اغرب ما رايت في هذا المعنى ما رواه عبد الصمد بن
معقل عن عمه وهب بن منبه رضي الله عنه قال ان رجلا قتل نفسا
فجاء الى سائح من سائحي بني اسرائيل فسال عن ذلك قال فرفع له
السائح من الارض عرجونا ابيض قديما حائلا ثم قال له اذا اخضر
هذا العرجون قبلت توبتك واراد السائح بذلك ان يؤيسه
من التوبة لعظيم ذنبه فاخذ الرجل العرجون وهو يطمع في
التوبة ويعزم عليها فتاب وجعل يعبد الله تعالى زمانا ويدعو
حتى اخضر ذلك العرجون باذن الله وقدرته واغرب من هذا
واعجب ما اخرجه مسلم في صحيحه من حديث ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان
قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسال عن اعلم اهل الارض
فدل على راهب فاتاه فقال اني قتلت تسعة وتسعين نفسا
فهل لي من توبة فقال لا فقتله وكمل به المائة ثم سال عن اعلم
اهل الارض فدل عليه فقال اني قتلت مائة نفس فهل لي
من توبة فقال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى
ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله فاعبد الله تعالى
معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى انتصف
الطريق فاتاه ملك الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة
وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة قد جاء تائبا مقبلا
بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط

فاتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه حكمًا بينهم فقال قيسوا ما بين
الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو لها فقاسوا فوجدوه ادنى الى
الارض التي قصدها فقبضته ملائكة الرحمة قال قتادة قال
ابو الحسن ذكر لنا انه لما اتاه ملك الموت فنا بصدره وقال عيسى بن
دينار رضي الله عنه كان يقال لما وفق الله تعالى عبدًا العمل الا وهو
يريد ان يقبله منه وما وفق الله تعالى عبدًا للتروع من الذنب الا
وهو يريد ان يغفر له وذكر القاضي يونس بن عبد الله المعروف بابن
الصفار رحمه الله في كتاب التسبب والتيسير لصالح العمل انه اخبر
ثقة من اهل العلم قال كان رجل من اهل الادب له اصحاب يجمعه
بهم مجالس مكروهة فدعوه ذات ليلة فلم يجبهم فقالوا له ما
يمنعك من اجابتنا قال دخلت البارحة في الاربعين فانا
استحي من سني ثم لزم الخير والعبادة قال وروي عن عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه انه قال وجبت حجة الله على ابن الاربعين وذكر فيه
عن مغيث رضي الله عنه قال كان رجل من بني اسرائيل يعمل بالخطايا
فبينما هو ذات يوم يسير ذكر ما سلف من عمله فقال اللهم
غفرانك فمات على ذلك الحال فغفر له وذكر فيه ايضًا ان رجلًا
من العلماء رآى في منامه شيخًا وجماعة من الشعراء قد احدقوا
به يسألونه فقالوا له ايها الشيخ اخبرنا ما احكم بيت قالته
العرب

فانشدهم

صبى ما صبا حتى علا الشيب راسه ... فلما علاه قال للباطل ابعد

قال فوالله لقد نفعني الله بهذا البيت ما ذكرته عند شهوة
او خطيئة الا ارتدعت عنها وارجو ان لا يفارقني الانتفاع
به ما بقيت ان شاء الله تعالى وفي الكتاب المذكور حكايا مستحسنة

ابن شمس ابن موسى

في هذا المعنى

فطالع ذلك فيه والله الموفق لا رب غيره

في هذا المعنى ربما وردت الظلم عليك ليعرفك قدر ما من به
عليك الظلم اضداد الانوار فما من نور الا وفي مقابلته ظلمة وكل
ظلمة على قدر نورها والشئ يعرف بضده وبضدها يتبين
الاشيا فما اورده عليك من ظلمات الحجبة والغيبة في ليالي
الهجر والفرقة فانما ذلك ليعرفك قدر ما من به عليك من
انوار التجلي والحضور في نهار القربة والوصلة فجميع ذلك
نعم عليك من غير علم منك بذلك من لم يعرف قدر النعم
بوجدانها عرفها بوجود فقدانها اكثر الناس لا يعرفون قدر
النعم الا اذا فقدوها وذلك لاجل غلبة الغفلة عليهم حين
وجدوها عندهم قال سري رضي الله عنه من لم يعرف قدر
النعم سلبها حيث لا يعلم وقال الفضيل رضي الله عنه
عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل ما زالت نعمة عن قوم
فعادت اليهم وقال بعض العلماء البلغا اذا كانت النعمة
وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة وقال آخر شكر النعمة عصمة
من حلول النقمة وفي هذا المعنى قيل انما يعرف قدر الماء
من بلي بعطش البادية لا من كان على شاطئ الاودية الجارية
وقيل ايضًا الولد العاق المصر على تابيه انما يعرف حق
الاب يوم وفات ابيه وقيل نعم الله مجهولة وتعرف
اذا فقدت ومن دعاء بعض الصالحين رضي الله عنه
اللهم عرفنا نعمتك بدوامها ولا تعرفها لنا بزوالها قلت
ولاجل غلبة الجهل بالنعم عند الفقد وتضييع الشكر عليها من العبد
امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنظر الى من هو اسفل منا لئلا نزدري
نعمة الله علينا والسعيد من وعظ بغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

كما قيل

ظلمات الحجبة عليك نعم ليعرفك قدر الانوار الواردة عليك

حفظ النعمة بالشكر

دعاء دوام النعمة

فيما يروى عنه ابو هريرة رضى الله عنه انظروا الى من هو اسفل منكم ولا
تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وروى
ايضا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا نظر احدكم الى من فضل عليه
بالمال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن لم يفضل عليه قال
الامام ابو حامد رضى الله عنه كان بعض الصوفية رحمه الله وظف على
نفسه كل يوم ان يحضر دار المرضى ويشاهدهم ويشاهد عللهم ومحنهم
ويحضر حبس السلطان ويشاهد ارباب الجنايات ومحنهم فى اقامة
العقوبات ويحضر المقابر ويشاهد اصحاب العزا وتاسفهم على ما لا ينفع
مع اشتغال الموتى بما هم فيه وكان يعود الى بيته ويشتغل بالشكر
طول النهار على نعمة الله تعالى عليه فى تخليصه من تلك البلايا وكان

بسبيل العبد المنعم عليه الى الشكر

الربيع بن خيثم رضى الله عنه قد حفر فى داره قبرا ووضع فى عنقه
غلا وينام فى لحده ثم يقول رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت
ثم يقوم ويقول يا ربيع قد اعطيت ما سالت فاعمل قبل ان تسال الرجوع
ولا ترد وهذا كله موافق لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديثين
المذكورين ولا طريق للعبد العاقل الى تعرف النعم الموجودة لديه
ابلغ منه فاذا عرف نعم الله تعالى اشتغل بالشكر عليها من قبل ان تزول
عنه ولا يكون له سبيل اليها وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله
من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها
لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك فان ذلك مما يحط
من وجود قدرك اذا ترادفت نعم الله عليك فلا ينبغى ان تدهشك

لا تغفلك النعم عن الشكر

من القيام بشكرها من حيث ترى عجز نفسك عن توفية ذلك وان
لا قبل لك منك فتتركه فان الله رفع قدرك واعلى امرك وجعل القليل
كثيرا واشهدك من حسن توليه لك ونسبة افعالك اليه

مايؤذن

مايؤذن بعظيم سيادتك ورفعة قدرك فلم تبخس نفسك حقها
وتحطها عن قدرها فتراها عاجزة عن الشكر والقيام بمقتضى
الامر لا على وجه الادب والاتيان من الشكر بما وجب وكان الامر فى
ذلك اليها قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه ما من نعمة الا والحمد
افضل منها والنعمة التى الهم بها الحمد افضل من الاولى لان بالشكر
يستوجب المزيد وفى اخبار داود انه قال الهى ان ابن ادم ليس فيه
شعرة الا وتحتها نعمة وفوقها نعمة فمن اين يكافيها فاوحى الله
اليه يا داود انى اعطى الكثير وارضى باليسير ومن شكر ذلك ان
تعلم ان ما بك من نعمة فمنى وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز
رضى الله عنه انى بارض كثرت فيها النعم حتى اشفقت على من قبلى
ضعف الشكر فكتب اليه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه انى كنت
اريك اعلم بالله مما انت ان الله تعالى لم ينعم بنعمة على عبد فحمد الله
تعالى الا كان حمده افضل من نعمته لو كنت لا تعرف هذا الا فى كتاب الله
المنزل قال الله سبحانه وتعالى ولقد اتينا داود وسليمن علما وقالا
الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقال عز وجل وسيق
الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها
وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد
لله الذى صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوء من الجنة حيث
نشاء فنعم اجر العاملين وترى الملائكة حافين من حول العرش
يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين
واى نعمة افضل من دخول الجنة تمكن حلاوة الهوى من القلب هو
الداء العضال القلب محل الايمان والمعرفة واليقين وهذه هى
الادوية للامراض التى اوجبها وجود الهوى والشهوة فاذا تمكن الداء

الداء العضال هو تمكن لذة الهوى فى القلب

من القلب لم يبق للدواء محل ولذلك اعضل امره وبعد برؤه لا يخرج
الشهوة من القلب الا خوف مزعج او شوق مقلق الشهوة المتمكنة من
القلب لا يخرجها الا وارد قوي قادر قاهر غالب يرد عليه وذلك اما خوف
مزعج او شوق مقلق وما عدا هذين الامرين لا استقلال له بذلك كما
لا يحب العمل المشترك كذلك لا يحب القلب المشترك العمل المشترك لا
يقبله والقلب المشترك لا يقبل عليه العمل المشترك هو المشوب بالريا
والتصنع والقلب المشترك هو الذي فيه محبة غير الله والسكون اليه
والاعتماد عليه فالعمل المشترك معتل بنظر صاحبه الى الناس والقلب
المشترك معتل بنظر صاحبه الى نفسه فالعمل المشترك لا يحبه ولا
يقبله ولا يثيب عليه لفقد الاخلاص فيه والقلب المشترك لا يحبه ولا
يقبل عليه ولا يرضى به لعدم وجود الصدق فيه فمن صحح اعماله بالاخلاص
واحواله بالصدق كان محبوبا لله تعالى مثابا بامره مرضيا عنه والا فلا
وقال رضي الله عنه انوار اذن لها في الوصول وانوار اذن لها في الدخول
الانوار الواردة على القلوب من خزائن الغيوب تنقسم الى قسمين انوار
اذن لها في الوصول الى ظاهر القلب فقط وانوار اذن لها في الدخول الى صميم
القلب وسويدائه فالانوار الواصلة الى ظاهر القلب يشاهد العبد معها
نفسه وربه ودنياه وآخرته ويكون تارة مع نفسه وتارة مع ربه
وطورا يسعى في العمل للاخرة وطورا يعمل في امور دنياه والانوار الداخلة
الى صميم القلب وسويدائه لا يظهر فيها الا وجود الله عز وجل فلذلك
لا يحب سواه ولا يعبد الا اياه قال بعض العارفين اذا كان الايمان
في ظاهر القلب كان العبد محبا للدنيا والآخرة وكان مرة مع الله تعالى
ومرة مع نفسه فاذا دخل الايمان باطن القلب ابغض دنياه وهجر
هواه وفي لفظ آخر اذا كان الايمان في ظاهر القلب يعني على الفؤاد

الانوار الواردة على السالك قسمين

كان المؤمن

كان المؤمن يحب الله تعالى حبا متوسطا فاذا دخل الايمان باطن
القلب وكان في سويدائه احبه الحب البالغ قال ابو طالب المكي
رضي الله عنه امتحان ذلك ان ينظر فاذا كان هو يؤثر الله تعالى على
جميع هواه وتغلب محبته على هواه حتى تصير محبة الله تعالى هي محبة
العبد من كل شيء فهو محب لله تعالى حقا كما هو مؤمن به حقا
وان رايت قلبك دون ذلك فلك في المحبة بقدر ذلك قال
بعض العلماء رضي الله عنهم ظاهر القلب محل الاسلام وباطنه
محل الايمان فمن ها هنا تفاوت المحبون لفضل الايمان على الاسلام
وفضل الباطن على الظاهر ربما وردت عليك الانوار فوجدت
القلب محشوا بصور الاثار فارتحلت من حيث نزلت فرغ
قلبك من الاغيار تملاؤه بالمعارف والاسرار الانوار الالهية
قد ترد على قلبك فلا تجد فيه موضعا لاستقرارها لما غلب عليه
من رعونات البشرية واستحكم فيه من صور الآثار الكونية
فترتحل من حيث نزلت لانها مقدسة مطهرة فاذا اردت حلول
الانوار فيه وتجلي المعارف والاسرار له ففرغه من الاغيار
وامح عنه صور الآثار قال الله عز وجل والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين وقد تقدم كلام المؤلف
رحمه الله كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة في مرآته
لا تستبطئ منه النوال ولكن استبطئ من نفسك وجود
الاقبال تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله رحمه الله لا تطالب
ربك بتاخير مطلبك ولكن طالب نفسك بتاخير ادبك والعبارتان
متفقتان معنى وان اختلفتا لفظا حقوق في الاوقات يمكن قضاؤها
وحقوق الاوقات لا يمكن قضاؤها اذ ما من وقت يرد الا ولله

علامة الايمان في ظاهر القلب وباطنه

الانوار لا تستقر في القلب المشحونة بالاغيار

ومن الحقوق يمكن قضاؤها ومنها لا يمكن قضاؤها اصلا

عليك فيه حقّ جديد وامر اكيد فكيف تقضى فيه حقّ غيره وانت لم
تقض حقّ الله تعالى فيه الحقوق الكائنة فى الاوقات هى وظائف
العبادات الظاهرة من صلوة وصيام وغيرهما فمن فاته شئ منها فى
وقته المعيّن له امكنه قضاؤه فى وقت آخر اذ قد جعل له فى ذلك مجال
رحب فيستدرك فيه ما يفوته من تلك الحقوق والحقوق المضافة
الى الاوقات هى المعاملات الباطنة التى تقتضيها احوال العبد وواردات
قلبه المتلوّنة عليه ووقت كلّ عبد ما هو عليه من ذلك فالعبد مطالب
بحقوق جميع ذلك عند وروده عليه اذ لله تعالى على كلّ عبد عند كلّ
حال يحلّ به ووارد يرد عليه حقّ جديد وامر اكيد ولا يسعه الّا ان
يوفيه الوقت فان فاته لم يجد مجالًا لقضائه ولا يمكنه ذلك
فعلى العبد ان يكون مراقبًا لقلبه حتّى يقوم بمراعات تلك الحقوق
التى لا يمكنه قضاؤها ان فاتت قال سيّدى ابو العبّاس المرسى
رضى الله عنه اوقات العبد اربعة لا خامس لها النعمة والبليّة والطاعة

اوقات العبد اربعة
لا خامس لها

والمعصية ولله تعالى عليك فى كلّ وقت منها سهم من العبوديّة
يقتضيه الحقّ منك بحكم الربوبيّة فمن كان وقته الطاعة فسبيله
شهود المنّة من الله تعالى عليه اذ هداه لها ووفقه للقيام بها ومن
كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله تعالى ومن كان
وقته البليّة فسبيله الرضا بالقضا والصبر والرضا رضى النفس عن
الله تعالى والصبر مشتقّ من الاصبار وهو الغرض للسهام وكذلك
الصابر ينصب نفسه غرضا لسهام القضا فان ثبت لها فهو صابر
والصبر ثبات القلب بين يدى الربّ وفى الحديث عن رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم انّه قال من اعطى فشكر وابتلى فصبر وظُلم فغفر
وظلم فاستغفر ثمّ سكت صلى الله عليه وسلّم فقالوا ماذا له يا رسول الله

فقال صلّى الله عليه وسلّم اولئك لهم الامن وهم مهتدون اى لهم الامن
فى الآخرة وهم المهتدون فى الدنيا ما فات من عمرك لا عوض له وما حصل
لك منه لا قيمة له عمر العبد ميدان الاعمال الصالحة المقرّبة له من الله
تعالى والموجبة له جزيل الثواب فى الدار الآخرة وهذه هى السعادة
التى يكدح لها العبد ويسعى من اجلها وليس له منها الّا ما سعى
كما قال تعالى وان ليس للانسان الّا ما سعى فكلّ جزء من العمر يفوته
خاليًا من عمل صالح يفوته من السعادة بقدره ولا عوض له منه
وقال الجنيد رضى الله عنه الوقت اذا فات لا يستدرك وليس شئ

الوقت اذا فات
لا يستدرك

اعزّ من الوقت وكلّ جزء يحصل له من العمر غير خالٍ من ذلك
يتوصّل به الى ملك كبير لا يفنى ولا قيمة لما توصل الى ذلك لانّه
غاية الشرف والنفاسة ولاجل هذا عظمت مراعات السلف الصالح
رضى الله عنهم لانفاسهم ولحظاتهم وبادروا الى اغتنام ساعاتهم
واوقاتهم ولم يضيّعوا اعمارهم فى البطالة والتقصير ولم يقنعوا من
انفسهم لمولاهم الّا بالجدّ والتشمير وقال سيّدنا ومولانا وحبيبنا
علىّ بن ابى طالب كرّم الله وجهه بقيّة عمر المؤمن ماله ثمن يدرك فيه
ما فات ويحيى ما امات وقد قيل فى ذلك

بقيّة العمر عندى ما لها ثمن ، وان غدى غير محسوب من الثمن
يستدرك المرء فيها كلّ فائتة ، من الخير ويمحو السوء بالحسن .

وقال رجل لعامر بن عبد الله بن قيس رضى الله عنه وهو يريد الجمعة قف
حتّى اكلّمك فقال لولا انّى ابادر لوقفت لك قال وما تبادر قال ابادر
خروج روحى وقال الحسن البصرى رضى الله عنه ادركت اقوامًا كانوا
على ساعاتهم اشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم يقول كما لا يخرج احدكم
دينارًا ولا درهمًا الّا فيما يعود عليه نفعه كذلك لا يحبّون ان تخرج

ساعة من اعمارهم الا يعود نفعه عليهم وقال السري السقطي رضي الله عنه
خرجت من بغداد اريد الرباط بعبادان للصوم بها رجب وشعبان
فاتفق ان جزت في طريقي على الجرجاني رضي الله عنه وكان من الزهاد
الكبار فدنى وقت افطاري وكان معي ملح مدقوق واقراص فقال لي ملحك
مدقوق ومعك الوان من الطعام لن تفلح ولن تدخل سنن المحبين
فنظرت الى مزود كان معه فيه سويق الشعير فسف منه فقلت
ما دعاك الى هذا فقال اني حسبت ما بين المضغ والسف سبعين
تسبيحة فما مضغت الخبز اربعين سنة وفي الخبر ما من ساعة تأتي
على العبد لا يذكر الله تعالى فيها الا كانت عليه حسرة ويقال ان العبد تعرض
عليه ساعاته في اليوم والليلة فيراها خزائن مصفوفة اربعة وعشرين
خزانة فيرى في كل خزانة نعيما ولذة وعطاء وجزاء لما كان اودع خزانة
في ساعاته في الدنيا من الحسنات فيسره ذلك ويغتبط به فاذا مرت
به ساعة من الدنيا لم يذكر الله تعالى فيها رآها في الآخرة خزانة فارغة
لا عطاء فيها ولا جزاء عليها فيسوءه اذ ذلك ويتحسر كيف فاته
حيث لم يكن يدخر فيها شيئا فيرى جزاءه مذخورا ثم يلقي في نفسه
الرضا والسكون وجاء في الحديث ان اهل الجنة بينما هم في نعيمهم اذ
سطع لهم نور من فوقهم اضاءت منه منازلهم كما تضيء الشمس
لاهل الدنيا فينظروا الى رجال فوقهم اهل عليين يرونهم كما يرون
الكواكب الدرية في افق السماء وقد فضلوا عليهم في الانوار
والجمال والنعيم كما فضل القمر على سائر النجوم فينظرون اليهم
يطيرون على نجب تسرح بهم في الهوى يزورون ذا الجلال والاكرام
فينادون هؤلاء يا اخواننا ما انصفتمونا كنا نصلي كما تصلون
ونصوم كما تصومون فما هذا الذي فضلتم به علينا فاذا النداء

من قبل الله تعالى انهم كانوا يجوعون حين تشبعون ويعطشون
اذا رويتم ويعرون اذا اكسيتم ويذكرون حين تسكتون و
يبكون حين تضحكون ويقومون حين ترقدون ويخافون
حين تأمنون فلذلك فضلوا عليكم اليوم فذلك قوله تعالى
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون ۝
وقال ابو علي الدقاق رضي الله عنه رأى بعضهم مجتهدا فقيل له
في ذلك فقال ومن اولى مني بالاجتهاد وانا اطمع ان الحق الابرار
والكبار من السلف رضي الله عنهم وقد قال سبحانه وتعالى
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وفي معناه انشدوا
السباق السباق قولا وفعلا ۞ حذر النفس حسرة المسبوق
ما احببت شيئا الا كنت له عبدا وهو لا يحب ان تكون لغيره
عبدا المحبة للشيء تقتضي الانقياد له وشدة العلاقة به
وان لا يبتغي به بدلا كما قيل حبك للشيء يعمي ويصم وذلك
معنى استعباده للمحب له فمن احب غير الله عز وجل فقد
استعبده ذلك الغير كائنا ما كان والله عز وجل لا يحب
ان تكون لغيره عبدا ولا يرضى بذلك وقد قيل تعس عبد الدينار
تعس عبد الدراهم تعس عبد الخميصة والقطيفة والزوجة
وقال محمد بن السماك رضي الله عنه كتب الحاج ان استطعت
ان لا تكون لغير الله عبدا ما وجدت من العبودية بدا فافعل
وقال الجنيد رضي الله عنه انك لن تكون له على الحقيقة عبدا
وشيء مما دونه لك مسترق فانك لن تصل الى صريح الحرية
وعليك من حقوق عبوديته بقية وسئل رضي الله عنه
عن من لم يبق عليه من الدنيا الا قدر مص نواة فقال المكاتب

ما احببت شيئا الا
كنت له عبدا

عبدٌ ما بقي عليه درهم ومن الحكايات في هذا المعنى ما ذكر عن محمّد الرّازي
رضي الله عنه نزيل نيسابور قال كساني ابن الانباري صوفًا ورأيت على
رأس الشّبلي رضي الله عنه قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصّوف فتمنّيت
في نفسي ان يكونا جميعًا لي فلمّا قام الشّبلي رضي الله عنه من مجلسه
التفت اليّ فتبعته وكان من عادته اذا اراد ان اتبعه ان يلتفت
اليّ فلمّا دخل داره دخلت معه فقال انزع الصّوف فنزعته فلفّه
وطرح القلنسوة عليه ودعى بنار فاحرقهما ومثل هذا ممّا كان
ينكره عليه من لم يعرف مقصده في ذلك شيء كثير وورد عنه لا تنفعه
طاعتك ولا تضرّه معصيتك وانّما امرك بهذه ونهاك عن
هذه لما يعود عليك الحقّ سبحانه وتعالى غنيّ عن اعمال العاملين
لانّه تعالى منزّه عن الاغراض والاعراض فلا تنفعه طاعتك
ولا تضرّه معصيتك وانّما امرك ونهاك لما يعود عليك من
المصالح والمنافع في الدّارين لا غير وذلك على سبيل التّفضّل منه
من غير ايجاب عليه وقد تقدّم التّنبيه على هذا المعنى عند قوله
عجب ربّك من قوم يقادون الى الجنّة بالسّلاسل قال في لطايف
المنن اعلم انّ الله عزّ وجلّ لم يامر العباد بشيء وجوبًا او يقتضي
منهم ندبًا الّا والمصلحة لهم في فعل ذلك الامر ولم يقتض منهم
ترك شيء تحريمًا او كراهية الّا والمصلحة لهم في تركه امرهم فتركه
وجوبًا او ندبًا ولسنا نقول كما قال من عدل به عن طريق الهدى
انّه يجب على الله تعالى رعاية مصالح عباده بل انّما نقول ذلك
على عادة الحقّ وشرعته المستمرّة فعلها عباده على سبيل التفضّل
فليت شعري اذا قالوا يجب على الله تعالى رعاية مصالح عباده
فمن هو الموجب عليه ثمّ انّا نظرنا فرأينا كلّ ما هو مامور به او مندوب

اليه يستلزم

اليه يستلزم الجمع على الله تعالى وكلّ منهيّ عنه او مكروه يتضمّن التّفرقة
عنه فاذًا مطلوب الله عزّ وجلّ من عباده وجود الجمع عليه لكن
الطّاعات هي اسباب الجمع ووسائله فلذلك امر بها والمعصية هي اسباب
التّفرقة ووسائلها فلذلك نهى عنها لا يزيد في عزّه اقبال من اقبل
عليه ولا ينقص من عزّه ادبار من ادبر عنه عزّة الله تعالى صفة
من صفات ذاته وصفاته في غاية الكمال والتّمام فهي منزّهة عن
الزّيادة والنّقصان وسبقيّة العلل وقال رضي الله عنه وصولك
الى الله تعالى وصولك الى العلم به والّا فجلّ ربّنا ان يتّصل به شيء
او يتّصل بشيء الوصول الى الله سبحانه وتعالى الّذي يشيرون اليه
اهل هذه الطّريقة هو الوصول الى العلم الحقيقيّ بالله تعالى وهذا غاية
السّالكين ومنتهى سير السّايرين وامّا الوصول المفهوم بين
الذّوات فهو متعالٍ عنه قال الجنيد رضي الله عنه متى يتّصل من لا
شبيه له ولا نظير بما له شبيه ونظير هيهات هذا ظنّ عجيب الّا بما
لطف به اللّطيف من حيث لا ادراك ولا وهم ولا احاطة الّا
اشارة اليقين وتحقيق الايمان وقال ابو حفص عمر السّهروردي
رضي الله عنه صاحب كتاب عوارف المعارف رضي الله عنه واعلم انّ
الاتّصال والمواصلة اشار اليهما الشّيوخ وكلّ من وصل الى
صفو اليقين بطريق الذّوق والوجدان فهو رتبة في الوصول
ثمّ يتفاوتون فمنهم من يجد الله تعالى بطريق الافعال وهو رتبة
في التّجلّي فيفنى فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله تعالى
ويخرج في هذه الحالة من التّدبير والاختيار وهذه رتبة في
الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والانس بما يكاشف
قلبه من مطالعة الجمال والجلال وهذا تجلّي بطريق الصّفات وهو

رتبة فى الوصول ومنهم من ترقى الى مقام الفنا مشتملاً على باطنه انوار
اليقين والمشاهدة مع ما فى شهوده عن وجوده وهذا ضرب من
تجلى الذات لخواص المقربين وهذا رتبة فى الوصول وفوق هذا
رتبة حق اليقين ويكون من ذلك فى الدنيا لمح وهو سريان نور
المشاهدة فى كلية العبد حتى تحظى بها روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه
وهذا من اعلى رتبة الوصول فاذا تحققت الحقائق يعلم العبد مع
هذه الاحوال الشريفة انه فى اول المنزل فاين الوصول هيهات منازل
طريق الوصول لا تنقطع ابد الاباد فى عمر الآخرة الابدى فكيف فى
العمر القصير الدنياوى قربك منه وهو ان تكون شاهداً لقربه والا
فمن اين انت ووجود قربه القرب الحقيقى هو قربه الله منك قال الله تعالى
واذا سالك عبادى عنى فانى قريب وقال عز وجل ونحن اقرب اليه
من حبل الوريد وقال عز من قايل ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا
تبصرون وحظك من ذلك انما هو مشاهدتك لقربه فقط
فتستفيد بهذه المشاهدة شدة المراقبة وغلبة الهيبة والتأديب
باداب الحضرة واما انت فلا يليق بك الا وصف البعد وشهوده من
نفسك كما يقول المصنف رحمه الله تعالى الهى ما اقربك منى وما
ابعدنى عنك الحقايق ترد فى حال التجلى مجملة وبعد الوعى يكون
البيان قال الله تعالى فاذا قراناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه حقايق
العلوم اللدنية التى يقذفها الحق عز وجل فى اسرار العارفين عند
برائتهم من الدعوى وتجردهم من رق الاشيا وتعرضهم بالمجاورة
الافتقار لما يفتح عليهم المولى بكرمه الحق تعالى تحقيقاً لوعده لهم
من غير تعلم ولا دراسة وعند ورودها عليهم وتجليها لهم تكون
مجملة لا يتبين لهم معانيها ولا يدركون جهة حقيقتها فاذا وعوها

[حاشية: قرب العبد من ربه تعالى]

[حاشية: الحقايق ترد فى حال التجلى مجملة على العارف بالعقل الحقيقى ثم ظهر له بيانها وجهتها]

وتصرفت

وتصرفت فيها اذهانهم بالاعتبار والتامل تبين لهم معناها و
ظهر لهم موافقتها لما لديهم من العلوم العقلية والنقلية من غير
مخالفة حتى ان بعضهم ربما يجرى على لسانه وبيانه كلام كثير من
غير ان يلقى له بالاً فاذا فرغ من ذكره او رسمه تصفحه وتامله
فيجده صحيحاً مستقيماً وقد اخبرنى بنحو من هذا لك من له قدم
صدق فى هذا الطريق عن نفسه قال الامام القشيرى رضى الله عنه
واصحاب الحقائق يجرى بحكم التصريف عليهم شئ لا علم لهم به على
التفصيل وبعد ذلك يكشف لهم وجههم فربما يجرى على لسانهم شي
لا يدرون وجهه ثم بعد فراغهم من النطق به يظهر لقلوبهم
برهان ما قالوه من شواهد العلم اذ تحقيق ذلك يجريان الحال
فى ثانى الوقت انتهى كلام الامام القشيرى رضى الله عنه وهو
موافق لكلام المؤلف رحمه الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم وكانه
اشار بذلك الى المسألة المتعارفة بينهم من موافقة الحقيقة
للشريعة وقد عبروا عن ذلك بعبارات فقد سئل الشيخ ابو محمد
عبد الله بن طاهر الابهرى رضى الله عنه عن الحقيقة فقال الحقيقة
كلها علم ثم سئل عن العلم فقال العلم كله حقيقة وقال الشيخ الشبلى
رضى الله عنه الالسنة ثلاثة لسان علم ولسان حقيقة ولسان حق
فلسان العلم ما يؤدى الينا بالوسايط ولسان الحقيقة ما اوصله
الله الى الاسرار بلا واسطة ولسان الحق ليس اليه طريق وقال الشيخ
رويم رضى الله عنه اصح الحقائق ما قارن العلم وقال الشيخ ابو
بكر الدقاق رضى الله عنه كنت فى تيه بنى اسرائيل فوقع فى قلبى ان
علم الحقيقة بخلاف علم الشريعة واذا بشخص تحت شجرة ام غيلان
صاح بى وقال يا ابا بكر كل حقيقة تخالف الشريعة فهى كفر

[حاشية: الالسنة ثلاثة]

[حاشية: اصح الحقايق ما قارن العلم]

واشارة المصنف رحمه الله تعالى بالآية الكريمة التي ذكرها الى هذا المعنى
بينة هو متى وردت الواردات الالهية اليك هدمت العوايد عليك

عند ورود الواردات انهدام العادات

ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها الواردات الالهية على العبد تمحو
عنه جميع رعوناته وتهدم عليه مستمر عاداته ولها سلطنة عظيمة
على ذلك فاذا وردت على قلب مشحون بانواع الخبائث والرذائل ازالت
ذلك بمرة واثبتت عوضا من ذلك احوالا علية واوصافا
رضية وانشد سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه في هذا المعنى
لو عاينت عيناك يوم تزلزلت ٭ ارض النفوس ودكت الاجبال
لرأيت شمس الحق يسطع نورها ٭ حين التزلزل والرجال رجال
الارض ارض النفس والجبال جبال العقل والشمس شمس المعرفة والاشارة
بالآية الكريمة الى هذا المعنى بينة الوارد يأتي من حضرة قهار

الوارد يأتي من حضرة قهار

لاجل ذلك لا يصادمه شيء الا دمغه بل نقذف بالحق على الباطل
فيدمغه فاذا هو زاهق الوارد موسوم بسمة القهر والغلبة لوروده
من حضرة القهار الغالب على امره لاجل ذلك لا تصادمه شيء من رعونات
البشرية الا دمغه وازاله وهو ايضا حق ورد على باطل والباطل
لا ثبات له مع الحق والاشارة بالآية الكريمة الى هذا المعنى بينة
كيف يحتجب الحق بشيء والذي يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر
قد اتسع المؤلف رحمه الله تعالى الكلام على هذا المعنى في اول الكتاب
واتى فيه بالعجب العجاب فنبهنا عليه هناك لا تيأسن من قبول عمل
لم تجد فيه وجود الحضور فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا

لا تيأسن من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور

العمل الذي لا يجد صاحبه حضورا فيه ينبغي له ان لا ييأس من قبوله
فان ذلك الى الله تعالى فقد يقبل من العمل ما لم يدرك ثمرته عاجلا
من وجدان حضور او حلاوة او غير ذلك ولو لم يكن الا قصده

التقرب به

التقرب به وسقوطه عن نظره وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى
عند قوله لا عمل ارجى للقلوب لا تتركن واردا لا تعلم ثمرته فليس المراد

لا تتركن واردا لا تعلم ثمرته

من السحابة الامطار وانما المراد منها وجود الاثمار الوارد مراد
لثمرته لا لوجدان حظ نفسك فيه كما ان السحابة مرادة لوجدان
الاثمار الذي اقتضاه وجود امطارها لا لمجرد وجود امطارها وثمرة
الوارد انما هي تأثر القلب به وتبدل صفاته المذمومة بصفات محمودة
كما تقدم فان لم تعلم وجود هذا فيك فلا تتركن الوارد ولا تفرح به
فان في ذلك نوعا من الاغترار وانخداعا بلبسه لاظهار وكن على
حذر منه لا تطلبن بقاء الواردات بعد ان بسطت انوارها واودعت

لا تطلبن بقاء الواردات

اسرارها فلك في الله غنى عن كل شيء وليس يغنيك عنه شيء الواردات
المنبسطة على العبد تكيف ظاهره وباطنه بكيفيات العبودية و
اسرارها المودعة فيه ما لاح له من عظمة الربوبية فاذا افادك الواردة
هذه الفوائد فلا تطلبن بقاءه في حال كونه ولا تأس على فقده اذا
فقدته فان لك في الله غنا عنه وعن غيره وليس لك غنى عن الله تعالى
في شيء من الاشياء كما قال الشاعر
لكل شيء اذا فارقته عوض ٭ وليس لله ان فارقت من عوض
وقال الشيخ ابن عطاء الله رضي الله عنه اياك ان تلاحظ مخلوقا و
انت تجد الى ملاحظة الحق سبيلا ويدخل في هذا المعنى الذي ذكره
ابن عطاء الله رضي الله عنه جميع الاغيار والانوار والمقامات
والاحوال والدنيا والآخرة والنعم الباطنة والظاهرة فلا تلاحظ شيئا
من ذلك ولا يعتمد عليه بقي او ذهب فان ذلك قادح في اخلاص التوحيد

ولا تركنن اليه

قال في التنوير واعلم ان الباري سبحانه وتعالى انما يدخلك في الحال لتأخذ
منها لا لتأخذ منك وانما جاءت تحمل هدية التعريف من الله تعالى

اليك فيها فتوجه اليها باسمه المبدئ فابداءها وابقاها حتى اذا وصلت
اليك ما كان لك فيها فلما ادت الامانة توجه اليها باسمه المعيد
اعادها وتوفاها فلا تطلبن بقا رسول بعد ان بلغ رسالته ولا

فارجعها صح

امين بعد ان بلغ امانته وانما يفتضح المدعون بزوال الاحوال
ويعزلهم عن مراتب الانزال هنالك يبدو العوار وتنهتك الاستار
فكم من مدع الغنا بالله وانما غناه بطاعته او بنوره او فتحه
وكم من مدع العز بالله تعالى وانما اعتزازه بمنزلته وصولته
على الخلق معتمدا على ما ثبت عندهم من معرفته وكن عبد الله
لا عبد العلل وكما كان الله ربا لك ولا علة فكن عبدا له ولا علة
لتكون له عبدا كما كان لك ربا قال الشيخ ابو العباس رضي الله عنه
عبد هو في الحال بالحال وعبد هو في الحال بالمحول فالذي هو في الحال
بالحال عبد الحال والذي هو في الحال بالمحول عبد المحول وامارة من هو

في العبدية عبدين عبد الحال و عبد المحول

في الحال بالحال ان يأسى عليها اذا فقدها ويفرح بها اذا وجدها
والذي هو في الحال بالمحول لا يفرح بها اذا وجدت ولا يحزن عليها
اذا فقدت وفي الاشارة عن الله سبحانه وتعالى لا تركنن الى شيء
دوننا فانه وبال عليك وقاتل لك فان ركنت الى العلم تتبعناه
عليك وان اويت الى العمل رددناه عليك وان وثقت بالحال
وقفناك معه وان انست بالوجد استدرجناك فيه وان
لحظت الى الخلق وكلناك اليهم وان اعتززت بالمعرفة نكرناها
عليك فاي حيلة لك واي قوة معك فارضنا ربا حتى نرضاك
عبدا تطلعك الى بقا غيره دليل على عدم وجدانك له استيحاشك
لفقد سواه دليل على عدم وصلتك به وجود العبد لربه ووصوله
اليه هو غاية مطالبه ومنتهى آماله ومآربه وبه يفوز بالنعيم و

تطلعك غيره واستيحاشك لفقد سوه دليل عدم وجدانك له و عدم وصلتك به

بالملك العظيم وعند ذلك ينسى كل محبوب ويلهى عن كل مفروح به
ومرغوب وهذه هي صفة اهل التفريد الذين اشتهروا في ذكر
الله المجيد كما روي عن ابي عبد الله التستري رضي الله عنه قال
سألت رجلا بالكام ما الذي اجلسك في هذا الموضع فقال
لي وما سؤالك عن شيء ان طلبته لم تدركه وان لحقته لم تقع
عليه قلت تخبرني ما هو قال علمي بان مجالسة الله تعالى تستغرق
نعيم الجنان ثم قال اواه قد كنت اظن ان نفسي ظفرت ومن
الخلق هربت فاذا انا كذاب في مقالتي لو كنت محبا لله صادقا
ما اطلع على احد فقلت اما علمت ان المحبين خلفاء الله
في ارضه مستأنسين بخلقه يبعثونهم على طاعته فصاح
صيحة وقال لي يا مخدوع لو شممت رائحة الحب وعاين قلبك
ما وراء ذلك من القرب ما احتجت ان ترى فوق ما رأيت
ثم قال يا سما ويا ارض اشهدا انه ما خطر على قلبي ذكر الجنة و
النار وقط ان كنت صادقا فامتني فوالله ما سمعت له كلاما
بعدها وخفت ان يسبق الى الظن من الناس من قتله
فتركته ومضيت فبينما انا على ذلك اذا انا بجماعة فقالوا
ما فعل الفتى فكنيت عن ذلك فقالوا ارجع فان الله قد
قبضه فصليت معهم عليه فقلت لهم من هذا الرجل ومن انتم
قالوا ويحك هذا رجل به كان يمطر المطر قلبه على قلب ابرهيم
الخليل صلوات الله وسلامه عليه اما رأيته يخبر عن نفسه
ان ذكر الجنة والنار ما خطر على قلبه فهل كان هكذا الا
ابرهيم الخليل فقلت من انتم قالوا نحن السبعة المخصوصون
من الابدال فقلت علموني شيئا فقالوا لا تحب ان تعرف ولا تحب

ان تعرف انك ممن لا تحب ان تعرف وفي مثل هذا الحال انشدوا

شعرا

كانت لقلبي اهواء مفرقة ٨ فاستجمعت اذ رأتك العين اهوائي
فصار يحسدني من كنت احسده ٨ وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم ٨ شغلا بحبك يا ديني ودنيائي

وقد سئل سليمان الداراني رضي الله عنه عن اقرب ما يتقرب به الى الله سبحانه وتعالى فقال اقرب ما يتقرب به ان يطلع الله على قلبه وهو لا يريد من الدنيا والآخرة غيره فهذه هي العلامة الصادقة والدلالة القاطعة على التحقيق بهذا المقام العظيم فان كان له شعور بشيء من هذه الاغيار المحبوبة يتطلع الى بقائها او يستوحش لفقدانها فذلك دليل على عدم تحققه بذلك فليعرف منزلته وحده وليعمل في تصحيح هذا المقام جهده النعيم وان تنوعت مظاهره انما هو لشهوده واقترابه والعذاب وان تنوعت مظاهره انما هو لوجود حجابه فسبب العذاب وجود الحجاب واتمام النعيم بالنظر الى وجه الله الكريم مظاهر النعيم المتنوعة هي ما ورد من انواع الثواب في الدار الآخرة من الحور والقصور والولدان والغلمان والمآكل والمشارب والملابس الى غير ذلك من انواع المسرات واللذات ومظاهر العذاب المتنوعة هي ما ورد من انواع العقاب فيها من الجحيم والحميم والزقوم والحيات والعقارب والسلاسل والاغلال والانكال وغير ذلك من انواع الآلام والعقوبات وليس وجود النعيم والعذاب بسبب وجود ذوات هذه الاشياء ومباشرتها للمنعم والمعذب وانما ذلك لما تضمنته وظهر فيها من وجود قرب الله تعالى وشهوده للمنعم او وجود حجابه واعراضه

اقرب ما يتقرب به الى الله تعالى

النعيم بقدر الشهود والقرب والعذاب بقدر الحجاب عنه

عن المعذب

من المعذب فهذان الامران بهما يقع النعيم والعذاب على التحقيق ما تجد القلوب من الهموم والاحزان فلاجل ما منعت من وجود العيان وجدان الهموم والاحزان الدنياوية والاخروية من نتايج رؤية النفس واعتبارها وبقاء حظها وهو الذي منع العبد من وجود العيان فلو قد فني عن رؤية نفسه وذهب عن مراعات حظه لظفر بوجود العيان ولم يكن له هم ولا حزن البتة بل يكون متصل الحبور دائم الفرح والسرور كما قال الله تعالى لا تحزن ان الله معنا فالمعية المذكورة لا يجتمع معها حزن وهي ما قلناه من وجود العيان والعيان درجة فوق درجة اليقين وقد قيل

كثر العيان على حتى انه ٨ صار اليقين من العيان توهما

قال الشبلي رضي الله عنه من عرف الله تعالى لا يكون له غم ابدا وقد قيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ان محبتي في خلقي ان يكونوا روحانيين وللروحانية علم هو ان لا يغتموا وانا مصباح قلوبهم يا داود لا يمزج الهم قلبك فينقص ميراث حلاوة الروحانيين وسيأتي من كلام المصنف رحمه الله تعالى اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام بي فافرح وبذكري فتنعم فباستنارة القلب بنور المعرفة واحتظائه بوجود العيان والرؤية يخرج منه الهم ويحل محل الروحانية على ان في وجود الهموم والاحزان لمن لم يبلغ هذا المقام اذا لم يقدر على دفعها عن نفسه فوايد جزيلة لا ينبغي ان يستحقر من قبل انها موجبة لخمود النفس وصفاء القلب وزوال الأشر والبطر والفرح بالدنيا ثم هي كفارات ان كانت في الامور الدنياوية ودرجات ان كانت في الامور الاخروية والهم المتعلق بما يكون

الهموم والاحزان لاجل وجود العيان

في المستقبل والحزن متعلق بما يكون في الماضي وقال رضي الله عنه
من تمام النعمة عليك ان يرزقك ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك
وجدان الكفاية من الرزق وعدم الزيادة عليها وعدم النقصان
منها من نعم الله تعالى التامة الكاملة على العبد لما له في ذلك من
حصول جميع المصالح الدينية والدنيوية اما مصالح الدين في
عدم الزيادة على الكفاية فظاهر اذ لو وجدها ربما اوجب له ذلك
طغيانا كما قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فالاستغنا
هو وجود الزيادة على الكفاية وهو سبب الطغيان والطغيان
هو اصل كل معصية لله عز وجل وقصة ثعلبة بن حاطب حين
طلب الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم ان يرزقه الله مالا وما آل اليه
امره امر مشهور وقال سعيد بن ابي وقاص سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وفي حديث
ابي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما طلعت شمس
ولا غربت الا بجنبيها ملكان ينادیان يا ايها الناس هلموا
الى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر والهى او كما قال صلى الله عليه وسلم
واما مصالح الدنيا في ذلك فسيأتي التنبيه عليها في قول
المصنف رحمه الله ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه واما
مصالح الدين عند وجود الكفاية وعدم نقصانها فمن اجل
توصله بذلك الى الاستعانة بها على طاعة الله ولاجل ذلك عظمت
النعمة بها على العبد قال الله تعالى وابتغ فيما آتيك الله الدار الآخرة
ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تنس نصيبك في الآخرة ان
تتوصل اليه بما اتاك من الدنيا واما مصالح الدنيا في ذلك
فظاهرة لا يحتاج الى تنبيه عليه اذ بذلك يحصل له طيب العيش

تمام النعمة رزق ما يكفيك ومنع ما يطغيك

وراحة القلب والبدن وصيانة الوجه عن ذل المسئلة عند وجود
الحاجة والفاقة فعلى العبد ان يشكر الله تعالى على هذه النعمة
العظيمة ويقنع بما اباح الله له من هذه المنة الجسيمة فيستعجل
بذلك راحة نفسه والاستغنا عن ابنا جنسه ويحصل له بذلك حلاوة
الزهد في الامور العاجلة وتجافي القلب من زهراتها فان طلب الزيادة
من الدنيا ولم يقنع بما قسم له منها خيف عليه من اقتحام المهالك
اذ يجره الحرص والطمع الى ذلك وقال بعض العارفين كل من لم يعرف
قدر ما زوى عنه من الدنيا ابتلى باحد وجهين اما بحرص مع فقر
يتقطع به حسرات او رغبة في غنا ينسيه شكر ما انعم الله عليه
وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس الغنا عن كثرة العرض
انما الغنا غنا النفس وغنا النفس عن الدنيا شرف الاولياء
المختارين وعز اهل التقوى من المؤمنين المحسنين ولقد صدق

الشاعر في قوله

غنا النفس ما يكفيك عن سد خلة ۞ فان زدت شيئا عاد ذاك الغنا فقرا

يغنيك

روي عن بنان الحمال رضي الله عنه انه قال كنت مطروحا طاويا
عند بني شيبة سبعة ايام لم اذق شيئا فنودي في سري ان من اخذ
من الدنيا فوق ما يكفيه اعمى الله عيني قلبه وقال عبد الواحد بن
زيد ذكر لي ان في خراب الايلة جارية مجنونة تنطق بالحكمة فلم
ازل اطلبها حتى وجدتها في خربة بها جالسة على حجرة وعليها
جبة صوف وهي محلوقة الراس فلما نظرت الي قالت من قبل
ان اكلمها مرحبا بك يا عبد الواحد فقلت لها رحب الله بك
وعجبت من معرفتها بي ولم ترني قبل ذلك فقالت ما الذي جاء
بك الى هاهنا قلت جئت لتعظيني قالت واعجباه لواعظ يوعظ

ثمّ قالت يا عبد الواحد انّ العبد اذا كان في كفاية ثمّ مال الى الدّنيا
سلبه الله تعالى حلاوة الزهد فيظلّ حيرانًا والهًا وان كان له عند الله
نصيب عاتبه وحيًا في سرّه فقال عبدي اردت ان ارفع قدرك
عند ملائكتي وحملة عرشي واجعلك دليلًا لاوليائي واهل طاعتي
في ارضي فملت الى عرض من اعراض الدّنيا وتركتني فورثتك بذلك
الوحشة بعد الانس والذلّ بعد العزّ والفقر بعد الغنا عبدي
ارجع الى ما كنت عليه ارجع لك الى ما كنت تعرفه من نفسك
قال ثمّ تركتني وولّت عنّي فانصرفت وبقلبي حسرة منها وفي
بعض الكتب انّ اهون ما اصنع بالعالم اذا مال الى الدّنيا ان اسلبه
حلاوة مناجاتي وذكر ابرهيم التجيبي القرطبي المالكي رحمه الله
تعالى في كتاب النّصايح له عن ابي عبد ربّه الشّامي ثمّ الدّمشقي
رضي الله عنه انّه كان من اكثر اهل دمشق مالًا فخرج مسافرًا
فامسى الى جانب نهر ومرعى فنزل به قال فسمع صوتًا يكثر من حمد الله
من ناحية المرج قال فاتبعته فوافيت رجلًا ملفوفًا في حصير
فسلّمت عليه فقلت من انت يا عبد الله قال رجل من المسلمين
قلت فما حالتك قال حالة نعمة يجب عليّ حمد الله تعالى عليها
قال فقلت وكيف وانّما انت في حصير قال ومالي لا احمد الله تعالى
وقد خلقني واحسن خلقي وجعل منشاوي ومولدي في الاسلام و
البسني العافية في اركاني وستر عليّ ما اكره ذكره ونشره فمن
اعظم نعمة ممّن امسى في مثل ما انا فيه فقلت له ان رايت رحمك
الله ان تقوم معي الى المسجد فانا نزول على النّهر هاهنا قال ولم
قلت لتصيب من الطّعام ونعطيك ما يغنيك عن لبس الحصير
قال ما لي فيه حاجة فراودته على ان يتبعني فابى فانصرفت وقد

تصاغرت نفسي ومقتها اذ لم اخلف بدمشق رجلًا يكاثرني
وانا التمس الزيادة فقلت اللهمّ انّي اتوب اليك من سوء
ما انا فيه فبتّ لا يعلم اعواني ما اجتمعت عليه فلمّا كان
من السّحر رحلوا كنحو رحلتهم كما مضى وقدّموا الى دابّتي فصرفتها
الى دمشق فقلت ما انا بصادق في التّوبة ان مضيت الى
متجري فسألني القوم فاخبرتهم وعاتبوني على المضي فابيت
فلمّا قدم دمشق وضع يده يتصدّق بماله فما زال يفرّقه في
سبيل الخير حتّى احتضر فما وجدوا عنده الّا قدر ثمن الكفن
زاد غير ابي ابرهيم وكان يقول يعني ابا عبد ربّه المذكور والله
لو انّ نهركم يعني نهر دمشق سال ذهبًا ما خرجت اليه
ولا اخذت شيئًا منه ولو قيل لي من مسّ هذا العمود مات لقمت
اليه وعانقته شوقًا الى الله تعالى ورسوله وقال رضي الله عنه
ليقلّ ما تفرح به يقلّ ما تحزن عليه درء المفاسد عند العقلاء
اهمّ من جلب المصالح فمن زوى الله عنه فضول الدّنيا فقنع بذلك
ورضي منها باليسير ولم يتطلّع الى زيادة من مال او جاه فهو
كامل العقل حسن النّظر لنفسه لانّه دفع عن نفسه مفسدة
وجود الحزن بتركه لما يفيد حصول مصلحة الفرح الّذي يزول
عن قرب واعتاض من ذلك الرّاحة الدّائمة كما قيل
ومن سرّه ان لا يرى ما يسوءه ۞ فلا يتّخذ شيئًا يخاف له فقدا
فانّ صلاح المرء يرجع كلّه ۞ فسادًا اذا الانسان جاز به الحدّا
قيل لبعضهم لم لا تغتمّ قال لانّي لا اقتني ما يغمّني فقده فالمفروح
به هو المحزون عليه ان قليلًا فقليل وان كثيرًا فكثير كما قيل
على قدر ما اولعت بالشيء حزنه ۞ ويصعب نزع السهم مهما تمكّنا

كثرة ما تفرح به سبب كثرة الحزن

يحكى انه حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصّع بالجواهر لم
يرله نظير ففرح الملك به فرحًا شديدًا فقال لبعض الحكما عنده كيف
ترى هذا قال اراه مصيبة وفقرًا قال وكيف ذلك قال ان انكسرَ
كان مصيبة لا جَبْرلها وان سرق صرت فقيرًا اليه ولم تجد مثله
وقد كنت قبل ان يحمل اليك فى امن من المصيبة والفقر فاتفق ان
انكسر القدح يومًا فعظمت مصيبة الملك عنه فقال صدق الحكيم
ليته لم يحمل الينا وامثال هذه المصيبة او اعظم منها نازلة بكل
(مصيبة فقد المحبوب عند الموت اشد من فقده فى الحيوة)
من له علاقة بشئ من اسباب الدنيا فانها ان لم توخذ منه بغصب
اوسرقة او جايحة نازلة فلابدّ ان يوخذ هو عنها بالموت الهادم
للذات المنغّص للشهوات فان كان له الف محبوب مثلًا نزل عنه
الموت الف مصيبة فى وقتٍ واحدٍ لانه كان يحبّها كلّها وقد
سلبتْ منه فى كرّة واحدة ولذلك كان الزهد فى الدنيا من قضايا
(للعقل الف اسم)
العقل قال سهل بن عبد الله للعقل الف اسم ولكل اسم منه الف
اسم واوّل كل اسم منه ترك الدنيا وقال الحسن رضى الله عنه كيف
يُسمّى عاقلًا وهو يمسى ويصبح فى الدنيا ومباهاة اهلها فى المطاعم و
المشارب والملابس والمراكب اولئك هم الخاسرون اولئك هم الغافلون
اولئك هم الجاهلون وقد قيل فى هذا المعنى

ايها المرء ان دنياك بحرٌ ۞ طافح موجه فلا تأمننها
وسبيل النجاة فيها مبينٌ ۞ وهو اخذ الكفاف والقوت منها

وقال ابو على الثقفى رضى الله عنه اف من اشتغال الدنيا اذا
اقبلتْ واف من حسراتها اذا ادبرتْ والعاقل من لا يركن الى
شئ اذا اقبل كان شغلا واذا ادبر كان حسرة وقد قيل فى معناه
ومن يحمد الدنيا لشئ يسرّه ۞ فسوف لعمرى عن قليل يلومها

اذا ادبرت كانت على المرء حسرة ۞ وان اقبلت كانت كثيرًا همومها
(صفة العاقل من كلام الشيخ الجنيد قدس سره)
وقيل لابى القاسم الجنيد رضى الله عنه متى يكون الرجل موصوفًا
بالعقل قال اذا كان للامور مميزًا ولها متصفحا وعما يوجبه
العقل عليه باحثا يلتمس بذلك طلب الذى هو اولى ليعمل به
ويؤثره على ما سواه فاذا كان كذلك فمن صفته ركوب الفضل
فى كل احواله بعد احكام العمل بما فرض عليه وليس من صفة
العقلاء اغفال النظر لما هو احقّ واولى ولا من صفتهم الرضا
بالنقص والتقصير فمن كانت هذه صفته بعد احكامه لما
يجب عليه من عمله ترك التشاغل بما يزول وترك العمل بما يفنى و
ينقضى وذلك صفة كل ما حوت عليه الدنيا وكذلك لا يرضى
ان يشغل نفسه بقليل زائل ويسير حائل يصده التشاغل
به والعمل له عن امور الاخرة التى يدوم نعيمها ونفعها ويتابد
سرورها ويتصل بقاؤها وذلك ان الذين يدوم نفعه ويبقى
على العامل له حظه وما سوى ذلك زائل متروك مفارق موروث
يخاف مع تركه سوء العاقبة فيه ومحاسبة الله عليه وكذلك
صفة العاقل لانه يتصفح الامور بعقله والاخذ منها باوفره
وقال الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك
الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب بذلك وصفهم الله
تعالى وذوا الالباب هم ذوا العقول وانما وقع الثنا عليهم بما
وصفهم الله تعالى للاخذ باحسن الامور عند استماعها و
احسن الامور هو افضلها وابقاها على اهلها نفعًا فى العاجل
والآجل والى ذلك ندب الله تعالى من عقل فى كتابه انتهى كلام
الجنيد رضى الله عنه وهو فى غاية الحسن ونهاية التحقيق وفيه

مناسبة لما كنا بصدده من التنبيه على كلام المصنف فرايت ذكره
ها هنا لائقا والله تعالى الموفق للعمل به بمنه وكرمه **ان اردت ان لا**
تعزل فلا تتولى ولاية لا تدوم لك هذه من امثلة ما تقدم لان الولاية
مآلها الى الحزن بسبب وقوع العزل عنها ومقتضى نظر العقل ترك الولاية
المفروح بها لئلا يقع فى العزل المحزون به **ان رغبتك البدايات**
زهدتك النهايات ان دعاك اليها ظاهر نهاك عنها باطن بدايات
الامور وظواهرها يرغب الجاهل فيها وتدعوه اليها لانها رائقة الحسن مليحة
الظاهر فيغتر الجاهل بذلك فتقوده الى ما فيه ضرره وهلاكه ونهايات
الامور وبواطنها تزهد العاقل وتنهاه عنها لما اشهدته من سماجتها
وقبح باطنها فيعتبر العاقل بذلك فيهرب عنها ويسلم من شرها
وقد تقدم هذا المعنى عند قوله الاكوان ظاهرها غرة وباطنها
عبرة **قال وهب بن منبه** رضى الله عنه صحب رجل بعض الرهبان سبعة
ايام ليستفيد منه شيئا فوجده مشغولا عنه بذكر الله تعالى والفكر لا يفتر
عنه ثم التفت اليه فى اليوم السابع فقال له يا هذا قد علمت ما تريد
حب الدنيا رأس كل خطيئة والزهد فى الدنيا رأس كل خير والتوفيق
نجاح كل بر فاحذر رأس كل خطيئة وارغب فى رأس كل خير وتضرع
الى ربك ان يهب لك نجاح كل بر قال وكيف اعرف ذلك قال كان جدى
رجلا من الحكماء قد شبه الدنيا بسبعة اشياء شبهها بالماء المالح
يغر ولا يروى ويضر ولا ينفع وبظل الغمام يغر ويخذل وبالبرق
الخلب يغر ولا ينفع وبسحاب الصيف يغر ولا ينفع وبزهر الربيع يغر بنضرته
ثم يصفر فتراه هشيما وباحلام النائم يرى السرور فى منامه
فاذا استيقظ لم يجد فى يده شيئا الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم
الذعاف يغر ويقتل فتدبرت هذه الاحرف السبعة سبعين سنة

ان اردت ان لا تعزل

بدايات امور الدنيا مليحة حسن ونهاياتها سمجة قبيح

تشبيه الدنيا بسبعة اشياء

ثم زدت فيها حرفا واحدا فشبهتها بالغول التى تهلك من اجابها
وتترك من اعرض عنها فرايت جدى فى النوم وقال لى يا بنى انت منى
وانا منك قلت فباى شئ يكون الزهد فى الدنيا قال باليقين واليقين
بالصبر والصبر بالعبر والعبر بالفكر ثم وقف الراهب فقال خذها ولا اراك
خلفى الا متجردا بفعل دون قول وكان ذلك اخر العهد به **وقال محمد**
ابن على الترمذى رضى الله عنه لم تزل الدنيا مذمومة فى الامم السالفة
عند العقلاء منهم وطلابها مهانون عند الحكماء الماضين وما
قام داع فى امة الا وقد حذر من متابعة الدنيا وجمعها والحب لها
الا ترى مؤمن آل فرعون كيف قال اتبعون اهدكم سبيل الرشاد ثم
قال انما هذه الحيوة الدنيا متاع اى لن تصل الى سبيل الرشاد وفى قلبك
محبة الدنيا وطلبها والحكايات والآثار فى احوال الدنيا وغرورها و
شرورها اكثر من ان تحصى ولا شئ فى ذلك ابين من قول الله تعالى
فى صفتها اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم
وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه
مصفرا ثم يكون حطاما وفى الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله
ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور **انما جعلها محلا للاغيار**
ومعدنا لوجود الاكدار تزهيدا لك فيها وجود الاغيار والاكدار الدنيوية
على العبد نعمة من الله تعالى عليه لان ذلك لا محالة يدعوه الى الزهادة
فى الدنيا والتجافى عنها ويصرف عنه وجود الغباوة والجهالة لاجل
تمسكه بالخيال وما يستضر به فى الحال والمآل لان الموجب لرغبته
فيها وحرصه على نيلها انما هو ما يتوهمه فيها من الحصول على
امنيته وبغيته وقضاء غرضه من شهوته ونهمته من غير مكدر
ولا منغص ولو تصور له حصوله على هذه الاشياء على حسب ما يحبه

اغيار الدنيا محلا لورود الاكدار تزهيدا لك فيها

وبهواه كان ينبغى له ان يرغب عنها عوضًا عن الرغبة فيها ان كان عاقلًا لان مآلها الى الفنا والزوال والانقضا والارتحال وقد قالوا شر لا يدوم خير من خير لا يدوم **وقد قال الشاعر**

اشدّ الغم عندى فى سرورٍ ۞ تيقّن صاحبه عنه انتقالا
ارى الدنيا على من كان فيها ۞ تدور فلا تديم عليه حالا

اضرار الدنيا

ثم هى مانعة من سعادة الآخرة والقرب من الله تعالى الذى هو غاية طلب الطالبين ونهاية رغبة الراغبين فكيف وهو فيها معرّض لانواع المصائب والفجايع ووقوع الاغيار والاكدار فما من احدٍ فيها الا وهو فى كل حال ووقت عرض لاسهم ثلثة بلية وسهم منية وسهم رزية فاذا نزل به ذلك عادت النعمة نقمة وانقلب الحبرة عبرة وصار الفرح ترحة وهكذا شان الدنيا ابدًا فلا يفى مرجوها بمخوفها ولا يقوم خيرها بشرّها ولقد صدق الشاعر فى قوله

انّ الليالى لم تحسن الى احدٍ ۞ الا اساءت اليه بعد احسانِ

وصدق ايضا من قال

ما قام خيرك يا زمان بشرّه ۞ اولا بنا ما قل منك وما كفا
زمن اذا اعطا استردّ عطاءه ۞ واذا استقام بدا له متحرّفا

وقد كتب على بن ابى طالب رضى الله عنه الى سلمان انما مثل الدنيا كمثل الحية لين مسّها قاتل سمّها فاعرض عنها وعما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن اسرّ ما تكون فيها احذر ما يكون منها وان صاحبها كلما اطمان فيها الى سرور اشخص منها الى مكروه **وقد قال بعض البلغا**

دار الدنيا كاحلام المنامِ ۞ وسرورها كظل الغمامِ
واحداثها كصوب السهامِ ۞ وشهواتها وفتنها كامواج الطوامِ

كشرب السمام

وقال

وقال ابو العتاهية رحمه الله ورضى عنه ۞

هى الدار دار الاذى والقذى ۞ ودار الفنا ودار الغير
ولو نلتها بحذافيرها ۞ لمت ولم تقض منها وطر
ايا من يؤمل طول البقا ۞ وطول الخلود عليه ضرر
اذا ما كبرت وبان الشبا ۞ فلا خير فى العيش بعد الكبر

وانشد ابو منصور الثعالبى رحمه الله فى ذم الدنيا ۞

تنحّ عن الدنيا ولا تخطبنّها ۞ ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفى مرجوها بمخوفها ۞ ومكروهها اما تاملت راجح
لقد قال فيها الواصفون واكثروا ۞ وعندى لها وصف لعمرى صالح
سلاف قفار اها ذعاف ومركب ۞ شهى اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يوثق الناس حسنه ۞ ولكن له اسرار سوء قبايح

فاذا علم العبد هذا كله علم يقين وتمكن من قلبه غاية التمكين لم يتصور منه مع ذلك وجود رغبة البتة لانه اذ ذاك يجمع بين خيبتين وخسارتين ويايته الموت وهو صفر اليدين من منافع الدارين وذلك هو الخسران المبين **قال ابو هاشم الزاهد** رضى الله عنه ان الله تعالى وسم الدنيا بالوحشة ليكون انس المريدين بدونها وليقبل المطيعون اليه بالاعراض عنها واهل المعرفة بالله من الدنيا مستوحشون والى الآخرة مشتاقون **وقيل** اوحى الله تعالى الى الدنيا تضيقى وتشددى على اوليائى وترفهى وتوسعى على اعدائى اى تضيقى على اوليائى حتى لا يثقوا بك عنى وتوسعى على اعدائى حتى يشتغلوا بك عنى فلا يتفرغوا الذكرى **علم انك لا تقبل النصح المجرد فذوقك من ذواقها ما يسهل عليك وجود فراقها** النصح المجرد لا يقبله الا من لم يستحكم فيه حب العاجلة والانس بلذاتها الفانية وكان

كريم الطبع سهل القياد واما من رسخت فيه تلك الخبائث وتمكنت من
باطنه وكان لئيم السجية صعب المقادة فلابد من قصد هدايته
وارشاده من زيادة على النصح والوعظ وهو وجود ما يقهره ويجبره
وليس ذلك الا ما ذكرنا فاعرف قدر النعمة عليك بذلك واعمل
بمقتضاها وسلم لربك في حكمه وقدره وحسن ظنك به وقد
تقدم هذا المعنى عند قوله ومن لم يقبل على الله تعالى بملاطفات
الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان العلم النافع الذي ينبسط
في الصدر شعاعه ويكشف عن القلب قناعه العلم النافع هو العلم
بالله وباسمائه وصفاته والعلم بكيفية التعبد له والتادب
بين يديه فهذا هو العلم الذي ينبسط في الصدر شعاعه فيتسع
وينشرح للاسلام ويكشف عن القلب قناعه فيزول عنه الشكوك
والاوهام وفي حكمة داود عليه السلام العلم في الصدر كالمصباح
في البيت قال محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه العلم النافع هو
الذي تمكن في الصدر وتصور وذلك ان النور اذا اشرق في
الصدر تصورت الامور حسنها وسيئها ووقع لذلك ظل في
الصدر فهو صورة الامور فيأتي حسنها ويجتنب سيئها فذلك العلم
النافع من نور القلب خرجت تلك العلايم الى الصدر وهي علامات
الهدى والعلم الذي قد تعلمه فذلك علم اللسان انما هو شئ قد
استودع الحفظ والشهوة غالبة عليه قد احاطت به واذهبت
بظلمتها ضوءه وقال ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه
العلم النافع هو علم الوقت وصفاء القلب والزهد في الدنيا وما
يقرب من الجنة وما يبعد من النار والخوف من الله تعالى والرجا
فيه وافات النفوس وطهارتها وهو النور المشار اليه انه نور

العلم النافع

يقذفه الله تع

يقذفه الله تعالى في قلب من شاء دون علم اللسان المنقول والمعقول
وقال مالك بن انس رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما هو
نور يقذفه الله تعالى في القلوب انتهى وانما منفعة العلم ان تقرب
العبد من ربه ويبعده عن رؤية نفسه وذلك غاية سعادته
ومنتهى طلبه وارادته قال الجنيد رضي الله عنه العلم ان تعرف
ربك ولا تعدو قدرك وهذه عبارة مختصرة وجيزة جمع فيها
رحمه الله مقصود علم الصوفية وهو معرفة الله تعالى وحسن
الادب بين يديه وهذه هي العلوم التي ينبغي للانسان ان يستغرق
فيها عمره الطويل ولا يقنع منها بكثير ولا قليل وقد قال سيدي
الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه من لم يتغلغل في هذه
العلوم يعني علوم الصوفية مات مصرا على الكبائر وهو لا يعلم
وما سوى هذه العلوم قد لا يحتاج اليها وربما اضر بصاحبها
مداومته عليها وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الخبر المشهور عنه من علم لا ينفع ثم ذكر المؤلف رحمه الله تعالى
عبارة اخرى في بيان العلم النافع وتعريفه بلازمه فقال
خير علم ما كانت الخشية معه خير العلوم ما يلزم وجوده
الخشية لله تعالى لان الله تعالى اثنى على العلماء بذلك فقال عز وجل
من قائل انما يخشى الله من عباده العلماء فكل علم لا خشية معه
فلا خير فيه بل لا يسمى صاحبه عالما على الحقيقة قال الربيع بن انس
رحمه الله في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء قال من لم يخش
الله تعالى فليس بعالم الا ترى ان داود عليه السلام قال ذلك بانك
جعلت العلم خشيتك والحكمة الايمان بك فما علم من لم يخشك
وما حكمة من لم يؤمن بك قال في لطائف المنن فشاهد العلم

خير العلم ما كانت الخشية معه

فشاهد العلم الخشية

الّذى هو مطلوب الله تعالى الخشية لله عزّ وجلّ وشاهد الخشية موافقة الامر اما علم يكون معه الرّغبة فى الدّنيا والتّملّق لاربابها وصرف الهمّة لاكتسابها والجمع والادّخار والمباهات والاستكثار و طول الامل ونسيان الآخرة فما ابعد من هذا العلم علمه من ان يكون من ورثة الانبيآء وهل ينتقل الشّئ الموروث الى الوارث الا بالصّفة الّتى كان بها عند الموروث عنه ومثل من هذه الاوصاف اوصافه من العلمآء كمثل الشّمعة تضئ على غيرها وهى تحرق نفسها جعل الله العلم الّذى عَلِمَهُ مَنْ هذا وَصْفه حجّة عليه ووبالا فى تكثير العقوبة لديه وكَانَ سَهْل بن عبد الله رضى الله عنه يقول لا تقطعوا امرًا من الدّنيا والدّين الا بمشاورة العلمآء تحمدوا العاقبة عند الله قيل يا ابا محمّد مَنِ العلمآءُ قال الّذين يؤثرون الآخرة على الدّنيا ويؤثرون الله عزّ وجلّ على نفوسهم وقد قال عُمَرُ ابْنُ الخطّاب رضى الله عنه فى وصيّته وشاور فى امرك الّذين يخشون الله وقال الواسطىّ رضى الله عنه ارحم النّاس العلمآء لخشيتهم من الله تعالى واشفاقهم ممّا علّمهم الله عزّ وجلّ وقال فى التّنوير فى قوله صلّى الله عليه وسلّم طالب العلم يتكفّل الله برزقه اعلم انّ العلم حيث ما تكرّر فى الكتاب العزيز او فى السّنّة انّما المراد به العلم النافع الّذى تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة قال الله تعالى انّما يخشى الله مِنْ عباده العلمآء فبيّن انّ الخشية تلازم العلم وفهم من هذا انّ العلمآء انّما هم اهل الخشية وكذلك قوله تعالى وقال الّذين اوتوا العلم وقوله تعالى والرّاسخون فى العلم وقوله تعالى وقل ربّ زدنى علمًا وقوله صلّى الله عليه وسلّم انّ الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم وقوله صلّى الله عليه وسلّم العلمآء ورثة الانبيآء

وشاهد الخشية موافقة الامر

واما العلم الذى يكون مع صاحبه الصفات الذميمة فهو حجة عليه

لا تقطعوا امرا الا بمشاورة العلماء الخاشعين

طالب العلم يتكفل الله تعالى برزقه

وقوله صلّى الله عليه وسلّم هاهنا طالب العلم تكفّل الله برزقه انّما المراد بالعلم فى هذه المواطن العلم النّافع القاهر للهوى القامع للشّهوة وذلك متعيّن بالضّرورة لانّ كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اجلّ من ان يحمل على غير هذا وقد بيّنّا ذلك فى غير هذا الكتاب والعلم النّافع هو الّذى يستعان به على طاعة الله تعالى ويلزمك المخافة من الله تعالى والوقوف على حدود الله عزّ وجلّ وهو علم المعرفة بالله ويشمل العلم النّافع العلم بالله والعلم بما امر الله اذا كان تعلّمه لله وقد تقدّم المعيار الصّادق على صحّة دعوى التّعلّم والتّعليم لله عند انتهاء قوله اذا التبس عليك امران قال ابو عبد الرّحمن السّلمى رضى الله عنه كلّ علم لا يورث صاحبه الخشية والتّواضع و النّصيحة للخلق والشّفقة عليهم ولا يحمله على حسن معاملة الله تعالى ودوام مراقبته وطلب الحلال وحفظ الجوارح واداء الامانة ومخالفة النّفس ومباينة الشّهوات فذلك العلم الّذى لا ينفع وهو الّذى استعاذ منه النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم فقال اعوذ بك من علم لا ينفع ووصف الله تعالى العلمآء بالخشية فقال انّما يخشى الله من عباده العلمآء وقال رجل للشّعبىّ ايّها العالم فقال انّما العالم من يخشى الله عزّ وجلّ وقال بعض السّلف من اراد علمًا فليزدد ورعًا وقال رَجُلٌ للجنيد رضى الله عنه اىّ العلم انفع قال ما دلّك على الله وبعّدك عن نفسك قال والعلم النّافع ما دلّ صاحبه على التّواضع ودوام المجاهدة ورعاية السِّرّ ومراقبة الظّاهر والخوف من الله والاعراض عن الدّنيا وعن طلبها والتّقلّل منها ومجانبة ابواب اربابها وترك ما فيها على من فيها من اهلها والنّصيحة للخلق وحسن الخلق معهم ومجالسة الفقرآء وتعظيم اولياء الله تعالى والاقبال على ما يعنيه

المراد بوصف العلم الوارد فى الكتاب والسنة العلم النافع

العلم الذى لا ينفع صاحبه

وقوله

العالم طبيب الدين

فان العالم اذا احب الدنيا واهلها وجمع منها فوق الكفاية يغفل عن الآخرة
وعن طاعة الله تعالى بقدر ذلك قال الله تعالى عز وجل يعلمون ظاهرا من
الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم الغافلون وقال النبي صلى الله عليه وسلم من احب
دنياه اضر بآخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه الا فآثروا ما يبقى
على ما يفنى وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه العالم طبيب الدين
ودواء الدنيا داء الدين اذا كان الطبيب يجر الداء الى نفسه فمتى يبرئ
غيره فاذا وفق الله العالم من العلماء الاقبال على الله سبحانه وعلى
اوامره والاعراض عن الدنيا وما فيها ومن فيها فاول ما يلزمه
ان يعرف نعم الله عليه في ذلك ويقوم بواجب الشكر ويزيد تواضعا
واجتهادا ويعلم انه محمول على ذلك وان ذلك بتوفيق الله سبحانه
وتعالى لا بمجاهدة منه فان مجاهدته ايضا ومعرفته النعم من الله
تعالى عليه بزيادة توفيق فاذا كان العالم بهذا المحل من الدين كان
اماما مقتدا به في احكام الظواهر واحكام البواطن يهتدي بنوره
كل من صحبه ويستضئ بعلمه كل من تبعه ويكون حجة الله تعالى
على عباده وبركة في بلاده ومن قاده علمه الى طلب الدنيا وطلب العلو
فيها وطلب الرياسة واستتباع الخلق فهو في العلم الذي هو غير نافع

العالم المغتر

وهو العالم المغتر فلا حسرة اعظم من ان يهلك العالم بما يرجو به نجاته
ونعوذ بالله من الخذلان العلم ان قارنته الخشية فلك والا فعليك

العلم المنتج للخشية لك وغيره عليك

العلم الذي يلازمه الخشية لك لانك تنتفع به في دنياك وآخرتك وليس
ذلك الا ما ذكرناه والعلم الذي لا خشية فيه عليك لانك تستضر به
فيهما وهذا هو الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة من حيث ان علماء
الآخرة موصوفون بالخشية والرهبة وعلماء الدنيا موسومون بالامن
والعزة وقد بين علماؤنا رضي الله عنهم حال الفريقين واوضحوا امرهم

بالنعوت

بالنعوت والعلامات واطالوا في ذلك النفس لما شاهدوا من انتشار الفساد
في الارض بسبب جهل الناس بالعلم النافع اي شئ هو ومن اراد الشفا
في ذلك واستيفاء الكلام عليه وما في ذلك من الاخبار والآثار فعليه
بالنظر في كتاب العلم من احياء علوم الدين لابي حامد الغزالي رضي الله عنه
ولنا ذلك ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى هاهنا وقد قال الفضيل بن
عياض رضي الله عنه كان العلماء ربيع الناس اذا نظر اليهم المريض لم

العلماء ربيع الناس واليوم فتنة الناس

يسره ان يكون صحيحا واذا نظر اليهم الفقير لم يود ان يكون غنيا وقد
صاروا اليوم فتنة على الناس قال هذا في زمانه الصالح فكيف من ادرك
زماننا هذا فانا لله وانا اليه راجعون واعلم انه قد ورد في الكتاب
والسنة من فضل العلم والعلماء ما لا يحصى كثرة ولا يرجى حصول

العلم لا ينفع الا بصحة النية وصحة النية في العلم ان

ذلك الا لمن صحت فيه نيته وصحة نيته في ذلك ان يكون غرضه فيه
طلب مرضات الله تعالى واستعماله فيما ينفع عنده وايثاره الخروج عن
ظلمة الجهل الى نور العلم فهذه هي النية الصحيحة التي تحمد عاقبتها
آجلا ويجتنى ثمرتها في طاعة الله تعالى عاجلا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل يوم لا ازداد فيه علما يقربني من الله تعالى فلا بورك لي في
طلوع شمس ذلك اليوم وقال الحسن كان الرجل اذا طلب العلم لم
يلبث ان يرى ذلك في تخشعه ولباسه وبصره ولسانه وصلوته
وهديه وزهده وان كان الرجل ليصيب الباب من ابواب العلم فيعمل
به فيكون له خيرا من الدنيا بما فيها لو كانت له فيضعها في الآخرة
وليأتين على الناس زمان يشتبه فيه الحق والباطل فاذا كان
ذلك لم ينفع فيه الادعاء كدعاء الغريق وقال سفيان الثوري
رضي الله عنه انما يتعلم العلم ليتقى به الله عز وجل وانما فضل
العلم على غيره لانه يتقى به الله تعالى فاذا اختل هذا المقصد فسد

نيّة طالبه بان يستشعر به التّوصّل الى منال دنياوي من مالٍ او
جاهٍ فقد بطل اجره وحبط عمله وخسر خسرانًا مبينًا **قال الله تعالى**
من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدّنيا
نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب **وقال رسول الله** صلى الله عليه وسلم
فيما يرويه عنه ابو هريرة رضي الله عنه من تعلّم علمًا لا يبتغي به
وجه الله ولا يتعلّمه الّا ليصيب به عرضًا من الدّنيا لم يجد عرف
الجنّة يوم القيمة يعني ريحها **وكان الحسن** رضي الله عنه
يقول والله ما طلب هذا العلم احدٌ الّا كان حظّه منه ما اراد به
وقال الحسن رضي الله عنه عقوبة العالم موت القلب قيل له وما موت
القلب قال طلب الدّنيا بعمل الآخرة فان انضاف الى هذا الغرض ان
يتصدى به الى ان يتولى الاعمال السّلطانيّة كائنة ما كانت او
يتوصّل به الى اكتساب مال من حرام او شبهة فقد تعرض لغضب الله
وسخطه وباء باثمه واثم المقتدين به وكان الجهل اذ ذاك خيرًا
له من العلم واحمد عاقبة **قال ابو عمر بن عبد البرّ** رحمه الله روينا عن
الاوزاعي رضي الله عنه قال شكت النّواويس الى الله عزّ وجلّ ما تجد من
نتن جيف الكفّار فاوحى الله تعالى اليها بطون علماء السّوء انتن
ممّا انتم فيه **قال وروينا** عن ساداتنا الشيوخ مثل الفضيل بن
عياض واسد بن فرات رضي الله عنهما انّهما قالا بلغنا انّ الفسقة
من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيمة قبل عبدة الاوثان
قال الفضيل رضي الله عنه لان من علم ليس كمن لا يعلم قلت والغالب
على طلبة العلم في هذه الاعصار هذا الوصف المذموم لانّ حبّ
الدّنيا قد استولى عليهم واستهواهم والحرص على التقدم والرياسة
قد ملكهم فاصمّهم واعمى ابصارهم ولذلك امارات وعلامات

عقوبة العالم موت القلب

النّواويس المقابر

الغالب على طلبة العلم في هذه الاعصار

لا تحصى

لا تحصى ولا تخفى **وفي الحديث** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
يخرج في آخر الزّمان رجال يختلون الدّنيا بالدّين يلبسون للنّاس
جلود الضّأن السنتهم احلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب يقول
الله ابي يغترون ام عليّ يجترؤن فبي حلفت لابعثنّ على اولئك
فتنة تذر الحليم منهم حيرانًا رواه ابو هريرة رضي الله عنه
وروى ابو الدّرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انّه قال انزل الله تعالى في بعض الكتب او اوحى الى بعض الانبياء
قل للّذين يتفقّهون لغير الدّين ويتعلّمون لغير العمل ويطلبون
الدّنيا بعمل الآخرة يلبسون للنّاس مسوك الكباش وقلوبهم
كقلوب الذّئاب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امرّ من
الصّبر ايّاي يخادعون وبي يستهزؤن لاتيحنّ لهم فتنة تدع
الحليم منهم حيرانًا **وفي بعض الاخبار** المرويّة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انّه قال يأتي على النّاس زمان لا يبقى من القرآن
الّا رسمه ولا من الاسلام الّا اسمه قلوبهم خربة من الهدى
ومساجدهم عامرة من ابدانهم شرّ من تظلّ السّماء يومئذٍ
علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود واعلم انّ العلم
النّافع المتفق عليه فيما سلف وخلف انّما هو العلم الّذي
يؤدّي صاحبه الى الخوف والخشية وملازمة التّواضع والذّلّة
والتّخلّق باخلاق الايمان وتوافق الاسرار والاعلان الى ما
يتبع ذلك من بغض الدّنيا والزّهادة فيها وايثار الآخرة
عليها والموالاة في الله تعالى والمعاداة فيه والحرص على التفطّن
للاسباب الباعثة له على الاستقامة ولزوم الادب بين يدي الله
تعالى فيراعيها حفظًا وطلبًا ومعرفة الاسباب الصّادّة له من ذلك

يخرج في آخر الزمان رجال

العلم النافع المتفق عليه

الغافل
غرور طلبة العلم

فيوسعها رفضا وهربًا الى غير ذلك من الصفات العلية والمناجى السنية
فبهذا كله يحصل له فوائد العلم وثمراته الدنياوية والاخراوية
فان خلا طالب العلم عنها او عن بعضها فان كان ما يطلبه علمًا حقيقيا
كان حجة عليه وان كان رسميًا كان وبالًا واصلًا اليه والعياذ
بالله من ذلك قال فى لطائف المنن وربما غر الغافل من طلبة العلم
قول من قال طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله وليس فى قول
هذا القائل ما يستروح اليه من طلب العلم للرياسة والمنافسة
وانما اخبر هذا القائل عن امر من به عليه وفتنة سلمه الله تعالى
منها لا يلزم ان يقاس عليه فيها غيره وذلك بمنزلة من برح به مرض
مزمن فى المعا اعيا علاجه وضاق عليه خلقه فاخذ خنجرا ووضعه
به مراق بطنه ليقتل نفسه فصادف ذلك المعا فقطعه فخرج
الداء منه فهذا لا يستصوب العقلاء فعله وان نجحت عاقبته
وليست سلامة العواقب رافعة للعتب عن الملقين انفسهم الى
التهلكة ليس المغرور محمودًا وان سلما وقال فى موضع آخر ولا
يغرنك ان يكون به انتفاع للبادى والحاضر فقد قال صلى الله عليه وسلم
ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ومثل من تعلم العلم
لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة
من الياقوت فما اشرف الوسيلة وما اخس المتوسل اليه ومثل
من قطع الاوقات فى طلب العلم فمكث اربعين سنة او خمسين سنة يتعلم
العلم ولا يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة
فلم يصل صلاة واحدة اذ مقصود العلم العمل كما ان المقصود من
الطهارة وجود الصلوة ولقد سئل رجل الحسن البصرى رضى الله عنه
عن مسالة فافتاه فيها فقال الرجل للحسن قد خالفك الفقهاء فيها

فزجره الحسن

صفات الفقهاء

فزجره الحسن وقال ويحك وهل رايت فقيها انما الفقيه الذى
فقه عن الله امره ونهيه قال وسمعت شيخنا ابا العباس المرسى
رضى الله عنه يقول الفقيه من انفقا الحجاب عن عين قلبه انتهى
وقد روى عنه فى صفات الفقهاء كلام اتم مما ذكره صاحب كتاب
لطائف المنن قال فرقد السبخى رضى الله عنه سالت الحسن رضى الله عنه
عن مسالة فاجابنى عنها فقلت له ان الفقهاء يخالفونك فيها فقال
ثكلتك امك فريقد وهل رايت فقيها بعينك انما الفقيه
الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة
ربه الورع الكاف نفسه عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم
الناصح لجماعتهم المجتهد فى العبادة المقيم على سنة المصطفى صلى
الله عليه وسلم الذى لا يتبرم بمن هو فوقه ولا يسخر ممن هو دونه
ولا ياخذ على علم علمه الله تعالى له حطاما قلت وعلى المعلم ان يتفقد
احوال من يتعلم منه فلا يبذل علمه الا لمن يتوسم فيه الخير والصلاح
اذ بذلك يستقيم له الثبات والمقاصد التى ذكرناها ولا يبذله
لمن سوى هذا ممن علم حاله او جهله قال رجل لسفيان الثورى
رضى الله عنه لو انك نشرت ما معك من العلم رجوت ان ينفع الله
به بعض عباده وتؤجر على ذلك فقال سفيان رضى الله عنه والله
لو اعلم بالذى يطلب هذا العلم لا يريد به الا ما عند الله تعالى
لكنت انا الذى آتيه فى منزله فاحدثه بما عندى مما ارجو ان ينفعه
الله تعالى به وقد سئل بعض العلماء عن شئ فلم يجب فقال له السائل
اما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا
جاء يوم القيمة ملجما بلجام من نار فقال له اترك اللجام واذهب
فان جاء من يستحقه وكتمته عنه فليلجمنى به وفى قوله عز وجل

على المعلم ان يتفقد احوال المتعلم وليس له ان يبذل العلم لكل من يتعلم منه

تمامه
ومن منع المستوجبين فقد ظلم

واستحقاره اضرار العلم لاهله بعدم اعطائه

اصول

من قائل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم تنبيه على ان حفظ العلم ممن
يفسده ويستضر به اولى كما قيل ومن منح الجهال علما اضاعه
وقد حكى عن بعض الامم السالفة انهم كانوا يختبرون المتعلم مرة
فى اخلاقه فان وجدوا فيه خلقا رديا منعوه التعلم اشد المنع
وقالوا انه يستعين بالعلم على مقتضى الخلق الردى فيصير العلم
الة الشر فى حقه وقد قالت الحكما زيادة العلم فى الرجل السوء
كزيادة الماء فى الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة وهذا كله صحيح
مجرب فينبغى اذا للعالم ان لا يهمله بل يراعيه ويمتثله ولا اعتبار
بما يتوهمه فى تعليمهم من وجود المصالح على تقدير حصول توفيق
الله تعالى لهم لان يعملوا ببعض ما يتعلمونه من العلم الصحيح ان
كانت لهم ولاية حكم او غير ذلك فان المفاسد التى تقع لهم بسبب
ذلك فى خاصة انفسهم والمفاسد التى تتعدى منهم الى غيرهم
اكثر ودرء المفاسد عند العقلاء اهم لهم من جلب المصالح اما المفاسد
التى تختص بهم فهى تقوية صفاتهم الذميمة واخلاقهم اللئيمة
فيما يطلبون من العلم لانهم يستشعرون بذلك التوصل الى جميع
مطالبهم الدنيوية على غاية الكمال والتمام فاذا استشعروا ذلك
توجهوا بهمهم اليه وعكفوا بالجد والاجتهاد عليه ولولا هذا
الاستشعار لم يتصور منهم ذلك فاذا حصلوا على شئ من ذلك
فظهرت لهم مخايل وصولهم الى اغراضهم المذكورة فرحوا بذلك واغتبطوا
به وكلما ازدادوا علما ازدادوا فرحا واغتباطا بما هم فيه وهذا
الفرح والاغتباط فى غاية الذم منهم لانه متعلق باسباب الدنيا
وهو بمنزلة السم القاتل الذى يوجب موت قلوبهم وقسوتها
وبعدها عن التاثر بالمواعظ والحكم كما قيل

اذا قسى

اذا قسى القلب لم تنفعه موعظة ۞ كالارض ان سبخت لم ينفع المطر
وعند ذلك تنتعش نفوسهم وتتقوى صفاتهم ويظهر اثار ذلك
على ظواهرهم من التكالب على الدنيا والركون الى من هى عنده من
ابنائها المترفين وليس لهم ما يتوسلون به اليهم الا علمهم
فيحتالون على تحصيل اقبالهم عليهم وصرف وجوههم اليهم
والتنفق عندهم بانواع من الحيل ولا يسلمون فى ذلك من
الرياء والتصنع والنفاق والدهان ويجرهم ذلك الى انواع
من المحظورات وضروب من العصيان مع ما يحل بهم فى ذلك
من الذل والهوان فاذا نالوا ذلك او بعضه حصل لهم
مقصود نفوسهم وتمكنوا فى جميع حظوظهم فخرجوا من
الحرية الى استعباد الاغيار واستبدلوا بالعلم النافع الجهل
الضار وقد قال الفضيل بن عياض رضى الله عنه لو ان
اهل العلم اكرموا انفسهم وشحوا على دينهم واعزوا العلم وصانوه وانزلوه
حيث انزله الله تعالى لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقادت لهم الناس
وكانوا لهم تبعا وعز الاسلام واهله ولكنهم اذلوا انفسهم ولم يبالوا
بما نقص من دينهم اذا سلمت لهم دنياهم فبذلوا علمهم لابناء الدنيا
ليصيبوا بذلك ما فى ايدى الناس فذلوا وهانوا على الناس انتهى

منافع العلم لاهل العلم باعزازهم

ولله در الشاعر حيث قال

يقولون لى فيك انقباض وانما ۞ راوا رجلا عن موقف الذل احجما
اذا قيل هذا مورد قلت قد ارى ۞ ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم ابتذل فى خدمة العلم مهجتى ۞ لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
ءاغرسه عزا واجنيه ذلة ۞ اذا فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ۞ ولو عظموه فى النفوس لعظما

ولكن اهانوه فهانوا ودنسوا ۸ محياه بالاطماع حتى تجهما
وقال وهب بن منبه رضي الله عنه لعطاء الخراساني رضي الله عنه كان العلماء
قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم وكانوا لا يلتفتون الى دنيا غيرهم
وكان اهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة في علمهم فاصبح اهل العلم
فينا اليوم يبذلون لاهل الدنيا علمهم رغبة في دنياهم فاصبح اهل
الدنيا قد زهدوا في علمهم لما راوا من اسوء موضعه عندهم وقال
ذو النون المصري رضي الله عنه كان الرجل من اهل العلم يزداد بعلمه
بغضا للدنيا وتركا لها فاليوم يزداد الرجل بعلمه حبا للدنيا وطلبا
لها وكان الرجل ينفق ماله على علمه ويكتسب الرجل اليوم بعلمه مالا
وكان يرى على طالب العلم زيادة في باطنه وظاهره فاليوم ترى على
كثير من اهل العلم فسادا في الظاهر والباطن فانظر رحمك الله الى ما
ذكر من هؤلاء الفضلاء تجد لازما لطلبة هذا الزمان وليس الخبر
كالعيان ثم بعد وقوع هذه المفاسد لهم وتوغلهم فيها في سوادهم
يتعذر عليهم سلوك طريق الحق لما استحكم في قلوبهم من علاقات
الخلق فقد قيل التعمق في الباطل قطع لآمال الرجوع عنه فكل
ما كان ابعد لمسافة هذه الحلق اتم كان الياس من الرجعة اوجب في
اعظم الوبال عليهم اغترارهم بحالهم واستحسانهم لسيء اعمالهم واعتقادهم
انهم سالكون سبيل النجاة في الدار الآخرة ونيل الثواب فيها وانهم
هم الذين حازوا الرتب الشريفة والمناقب المنيفة التي اختص بنيلها
العلماء الذين هم ورثة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وليس عندهم
من المعرفة وعلوم التحقيق ما يخرجون به من هذا الغرور لانهم لم
يسلكوا طريق ذلك ولم يهتدوا لما هنالك فهذا هو الفساد الذي
يختص بهم ولا يشاركون غيرهم فيه واما الفساد الذي يتعدى الى

التعمق في الباطل قطع للرجوع عنه

اغترار العلماء الزمان بحالهم بشانهم واغترار من يعتقدوا باعمالهم واخلاقهم وعلومهم

غيرهم

غيرهم فاظهر من كل ظاهر وناهيك ممن ملكته نفسه اشد ملك
واستعبدته اتم استعباد هل يبقى عليه شيء من الشر او نوع من
انواع الفساد الا ويقع فيه اذا تمكن منه ومن دقيق ما يسري
عنهم من الفساد من غير قصد منهم لذلك وقوع الاغترار للجهلة منهم
والاغمار بشاهد حالهم فانهم يشاهدونهم قد حازوا من رتب الدنيا
ما ارادوه ويتوهموا انهم نالوا شرف الآخرة بما افادوه واستفادوه
فيحملهم ذلك على الاقتداء بهم في طلب العلم ان كانوا ممن فيهم قابلية
لذلك فيقعوا فيما وقعوا فيه من المهالك ويؤديهم ذلك الى محبتهم
وموالاتهم واتخاذهم اربابا يسمعون منهم ويطيعونهم في اوامرهم
ونواهيهم ثم يخرج بهم استحسان حالهم الى الداء الدفين وهو مسارقة
طباعهم الدنية واخلاقهم الردية فان نفوس العامة قابلة لذلك
ومهيئة له بمنزلة الصبي الذي ترسخ فيه اخلاق اباءه وجبلاتهم
ومذاهبهم وعند ذلك يبطل في حقهم ما هو مقصود بعثة الرسل
صلوات الله وسلامه عليهم من التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة
وحب الفقر والمسكنة وايثار التواضع والذلة والتخلق باخلاق
الايمان والاسلام وشدة الحذر من ارتكاب المناهي والآثام ثم يؤل
بهم ذلك الى الشرك الخفي والجلي ويحيق بهم المكر السيء والعياذ
بالله ويكون وبال جميع ذلك راجعا الى المعلم لتيسر اسباب ذلك
على يديه ولقد صدق ابن المبارك رحمه الله ورضي الله عنه
حيث يقول

وهل افسد الدين الا الملوك ۸ واحبار سوء ورهبانها
وباعوا النفوس ولم يربحوا ۸ ولم يغل في البيع اثمانها
لقد رتع القوم في جيفة ۸ يبين لذي العقل انتانها

قبح حال علماء السوء

وقد روي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه انه اخذ حصاة بيضاء
فوضعها في كفه ثم قال ان الدين قد استضاء اضاءة هذه الحصاة
ثم اخذ كفا من تراب فجعل يذرها على تلك الحصاة حتى واراها
ثم قال والذي نفسي بيده ليجيئن اقوام يدفنون الدين هكذا كما
دفنت هذه الحصاة ولتسلكن سبيل الذين كانوا من قبلكم حذو
القذة بالقذة والنعل بالنعل قلت ومنشأ وجود هذه المفاسد
خراب بواطنهم وظلمة قلوبهم بسبب فقد اليقين منها وانكساف انوار
الايمان فيها وافلاسهم من حقائق ذلك وعدم احتظائهم بشيء منه
فصاروا بذلك ماسورين لاهوائهم منقادين لاغراضهم وآرائهم
ففسدت بذلك نياتهم ومقاصدهم والاعمال بالنيات فاذا كانت
النيات صالحة كانت الاعمال صالحة وترتب عليها آثار صالحة و
انعطف من ذلك على القلوب مزيد اشراق وحميد اخلاق يؤذن
ذلك بوجود القرب من الله تعالى ونيل درجة الحب منه واذا كانت
النيات فاسدة كانت ايضا الاعمال فاسدة وترتب عليها آثار
فاسدة وانعطف من ذلك على القلوب زيادة ظلمة ورداءة همة
تقتضي البعد من الله تعالى وحصول المقت منه وطلب العلم عمل من
الاعمال معرض للصحة والاعتلال وليت شعري هؤلاء الذين استغرقوا
اعمارهم في طلب العلم والاثر واتعبوا انفسهم في الدراسة والنظر
فقطعوا ايامهم ولياليهم بالجوع والسهر وسمحت نفوسهم بفراق
ملذوذاتها والبعد عن جميع مالوفاتها هل بعثهم على ذلك باعث
الدين او باعث الهوى ولا شك ان باعث الدين غير متصور منهم
بل هو محال في حقهم لما قدمناه من خراب البواطن وظلمة القلوب
وكيف يتصور ذلك منهم وهم لم يعملوا على تخلصهم من التكاليف

الواجبة

الواجبة عليهم في ظواهرهم وبواطنهم بل لم يعرفوا ذلك البتة وان
ادعوا انهم على احوال لا يجب عليهم فيها حكم يحتاجون الى تعرفه والقيام
به فهم مخدوعون ومن اين لهم ذلك والعلم به لا يحصل ضرورة
فلا بد لهم من استفادته ولا عناية لهم بهذا ايضا وانما كان يتصور
منهم باعث الدين لو توفرت اغراضهم كلها عليهم ووصلوا الى
ما يمكنهم الوصول اليه من شهواتهم ولذاتهم بسبب ما من اسباب
الدنيا ثم يصرفون ما يتصل من اوقاتهم عن محاولة هذه المطالب
ونيلها الى طلب العلم عوضا عن البطالة التي يتبرم بها صاحبها
ويدعوه فراغه من اشتغاله بدنياه الى قطع ذلك الوقت بلهو
ولعب او ارتكاب معصية وذنب لا البطالة التي تكون فيها
استراحة لنفسه واستجمام لعقله وحسه ففي هذا الحال
قد يصح باعث الدين من امثال هؤلاء واما الحال التي وصفناها
فلا يتصور عليها باعث الا الدنيا المجردة المجاوزة للحد في الذم
والمقت بمنزلة من هو حريص على الاتساع في الدنيا والحصول
على غاية ملاذها فانه يعمل فيما يوصله الى ذلك وان كان فيه هلاكه
فتراه يرتكب الاخطار ويخوض لجج البحار ويجول البراري والقفار
ويهون عليه في جنب ما يؤمله كل مشقة تصيبه وبلية تنزل به
ولو لم يفعل هذا لم يحصل الا على سد الرمق والاقتصار على البلغ
والعلق فكذلك هؤلاء الذين كلامنا فيهم لو لم يتصوروا في
خواطرهم الحصول على كليات اغراضهم من اتساع مالهم وجاههم
في دنياهم ووصولهم الى رفيع الدرجات في عقباهم لم يبلغوا ذلك
المبلغ في الاجتهاد ولا اقتصروا على بعضه وهذه كلها امور
بينة لا اشكال فيها عند من له ادنى تمييز وفهم وليس المانع

لاكثر من ينسب الى العلم من العمل بمقتضا ما ذكرناه خفاه عليهم كيف
وهم يعتقدون صحته ويسلمون حاصله وحقيقته عندما يتجلى
عن قلوبهم بعض ظلماتها ويزحزح عن عظيم غمراتها اما بتذكير
مذكر من الخلق او بوعظ واعظ فى قلوبهم من قبل الحق ثم
يرجعون فى سائر اوقاتهم الى مالوفاتهم ومعتاداتهم وانما المانع
لهم من ذلك انفراد الله بالمشيئة والقدرة واستيثاره بالخذلان
والنصرة فاذا اراد الله ان يضل عبدا من عباده لم ينفعه عقل
ولم ينفعه علم قال الله عز وجل ومن يرد الله فتنته فلن تملك
له من الله شيئا وفى مثل هذا الموطن يبطل احكام الاسباب
وتتحقق اربا الحقائق العظمة والجلال والعزة والكمال لرب
الارباب فليعتبر بما ذكرناه اربا الابصار وليسلموا احكام الواحد القهار
لعلهم بذلك يهتدون الى منهج التحقيق حين يضل غيرهم عن سواء
الطريق مصائب قوم عند قوم فوائد وليقل العبد المؤمن اذا
نظر اليهم واعتبر بما جرى عليهم من سوء القضا الحمد لله الذى عافانى
مما ابتلاهم به وفضلنى عليهم تفضيلا فقد روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من راى مبتلى فقال الحمد لله الذى عافانى
مما ابتلى به هذا وفضلنى عليه وعلى كثير ممن خلق تفضيلا عافاه الله
تعالى من ذلك البلاء كائنا ما كان فعلى المعلم الناصح لنفسه
السالم فى عقله وحسه العامل على تصحيح اعماله وهمه المشفق على
دينه الذى هو منوط بلحمه ودمه ان يتامل هذه المفاسد ويقيس
بها ما توهمه من المصالح الناشئة عن تعليمه بزعمه ويدقق
النظر فى ذلك كما يدققه فى اكثر المسائل التى لا يحتاج اليها
ولا يقدم على التعليم فى هذه الازمنة ذوات العلل المزمنة حتى

بيان المانع لاكثر اهل العلم من العمل مع خفاءه عليهم وانما المانع انفراد الله تعالى بالمشيئة والقدرة

فاذا اراد الله ان يضل عبدا

الدعا لمن يرى المبتلين فى الدين او الدنيا حتى لم لا يبتليه به تعالى

فعلى المعلم الناصح

ولا يقدم فى هذه الازمنة على التعليم ذوات العلل الازمنة

يقطع

يقطع بوجوب ذلك عليه من غير تردد ولا تجويز وقوع خطأ
فى نظره ولا سبيل له الى هذا ولا يسعه خلاف ذلك اذا كان
منصفا قال بعضهم رايت سفيان الثورى رضى الله عنه
حزينا فسألته عن ذلك فقال وهو يزفر ما صرنا الا متجرا لابناء
الدنيا قلت وكيف ذلك قال يلزمنا احدهم حتى اذا عرف
بنا وحمل عنا جعل حاجبا او عاملا او قهرمانا او جابيا
فيقول حدثنا سفيان الثوري وعليه ايضا ان يحرص على
مخالفة نفسه فيما تدعوه اليه من التعليم لان كل ما تستحليه
النفس ويوافق غرضها بالافات والعلل التى تقدح فى
الاخلاص واخلاص العمل شرط فى وجود صحة القبول وعند ذلك
يذهب عمله باطلا ولا ينال بسعيه طائلا وقد تقدم من كلام
على بن ابى طالب رضى الله عنه كونوا لقبول العمل اشد اهتماما
منكم للعمل عند قوله ما قل عمل برز من قلب زاهد وتقدم
ايضا الكلام على اتهام النفس فى دعائها الى ما ظاهره خير عند
قوله اذا التبس عليك امران ولتعلم الحزم فى ذلك من بشر
ابن الحارث الحافى رضى الله عنه كان يقول انا اشتهى ان احدث
ولو ذهبت عنى شهوة الحديث لحدثت وكان سبب تركه طلب
الحديث انه سمع ابا داود الطيالسى يحدث عن شعبة انه كان
يقول الاكثار من هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة
فهل انتم منتهون فلما سمعه قال انتهينا انتهينا ثم ترك
الرحلة فى طلب الحديث واقبل على العبادة وروي ايضا مثل
هذا الكلام عن مسعر بن كدام فاذا كان الاكثار من الحديث
بهذه المثابة عند امامى المحدثين فى زمانهما مع ما فيه من الفوائد

ما صرنا الا متجرا للدنيا

وايضا على المعلم

ضرر اكثار المحدث التحديث بالحديث

الاخراوية فما ظنك بغيره من محدثات العلوم ومبتدعاتها ولقد
ذكر الحافظ ابو عمر بن عبد البر رحمه الله تعالى باسناده الى عبد الله بن مسلمة
القعنبي رحمه الله قال دخلت على مالك فوجدته باكيا فسلمت عليه
فرد علي ثم سكت عني يبكي فقلت له يا ابا عبد الله ما الذي ابكاك
قال يا ابن قعنب انا لله على ما فرط مني ليتني جلدت بكل كلمة تكلمت
بها في هذا الامر بسوط ولم يكن فرط مني ما فرط من هذا الرأي
وهذه المسائل وقد كان لي سعة فيما سبقت اليه قال هذا فيما
كان اخذا فيه من المسائل المحققة المبنية على اصول صحيحة غير
ملفقة فما الظن بما انتشر بعده من الهذيان الذي صار بحكم

انسطر

العادة واقتضاء العصبية وتمالي الناس على الضلال وتقليد
الرؤساء الجهال دينا قويما وصراطا مستقيما وعلى كل واحد من العالم
والمتعلم ان يشتغل بما هو اهم عليه مما هو مامور به ومسؤل

وعظ العالم والمتعلم

عنه من مراقبة ربه واصلاح نفسه وقلبه فله في ذلك
شغل شاغل عما يفرق همه ويقسي قلبه وينسيه ذكر ربه عز وجل
قال وهب بن منبه رحمه الله ذكر طلب العلم عند مالك بن انس رحمه
الله تعالى فقال ان طلبه لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر

طلب العلم لحسن اذا صحت النية

الى ما يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي ومن حين تمسي الى حين
تصبح فلا تؤثرن عليه شيئا وكان الثوري رحمه الله تعالى
يقول لاهل العلم الظاهر طلب هذا ليس من زاد الآخرة وكان يقول
طلب الحديث ليس من عدة الموت لكنها علة تتشاغل بها الرجال
وكان يقول لولا ان للشيطان فيه نصيبا ما ازدحم عليه
يعني العلم فهذه نبذة قصدت الى بثها في الموضع اللائق بها
من هذا التنبيه ليتنبه بها من سبق له من الله تعالى زوال العمى

عن بصره ومراجعة خوفه وحذره من المعلمين والمتعلمين ولتبيين
بها كلام المصنف رحمه الله غاية التبيين وبالله الذي لا اله سواه
استعين وقال رضي الله عنه ونفع به امين متى آلمك عدم اقبال
الناس عليك او توجههم بالذم اليك فارجع الى علم الله فيك
فان كان لا يقنعك علمه فمصيبتك لعدم قناعتك بعلمه
اشد من مصيبتك بوجود الاذى منهم العبد لا ينبغي ان يكون

معيار حسن المحسن حال العبد عند الله تعالى

مطمح نظره الا الى مولاه فلا يفرح الا باقباله عليه ولا يحزن الا لاعراضه
عنه ولا ينظر الى المخلوقين في اقبال ولا اعراض ولا مدح ولا ذم
فانهم لا يغنون عنه من الله شيئا وقد تقدم هذا المعنى عند
قوله رحمه الله غيب نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وغب عن اقباله
عليك بشهود اقباله عليك فمتى آلم المرء عدم اقبالهم عليه او توجههم
بالذم اليه فليرجع الى ما بينه وبين ربه فان كان قانعا بعلمه
راضيا بقسمه كان له في ذلك اعظم سلوان عما يفوته من جهة
المخلوقين بل لا يجد وقعا في قلبه لما عسى ان يكون منهم من اقبال
او اعراض فان لم يكن راضيا ولا قانعا فمصيبته بذلك اعظم
من مصيبته باذى الناس له بل لا مصيبة له في اذى الناس البتة
عند من عرف سر ذلك على ما يذكره المصنف الآن رحمه الله قال
ابرهيم التيمي رضي الله عنه لبعض اصحابه ما يقول الناس في قال
يقولون انك مرائي فقال الآن طاب العمل فقال بشر رضي الله عنه
اكتفى والله بعلم الله فلم يحب ان يدخل مع علم الله علم غيره وقال
بشر الحافي رضي الله عنه سكون القلب الى قبول المدح له اشد عليه
من المعاصي انما اجرى عليك الاذى منهم كيلا تكون ساكنا اليهم
اراد ان يزعجك عن كل شيء حتى لا يشغلك عنه شيء وجود اذايه

اذى الخلق لعدم السكون اليهم وازعاجك عن كل شيء

الناس للعبد نعمة عظيمة لا سيما ممن اعتاد منه الملاطفة والاكرام و
المبرة والاحترام لان ذلك يفيده عدم السكون اليهم وترك الاعتماد
عليهم وفقد الانس بهم فيتحقق بذلك عبوديته لربه عز وجل قال
سيدى الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه آذانى انسان مرة فضقت ذرعا
بذلك فنمت فرايت قائلا يقول لى من علامة الصديقية كثرة اعدائها
ثم لا يبالى بهم وقال بعض العارفين العداوة من العدو سوط الله يضرب
به القلوب اذا ساكنت غيره لولا ذلك لرقد القلب فى ظل العز والجاه
وهو حجاب عن الله عظيم وقال سيدى ابو محمد عبد السلام بن مشيش شيخ
سيدى ابى الحسن رضى الله عنهما فى دعائه اللهم ان قوما سألوك ان
تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك انى اسالك
اعوجاج الخلق على حتى لا يكون لى ملجأ الا اليك وقال ابو الحسن الوراق
النيسابورى رضى الله عنه الانس بالخلق وحشة والطمانينة اليهم
حمق والسكون اليهم عجز والاعتماد عليهم وهن والثقة بهم ضياع
واذا اراد الله تعالى بعبد خيرا جعل انسه به وبذكره وتوكله
عليه وصان سره عن النظر اليهم وظاهره عن الاعتماد عليهم وقد
قالوا الزهاد يخرجون المال من الكيس تقربا الى الله تعالى واهل الصفا
يخرجون الخلق والمعارف من القلب تحققا بالله عز وجل قال
فى لطائف المنن اعلم ان اولياء الله تعالى حكمهم فى بداياتهم ان
تسلط الخلق عليهم ليطهروا من البقايا وتتكمل فيهم المزايا وكيلا
يساكنوا هذا الخلق باعتماد او يميلوا اليهم باستناد ومن اذاك
فقد اعتقك من رق احسانه ومن احسن اليك فقد استرقك
بوجود امتنانه فلذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم
معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له كل ذلك ليخلص القلب

علامة الصديقية

صحة عداوة العدو سوط الله تعالى

دعاء المجلى الى الله تعالى وحده

مضرات ارتباط القلب بالخلق ومنافع ربطه به تعالى

حكم اولياء الله تعالى فى البدايات

من رق احسان الخلق وليتعلق بالملك الحق قال وقال الشيخ ابو الحسن
رضى الله عنه اهرب من خير الناس اكثر مما تهرب من شرهم فان
خيرهم يصيبك فى قلبك وشرهم يصيبك فى بدنك ولان تصاب
فى بدنك خير من ان تصاب فى قلبك ولعدو تصل به الى الله خير لك
من حبيب يقطعك عن الله عز وجل وعد اقبالهم عليك ليلا وادبارهم
عنك نهارا الا تراهم اذا اقبلوا فتنوا قال وتسليط الخلق على
اولياء الله تعالى فى مبدا طريقهم سنة الله تعالى فى احبائه واصفيائه
قال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه اللهم ان القوم قد حكمت عليهم
بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا فكل عز يمنع
دونك فنسالك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك وكل وجد
يحجب عنك فنسالك عوضه فقدا تصحبه انوار محبتك منك قال
ومما يدلك ان هذه سنة الله تعالى فى احبابه واصفيائه قوله
تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول الآية وقوله عز وجل حتى اذا استيأس الرسل
الآية وقوله جل وعلا ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى
الارض الآيتين وقوله جل جلاله اذن للذين يقاتلون بانهم
ظلموا الى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى انتهى وكذلك
من استحلى حالا او ساكن مقاما فمن سنة الله تعالى مع اوليائه
تشويش ذلك عليهم وهو من غيرته على قلوبهم لئلا تنال بغيره
ولئلا تتقيد بسواه قال الامام ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه
ومن المقاطع المشكلة السكون الى استحلاء ما يلاقيك به من
فنون تقريبك وكانه فى خلال ما يناجيك يناغيك فانه بكل
لطيفة يصفك ويطريك وتحتها خدع خفية ومن ادركته
السعادة كاشفه بشهود جلاله وجماله لا باثباته فى لطيف احواله

اهرب من خير الناس اكثر من شر الناس

دعاء اولياء الله تعالى

سنة الله تعالى مع اوليائه

ومن المقاطع المشكلة

وما يخصه به من افضاله واقباله واذا الطاعات على وجه الاستحلاء
معدود عندهم من الشهوة الخفية ومن هذا المعنى ما ذكر عن سيدي
الشيخ ابي الحسن رضي الله عنه لما دخل على شيخه ابي محمد عبد السلام
في اول ما لقيه وسأله عن حاله قال له اشكوا الى الله من برد الرضا
والتسليم كما تشكوا انت من حر التدبير والاختيار فقال له الشيخ ابو الحسن
اما شكواي من حر التدبير والاختيار فقد ذقته وانا الآن فيه
واما شكواك من برد الرضا والتسليم فلم افهمه فقال اخاف ان
يشغلني حلاوتهما عن الله عز وجل وقال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه
اللطف حجاب عن اللطيف يعني السكون اليه والوقوف عنده وشدة
الفرح به ولذلك قال السري السقطي رضي الله عنه لو ان رجلا دخل الى
بستان فيه من جميع ما خلق الله تعالى من الاشجار وعليها من جميع ما خلق الله
تعالى من الاطيار فخاطبه كل طائر منها بلغته وقال السلام عليك
يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان في يديها اسيرا وقال بعضهم
لا يكون الصوفي صوفيا حتى لا تقله ارض ولا تظله سماء ولا يكون له
قبول عند الخلق ويكون رجوعه في جميع احواله الى الحق سبحانه وتعالى
وقيل الفقير من لا دنيا له ولا آخرة فان عرض على مالك قال ليس من
رجالي وان سلم الى رضوان قال لا اهتدي اليه وليس من رجالي
وان قلت من هو وما الذي يدعى به قال ليس ممن يدعي بشيء وقال
محمد بن حسان رضي الله عنه بينما انا ادور في جبل لبنان اذ خرج شاب
قد احرقه السموم والرياح فلما نظر الي ولى هاربا فتبعته وقلت له
تعظني بكلمة قال الحذر فانه غيور لا يحب ان يرى في قلب عبده سواه
وكتب الجنيد رضي الله عنه الى بعض اخوانه من اشار الى الله تعالى
وسكن الى غيره ابتلاه الله وحجب ذكره عن قلبه واجراه على لسانه فان

اللطف حجاب عن اللطيف

لا يكون الصوفي صوفيا

حكاية موعظة

كتابة الجنيد رضي الله عنه الى بعض اخوانه

انتبه وانقطع ممن سكن اليه ورجع الى ما اشار اليه كشف الله تعالى
ما به من المحن والبلوى وان دام على سكونه نزع الله تعالى من قلوب
الخلق الرحمة عليه والبس لباس الطمع فيزداد رغبته فيهم مع فقدان
الرحمة من قلوبهم فيصير حياته عجزا وموته كمدا ومعاده اسفا و
نحن نعوذ بالله من السكون لغيره اذا علمت ان الشيطان لا يغفل
عنك فلا تغفل انت عمن ناصيتك بيده الشيطان عدو مسلط
على الانسان ومقتضى ذلك ان لا يوجد منه غفلة ولا فترة عن التزيين
والاغواء والاضلال وقيل لبعضهم اينام ابليس قال لو نام لوجدنا
راحة فاذا علمت انه لا يغفل عنك فلا تغفل انت عمن ناصيتك
بيده وهو الله عز وجل وذلك بتحقيق عبوديتك له وتوكلك
عليه وافتقارك في كل احوالك اليه واستعاذتك به من شر
عدوك وعدوه فبذلك يخرج من سلطنته وتامن غائلته قال
الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا وقال
عز وجل انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون
فمن تحقق بهذه الصفات العلية من الايمان بالله والعبودية له
والتوكل عليه واللجا اليه والاستعاذة والاستجارة به كيف يكون
لعدو الله عليه سلطان والله حبيبه ووليه حفظه ونصره
ولولا ما امرهم الله بالاستعاذة منه ما استعاذوا منه ومن
هو حتى يستعاذ بالله منه قال سيدي ابو العباس رضي الله عنه
في قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فقوم فهموا من هذا الخطاب
انهم امروا بعداوة الشيطان فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب وقوم
فهموا من ذلك ان الشيطان لكم عدو واي وانا لكم حبيب فاشتغلوا
بمحبته فكفاهم من دونه وقال ابو حازم رضي الله عنه ومن الشيطان

لما كان الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل عن الله تعالى

والافتقار اليه

حتّى يفنا والله لقد اطيع فما نفع ولقد عصى فما ضرّ وقال بعضهم الشيطان
منديل هذه الدّار يعني يمسح به اقذار النّسب وهي نسبة الشّرور وانواع
الفساد والمعاصي اليه ادبًا مع الله عزّ وجلّ وهذا سرّ ايجاده كما قال
تعالى وما انسانيه الّا الشّيطان ان اذكره وقوله عزّ وجلّ هذا من
عمل الشّيطان وامّا ان له حولًا او قوّة يضرّ بها او ينفع بها فلا
قال ابو سليمان الدّاراني رضي الله عنه ما خلق الله عزّ وجلّ خلقًا
اهون عليه من ابليس لولا انّ الله عزّ وجلّ امرني ان نتعوّذ منه
ما تعوّذت منه ابدًا وقيل لبعض العارفين كيف مجاهدتك
مع الشّيطان فقال وما الشّيطان نحن قوم صرفنا همّنا اليه
فكفانا من دونه وسئل بعضهم بم تدفع ابليس فقال لا ادفع
من لا اعرف فامّا ان اهملت ذلك وغفلت عنه ولم تعبأ به
غلبك لا محالة لثبوت سلطنته ووصوله بالوسوسة اليك
قال اهل العلم انّ لكلّ واحدٍ من النّاس وسواسًا موكّلًا به مستبطنًا
قلبه واضعًا رأسه او قال خرطومه عليه فاذا غفل العبد وسوس
واذا ذكر الله تعالى خنس اي تأخّر واستتر وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه
الشّيطان قديم وانت حديث والشّيطان كبس وانت سليم النّاصية
والشّيطان لا ينساك وانت لا تزال تنساه وله من نفسك عليك
عون وقيل صدر ابن آدم مسكن له ومجراه من ابن ادم مجرى الدّم
وانت لا تنفكّ ومرّ الّا باذن الله تعالى وقال مالك بن دينار رضي
الله عنه انّ عدوًّا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الّا من عصم الله
وفيه يقول القائل شعرا
ومن لا اراه حيثما لا يراني ٭ وعندما انساه لا ينساني
فسيّدي ان لم تغث سباني
قال ذو النّون المصري رضي الله عنه ان كان هو يراك من حيث لا تراه

فان الله

فانّ الله يراه من حيث لا يرى الله واستعن بالله عليه وعن ابي
سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
يقول قال ابليس لربّه عزّ وجلّ بعزّتك وجلالك لا ابرح اغوي
بني آدم ما دامت الارواح فيهم فقال له ربّه وعزّتي وجلالي
لا ابرح اغفر لهم ما استغفروني جعله لك عدوًّا ليحوشك به
اليه وحرّك عليك النّفس لتديم اقبالك عليه عداوة الشّيطان
لك نعمة عظيمة من الله تعالى عليك اذ من مقتضاها كما قلناه
ان لا يغفل عنك وان يبذل جهده في محاربتك ومقاتلتك
بنفسه وبجنده وبخيله وبرجله ولا طاقة لك على مقاتلته
بنفسك لانك في غاية الضّعف والعجز فيضطرّك الحال لا
محالة الى الاستعانة عليه بمولاك القويّ المتين فيوجد منك
حينئذٍ الالتجاء اليه والانتصار به والتوكّل عليه في دفعه
عنك فعداوة الشّيطان هي الّتي ردّتك الحقّ بها اليه وجمعك
بها عليه وهذا هو غاية المقصود وكذلك حركة النّفس عليك
بالحمل على متابعة الهوى والشّهوة بما جعل فيها من الطبع
والجبلّة ايضًا نعمة عليك وان كانت اعداء الاعداء لك اذ
بواسطتها يتوصّلون اليك وبامرها يعملون فيما يعود بالضرر
عليك من قبل انك لا تقدر على مجاهدتها وقمع هواها
الممتزج بلحمك ودمك الّا بمن هو اقوى منك وليس ذلك
الّا مولاك فقد دعاك بهذا الى دوام الاقبال اليه والعكوف
بالهمّ عليه وكان المؤلّف رحمه الله قصد في هذه الكلمات
الى ذكر الاعداء الاربعة المذكورين في قول الشاعر
انّي بليت باربع ترمينني ٭ بالنّبل عن قوسٍ لها توتير

ليوحشك صح

عداوة الشيطان لك نعمة عظيمة من الله عليك

فيضطرّ صح

النفس اعدا الاعداء الاربعة المذكورين في الشعر

ابليس والدّنيا ونفسي والهوى ؞ يارب انتَ على الخلاص قديرٌ
وبيّن في كلامه وجود عداوتهم ووجود الاحتراز منها وتمّم ذلك ببيان
انّ تلك العداوة وان عظمت من اعظم الوسائل الى اسنى المقاصد
لمن اريد بذلك ووفق له واتى بجميع ذلك في الفاظ بديعة مختصرة
وجيزة محرّرة فاعرف قدر هذا الفصل واعترف لواضعه بكمال
النّبل والفضل من اثبت لنفسه تواضعًا فهو المتكبّر حقًّا اذ ليس
التّواضع الّا عن رفعةٍ فمتى اثبت لنفسك رفعة فانت المتكبّر
اثبات التواضع يقتضي وجود الرّفعة لا محالة اذ لو كانت معدومة
لكان ضدّها وهو الضّعة ثابتا موجودًا ولا ينتفي عن العبد التكبر
الّا بوجود الضّعة ووجود الضّعة لا يحتاج الى اثبات من العبدِ
لانّه ثابت في نفسه فالتّواضع الّذي اثبته العبد لنفسه لا ينفي عنه
وجود التكبر بالضّرورة وايضا فان لفظة التّواضع يؤذن بذلك
فانّ التّواضع تفاعل من الضّعة واكثريات التّفاعل موضوع لاظهار
الضّعة وليست كذلك كالتساوم والتّساكن والتّعارج والتّماوت
وغير ذلك فصيغة التّواضع لا يقتضي حقيقة الضّعة وعدم
الرّفعة ولا يلزم من وجودها ذلك والمطلوب من العبد انّما هو
ان يتّصف بذلك حقيقةً لا اظهارًا فقط بان ينتفي عنه وجود
الرّفعة بالكليّة وحينئذٍ يبرأ العبد من الكبر ولا يكون له وجود
البتّة ليس المتواضع الّذي اذا تواضع راى انّه فوق ما صنع ولكن
المتواضع الّذي اذا تواضع راى انّه دون ما صنع هذا بيان آخر ما ذكره
من انّ العبد المتواضع حقيقة لا يثبت التّواضع لنفسه لانّه يشاهد
من ضعة قدره وخمول ذكره وذلّته ومهانته ما يمنعه من ذلك
وهذا هو التّواضع الحقيقيّ وهو شهوده لذلك ووجده وظهور اثاره

من اثبت لنفسه التواضع فقد تكبر لان المقصود خلافه

ليس المتواضع من اذا راى انه فوق رتبة التواضع بل من راى نفسه دونها

على ظاهره بل شهوده لذلك ووجده ممّا يقدح في حقيقة تواضعه
كما قال الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه من وجد ذوق ذلّه
في ذلّته فهو متعزز وفيه بقية فهذا العبد المتّصف بهذه الصّفة
فعل من افعال المتواضعين ما شاء لم يثبت بذلك لنفسه تواضعًا
لانّه يرى نفسه دون ما صنع من ذلك لغلبة ذلك الشّهود والوجد
عليه فان اثبته لنفسه وراى نفسه فوق ما صنع ممّا يقتضي
وجود صفة التّواضع له بزعمه فهو متكبر حقيقة ولذلك
قال الشّبلي رضي الله عنه يومًا في بعض كلامه ذُلّي عطّل ذلّ اليهود
وقال من راى لنفسه قيمة فليس له من التّواضع نصيب وقال
ابو سليمان رضي الله عنه لا يتواضع العبد حتّى يعرف نفسه قال
ابو يزيد رضي الله عنه ما دام العبد يظنّ انّ في الخلق من هو شرّ منه
فهو متكبّر قيل فمتى يكون متواضعًا قال اذا لم ير لنفسه مقامًا ولا
حالًا وتواضع كلّ احدٍ على قدر معرفته بنفسه وربّه وقال ابو سليمان
رضي الله عنه لو اجتمع الخلق على ان يضعوني كاتّضاعي عند نفسي
ما قدروا عليه وقال يونس بن عبيد رضي الله عنه وقد انصرف
من عرفة لم اشكّ في الرّحمة لولا انّي كنت فيهم وقيل لمحمّد بن مقاتل
رضي الله عنه ادع الله لنا فبكى وقال ليتني لم اكن انا سبب هلاككم
ومن علامات التحقّق بهذا الخلق ان لا يغضب اذا غيب او
تُنُقّص ولا يكره ان يُذمّ ويقذف بالكباير ومن علامات
تحقّقه به ايضًا ان يشتدّ حرصه على ان لا يكون له جاه وقدر
عند النّاس ويلتزم الصّدق في حاله بان لا يرى لنفسه موضعًا
في قلوبهم وقد تقدّم هذا المعنى عند قوله ادفن وجودك في ارض
الخمول فما نبت ممّا لم يدفن لا يتمّ نتاجه ويحكى عن ابي الحسن الكريني

تواضع كل على قدر معرفته بنفسه وربه

استاذ الجنيد رضي الله عنهما قال ان رجلا دعاه ثلاث مرات الى طعامه
ثم يرده فيرجع اليه بعد ذلك حتى ادخله داره في المرة الرابعة فسأله
عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت
بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيعود ويرمى له عظم فيجيب ولو رددتني
خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت قال ابو طالب رضي الله عنه
وحدثت عن بعض الصوفية انه وقف على رجل ياكل قديده فقال
ان كان ثم شيء لله فقال اجلس فكل فقال اعطني في كفي فاعطاه في
كفه فقعد في مكانه ياكل فسأله عن امتناعه من الجلوس معه
قال ان حالي مع الله الذل فكرهت ان افارق حالي قال وكان هذا ربما
مد يده الى الهراس فيجعل فيها هريسة ومن اغرب ما رايت في التواضع

اغرب الحكايات في التواضع

ما ذكره صاحب عوارف المعارف قال رايت شيخنا ضياء الدين ابا النجيب
وكنت معه في سفره الى الشام وقد بعث بعض ابناء الدنيا له طعاما
على رؤس الاسرى من الافرنج وهم في قيودهم فلما مدت السفرة والاسرى
ينتظرون الاواني حتى تفرغ قال للخادم احضر الاسارى حتى يقعدوا
على السفرة مع الفقراء فجاء بهم واقعدهم على السفرة صفا واحدا
وقام الشيخ من سجادته ومشى اليهم وقعد بينهم كالواحد منهم
واكل واكلوا وظهر لنا على وجهه ما نازل باطنه من التواضع لله و
الانكسار في نفسه وانسلاخه من الكبر عليهم بايمانه وعلمه وعمله
رضي الله عنه واغرب من هذا ما ذكره صاحب كتاب بغية الطالب ومنية

واغرب مما سبق في المقام

الراغب ابو الحسن علي بن عتيق رضي الله عنه عن ابيه رحمه الله قال
رايت الفقيه ابا محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن مفيد رحمهم الله
تعالى وكان من الفقهاء العلماء وهو يمشي في يوم شات كثير الطين
فاستقبله كلب يمشي على الطريق التي كان عليها قال فرايته وقد لصق

بالحايط وعمل للكلب طريقا ووقف ينتظره ليجوز وحينئذ يمشي هو فلما
قرب منه الكلب قال رايته قد ترك مكانه الذي كان فيه ونزل اسفل
وترك الكلب يمشي فوقه فلما جاوزه الكلب وصلت اليه فوجدته عليه
كآبة فقلت له يا سيدي اني رايتك الآن صنعت شيئا استغربته
منك كيف رميت بنفسك في الطريق وتركت الكلب يمشي في الموضع
النقي فقال لي بعد ان عملت له طريقا تحتي تفكرت وقلت ترفعت
على الكلب وجعلت نفسي ارفع منه بل هو والله ارفع مني واولى بالكرامة
لاني عصيت الله تعالى وانا كثير الذنوب والكلب لا ذنوب له فنزلت
له عن موضعي وتركته يمشي عليه وانا الآن اخاف المقت من الله تعالى
ان لا يعفو عني لاني رفعت نفسي على من هو خير مني وقال رضي الله عنه
التواضع الحقيقي هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلي صفته

التواضع الحقيقي

شهود عظمة الله وتجلي صفته هو الذي يوجب للعبد وجود التواضع
الذي ذكرناه لان ذلك هو الذي يخمد النفس ويذهبها ويبطل انيتها
فما تجلى الله تعالى لشيء الا خضع له فلا ينقطع من القلب شجرة الرياسة
والكبر الا به لا بما يتكلفه العبد ويتعاطاه بنفسه من اعمال و
احوال قال الجنيد التواضع عند اهل التوحيد تكبر قال ابو حامد
رضي الله عنه ولعل مراده ان التواضع يثبت نفسه ثم يضعها
والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها او يرفعها
وقال ذو النون المصري رضي الله عنه من اراد التواضع فليوجه
نفسه الى عظمة الله تعالى فانها تذوب وتصغر ومن نظر الى سلطان
الله تعالى ذهب سلطان نفسه لان النفوس كلها حقيرة عند
هيبته ومن اشرف التواضع ان لا ينظر الى نفسه دون الله

ومن اشرف التواضع

تعالى وفي كتاب عوارف المعارف واعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة

التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة فى قلبه فعند ذلك تذوب النفس
وفى ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق و
للخلق بمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها لا يخرجك عن الوصف
الا شهود الوصف هذه عبارة مليحة موافقة لمعنى ما تقدم الان و
الوصف المذكور اولا وصف العبد والوصف المذكور ثانيا وصف
الرب تعالى المؤمن يشغله الثنا على الله تعالى عن ان يكون لنفسه
شاكرا ويشغله حقوق الله تعالى عن ان يكون لحظوظه ذاكرا
شكر النفس رؤية نسبة الافعال الجميلة والاحوال الحميدة اليها
وذلك ثناء عليها وهو مضاد للثنا على الله عز وجل وذكر حظها
من اعتقاد ان لها حقا على ما يفعله من الطاعات وهو مضاد
للقيام بحقوق الله تعالى فالمؤمن الحقيقي لا يلتفت الى نفسه فى
نسبة شئ من المحاسن اليها وفى طلب حظ عليه لها بل يشغله
الثنا على الله تعالى والحرص على توفية حقوقه عن جميع ذلك ليس
المحب الذى يرجو من محبوبه عوضا او يطلب منه غرضا فان
المحب من يبذل لك ليس المحب من تبذل له المحبة تقتضى من
المحب بذل كلياته وجزئياته فى مرضات محبوبه من غير طلب حظ
يناله منه فهذا مما يلزم وجود المحبة كما قيل
ان المحب اذا احب حبيبه ۞ يلقاه يبذل فيه ما لا يبذل
بل يرى ما فعل من ذلك غاية الحظ وموافقة رضى محبوبه
نهاية السعادة والبخت كما قال ابو حفص عمر بن الفارض رضى الله عنه
وغفر لنا وله ولجميع المسلمين ۞
ما لى سوى روحى وباذل روحه ۞ فى حب من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بها فقد اسعفتنى ۞ يا خيبة المسعى اذا لم تسعفى

المحب الحقيقي

ولذلك

ولذلك قيل المحبة الايثار وهو ان لا يدع لمحبوبه ميسورا الا بذله
ولا ممكنا الا استعمله ولا يبقى لنفسه ولحظه نفسا ولا سنة
ولا يستثنى مما بذله له سمسمة وانشدوا
لئن بقيت فى العين منى قطرة ۞ انى اذا فى العاشقين دخيل
وقال ابو عبد الله القرشى رضى الله عنه حقيقة المحبة ان تهب
كلك لمن احببت حتى لا يبقى لك منك شئ وقال ابو يعقوب السوسى
رضى الله عنه حقيقة المحبة ان ينسى العبد حظه من الله تعالى
وينسى حوائجه اليه وقيل لبعض المحبين وكان قد بلغ المجهود
فى بذل ماله ونفسه حتى لم يبق منه بقية ما كان سبب
حالك هذه فى المحبة فقال كلمة سمعتها من خلق لخلق عملت
لى هذا البلا قيل وما هى قال سمعت محبا خلا بمحبوبه وهو
يقول انا والله احبك بقلبى كله وانت تعرض عنى
بوجهك كله فقال المحبوب ان كنت تحبنى فاى شئ تنفق على
فقال يا سيدى املكك ما املك ثم انفق عليك روحى
حتى اهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بخلق
لخالق وعبد لمعبود فكان هذا سببه فهذا الذى ذكرناه
من لوازم المحبة الحقيقة واما رجا العوض وطلب الغرض
فهو حال من مقام الرجا وليس من مقام المحبة المخصوصة
فى شئ وقد قال الشاعر شعرا
من لم يكن بك فانيا عن حظه ۞ وعن الهوى والانس بالاحباب
فلانه بين المراتب واقف ۞ لمنال حظ او لحسن مآب
وما انا بالباغى على الحب رشوة ۞ ضعيف هوى يرجى عليه ثواب
قال ابو محمد رويم رضى الله عنه من احب العوض بغض العوض اليه

محبوبه وقيل اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام انى اذا اطلعت على
قلب عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته بحبى وقال بعض المحبين
كوشفت باربعين حورا رأيتهن يتساعين فى الهوا وعليهن ثياب
من فضة وذهب وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة
فعوقبت اربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حورا
فوقهن فى الحسن والجمال فقيل لى انظر اليهن قال فسجدت وغمضت
عينى فى سجودى لئلا انظر اليهن وقلت اعوذ بك مما سواك
لا حاجة لى بهن فلم ازل اتضرع الى الله تعالى حتى صرفهن عنى وذكر
الشيخ الحافظ ابو نعيم رضى الله عنه قال قال لى ميسرة رضى الله عنه
الخادم غزونا فى بعض الغزوات فاذا فتى الى جانبى واذا هو مقنع
فى الحديد فحمل على الميمنة حتى ثناها ثم حمل على الميسرة حتى ثناها
ثم حمل على القلب حتى ثناها ثم انشأ يقول

احسن بمولاك سعيد ظننا ٭ هذا الذى كنت له تمننا
تنحين يا حور الجنان عنا ٭ ما لك قاتلنا ولا قتلنا
لكن الى سيدكن اشتقنا ٭ قد علم السر وما اعلنا

قال فحمل فقتل منهم عددا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو
فحمل فى الناس وهو يقول

قد كنت ارجو ورجائى لم يخب ٭ ان لا يضيع اليوم كدى والطلب
يا من ملا تلك القصور باللعب ٭ لولاك ما طبت وما طاب الطرب

قال فحمل فقاتل فقتل منهم عددا ثم رجع الى مصافه فتكالب
عليه العدو فحمل الثالثة وهو يقول

يا لعبة الخلد قفى ثم اسمعى ٭ ما لك قاتلنا فكفى وارجعى
ثم ارجعى الى الجنان واسرعى ٭ لا تطمعى لا تطمعى لا تطمعى

ثم حمل فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى ونفع به ولاجل ما ذكرنا من اقتضا
مقام المحبة كلية البذل من المحب لزم وقوع الابتلاءات والمطالبات
به حتى يحصل له توفية حقوق هذا المقام على التمام ولهذا قال
بعضهم اول ما يقول الله عز وجل للعبد اطلب العافية والجنة و
الاعمال الصالحة وغير ذلك فان قال لا ما اريد الا انت قال له
من دخل معى فى هذا انما يدخل باسقاط الحظوظ ورفع الحدوث
وايثار القدم وذلك يوجب له العدم وقال بعض العلماء اذا رأيتك
تحبه ورأيته يبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك وقال
بعض المريدين لاستاذه قد طولعت بشىء من المحبة فقال يا
بنى هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه اياه قال لا قال لا تطمع
نفسك فى المحبة فانه لا يعطيها الا احد حتى يبلوه وقال بعض
علمائنا رضى الله عنهم كل اهل المقامات يرجوان يعفى عنهم ويسمح
لهم الا من ادعى المعرفة والمحبة فانهم مطالبون بكل شعرة مطالبة
وفى كل حركة وسكون ونظرة وخطرة لله ومع الله وقال ابرهيم بن
ادهم رضى الله عنه وكان له مقامات فى المحبة رفيعة قلت ذات
يوم يا رب ان كنت اعطيت احدا من المحبين لك ما تسكن
به قلوبهم قبل لقائك فاعطنى ذلك فقد اضر بى القلق
قال فرأيت فى النوم انه اوقفنى بين يديه فقال يا ابرهيم ما استحييت
منى ان تسألنى ان اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائى
وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه ام هل يستريح المحب
الى غير مشوقه قال قلت يا رب تهت فى حبك فلم ادر ما
اقول فاغفر لى وعلمنى ما اقول قال قل اللهم رضنى بقضائك و
صبرنى على بلائك واوزعنى شكر نعمائك فللمحبين دقائق خطرات

ابتلاء الله تعالى المحبة

كل اهل المقامات يعفى عنهم الا من ادعى المعرفة والمحبة

دعاء المحب المؤدب

ولطايف ملاحظات يظهر لهم بذلك الشوب في صفاء حبهم والبعد في
مواطن قربهم فهم يفرون منها ويخرجون عنها مخافة ان يسترق
بشي قلوبهم بادنا ميل ومساكنة فيوجب ذلك لهم السقوط من مقامهم
الرفيع الذي اهل لهم واهلوا له وكذلك قال ابو محمد سهل بن عبد الله
رضي الله عنه جناية المحب عند الله اشد من معصية العامة وهو ان
يسكن الى غير الله ويستانس بسواه قيل اوحى الله تعالى الى داود عليه
السلام يا داود اني حرمت على القلوب ان يدخلها حبي مع حب غيري
ويحكى ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام نعم العبد برخ هو لولا ان
فيه عيبا قال يا رب وما هو قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه
ومن احبني لم يسكن الى شي ويروى ان عابدا عبد الله تعالى في
غيضة دهرا طويلا فنظر الى طاير قد عشش في شجرة ياوي اليها
ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت آنس
بصوت ذلك الطير قال ففعل فاوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان قل
لفلان العابد استانست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها بشي من عملك ابدا وقال رضي الله عنه لولا ميادين النفوس ما تحقق
سير السايرين لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك ولا
قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك السير الى الله تعالى هو قطع
عقبات النفس ومحو آثار دواعيها وغلبة احكام طبيعتها وحيلتها
حتى تطهر من ذلك ويحصل لها اهلية القرب من الله تعالى وتصل
الى سعادة لقائه ولولا معاناة هذه الاشيا لم يتحقق السير والسلوك
كيف والحق تعالى اقرب الى العبد من نفسه فالبعد الحسي وهي
المسافة التي تطويها رحلته والبعد المعنوي وهو القطعة التي
تمحوها وصلته محالان في حقه تعالى لنفي المثلية في الاولى وعدم

جناية المحب اشد من معصية العامة

لولا ميادين النفوس وعقباتها ما تحقق سير السايرين

ظ لا معلومات

وحلته

الضدية في الثانية وهذه الالفاظ التي عبر بها المؤلف رحمه الله
تعالى من السير والميادين والرحلة والوصلة وفي معناها السير
والسلوك والذهاب والرجوع هي عبارات استعملها الصوفية
في امور معنوية تجوزوا بها من امور حسية ومرجع جميع ذلك
الى علوم ومعاملات يتصف بها العبد لا غير وهذا الكلام الذي
ذكره المؤلف رحمه الله تعالى هاهنا وما تقدم له ولنا غير مرة من
ان النفس هي الحجاب الاعظم للمبعد عن الله تعالى وان بمجاهدتها
وقمعها وموتها ينال سعادة لقا الله تعالى صحيح المعنى وقال
بعضهم ما الحيوة الا في الموت اي ما حياة القلب الا في اماتة
النفس وقيل النعمة العظمى الخروج من النفس عن النفس لان النفس
اعظم حجاب بينك وبين الله تعالى وقال سيدي ابو مدين رضي الله عنه
من لم يمت لم ير الحق وقال سيدي ابو العباس رضي الله عنه لا يدخل على الله
تعالى الا من بابين من باب الفنا الاكبر وهو الموت الطبيعي ومن باب
الفنا الذي تعنيه هذه الطايفة وعن حاتم الاصم رضي الله عنه
انه قال من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه اربع خصال من
الموت موت احمر وموت ابيض وموت اخضر وموت اسود فالموت
الابيض الجوع والموت الاسود احتمال الاذى للناس والموت الاحمر
مخالفة النفس والموت الاخضر طرح الرقاع بعضا على بعض قال
سهل بن عبد الله رضي الله عنه للنفس سر ما ظهر ذلك السر على احد
من خلقه الا على فرعون فقال انا ربكم الاعلى ولها سبع حجب سماوية
وسبع حجب ارضية فكلما يدفن العبد نفسه ارضا ارضا سما
قلبه سما سما فاذا دفنت النفس تحت الثرى وصلت بالقلب الى
العرش يعني اذا خالفتها وفارقتها وسبيل المريد الى الوصول الى

ظ للعبد

من لم يمت لم ير الحق

لا بد للسالك من اربع موتات

ظهر سر النفس لفرعون فقط ولها سبع حجب سماوية وارضية

سبيل المريد الى الوصول الى موت النفس

الضدية

موت النفس انما يكون بتقديم الافتقار والالتجاء والرغبة الى مولاه فى
ان يعينه ويقويه على امر نفسه ويسهل عليه طريق سلوكه ويستعملها
فى كل حال ووقت وليجعله عمدته فيما هو بسبيله وقد تقدم من كلام
المصنف رحمه الله ما توقف مطالبت طالبه بربك وقال بعض
العارفين لا يمكن الخروج من النفس بالنفس وانما يكون من النفس
بالله تعالى ثم يشتغل بمراعاة حدود الشريعة والطريقة فى ظاهره
وباطنه والتزام آدابهما ولكل عبد عمل مخصوص يقتضى لا محاله
حكما مخصوصا يقوم بحقه وذلك يختلف باختلاف احوال
الناس فحركات العبد وسكناته هى اعماله الظاهرة ومقصود
همته وارادته هى اعماله الباطنة وكل واحد من القسمين ينبغى
ان يأخذ فيه بعزائم الامور ويجتنب الرخص التى هى من شان العامة
والجمهور حسب ما تقدم عند قوله من جهل المريد ان يسئ
الادب فتؤخر العقوبة عنه فعمل الظاهر ان كان واجبا
فليبادر الى فعله ولا يتوان عنه وليقم بجميع آدابه اللازمة له
ويلتحق بذلك ما يكون مندوبا اليه اذا علم فى اى مرتبة هو
وانما اشترطنا هذا الشرط لان المندوبات التى تعترضه يحتاج
فيها الى تقديم الاولى فالاولى والاهم فالاهم فان لم يعقل هذا
وقدم ما ليس باهم كان متبعا للهوى لا لموجب العلم وليأخذ فى
ذلك بالقصد من غير افراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير
وفى حديث عائشة رضى الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا
وان افضل العمل ادومه وان قل وعن ابى هريرة رضى الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين

لا يمكن الخروج من النفس بالنفس

ولكل عبد عمل مخصوص فى حال مخصوص ووقت مخصوص

احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وبشروا وان كان حراما فليبادر
الى تركه واجتنابه وليقطع عن نفسه جميع اسبابه ويلتحق
بذلك ما يكون مكروها وان كان مباحا فهذا هو محل نظر المريد
فعليه ان يأخذ بالعزيمة فيه ويقف على حدود الضرورة منه
وليكن اجتنابه لما يشتد ميل النفس اليه ويعظم حرصها عليه
اكثر من اجتنابه لما فقد منه ذلك ويختلف ذلك باختلاف
الاشخاص فرب شخص نفسه يميل الى ما لا يميل اليه نفس شخص آخر
فليشتغل المريد بقطع ذلك وزوال علاقته من قلبه بالرياضة
والمجاهدة وليستمر على ذلك حتى يكون وقوفه على ما لا بد له
منه على وجه الطاعة والقربة لا على سبيل الهوى والشهوة ومما
يشتد ميل نفوس اكثر الناس اليه ما يكون سببا لتناوله واستعماله
مراعاة نظر الخلق والجرى على عوائدهم السيئة ومراسمهم المذمومة
ومجاهدة النفس فى مثل هذا عسيرة جدا لا سيما من ابتلى بحب
الجاه والرياسة وقبول الخلق فى ولاية حكم او نشر علم او غير ذلك
فانها اشد الشهوات علاقة بالقلب واضرها بالمريد فيجب عليه
ان يعتنى بذلك ويبالغ فى تطهير ظاهره وباطنه منه مما
يتعاطاه من اعمال واحوال وقد نبهنا على هذا المعنى فى اول
الكتاب عند قول المؤلف رحمه الله ادفن وجودك فى ارض الخمول
فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه ويتعين على المريد فى رياضته
ومجاهدته ان يمنع حواسه ويكف جوارحه عن التطلع و
الجولان فى مظان وجدان شهواته ونيل عاداته وان لا يجامعها
ولا يتفق معها فان ذلك منشأ كل شر ومنبع كل فساد وضر
كما قيل ان السلامة من سلمى وجارتها ... ان لا تمر على حال بواديها

ويتعين على المريد ان يمنع حواسه

فليراقب ربّه وليحفظ جوارحه وقلبه فانّ الانسان قد يتحرك
ميلا فى طلب الخير والعمل من اعمال البرّ فيتّفق ان يقع بصره على
شئ له فيه هوًى وشهوة فتميل نفسه اليه بالشّره والمحبّة
فيتكدّر عليه وقته ويظلم قلبه ويختل عليه فى لحظة ما كابد
فيه امره فى سنة مثلا وكذلك سائر حواسّه وقد شبّه العلماء

تشبيه النفس بالدابة

رضى الله عنهم النّفس فى مثل هذا بدابّة استعارها رجل من ربّها
وما لكها ليتصرّف بها فى حاجته وكانت دابّة جموحة صعبة
المرام فجاز بها المستعير فى بعض تصرّفاته على دار مولاها فرغبت
الى دار سيّدها فانّه لا محالة يحتاج الى صرف عنانها فان تقاعست
ضربها بالسّوط والعصا حتّى يصرفها بذلك عما نزعت اليه وقد
يكون عليه فى ذلك تعب ومؤنة وسبب هذا انّما هو خطوره بها
على دار مولاها الّذى الفته واعتادته ولو لم يمرّ بها عليه
لسلم ولم يحتج الى معاناة ولا مكابدة فان تغافل عنها حتّى
دخلت يديها فى عتبة الباب واستمكنت منه ثمّ اراد منعها
من الدّخول لم تطعه بوجه بل اقتحمت به باب الدّار كرها وربّما
جرحت رأسه والمته وسبب ذلك انّما هو تمكّنها من العمل
بمقتضى طبيعتها وموافقة جبلّتها وكذلك حال النّفس فالنفس
ان اعطيتها هواها فاعزم نحو هواها فاها ولذلك كانت الخلوة
والعزلة من اوجب الواجبات على المريد فانّ نفسه اذ ذاك تكون
ساكنة هادية قد نسيت عوائدها وفترت دواعيها ويدوام
على ذلك يحصل لها من التّزكية والتّحلية والاستقامة والطّمانينة
ما هو المقصود بالرّياضة والمجاهدة فان اعتراه شئ ممّا ذكرناه
اختلّ عليه حاله واحتاج من اجل ذلك فيل الى المجاهدة الشّاقّة

والرياضة

والرّياضة الصّعبة وانّما له مع ذلك تلافى ما فاته وقد قالوا
وقفة المريد شرّ من فترته قال الامام ابو القاسم القشيرى

الفرق بين الفترة والوقفة

رضى الله عنه والفرق بين الفترة والوقفة انّ الفترة رجوع
عن الارادة وخروج منها والوقفة سكون عن السّير باستحلا
حالات الكسل وكلّ مريد وقف فى ابتداء ارادته لا يجى منه شئ
انتهى كلامه رضى الله عنه فبداية الامور هى التى يجب ان يراعيها

ولا غنا للمريد من العلوم الشرعية

المريد والله ولىّ التّوفيق والتّسديد ولا غنا للمريد فى هذا
القسم من تحصيل ما يحتاج اليه من العلوم الشّرعيّة على ما

وعمل الباطن يرجع الى امر واحد

ينبغى وعمل الباطن يرجع حاصله الى امر واحد وهو اخلاص
التّوحيد لله عزّ وجلّ باعتقاد العبوديّة له وذلك بان يحمل
نفسه على الاستسلام لاحكام الله سبحانه وتعالى وترك المنازعة
والتّدبير والاختيار بين يديه وهذا المعنى هو الّذى ضمّنه
المؤلّف رحمه الله ونفع به كتابه التّنوير فى اسقاط التّدبير

ولا يقصد المريد الكرامات وانواع الاجابات

فليستعن المريد على ذلك به ولا يقصد برياضته ومجاهدته
التّوصّل الى شئ من الكرامات وخرق العوائد وانواع الاجابات
فانّ ذلك فتنة وبليّة قاطع عليه طريق العبوديّة قال
الشّيخ ابو عثمان المغربى رضى الله عنه من اختار الخلوة على
الصّحبة ينبغى ان يكون خاليًا من جميع الاذكار الّا ذكر ربّه
وخاليًا من جميع الارادات الّا رضا ربّه وخاليًا من مطالبة
النّفس من جميع الاسباب وان لم يكن بهذه الصّفة فانّ خلوته
توقعه فى فتنة او بليّة قال الشّيخ ابو عبد الله القرشى

من عمل للجد او يرى لم يفتح له بشيء

رضى الله عنه من عمل للجدا او يرى لم يفتح له بشئ حتّى يكون
قصده تحقيق العبوديّة والقيام بما يجب عليه من حقوق

الربوبية قال صاحب كتاب عوارف المعارف فمن دخل الخلوة معتلاً
في دخوله دخل عليه الشيطان وسوّل له انواع الطغيان وامتلأ من الغرور
والمحال وظنّ انه حصل على حسن الحال قال وقد دخلت الفتنة على قوم
دخلوا الخلوة بغير شروطها واقبلوا على ذكر من الاذكار واستجموا
نفوسهم بالعزلة عن الخلق ومنعوا الشواغل من الحواس كفعل الرهبان
والبراهمة والفلاسفة والوحدة في جمع الهم لها تاثير في صفا
الباطن مطلقا وكل ما كان من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق
المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انتج تنوير القلب والزهد في الدنيا
وحلاوة الذكر والمعاملة لله تعالى بالخلاص من الصلاة والتلاوة
وغير ذلك وما كان من غير سياسة الشرع ومتابعة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ينتج صفا في النفس يستعان به على اكتساب علوم رياضية
مما يعتني به الفلاسفة والدهريون وكلما كثر من ذلك كثر البعد من
الله تعالى ولا يزال المقبل على ذلك يستغويه الشيطان بما يكتسب من
العلوم الرياضية او بما قد يتراءى له من صدق الخاطر وغير ذلك حتى
يركن اليه كل الركون ويظن انه قد فاز بالمقصود من الخلوة ولا يعلم
ان هذا الفن من الفائدة غير ممنوع من النصارى والبراهمة وليست
هي المقصود من الخلوة يقول بعضهم الحق يريد منك الاستقامة وانت
تطلب الكرامة وقد يفتح على الصادقين بشيء من خرق العادات وصدق
الفراسة وتبيين ما سيحدث في المستقبل وقد لا يفتح عليهم ذلك
ولا يقدح في حالهم عدم ذلك وانما يقدح في حالهم الانحراف عن حد
الاستقامة وما يفتح من ذلك على الصادقين يصير مزيد انتفاعهم
والداعي لهم الى صدق المجاهدة والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق
بالاخلاق الحميدة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع

فتنة الخلوة

صفاء القلب وفوايده

صفاء النفس واضراره

وقد يكشف على الصادقين وقد لا يكشف

والكشف لمن ليس على الشرع

يصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته واستطالته على الناس و
ازدرائه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الاسلام من عنقه و
ينكر الحدود والاحكام والحلال والحرام ويظن ان المقصود من العبادات
ذكر الله تعالى وترك متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يتدرج من
ذلك الى التحدد وزندقة ونعوذ بالله من الضلال وقد يلوح لاقوام
خيالات يظنونها وقايع ويسمونها بوقايع المشايخ من غير علم تحقيق
ذلك انتهى كلامه رحمه الله وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق
فمداومة العبد على مثل هذه الاسباب التي ذكرناها مشاهد التوفيق
الله عز وجل وتأييده له يحصل له من الله مزيد كثير وعند ذلك يتطهر باطنه
من جميع الافات ومن خبايث الصفات وتستنير سريرته بانواع
المكاشفات والملاطفات وقد عبّر الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه
عن طريق موت النفس بعبارات صحيحة مليحة فقال قتل النفس في
الحقيقة التبري من حولها وقوتها او شهود شيء منها ورد دواعيها
اليها وتشويش تدبيرها عليها وتسليم الامور الى الحق سبحانه وتعالى
بجملتها وانسلاخها من اختيارها وارادتها وامتحاء اثار بشريتها
عنها فاما بقاء الرسوم والهياكل فلا خطر لها ولا عبرة انتهى فهذا
هو السبيل الى موت النفس المفضي الى حضرة القدس لكونه جاريا على
مقتضى الشريعة والحقيقة اللتين بانوارهما يهتدي كل سالك
ومريد ولا بد للمريد في هذه الطريقة من صحبة شيخ محقق مرشد
قد فرغ من تاديب نفسه وتخلص من هواه فليسلم نفسه اليه
وليلتزم طاعته والانقياد اليه في كل ما يشير به عليه من غير
ارتياب ولا تاويل ولا تردد فقد قالوا من لم يكن له شيخ فالشيطان
شيخه وقال ابو علي الثقفي رضي الله عنه لو ان رجلا جمع العلوم

وقد يلوح لاقوام خيالات يسمونها بوقايع المشايخ

تعريف موت النفس وطريقه

لا بد للمريد من صحبة شيخ والانقياد اليه

كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ او امام
او مؤدب ناصح ومن لم يأخذ ادبه من آمر له وناه يريه عيوب اعماله
ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات قال سيدى ابو مدين
رضى الله عنه من لم يأخذ الادب من المتأدب افسد من يتبعه قال المؤلف
رحمه الله تعالى في لطائف المنن انما يكون الاقتداء بولى دلك الله عليه
واطلعك على ما اودعه من الخصوصية لديه وطوى عنك شهود بشريته
في وجود خصوصيته فالقيت اليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد
يعرفك برعونات نفسك وكمائنها ودفائنها ويدلك على الجمع على الله سبحانه
وتعالى ويعلمك الفرار عما سوى الله ويسايرك في طريقك حتى تصل الى
الله تعالى يوقفك على اساءة نفسك ويعرفك باحسان الله اليك
فيفيدك معرفة اساءة نفسك الهرب منها وعدم الركون اليها و
يفيدك العلم باحسان الله اليك الاقبال عليه والقيام بالشكر اليه
والدوام على ممر الساعات بين يديه قال فان قلت فاين من هذا
وصفه لقد دللتني على اغرب من عنقا مغرب فاعلم انه لا يعوزك
وجدان الدالين وانما قد يعوزك وجود الصدق في طلبهم جد
صدقا تجد مرشدا وتجد ذلك في آيتين من كتاب الله قال الله سبحانه وتعالى
امن يجيب المضطر اذا دعاه وقال عز وجل فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم
فلو اضطررت الى من يوصلك الى الله اضطرار الظمآن الى الما والخائف
الى الامن لوجدت ذلك اقرب اليك من وجود طلبك ولو اضطررت
الى الله تعالى اضطرار الام لولدها اذا فقدته لوجدت الحق منك قريبا
ولك مجيبا ولوجدت الوصول غير متعذر عليك ولتوجه الحق بتيسير
ذلك عليك انتهى وفي كلامه رحمه الله تنبيه على ان الشيخ من منح الله
تعالى وهداياه للعبد المريد اذا صدق في ارادته وبذل في مناصحة مولاه

وصف من له الولاية والتربية ووجدانه بصدق الجد في الطلب

الشيخ من

جهد استطاعته

جهد استطاعته لا على ما قد يتوهمه من لا علم عنده وعند ذلك
يوفقه الله تعالى لاستعمال الادب معه لما اشهده من عالى مرتبته
ورفيع درجته قال سيدى ابو مدين رضى الله عنه الشيخ من شهدت
له ذاتك بالتقديم وسرك بالتعظيم الشيخ من هذبك باخلاقه
وادبك باطراقه وانار باطنك باشراقه الشيخ من جمعك في
حضوره وحفظك في مغيبه قال المؤلف رحمه الله في لطائف
المنن وليس شيخك من سمعت منه انما شيخك من اخذت عنه
وليس شيخك من واجهتك عبارته انما شيخك الذى سرت فيك
اشارته وليس شيخك من دعاك الى الباب انما شيخك من رفع
بينك وبينه الحجاب وليس شيخك من واجهك مقاله انما شيخك الذى
نهض بك حاله شيخك هو الذى اخرجك من سجن الهوى ودخل
بك على المولى شيخك هو الذى ما زال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت
فيه انوار ربك نهض بك الى الله فنهضت اليه وسار بك الى
الله حتى وصلت اليه ولا زال محاذيا لك حتى القاك بين يديه
فزج بك في نور الحضرة وقال ها انت وربك انتهى وآداب المريد
مع الشيخ والشيخ مع المريد كثيرة مذكورة في كتب الائمة الصوفية
رضى الله عنهم ومن ابلغ ذلك واوجز ما ذكره الامام ابو القاسم
القشيرى رضى الله عنه قال فشرط المريد ان لا يتنفس نفسا الا
باذن شيخه ومن خالف شيخه في نفسه سرا او جهرا فسوف يرى
غبه من غير ما يحبه سريعا ومخالفة الشيوخ فيما يستشيرونه
منهم اشد مما يكابدونه بالجهر واكثر لان هذا يلتحق بالجناية
ومن خالف شيخه لا يشم رائحة الصدق فان بدر منه شىء
من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والافصاح عما حصل منه

لا يخفى من يشهد له العالم

من ابلغ آداب المريد واوجزه

من المخالفة والجناية ليهديه شيخه الى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم
في الغرامة ما يحكم به عليه فاذا رجع المريد الى شيخه بالصدق وجب على
شيخه جبران التقصير بهمته فان المريدين عيال على شيوخهم فرض عليهم
ان ينفقوا من قوة احوالهم ما يكون جبرًا لتقصيرهم انتهى **وقال الشيخ
العارف محيي الدين ابو العباس البوني** رحمه الله تعالى واياك ان
تحقر فعلا يخطر لك الا ان تلقيه للشيخ طاعة كان او معصية
على اي نوع برز لك ولو اختلف عليك الفعل في الساعة اختلف اليه
في الساعة في الخاطر ليعلمك الدواء الذي تزعجه به او يحمل عنك
بهمته قال ولقد رايت تلميذا من اصحاب شيخنا الامام تاج
العارفين ابي محمد عبد العزيز بن ابي بكر القرشي المهدوي رحمه
الله تعالى وكنت جالسا عنده فدخل عليه فقير وفي يده باقلا
فقال يا سيدي اني وجدت هذه الباقلا فما اصنع بها فقال له
الشيخ اتركها حتى تفطر عليها فقلت يا سيدي حتى الباقلا
تعلم بها فقال يا ولدي لو خالفني في لحظة من خطراته لم يفلح ابدا
فاذا جوهدت النفس بهذه المجاهدات وقوبلت بهذه المقابلات
رجعت عن جميع ما لوفاتها الدنية وعاداتها الردية وزال
عنها النفور والاستكبار ودانت لمولاها بالعبودية والافتقار
وتزكت اعمالها وصفت احوالها وهذه هي خاصيتها التي خلقت
لاجلها ومزيتها التي شرفت من قبلها وانما الفت سوى هذه
لمرض اصابها من الركون الى هذا العالم الادنى والانس بالشهوات
التي تزول وتفنى حتى امتنع عليها ما خلقت لاجله من موجب
سعادتها وغاية شرفها وافادتها فلما تعالجت بما ذكرناه
عادت الى الصحة والى طبعها الاصلي فالفت العبودية والتزمتها

وصارت بذلك مطمئنة صالحة لان يقال لها يا ايتها النفس
المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي و
ادخلي جنتي **قال الشيخ العارف ابو محمد عبد العزيز المهدوي** رضي الله عنه
النفس المطمئنة هي التي تخلصت من السوى ولم يبق بينها وبين
السوى نسبة وكانت مباديها في الاكتساب الايماني والرضى المكتسب
فلما صفت وتطهرت من جهة المخلوقات وزال الحجاب الذي هو صفة
الخلق سمعت النداء من مكان قريب فاجابت لعدم الحجاب فخرجت
للمواهب والرضا الوضعي الموهبي الذي قال الله تعالى فيه رضي الله
عنهم ورضوا عنه فدخلت في رضى الله المطلق والموهوب وفي عبادته
وجنته لا في جنتها بوصف كسبها واعمالها انتهى **وعلامة**
وصول المريد الى هذا المقام الحميد ان يستوي عنده الاحوال والبليات
باطنه بما يواجه به من قبيح الافعال والاقوال لاستغراق
قلبه في حضرة الكمال **قال ابو عثمان الحيري** رضي الله عنه لا
يكمل الرجل حتى يستوي قلبه في اربعة اشيا في المنع والعطا والعز
والذل **وقال محمد بن خفيف** رضي الله عنه قدم علينا بعض اصحابنا
فاعتل وكان به علة البطن فكنت اخدمه وآخذ منه الطشت
طول الليل فغفوت مرة فقال لي نمت لعنك الله فقيل له فكيف
وجدت نفسك عند قوله لعنك الله قال كقوله رحمك الله
وحكي عن ابرهيم بن ادهم رضي الله عنه انه قال ما سررت في الاسلام
الا مرات معدودات كنت في مركب يوما وكان به رجل يحكي الحكايات
المضحكة فيضحك منه الناس وكان يقول رايت وقتا في معركة
الترك علجا فقلت له هكذا وكان ياخذ بلحيتي ويمر بيده على
حلقي هكذا والناس يضحكون منه ولم يكن في ذلك المركب عنده

نفس المطمئنة

وعلامة المريد في رضى الله

مطالعة

ثلاث سرورات لابرهيم بن ادهم قدس سره في الاسلام

احد اصغر مني ولا احقر فسررت بذلك ويوم آخر كنت جالسا فجا
انسان فصفعني من غير سبب ويوم آخر كنت جالسا فجا انسان
فبال عليّ وكان في وقت حاتم الاصم رضي الله عنه رجل يسيء القول
فيه وفي اصحابه ويواجههم كل يوم بالقبيح فوقع عليه جذع من السقف
في بعض الايام في حال مواجهته القوم بالسب والشتم فمات
فقال الحمد لله فقيل له هذا خلاف ما تامرنا به فقال ما حمدت الله
شماتة بموته بل حمدت الله تعالى اذ لم اسر بنكبته هذا وامثاله
من احوالهم معلوم ضرورة واعظم من هذا كله محبة الموت وكراهية
البقا في الدنيا شوقا الى لقاء المولى **قال بعضهم** حقيقة زوال
الهوى من القلب حب لقاء الله تعالى في كل نفس من غير اختيار حالة
يكون المرء عليها فاذا وجد المريد هذه العلاما في نفسه فقد خرج من عالم
جنسه ووصل الى حضرة قدسه وكان كما قال **الشاعر**

لك الدهر طوعا والانام عبيد ۞ فعش كل يوم من زمانك عيد

وكما قال سيدي ابو العباس بن العريف رضي الله عنه في هذا المعنى

شعرا

بدا لك سر طال عنك اكتتامه ۞ ولاح صباح كنت انت ظلامه
فانت حجاب القلب عن سر غيبه ۞ ولولاك لم يطبع عليه ختامه
فان غبت عنه حل فيه وطنبت ۞ على موكب الكشف المصون خيامه
وجا حديث لا يمل سماعه ۞ شهي الينا نثره ونظامه
اذا سمعته النفس طاب نعيمها ۞ وزال عن القلب المعنى غرامه

وانشدوا في معناه ايضا

تولى الاماني الا فابعدي ۞ قد نجز الاحباب لي موعدي
قد كنت قبل اليوم مستانسا ۞ منك بخل مشفق مسعد

هذا

هذا نسيم الوصل من نحوهم ۞ هب فلي عندك ظل ندي
وحيث لا حث لي اعلامهم ۞ فليس لي فقر الى مرشدي

فان لم يجدها في نفسه فليستمر على سلوكه ومجاهداته ولا يغتر
بما يترا اله من سني حالاته فانه لم يصل بعد ولم يحصل له من
هوى نفسه فقد وليس طريق موت النفس بقطع جميع الارفاق عنها
وردها الى الاجتزا بالحشيش والنخالة والمبالغة في التقشف
والتقلل مع قطع النظر عن احوال القالب وهممه وقصوده وارادته
وتركها الالتفات الى ما يحمد منها وما يذم فذلك كله غلو وبدعة
وقد غلط في هذا طوائف من الناس عملوا عليه في رياضاتهم
ومجاهداتهم ولم يقصدوا بذلك اخلاص العبودية لربهم فادا
ذلك الى اختلال عقولهم واختلال قوى ابدانهم ولم يحصلوا من
امرهم على فائدة وذلك لجهلهم بالسنة وما كان عليه سلف
هذه الامة وقال رضي الله عنه وارضاه **جعلك في العالم المتوسط
بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته
وانك جوهرة تنطوي عليها اصداف مكنوناته** خلق الله تعالى
الانسان في احسن تقويم واتم تسوية وتعديل وجعل بنيته متضمنة
اسرار جميع الموجودات علويها وسفليها لطيفها وكثيفها فصار
لذلك روحانيا جسمانيا ارضيا سماويا ولذلك يقال له العالم
الاصغر وهذا هو الذي يظهر لي في معنى جعله في العالم المتوسط
بين عالم الملك والملكوت وعالم الملك هو عالم الشهادة وعالم
الملكوت هو عالم الغيب فلا جرم لما كان الانسان بهذه المثابة
من كونه نخبة جميع الموجودات الجسمانيات والروحانيات كانت الاكوان
كلها باعتبار احاطته بها به وحفظها له بمنزلة القشر والصوان الذي

جعل الانسان في
العالم المتوسط بين
ملكه وملكوته

يحفظ الشئ ويصونه وكان هو بمنزلة الجوهرة النفيسة التي
تحويها الصدفة والمقصود من هذا ان يعرف الانسان جلالة قدره
وفخامة امره فيعلو بهمته الى المراتب السامية اللايقة به وذلك
باخلاص العبودية لربه عز وجل وقطع النظر عن كل ما سواه و
ينظر الى هذا المعنى ما قال الشاعر

اذا كنت كرسيا وعرشا وجنة ٭ ونارا وافلاكا تدور واملاكا
وكنت من السر المصون سريرة ٭ وادركت هذا بالحقيقة ادراكا
فقيم التاني في الخصيص تثبطا ٭ مقيما مع الاسرى لما كان اشراكا

كان الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه يقول الاكوان كلها
عبيد مسخرة وانت عبد الحضرة وقد ورد في بعض الكتب المنزلة
في مناجاة داود عليه السلام يا ابن آدم انا بدك اللازم فالزم
بدك وفي بعض الآثار المروية عن الله عز وجل يا ابن آدم خلقت
الاشيا كلها من اجلك وخلقتك من اجلي فلا تشتغل بما هو لك
عمن انت له وقال الواسطي رضي الله عنه في معنى قوله تعالى ولقد
كرمنا بني آدم قال بان سخرنا لهم الكون وما فيه لئلا يكونوا في
تسخير شئ ويتفرغوا الى عبادة ربهم وسعك الكون من حيث
جثمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك انما
وسعك الكون من حيث جثمانيتك لوجود المناسبة والمجانسة
ووسعه لك باعتبار ما ذكرناه انما هو باكتفائك به ووطا
اوطارك منه ووقوف املك في منال حاجتك عليه ولا خاصية
لك في هذا ايها الانسان لان مرتبتك اجل من ذلك وانما لم
يسعك من حيث ثبوت روحانيتك لعدم المناسبة فلا يسعك
حينئذ ولا يناسبك الا التعلق بالمكون وهذه هي خاصيتك

الاكوان عبيد مسخرة للانسان وهو عبد الله

وسع الانسان الكون ولا يسع شيء منه ولا كله من حيث كليته

التي بها سموك وعلوك ورفعة قدرك فلم تهملها وتنحط منها الى
اسفل سافلين قال ابو عبد الله بن الجلا رضي الله عنه من علت همته
على الاكوان وصل الى مكونها ومن وقف بهمته على شئ سوى الحق
فاته الحق لانه اعز من ان يرضى معه شريكا وسئل احمد بن خضرويه
اي الاعمال افضل فقال رعاية السر عن الالتفات الى شئ سوى الله
عز وجل الكاين في الكون ولم يفتح له ميادين الغيوب مسجون
بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته من لازم الكون وبقي معه وقصر
همته عليه ولم تنفتح له ميادين الغيوب الملكوتية ولا خلص بسره
الى فضاء مشاهدة الوحدانية فهو مسجون بمحيطاته ومحصور في
هيكل ذاته وهذه هي صفة اصحاب النار كما قال تعالى احاط بهم سرادقها
وليس في جهنم عذاب اعظم من السجن والحصر والضيق والقهر كما قال
عز وجل واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا
وما ذكرناه هو حال من بقي مع نفسه وعمل على نيل حظه كاينا ما كان
وفي بعض الآثار المروية عن الله تعالى انه قال عبدي اجعلني مكان
همك اكفك كل همك ما كنت بك فانت في محل البعد وما كنت لي
فانت في محل القرب فاختر لنفسك انت مع الاكوان ما لم تشهد المكون
فاذا شهدته كانت الاكوان معك فرق بين كونك مع الاكوان وكون
الاكوان معك فان كونك مع الاكوان يقتضي تقييدك بها وحاجتك
اليها فانت بذلك عبد لها ثم هي خاذلتك ومسلمتك احوج ما تكون
اليها وهذه حالة خسيسة يقتضيها عدم شهودك للمكون وكون الاكوان
معك يقتضي ملكك لها واستغناك عنها فانت حينئذ حر عنها
وهي محتاجة اليك وخادمة لك ومتبركة بك حتى الجمادات والحيوانات
قال الشبلي رضي الله عنه ليس يخطر الكون ببال من عرف المكون وهذه

الكاين في الكون ومعه مسجون بهيكل ذاته وفي الاكوان

انت مع الاكوان مالم تشهد المكون والاكوان معك اذا شهدته

الحكايات في تسخير الاشياء المتمردة للمشايخ قدس الله اسرارهم

خالة نفيسة يقتضيها شهودك للمكون قال بعض المشايخ رضي الله عنهم
انا ادخل السوق والاشيا تشتاق الي وانا عن جميعها حر وعن المزين
الكبير قال كنت مع ابرهيم الخواص رضي الله عنهما في بعض اسفاره فاذا عقرب
تسعى على فخذه فقمت لاقتلها فمنعني وقال دعها كل شي مفتقر الينا
ولسنا مفتقرين الى شي وقال محمد بن المبارك الصوري رحمه الله
كنت مع ابرهيم بن ادهم رضي الله عنه في طريق بيت المقدس فنزلنا وقت
القايلة تحت شجرة رمان فصلينا ركعات فسمعت صوتا من اصل الرمان
قال يا ابا اسحق اكرمنا بان تاكل منا شيئا فطاطا ابرهيم راسه فقال
ذلك ثلاث مرات ثم قال يا محمد كن شفيعا اليه ليتناول منا شيئا
فقلت يا ابا اسحق لقد سمعت فقام فاخذ منها رمانتين فاكل واحدة
وناولني الاخرى فاكلتها وفي هذه الحكاية ان الشجرة كانت قصيرة
ورمانها حامض وانها تطعم في كل عام مرة فعلت وارتفعت
وحلي ثمرها وصارت تطعم في كل عام مرتين وكانت السباع تجي
الى سهل بن عبد الله فيدخلهم بيتا عنده ويضيفهم ويطعمهم اللحم
وقال ابرهيم الخواص رضي الله عنه كنت في البادية مرة فسرت في وسط
النهار فوصلت الى شجرة وبقربها ماء فنزلت فاذا انا بسبع عظيم
قد اقبل فلما قرب مني اذ هو يعرج فحمحم وبرك بين يدي ووضع
يده في حجري فنظرت فاذا يده منتفخة فيها ورم فاخذت خشبة
وشققت الموضع الذي فيه القيح وشددت على يده خرقة و
مضى فاذا انا به بعد ساعة جاء ومعه شبلان يبصبصان لي وحمل
الي رغيفا وقال بعضهم اشرفت على ابرهيم بن ادهم رضي الله عنه
وهو في بستان يحفظه وقد اخذه النوم واذا حية في فيها طاقة
نرجس تروحه بها ويحكى عن ابي اسحق الصعلوكي رضي الله عنه

قال خرجت

قال خرجت مرة الى الحج فبينما انا في البادية اذ تهت فلما جن علي
الليل وكانت ليلة قمرا سمعت صوت شخص ضعيف يقول يا
ابا اسحق قد انتظرتك من الغداة فدنوت منه واذا هو شاب
نحيف قد اشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة منها ما عرفته
ومنها ما لم اعرفه فقلت من اين انت قال من مدينة شميشاط كنت
في عز وثروة فطالبتني نفسي بالعزلة فخرجت وقد اشرفت على الموت
فسالت الله تعالى ان يقيض لي وليا من اوليائه فارجو انك انت
هو قال فقلت الك والدان قال نعم واخوة واخوات فقلت هل
اشتقت اليهم والى ذكرهم قال لا الا اليوم اردت ان اشم ريحهم
فاحتوشتني السباع والبهايم وبكين معي وحملوني الى هذه الرياحين
قال فبينما انا في تلك الحالة يرق له قلبي اذا بحية اقبلت في
فيها طاقة نرجس فقالت دع شرك عنه فان الله تعالى
يغار على اوليائه قال فغشي علي فما افقت حتى خرجت نفسه
رحمة الله عليه ورضي عنه ثم وقع على نبات فانتبهت وانا
على الجادة قال فدخلت مدينة شميشاط بعدما حججت فاستقبلتني
امراة بيدها كوز فما رايت اشبه بالشاب منها فلما راتني قالت
يا ابا اسحق كيف رايت الشاب فاني انتظرك منذ ثلاث ايام
فذكرت لها القصة الى ان قلت قال اردت ان اشمهم فصاحت
وقالت آه بلغ الشم الشم وخرجت نفسها رضي الله عنها فخرجن
اتراب لها يجعلن عليهن المرقعات والفوط فكفلن امرها
وتولين شانها رضي الله عنهم اجمعين فهكذا يكون حال عظيم
الهمة شريف الارادة والنية لا يساكن احدا من المخلوقات
ولا يوطن نفسه على شي من المصنوعات يتكفل الله تعالى بامره

لا يلزم من ثبوت الولاية انعدام اوصاف البشرية

ويجعل الكون خادمًا له باسره رزقنا الله تعالى ما رزقهم ووفقنا
لما وفقهم بجوده وكرمه لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف
البشرية انما مثل الخصوصية كاشراق شمس النهار ظهرت في الافق
وليست منه تارة تشرق شموس اوصافه على ليل وجودك وتارة يقبض
ذلك عنك ويردك الى حدودك فالنهار ليس منك اليك ولكنه
وارد عليك ثبوت الخصوصية للعبد لا يلزم منه عدم وصف
البشرية لان الوصف البشري امر ذاتي لازم للعبد والامور
الذاتية اللازمة يستحيل عدمها وانقلابها وانما اللازم من
ذلك عدم غلبة احكام ذلك الوصف على العبد فقط لاجل
الوارد الغالب فان قدر ذهاب هذا الوارد الغالب بقي وصف
البشرية غالبًا قاهرًا وكان العبد في يده اسيرًا ومثل ذلك من
المحسوسات اشراق شمس النهار على الآفاق المظلمة لتزيل اثار
ظلمانيتها فتستنير بذلك وتشرق فاذا غابت الشمس رجعت
الى حالها من الظلمات لان النور ليس بذاتي لها وهو معنى
قوله وليست منه ومعنى الخصوصية المذكورة هي ما يختص
الحق تعالى به اولياءه من ظهور اوصافه العلية ونعوته
القدسية عليهم ليغطي بذلك اوصاف نفوسهم الدنية الردية
عنهم لئلا يظهر اثار كدوراتها في صفا اوقاتهم كما تقدم
من قوله اذا اردت ان يوصلك اليه ستر وصفك بوصفه
وغطى نعتك بنعته فاذا اشرقت انوار ذلك على ليل وجودهم
ذهبت بظلمات نفوسهم وبقوا في نهار الوصلة والقربة من
غير حول منهم ولا قوة وهو معنى قوله والنهار ليس منك اليك
فاذا غابت عنهم تلك الانوار المشرقة رجعوا الى اصلهم ولزموا

تفصيل بين المجذوب والسالك وبيان احوالهم العليه

الوقوف على حدهم وكانوا في ليل القطيعة والحجبة كما كانوا قبل ذلك
والغرض من هذا الرد على طوايف غلطت في هذه الامور و
تغالت وزعمت ان القرب من الله تعالى والوصول اليه انما
يكون بعدم اوصاف البشرية وزوالها بالكلية واتصافه
بصفات الربوبية بدلا منها وفسرت بهذا ما عبر به المشايخ من
الفنا والبقا فوقعوا من ذلك في ضلال وتزندق ونعوذ
بالله من ذلك والمعنى الصحيح في ذلك انما هو ما ذكره المؤلف
رحمه الله تعالى هاهنا دل بوجود اثاره على وجود اسمائه وبوجود
اسمائه على ثبوت اوصافه وبوجود اوصافه على وجود ذاته
اذ محال ان يقوم الوصف بنفسه فارباب الجذب يكشف لهم عن
كمال ذاته ثم يردهم الى شهود صفاته ثم يرجعهم الى التعلق باسمائه
ثم يردهم الى شهود اثاره والسالكون على عكس هذا فنهاية السالكين
بداية المجذوبين وبداية السالكين نهاية المجذوبين لكن لا
بمعنى واحد فربما التقيا في الطريق هذا في ترقيه وهذا في
تدليه عباد الله المخصوصون بالقرب منه والوصول اليه ينقسمون
الى قسمين سالكين ومجذوبين فشان السالكين الاستدلال بالاشيا
عليه وهم الذين يقولون ما راينا شيئًا الا راينا الله تعالى بعده
وشان المجذوبين الاستدلال به على الاشيا وهم الذين يقولون
ما راينا شيئًا الا راينا الله تعالى قبله ولا شك ان الدليل ابدًا
اظهر من المدلول فاول ما ظهر للسالكين الاثار وهي الافعال
فاستدلوا بها على الاسماء وبالاسماء على الصفات وبالصفات
على وجود الذات فكان حالهم الترقي والصعود من اسفل
الى اعلى واول ما ظهر للمجذوبين حقيقة كمال الذات المقدسة

الوقوف

ثمّ ردّوا منها الى مشاهدة الصّفات ثمّ رجعوا الى التّعلق بالاسمآء
ثمّ نزلوا الى شهود الاثار فكان حالهم التّدلى والتّنزل من اعلى
الى اسفل فما ابتدأ به السّالكون من شهود الاثار اليه انتهى
المجذوبون وما ابتدأ به المجذوبون من كشف حقيقة الذّات
اليه انتهى السّالكون لكن لا بمعنى واحد فانّ مراد السّالكين
شهود الاشيأ لله تعا والمراد بالمجذوبين شهود الاشيآء
بالله عزّ وجلّ فالسّالكون عاملون على تحقيق الفنا والمحو
المجذوبون مسلوك بهم طريق البقا والصّحو ولمّا كان شان
الفريقين النّزول فى تلك المنازل المذكورة لزم منه التقاؤهما
فى طريق سيرهما السّالك مترقّ والمجذوب متدلّ **لا يعلم قدر
انوار القلوب والاسرار الا فى غيب الملكوت كما لا يظهر انوار
السّماء الّا فى شهادة الملك** انوار القلوب والاسرار المشرقة
عليها من سمآء التّوحيد والمعرفة لا يعرف قدرها الّا فى غيب
الملكوت وهو عالم الاخرة وهناك يحصل لهم تمام هذه الانوار
فمن آمن بالغيب كان له من ذلك الحظّ الاوفر كما انّ
انوار السّمآء المشرقة على ظواهر الاجرام لا تظهر الا فى شهادة
الملك وهو عالم الدّنيا وذلك لحصول المناسبة بين هذه
الاشيآ **وجدان ثمرات الطّاعات عاجلاً بشائر العاملين بوجود
الجزا عليها** آجلاً ما يجده العاملون بطاعة الله فى عالمهم عاجلاً
من مزيد الايمان واليقين وتنسّم روح الانس ولذيذ القرب و
لطيف الوصل بشائر من الله تعا عاجلة بوجود الجزا عليها
فى الدّار الآخرة بانّها مقبولة عند الله تعا وقد تقدّم هذا المعنى
عند قوله من وجد ثمرة عمله عاجلاً فهو دليل على وجود القبول

لا يعلم قدر الانوار والاسرار الا فى الغيب

كيف

**كيف تطلب العوض على عمل هو متصدّق به عليك ام كيف
تطلب الجزآء على صدق هو مهديه اليك** العمل الّذى يصحّ طلب
العوض والجزآء عليه هو ما عملته لينتفع به غيرك ولم يحصل
لك بذلك منفعة ولم يندفع عنك بسببه مضرّة والاعمال
الدّينيّة المطلوبة منك ظاهراً وباطناً بخلاف هذا كلّه
اذ هى مسلوبة عنك منسوبة الى ربّك خلقها واختراعها
عايد ثمرة ذلك ومنفعته عليك فى ظاهرك وباطنك
وهو غنىّ عنك وعنها ولذلك عبّر عنها بالتّصدّق و
الاهدآء تنبيهاً على انّ ذلك لم يكن الّا لمنفعتك فطلب
العوض والجزآء اذاً على عمل هذه صفته فى غاية القبح و
لذلك صدّر المؤلّف رحمه الله تعا الى كلامه بكيف
ليعجّبك من ذلك **قال الواسطىّ** رضى الله عنه مطالعة
الاعواض على الطّاعات من نسيان الفضل **وسئل ابن عطآء**
رضى الله عنه عن اقرب شىء الى مقت الله تعا فقال رؤية النّفس
وافعالها واشدّ من ذلك مطالعة الاعواض على افعالها واستعمل
المؤلف رحمه الله لفظ الصّدقة فى الاعمال الظّاهرة ولفظ الهديّة
فى الصّدق وعليه مدار الاعمال الباطنة اشعاراً بتباينهما فى الشّرف
كتباين الصّدقة والهديّة وقال رضى الله عنه **قوم تسبق انوارهم
اذكارهم وقوم تسبق اذكارهم انوارهم ذاكر ذكر ليستنير
قلبه وذاكر استنار قلبه فكان ذاكراً** سبقيّة الاذكار للانوار
هو حال المريدين السّالكين وذلك لان شانهم المكابدة والمجاهدة
وهم ياتون بالاذكار فى حال تكلّفهم وتعمّلهم ليحصل لهم بذلك زوائد
الانوار والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعا والذين جاهدوا فينا

اقسام الذاكرين وذكرهم وانوارهم

لنهدينهم سبلنا وسبقية الانوار للاذكار هو حال المرادين المجذوبين
لانهم مقامون في السهولة والخفة فهم لما وجهوا بالانوار حصلت منهم
الاذكار بلا تكلف ولا تعمل **وقال في لطائف المنن** حاكيا عن شيخه ابي
العباس رضي الله عنه الناس على قسمين قوم وصلوا بكرامة الله تعالى
الى طاعة الله عز وجل وقوم وصلوا بطاعة الله الى كرامة الله **قال الله تعالى**
الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب قلت ومعنى كلام الشيخ هذا
ان من الناس من حرك الله همته لطلب الوصول اليه فصار يطوي
مهامه نفسه وبيداء طبعه الى ان وصل الى حضرة ربه يصدق على
هذا قوله سبحانه وتعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان
الله لمع المحسنين ومن الناس من جاءته عناية الله تعالى من غير
طلب ولا استعداد ويشهد لذلك قوله تعالى يختص برحمته من يشاء
فالاول حال السالكين والثاني حال المجذوبين فمن كان حاله مبدأ
المعاملة فنهايته المواصلة ومن كان مبدأه المواصلة رد الى وجود
المعاملة ولا يظن ان المجذوب لا طريق له بل له طريق طوتها عناية
الله تعالى له فسلكها مسرعا الى الله عز وجل وكثيرا ما نسمع عند رجال
المنتسبين للطريق ان السالك اتم من المجذوب لان السالك عرف
طريقا بها توصل الى الله تعالى والمجذوب ليس كذلك وهذا بناء على ان
المجذوب لا طريق له وليس الامر كما زعموا لان المجذوب طويت الطريق
له ولم تطو عنه ومن طويت له الطريق لم تفته ولم تغب عنه وانما
فاته متاعبها وطول امدها فالمجذوب كمن طويت له الطريق الى
مكة والسالك كالسائر اليها على اكوار المطايا انتهى ما ذكره في حال
الجذب والسلوك وهو حسن قل ان يوجد لغيره فلذلك اوردته
هاهنا بكماله **ما كان ظاهر ذكر الا عن باطن شهود وفكر**

اعمال الظاهر تبع لما يكون في الباطن وقد تقدم هذا المعنى عند قوله
ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر فالذكر الظاهر
لا محالة ثمرة باطن الشهود والفكرة ثم بين هذا المعنى بقوله
**اشهدك من قبل ان استشهدك فنطقت بالالهية الظواهر
وتحققت باحديته القلوب والسرائر** كاشف الله القلوب والاسرار
في غيب الغيب بحقائق وحدانيته واحاطة قيوميته فلما اشهدها
ذلك اضمحلت وتدكدكت وتلاشت فتحققت بذلك الاحدية
فلما اظهرها في عالم الشهادة ملتبسة بالاجسام والهياكل طلب منها
الشهادة له بالالهية فشهدت بلسان حالها ومقالها فكانت
الشهادة منها لما استشهدت تبعا لشهودها لما اشهدت
فالعبد من حيث سره وقلبه بوصف الجمع ومن حيث ظاهره وجسمه
بنعت الفرق ولا بد في هذا الطريق من وجود الجمع والفرق وقد قالوا
كل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل **وقال الجنيد**
رضي الله عنه في معنى الجمع والتفرقة

وتحققتك في سري ۰ فناجاك لساني ۰ فاجتمعنا لمعان
وافترقنا لمعان ۰ ان يكن غيبك ۰ التعظيم عن لحظ عياني
فلقد صيرك الوجد ۰ من الاحشاء داني ۰ **ذهب الجنيد** رضي الله عنه
الى ان قربه بالوجد جمع وغيبته في البشرية تفرقة **اكرمك كرامات
ثلاثا جعلك ذاكرا له ولولا فضله لم تكن اهلا لجريان ذكره عليك
وجعلك مذكورا به اذ حقق نسبته لديك وجعلك مذكورا عنده
فتمم نعمته عليك** اكرم الله تعالى عبده المؤمن بثلاث كرامات جمع له
فيها كل المفاخر والمحامد اولها كونه ذاكرا له بان اجرى ذكره على
قلبه ولسانه ومن اين له ذلك وباي وسيلة ناله لولا فضل الله تعالى

الاولياء على قسمين المجذوب والسالك

الاعمال الظاهرة ناشئة عما يكون في الباطن من شهود وفكر

بيان حال السالك في الجمع والتفرقة ولابد منهما له

كرامات الذاكر ثلاثة

اعمال الظاهر

وكرمه وثانيها كونه مذكورا به فيقال هذا عبد الله ووليه وصفيه و
مختاره وذلك بما اكرمه به من تحقيق النسبة لديه وهي اثبات الخصوصية
له وقد تقدم معنى الخصوصية وثالثها كونه مذكورا عنده وهذه غاية
الكرام ومنتهى الفضل والانعام قال الله تعالى ولذكر الله اكبر قيل معناه
ذكر الله عبده اكبر من ذكر العبد لله وفي حديث ابي بن كعب رضي الله عنه
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقرا عليك القرآن قال
فقلت يا رسول الله سماني لك ربك قال صلى الله عليه وسلم نعم فقرا علي قل
بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وفي حديث
ابي حبة البدري رضي الله عنه قال لما نزلت لم يكن الذين كفروا من
اهل الكتاب والمشركين الى آخرها قال جبريل عليه السلام ان ربك يامرك
ان تقرئها ابيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ان جبريل عليه السلام
امرني ان اقرئك هذه السورة قال ابي رضي الله عنه اوذكرت ثم
يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فبكى ابي رضي الله عنه
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى
انا عند ظن عبدي بي وانا معه حين ذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته
في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وان تقرب الي شبرا
تقربت منه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا وان اتاني
يمشي اتيته هرولة وعن ابي هريرة رضي الله عنه وابي سعيد الخدري رضي الله
عنهما يشهدان به على النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما جلس قوم مسلمون
مجلسا يذكرون الله تعالى فيه الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة و
نزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده قال يحيى بن معاذ رضي الله
عنه يا غفول يا جهول لو سمعت صرير القلم حين يجري في اللوح المحفوظ
بذكرك لمت طربا رب عمر اتسعت آماده وقلت امداده ورب عمر قليلة

آماده كثيرة امداده الامداد الالهية التي يمد الحق سبحانه وتعالى بها
عباده المؤمنين زيادة في ايمانهم وتقوية في ايقانهم لا اثر فيها لطول
العمر ولا قصره فلا ينقص بذلك ولا تزيد ولا تقل ولا تكثر وانما ترد عليهم
من خزائن الفضل والكرم بحسب قوة استعدادهم وكمال قابليتهم وتختلف
ذلك باختلاف تركيب خلقهم ومجبول فطرهم ولا مدخل للزمان في هذا
الا بالعرض وبهذا فضلت هذه الامة على سائر الامم على قصر اعمارها
وطول اعمارهم قال احمد بن ابي الحواري رضي الله عنه قلت لابي سليمن
الداراني رضي الله عنه قد غبطت بني اسرائيل قال باي شيء قال بثمان
مائة سنة حتى يصيروا كالشنان البالية وكالحنايا والاوتار قال
ما ظننت الا وقد جئت بشيء لا والله ما يريد الله منا ان تيبس جلودنا
على عظامنا ولا يريد منا الا صدق النية فيما عنده هذا اذا صدق
في عشرة ايام نال ما نال ذلك في عمره من بورك له في عمره ادرك في
يسير من الزمن من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دائرة العبارة
ولا تلحقه الاشارة البركة في العمر ان يرزق العبد من الفطنة واليقظة
ما يحمله على اغتنام اوقاته وانتهاز فرصة امكانه خشية فواته
فيبادر الى الاعمال القلبية والبدنية ويستفرغ في ذلك مجهوده بالكلية
وفي اثناء ذلك يصل اليه من المنح الالهية ويشرق عليه من الانوار
الربانية ما تعجز العبارة عنه ولا تنتهي الاشارة اليه وكل ذلك في زمن
يسير وعمر قصير فيرتفع له في شهر ما يرتفع لغيره في الف شهر بمنزلة
ليلة القدر العمل فيها لمن صادفها خير من العمل في غيرها من الف
شهر قال بعض العلماء رضي الله عنهم كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة
القدر وكان سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه يقول اوقاتنا
كلها والحمد لله ليلة القدر فهذا هو البركة في العمر لا بطوله وزيادة مدة

امداد الالهية لا اثر فيها لطول العمر ولا قصره

قلت صح ظ

من بورك له في عمره ادرك في يسير من الزمن ما لا يدخل تحت العبارة من منته تعالى

آماده

علامة الخذلان كل الخذلان

وقيل هذا المعنى فى تاويل ما روى فى الخبر البر يزيد فى العم الخذلان كل الخذلان ان تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه اليه وتقل عوائقك ثم لا ترحل اليه من الخذلان ان تصدّك العوائق والشواغل عن التوجه الى الله تعالى والرحيل اليه بل الواجب عليك ان تبادر الى ذلك وترمى بالعوائق والشواغل خلف ظهرك كما قيل سيروا الى الله تعالى عز وجل عرجا ومكاسير ولا تنتظروا الصحة فان انتظار الصحة بطالة قال الله عز وجل انفروا خفافا وثقالا وقد تقدم هذا المعنى عند قوله احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس فان زالت شواغلك وقلت عوائقك ثم قعدت عن التوجه والرحيل فهو الخذلان كل الخذلان اعاذنا الله منه قال الامام ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه فراغ القلب عن الاشتغال نعمة عظيمة فاذا كفر عبد هذه النعمة بان فتح على نفسه باب الهوى وانجر فى قياد الشهوات شوّش الله تعالى عليه نعمة قلبه وسلبه ما كان يجده من صفا قلبه

معنى الفكرة

الفكرة سير القلب فى ميادين الاغيار الفكرة التى امر الله بها العبد وحض عليها هى سير القلب فى ميادين الاغيار فقط وهى مخلوقات الله ومصنوعاته واما الفكرة فى ذات الله عز وجل فلا سبيل اليها يعتبر المتفكرون فى اياته ولا يتفكرون فى ماهية ذاته روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصر قوما فقال ما لكم قالوا نتفكر فى الخالق فقال صلى الله عليه وسلم تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدره وقال الامام ابو القاسم القشيرى رضى الله عنه التفكر نعت كل طالب وثمرته الوصول بشرط العلم فاذا سلم الفكر من الشوائب ورد صاحبه على مناهل التحقيق ثم فكرة الزاهد فى فنا الدنيا وقلة وفائها

انواع الفكر

لطلابها فيزدادون بالتفكر زهدا فيها وفكر العابدين فى جميل الثواب فيزدادون نشاطا عليه ورغبة فيه وفكر العارفين فى الالاء والنعماء فيزدادون محبة لله سبحانه وتعالى قال الجنيد رضى الله عنه اشرف المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة فى ميدان التوحيد وفى بعض النسخ الفكرة سير القلب فى ميادين الاغيار ومعناه ظاهر الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة له القلب الخالى من الفكرة خال من النور ومظلم بوجود الجهل والغرور وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما نفع القلب شئ مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة الفكرة فكرتان فكرة تصديق وايمان وفكرة شهود وعيان فالاولى لارباب الاعتبار والثانية لارباب الشهود والاستبصار تقدم الآن ان الفكرة سير القلب فى ميادين الاغيار وسيره على وجهين صعود ونزول فالصعود لارباب الاعتبار وهى فكرة ناشئة عن التصديق والايمان وهذا للسالكين وهو حال ترقيهم وهو نعت المستدلين بالاثار على المؤثر والنزول لارباب الشهود والاستبصار وفكرتهم فكرة ناشئة عن الشهود والعيان وهذا للمجذوبين وهو حال تدليهم وهو وصف المستدلين بالمؤثر على الاثار وقد تقدم هذا المعنى عند ذكر المجذوب والسالك وقال رضى الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه هذا كتاب تضمن ذكر حال السالك من اول ابتدا سفره الى انتهائه وحصوله فى مستقره وذكر اداب السلوك والوصول وقد اتى فى ذلك رحمه الله تعالى بعبارات صحيحة فصيحة واستعارات حسنة مليحة على طريقة وعظية اذا سمعها السامع طرب لها قلبه وهام فيها عقله ولبه وما ذاك الا لما علق بها من انوار قلب المتكلم

الفكرة فكرتان فكرة للسالكين وفكرة للمجذوبين

مكتوب لبعض الاخوان من كتابه البعض فى نعت حال السالك مع ابتدائه الى انتهائه

البدايات مجالات للنهايات

وقد قال فيما تقدم كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز اما بعد فان البدايات مجالات للنهايات المجالات محال التجلي والظهور فالسالك في ابتداء سلوكه يتجلى له امر نهايته وان من كانت بالله بدايته كانت اليه نهايته هذا بيان ما ذكره ومعنى كون بدايته بالله ان يكون مجاهداته ومكابداته وانواع رياضته مصحوبة بالاستعانة بالله والاعتماد عليه والانقطاع اليه فبذلك تصح له وينفذ في توجهه وسلوكه كما تقدم عند قوله ما توقف مطالب انت طالبه بربك ومعنى كون انتهائه اليه ان ينكشف له انفراد الله تعالى بالقيومية وتوحده بالديمومية وانه هو الاول والآخر والظاهر والباطن انكشافا يظهر له به عدمية ذاته وتلاشيه وتدككه واضمحلاله قال الله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق فاذا صحت للمريد تلك البداية بما ذكرناه وصل الى هذه النهاية وقد تقدم هذا المعنى في قوله من علامات النجح في النهايات الرجوع الى الله تعالى في البدايات وقال رضي الله عنه والمشتغل به هو الذي احببته وسارعت اليه والمشتغل عنه هو المؤثر عليه المشتغل به لك ايها المريد السالك انما هو عملك على التقرب من ربك والتوسل اليه بالطاعة والعبودية له وهو الذي احببته وسارعت الى اجابة دعوته فيحق عليك ان لا تشتغل بغير ذلك الشغل بل تكون به قرير عين والمشتغل عنه انما هو متابعة حظوظك العاجلة ومراداتك الزائلة وهو الذي يستحق الايثار عليها اذ هو فان مضمحل لا حقيقة له فلتطب عنه ولا تعمل فيه عقلا ولا حسا وهذا الكلام تهييج للسالك وانعاش لقوته وانهاض لهمته قال الشيخ ابو القاسم عبد الرحمن الصقلي رضي الله عنه

سمعت

سمعت عبد الله بن اسحق الغافقي يقول ما انتفعت الا بدعاء رجل بمكة مررت الى المسجد الحرام بالسحر فاذا رجل يسف التراب فقلت مجهودا او مجنون ثم قلت له يا هذا لا تسف التراب قال الي او ترك هو ثم ناولني فما شككت انه سويق او قند انا اشك ايهما قال فقلت ولي لله وجثوت على ركبتي وقلت ادع الله لي قال فقال لي عرفك الله قدر ما تطلب حتى يهون عليك ما تترك وقال رضي الله عنه وان من ايقن ان الله تعالى يطلبه صدق الطلب اليه ومن علم ان الامور بيد الله انجمع بالتوكل عليه العبد مطلوب لربه عز وجل باقامة وظائف العبودية له وذلك بما اختصه به من العقل والفهم وما رزقه من المعرفة والعلم وثمرة ذلك الطلب عائدة الى العبد فلم لا يصدق في طلبه واجتهاده اذا ايقن بذلك والامور كلها بيد الله تعالى ومن ذلك سعيه وكدحه فلم لا يتوكل عليه في ذلك فينجمع همه ويتيسر امره فاذا علم ذلك فالقسم الاول قيام بمقتضى الشريعة والقسم الثاني وفاء بحق الحقيقة وقال رحمه الله والله لابد لبناء هذا الموجود ان تنهدم دعائمه وان تسلب كرائمه ذكر هذا المعنى تسلية للعبد عما يفوته في حال سلوكه من حظوظه وشهواته لانه اذا علم ان هذه الاشياء لا بد ان تزال عنه ويزال عنها ولو بعد حين وكلما هو آت قريب لم يغتبط بما يكون مآل امره الى ذلك وبما يكون طيب النفس بتركه وتهديم الدعائم وسلب الكرائم من الاستعارة البديعة فالعاقل من كان بما هو ابقى افرح منه بما هو يفنى قد اشرق نوره وظهرت تباشيره فرح العبد بالاشياء الفانية موجب للزيادة في همه وغمه اذا فقدها قال سهل بن عبد رضي الله عنه من فرح بغير مفروح به استجلب

من ايقن ان الله مطلوب بالعبودية للعبد تصدق الطلب اليه

حُزنًا الا انقضا له وقد تقدّم هذا المعنى عند قوله ليقلّ ما تفرح به يقلّ ما تحزن عليه فالعاقل لا يفرح بذلك ولا يحبّه بل يكرهه ويبغضه وانما يكون فرحه بالامور الباقية التى لا تفنى قد اشرق نور ذلك فى قلبه وظهرت تباشيره على وجهه واشراق النور وظهور التباشير نتايج تحقّقه فى مقام الزهد **فصدف عن هذه الدار مغضيًا واعرض عنها موليًا فلم تتخذها وطنًا ولا جعلها مسكنًا** فلمّا كان هذا العبد على هذا الوصف صدف عن هذه الدار الدنياوية اى مال عنها مغضيًا جفنه عن قذائها من غير مبالاة بذلك معرضًا عنها بوجه قلبه قد ولاها دبره من غير التفات اليها وهذا مبالغة فى نبذها واطراحها فلم يوطنها بظاهره على سبيل التمتع بها والاستبشار ولم يساكنها بباطنه على جهة المحبة لها والايثار بل نزّلها منزلة السجن والمضيق ووطن نفسه فيها على تحمل ما يطيق وما لا يطيق وهذه علامة على تحقّقه بالزهد فى الامور الفانية التى هى مبغضة له فلمّا وصل الى ذلك حصل له من طهارة قلبه وصفا لبّه ما حمله على التعلق بمولاه الباقى الدائم فجعل الدنيا معبرًا يعبره اليه كما سيقوله المؤلف رحمه الله تعالى الآن **بل انهض الهمة فيها الى الله وصار فيها اليه مستعينًا به فى القدوم عليه** هذا ابتدأ سفره بقلبه الى الحضرة العلية فبدأ بانهاض الهمة الى ربّه والاستعانة فى القدوم عليه وهو اساس امره كما تقدّم وقد قال **الشاعر**

اذا لم يعنك الله فيما تريده ، فليس لمخلوق اليه سبيل
وان هو لم يرشدك فى كل مسلك ، ضللت ولو انّ السماك دليل

وقال ابو محمّد الجريري رضى الله عنه من توهّم انّ عملًا من اعماله

[margin: علامات تحقق العبد العارف بالزهد]
[margin: ابتداء سفر السالك بقلبه]
[margin: من توهم ان عملا من اعماله يوصله فقد ضل]

يوصله الى مأموله الاعلى والادنى فقد ضلّ عن طريقه لان النبى صلّى الله عليه وسلّم قال لن ينجى احدًا منكم عمله فما لا ينجى من المخوف كيف يوصل الى المأمول ومن صحّ اعتماده على فضل الله تعالى فذلك الذى يرجى له الوصول **فما زالت مطية عزمه لا يقرّ قرارها دائمًا تسيارها الى ان اناخت بحضرة القدس وبساط الانس محلّ المفاتحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والمطالعة فصارت الحضرة معشش قلوبهم اليها يأوون وفيها يسكنون** هذه استعارة مليحة استعملها فى سفر القلب الى حضرة الرب وقد تقدّم معنى ذلك عند قوله لولا ميادين النفوس ما تحقّق سير السائرين وحضرة القدس وبساط الانس هما موضع حطّ الرحال وبلوغ الاوطار والامال من قبل انّ السالك تمحى عنه رسوم بشريته ويبطل احكام انيّته وينكشف له اذ ذاك اوصاف معروفه العلية كرأى العين ويكون سرّه مع الله تعالى بلا اين فلمّا وصل الى هذه الحضرة العلية ونال هذه المنقبة السنيّة قوبل بانواع من الكرامات والالطاف وفنون من تحف الاسعاد والاشراف وهى معانى هذه الالفاظ الستّة التى ذكرها المصنف رحمه الله تعالى ولا تعرف الا بالذوق وكذلك التفرقة بين معانيها فحينئذٍ القى السائرون عصى سيرهم وحمدوا عاقبة امرهم وصارت حضرة محبوبهم معشش قلوبهم ومستوطنهم فى ذهابهم وايابهم الى ظلّها يأوون اذ صلى غيرهم بنيران هواه وفى دار المقامة منها يسكنون حين يزعج سواهم عن متعة دنياه وهاهنا حصل لهم التحقيق بمقام الفنا والمحو وهذا هو انتهاء سفرهم بمعنى الصعود والترقى وقال رضى الله عنه **فان نزلوا الى سماء الحقوق او ارض الحظوظ**

[margin: مقامات العارفين بعد سيرهم القلبى]
[margin: انتهاء سفر السالكين]

فبالاذن والتمكين والرسوخ فى اليقين فلم ينزلوا الى الحقوق
بسوء الادب وبالغفلة ولا الى الحظوظ بالشهوة والمتعة بل دخلوا
فى ذلك بالله ولله ومن الله والى الله هذا هو سفر التدلى والنزول
وبه يتحققون بمقام البقاء والصحو فاذا نزلوا من سدرة منتهاهم
الى سماء الحقوق وهى حقوق الله عليهم مما امرهم به او نهاهم عنه
ليقوموا بذلك فعلاً او تركاً او الى ارض الحظوظ وهى حظوظ انفسهم
التى تلابسهم ويحصل لهم الارتفاق بها فانما يكون نزولهم الى ذلك
بالاذن والتمكين والرسوخ فى اليقين ومعنى ذلك ان يدخلوا
فى الاشيا بمراد الله لا بمراد انفسهم ويجدون الاذن من الله تعالى
لهم بما يشرق فى قلوبهم من النور الذى جعله علماً على ذلك وقد
ذكر سيدى ابو الحسن رضى الله عنه فى بعض كلامه قال رضى الله
عنه ومعنى الاذن فى حق الولى نور ينبسط على القلب يخلقه الله
تعالى فيه وعليه فيمتد ذلك النور على الشئ الذى يريده فيدركه
نور او مع نور او ظلمة تحت ذلك النور ينبئك ان تاخذ ان شئت
او تترك او تختار او تذر او تعطى او تمنع او تقوم او تجلس او تسافر
او تقيم هذا امر المباح المأذون فيه بالتخيير فاذا قارنه القول
تاكد الفعل المباح بمراد الله تعالى فان قارنته نية صحيحة ليفعل
بر زال عنه ذكر المباح وصار مندوباً وان ظهرت ظلمة تحت النور
الممتد من القلب فلا يخلو ان يلوح عليه لايح الغضب بانقباض
القلب فاحذر ذلك وتجنبه فانه المحظور او يكاد ولا يقطع
ذلك الا ببينة من كتاب الله تعالى او سنة او اجماع او خلاف
لمقلد قلدته كمالك والشافعى وغيرهما من العلماء الراسخين
فاحكم اذاً على اصل صحيح وان تكن الظلمة شبه غيم لا يتصدع معه

سفر التدلي والنزول

معنى الاذن للولي في الامور كلها

القلب

القلب ولا يتفرغ به الذهن فتباعد عنه فانه يكاد ان يكون مكروها
ولا تحكم بعقلك ورايك فقد ضل من هاهنا خلق كثير ولا تفت
احداً وان استفتاك واعط الورع حقه ولا تقف ما ليس لك
به علم فان تادبت هاهنا فعن قريب ياتيك البينة من ربك
والشاهد يتلوها منه انتهى كلام الشيخ ابى الحسن رضى الله عنه
وهو مناسب لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى الا ان ما فيه من
التفصيل لم يتعرض له المؤلف رحمه الله تعالى بل القى الامر فى
ذلك مجملاً كما تراه وتقريره فاذا نزلوا الى الحقوق واستعملوا
فيها لم ينزلوا اليها بسوء ادب ولا غفلة وهو ان يشهدوا قيامهم
بها من انفسهم ويطلبوا ثواباً عليها من ربهم وان نزلوا الى
الحظوظ لم ينزلوا اليها بشهوة غالبة قاهرة لهم ولا متعة يقصدون
الى نيلها فى دنياهم بل دخلوا فى ذلك بالله مستعينين ولله عابدين
ومن الله آخذين والى الله متوسلين قد تولى الله ادخالهم فى
الاشيا واخراجهم منها واوجدهم ذلك وعزل عنهم ملكية
نفوسهم لهم وصاروا احراراً كراماً وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ
وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ليكون نظرى الى حولك وقوتك اذا
ادخلتنى واستسلامى وانقيادى اليك اذا اخرجتنى المدخل
والمخرج الادخال والاخراج وقد عبر بهاتين العبارتين عن السفرين
المذكورين فالمدخل هو سفر الترقى لانه دخول على الله تعالى
فى حال فنائه عن رؤية غيره والمخرج هو سفر التدلى لانه خروج
الى الخليقة لفائدة الارشاد والهداية فى حال بقائه بربه
وتحققه فى هذين المقامين اعنى مقام الفنا والبقا هو معنى
صدقية مدخله ومخرجه وانما طلب هذا ليحصل له به ذهاب

هذا مقام ضلال اهل الضلال

مستعينين

دعاء السالكين للابتداء والانتهاء

عن رؤية نفسه فى النسبة والوقوف مع الحظ ففى المدخل يشاهد
حول الله وقوته فتنتفى عنه بذلك النسبة الى نفسه وفى المخرج
يستسلم لربه وينقاد اليه فينتفى عنه بذلك مراعات حظه
وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ينصرنى وينصر بى ولا
ينصر علىّ ينصرنى على شهود نفسى ويفنينى عن دائرة حسّى
طلب من الله النصرة له ليستقيم امره وطلب منه النصرة به ليكمل
حاله فالنصرة له هى ملاك ارباب البدايات من السالكين اذ
بذلك يتيسّر عليهم قطع عقبات النفس ومحو دعاوى الهوى و
الحس والنصرة به هى مقتضى حال ارباب النهايات من المحققين لان
بذلك يحصل لهم مرتبة الامامة ومقام الارشاد والهداية
وكل واحد من القسمين نصرة على شهود النفس وفناء عن دائرة
الحس واخراج النصرة عليه من السؤال والطلب لان ذلك
من الخذلان وعدم التوفيق وهو غلبة احكام نفسه وبقاؤه
مع دائرة حسّه وقال رضى الله عنه مما كتب لبعض اخوانه
ان كانت عين القلب تنظر الى ان الله تعالى واحد فى منته
فالشريعة تقتضى ان لا بد من شكر خليقته اذا اوصل الحق
تعالى اليك نعمة على يد انسان سواء كانت دينية او دنياوية
فعليك فى ذلك وظيفتان احداهما ان تشهد انفراد الله
تعالى بذلك فلا ترى النعمة الا منه وحده وترى من سواه ممن
اجراها على يديه مقهورا مجبورا على ذلك مسلطا عليه الدواعى
والبواعث حتى لم يجد انفكاكا عنه وهذا هو حق التوحيد
والثانية ان تشكر من وصلت اليك على يديه بان تدعو له
وتثنى عليه امتثالا لامر الله تعالى وعملا بما جاءت به الشريعة

اذا وصل اليك حسن المنة منهما فلا بد لك من تشكر الخلق فى وساطة النعم

قال الله تعالى

قال الله تعالى ان اشكر لى ولوالديك وفى حديث النعمان بن بشير رضى
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم
يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وفى حديث اسامة
ابن زيد رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكر
الناس لله تعالى اشكرهم للناس ولان الله تعالى اختص بان اقامه
فى ذلك واهّله له ومن اسمائه تعالى الشكور فليتخلق العبد
بذلك وهذا هو حق الشرع وان الناس فى ذلك على اقسام
ثلثة غافل منهمك فى غفلته قويت دائرة حسه وانطمست
حضرة قدسه فنظر الاحسان من المخلوقين ولم يشاهده من
رب العالمين اما اعتقادا فشرك جلى واما استنادا
فشرك خفى هذا بيان احوال الناس بالنسبة الى مشاهدة
التوحيد ورؤية الوسائط والعبيد فبدأ بذكر عامة الناس
وهم الغافلون المنهمكون فى غفلتهم اصحاب الظواهر والرسوم
الذى قويت دائرة حسهم فقيدتهم ووقفوا معها وانطمست
حضرة قدسهم فابعدتهم ولم يحلوا بها فشهدوا الاحسان
من المخلوقين فتعبدوا لهم وطمعوا فيهم ولم يشهدوه من
رب العالمين وكفروا نعمته واستوجبوا سخطه ونقمته
ثم هم فى ذلك على قسمين احدهما ان يعتقدوا ذلك اعتقادا
بقلوبهم انه منهم ومن قبلهم وهذا هو الشرك الجلى الذى
يخرج صاحبه عن دائرة الاسلام ويوقعه فى الكفر والعياذ
بالله والثانى ان يحصل ذلك منهم استنادا اى اعتمادا
على غير الله وسكونا الى سواه مع سلامة عقلهم وهذا هو الشرك
الخفى الذى يخرج صاحبه من حقائق الايمان ويدخله

ان الناس فى النعم نظرا الى الله والى الخلق على ثلثة اقسام

القسم الاول

القسم الثاني

فى ابواب النفاق ونعوذ بالله من الشرك جليه وخفيه وصاحب حقيقة
غاب عن الخلق بشهود الملك الحق وفنى عن الاسباب بشهود مسبب
الاسباب فهذا عبد مواجه بالحقيقة ظاهر عليه سناها سالك
للطريقة قد استولى على مداها غير انه غريق الانوار ومطموس الاثار
قد غلب سكره على صحوه وجمعه على فرقه وفناؤه على بقائه
وغيبته على حضوره هذا هو حال الخاصة من ارباب الحقائق
وهم الذين غابوا عن الخلق بشهود الملك الحق فلم يقع لهم شعور
بهم ولا التفات اليهم وفنوا عن الاسباب برؤية مسبب الاسباب
فلم يروا لها فعلا ولا جعلا فهم مواجهون بحقيقة الحق ظاهر
عليهم سناها اى نورها وضياؤها سالكون طريقة الحق قد
استولوا على مداها اى وصلوا الى غايتها ونهايتها الا انهم
غرقا فى بحار انوار التوحيد مطموس عليهم اثار الوسائط
والعبيد اى مغلق عليهم رؤية ذلك والشعور به قد غلب
سكرهم وهو عدم احساسهم بالاغيار على صحوهم وهو وجود
احساسهم بها وجمعهم وهو ثبوت وجود الحق فردا على فرقهم
وهو ثبوت وجود الخلق وفناؤهم وهو استهلاكهم فى شهود الحق
على بقائهم وهو شعورهم بالخلق وغيبتهم وهو ذهاب احوال
الخلق عن نظرهم على حضورهم مع الخلق ومعانى هذه الالفاظ
كما تراها متقاربة وهى الفاظ تداولها الصوفية المحققون فيما
بينهم وعبروا بها فى كتبهم ووضعوها على معان اختصوا بفهمها
ليتعرف بعضهم من بعض ما يتخاطبون به ولهم الفاظ كثيرة
غيرها وكان المؤلف رحمه الله اراد ان لا يخلو كتابه عن ذكر شىء
منها واكمل منه عبد شرب فازداد صحوا وغاب فازداد حضورا

معانى السكر والصحو والجمع والفرق والفناء والبقاء والغيبة والحضور

القسم الثالث

فلاجمعه

فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولا فناؤه
يصرفه عن بقائه ولا بقاؤه يصده عن فنائه يعطى كل ذى
قسط قسطه ويوفى كل ذى حق حقه هذا هو حال خاصة
الخاصة الذين حازوا رتبة الاكملية وهم قوم شربوا كؤس التوحيد
فازداد صحوهم وغابوا عن الاغيار فازداد حضورهم قد ملكوا
الاحوال وتمكنوا فى مقامات الرجال فلم يغلبهم محو ولا
طى ولم يحجبهم شىء عن شىء بل وفوا جميع حقوق المراتب
واعطوها ما لها من قسط واجب وذلك لاتساع نظرهم
ونفوذ بصرهم وهذه هى صفة الصديق رضى الله تعالى
عنه فى القصة التى يذكرها الآن وقال ابو بكر الصديق
رضى الله عنه لعائشة رضى الله عنها لما نزلت براءتها من
الافك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة اشكرى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا اشكر الا الله
دلها ابو بكر على المقام الاكمل مقام البقا المقتضى
لاثبات الاثار وقد قال تعالى ان اشكر لى ولوالديك
وقال صلى الله عليه وسلم لا يشكر الله من لا يشكر الناس
وكانت هى فى ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها
غائبة عن الاثار فلم تشهد الا الواحد القهار هذا مثال
هذين القسمين وقد اشبع المؤلف رحمه الله الكلام فيه
والمعنى فى ذلك بين لا حاجة بنا الى مزيد تنبيه الا قوله
وكانت هى فى ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها اى مقطعة
عن شاهدها وهو حكم بشريتها مستوفاة عن احساسها
بالكلية والاصطلام نعت الحيرة ومحل القهر وصفة

الدّهشة وفي قوله وكانت هي في ذلك الوقت اشعار بانّ ذلك لم يكن حالاً
لازماً لها في جميع اوقاتها بل كان ذلك في وقت مخصوص وواقعة مخصوصة
وذلك صحيح ادخالها رضي الله عنها هو حال الكمال في حيوة رسول الله صلى
الله عليه وسلّم وبعده وفاته كنحو حال ابيها رضي الله عنهما وذلك معلوم من
اخبارها وسيرها رضي الله عنها وقال رضي الله عنه لمّا سئل عن قوله
صلى الله عليه وسلّم وجعلت قرّة عيني في الصّلاة هل ذلك خاص به ام
بغيره فيه شرب ونصيب فاجاب بان قال رضي الله عنه انّ قرّة العين
بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود فالرّسول صلوات الله عليه وسلامه ليس
معرفة كمعرفته فليس قرّة عين كقرّته وانّما قلنا انّ قرّة عينه في صلاته
بشهوده جلال مشهوده لانّه قد اشار الى ذلك بقوله في الصّلوة ولم
يقل بالصّلوة اذ هو صلوات الله عليه وسلامه لا تقرّ عينه بغير ربّه وكيف
وهو يدلّ على هذا المقام ويامر به من سواه لقوله صلوات الله عليه وسلامه
اعبد الله كانّك تراه ومحال ان تراه وتشهد معه سواه فقال القائل
قد يكون قرّة العين بالصّلوة لانّها فضل من الله وبارزة من منّة
الله فكيف لا يفرح بها وكيف لا تكون قرّة العين بها وقد قال سبحانه
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فقال اعلم انّ الآية قد
اومات الى الجواب لمن يتدبّر سرّ الخطاب اذ قال فبذلك فليفرحوا وما
قال فبذلك فافرح يا محمّد قل لهم فليفرحوا بالاحسان والتفضّل وليكن
فرحك انت بالمتفضّل كما قال في الآية الاخرى قل الله ثمّ ذرهم في خوضهم
يلعبون الصّلوة هي اجلّ ما يتحف الله به عباده ويهديه اليهم وفي
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم انّه قال ما اوتي عبد في الدّنيا خيراً
من ان يؤذن له في ركعتين يصلّيهما ففيهما يحصل له الخلوة معه والانفراد
به والمجالسة له والانقطاع اليه وفيها يرتفع الحجب والاستار وتتجلّى فيها

قرة العين بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود

فضائل الصلوة

عن قلبه صح

حقائق الاسرار ويشرق فيها شوارق الانوار وفيها تكون المناجات
والمصافات كما تقدّم وهي صلة بين العبد وربّه عزّ وجلّ قال محمد بن علي
الترمذي رضي الله عنه الصّلوة عماد الدّين واوّل شيء فرض الله على المسلمين
والصّلوة اقبال الله تعالى على العبيد ليقبلوا عليه في صورة العبيد تذلّلا
وتسلّما وتبذّلا وتخضّعا وتخشّعا وترغّبا وتملّقا فالوقوف تذلّل
والتكبير تسليم والثّنا والتلاوة تبذّل والرّكوع تخضّع والسّجود تخشّع
والجلوس ترغّب والتّشهّد تملّق فاقبل العبيد بهذه الصّورة على الله
تعالى ليقبل الله عليهم بالترحّم والتعطّف والتقبّل والتكرّم
والتقرّب فليس شيء من امر الدّين اعظم من هذا ولهذا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلّم الصّلوة عماد الدّين وقال في حديث آخر الصّلوة نور
وقال لا يزال الله مقبلاً على العبد بوجهه ما دام في صلاته وانّ الله
تعالى لينصب الى احدكم وجهه ما دام مقبلاً عليه انتهى ولاجل هذه
الفوائد كانت الصّلوة مفزع ذوي الفاقات والضرورات من ارباب
القلوب فيغنيهم وجودها عن كلّ مرغوب ويتسلّون بها عن كلّ محبوب
قال الله تعالى وأمر اهلك بالصّلوة واصطبر عليها لا نسألك رزقا
نحن نرزقك الآية فواجب اذاً ان تكون قرّة عين عباد الله فيها
وبها وقرّة العين عبارة عن الرّوح والرّاحة وكمال النّعيم واللّذة
التي تحصل من غاية الموافقة والملايمة الّا انّها تختلف باختلاف
احوال الناس في مقاماتهم ومراتبهم فمن عظمت منزلته وعلت
مرتبته كانت ملايمته وموافقته في شهود التّوحيد وكمال التجريد
المشار اليه في قوله صلى الله عليه وسلّم ان تعبد الله كانّك تراه اذ محال
ان تراه وتشهد معه سواه كما قاله المؤلّف رحمه الله وفيما
روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في قوله لعروة بن الزبير رضي الله عنهما

اناكنا نترايا الله تعالى بين اعيننا وكان هذا لما خطب اليه عروة بن الزبير
ابنته وهو في الطواف فلم يكلمه ابن عمر رضي الله عنهما ولم يرجع اليه بشيء
ثم اعتذر له بعد ذلك بهذا الكلام فصاحب هذا الحال تكون قرة
عينه في الصلوة لانها لما تضمنته من التجلي التام والشهود
الحقيقي ومن كانت منزلته دون ذلك كانت ملايمته وموافقته
في شهود النعم ووجود الفضل والكرم وكانت قرة عينه بها لا فيها
لانها فضل من الله وبارزة من منة الله كما قال المؤلف رحمه الله
ولا شك ان معنى قرة العين في الوجه الاول احق وبه انسب واليق
لان صاحبه فان من نفسه باق بربه ومن كان على هذا الوصف
فهو من المخلصين الذين لا سلطنة عليهم للعدو اللعين ومن
زالت سلطنته عنه في صلوته لم يحتج الى مدافعته ومراجعته و
كانت صلاته ملزومة بالحضور والخضوع والدوام والخشوع وعند
فقدان العبد لحديث نفسه ووسوسة عدوه يحصل له غاية
النعيم واللذة ويتحقق في حقه معنى قرة العين بخلاف الوجه الاخر
فان صاحبه لم يفن عن نفسه فضلا عن ان يرتقي الى درجة
البقاء بربه فلم ينقطع عنه حديث النفس ولا وسواس العدو
فيحتاج لا محالة الى مجاهدة ومدافعة فيتشوش نعيمه وتتكدر
لذته فيضعف معنى قرة العين في حقه قال الشيخ العارف ابو محمد
عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه وقرة العين لا تكون لمجاهد ولا
لمن يدفع الشيطان عنه بل هي لمن استراح من المجاهدة والدفع ولما
كانت منزلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عند ربه عز وجل اشرف
المنازل ومرتبته في المعرفة ارفع الرتب بحيث لا يتصور ان يشاركه
في ذلك غيره او يحل لها سواه كانت قرة عينه في صلوته على حسب ذلك

فمن قال ان ذلك خاص به لانفراده بالمرتبة العليا والخاصية
الكبرى فقوله صحيح وعليه يدل ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت
قرة عيني في الصلوة بعد قوله انما حبب الي من الدنيا الطيب و
النساء ولا شك ان حبه لهذين الامرين ليس على قياس حب غيره
لهما وانما ذلك لوجود الخاصة التي اقتضت منه ذلك الا ترى
انه ابيح له ما لم يبح لغيره من عدد الحرائر وامن لاجل ذلك من
وقوع مفسدة التباغض والتشاجر بسبب اجتماع الضرائر
واستعماله صلى الله عليه وسلم الطيب وحبه له انما هو للقائه
الملائكة التي تناجيه والا فهو في ذاته غني عن الطيب واستعماله
كما قال انس بن مالك رضي الله عنه ما مسست حريرا ولا خزا ولا ديباجا
الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت رائحة قط
مسكا ولا عنبرا اطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا كان حاله في هذين الامرين على ما ذكرناه مع انه لم يذكر
فيهما سوى لفظ الحب وهما من لذات الدنيا فكيف يكون حاله
في الامر الثالث مع انه عبر فيه بقرة العين وهي غاية المحبة
وهي من اعمال الاخرة وقيل في معنى قوله من الدنيا اي في الدنيا
ومن قال ان الغير منه شربا ونصيبا على المعنى الذي يليق بهذا
الغير فلقوله وجه وجواب المؤلف رحمه الله تعالى يحتمل
لهذين الوجهين والله اعلم بما اراد منهما او من غيرهما وقال
رضي الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه الناس في ورود المنن على
ثلثة اقسام فرح بالمنن لا من حيث مهديها ومنشئها ولكن بوجود
متعته فيها فهذا من الغافلين وصدق عليه قوله تعالى حتى اذا
فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وفرح بالمنن من حيث انه شهدها

الناس في ورود المنن على ثلثة اقسام

منّة ممّن ارسلها ونعمة ممّن اوصلها يصدق عليه قوله تعالى
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير ممّا يجمعون وفرح
بالله ما شغله من المنن ظاهر متعتها ولا باطن منّتها بل
شغله النّظر الى الله عمّا سواه والجمع عليه فلا يشهد الّا ايّاه
يصدق عليه قوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون
تضمّن هذا الفصل بيان ما يحمد من احوال النّاس وما يذم عند ورود
النّعم عليهم وحصول الفرح اذ ذاك لهم ويبتنى عليه ما يكون من ذلك
شكرا لها وما لا يكون وقد قسّمهم المؤلّف رحمه الله تعالى ثلثة
اقسام وجعلهم طرفين وواسطة قسم فى غاية الدّناءة والخسّة
وهم الّذين فرحوا بالنّعم من حيث انّ فيها قضاء اوطار نفوسهم
ونيل اغراضهم والتّمتع بشهواتهم ولذّاتهم فاحوال هؤلاء
مذمومة جدًّا اشبه شئ بهم الانعام والبهائم وهذه احوال
اهل الطّرد والبعد والاستدراج والمكر حسبما اشار اليه فى
الآية الكريمة الّتى ذكرها المؤلّف رحمه الله تعالى فى هذا القسم وهذه
الاحوال بعيدة من الشّكر منافية له وقسم فى غاية الشّرف و
الجلالة وهم الّذين فرحوا بالمنعم فقط ولم يلتفتوا الى ظواهر النّعم
لاجل انّ فيها منفعتهم ولذّتهم ولا الى بواطنها من كونها منّة كونها
دلائل على عناية الله تعالى بهم حيث منّ بها عليهم فاحوال هؤلاء
محمودة جدًّا لانّهم غابوا عن الاغيار العدميّة وتحقّقوا بالحقائق
الوحدانيّة كما اشار اليه فى الآية الكريمة الّتى ذكرها المؤلّف رحمه
الله تعالى فى هذا القسم وحال هؤلاء هو الشّكر الحقيقىّ الخالص
الخالى من المزج والشّوب لانّ المشاهد للمنعم فانٍ عن حظوظ
نفسه فهو يرى الاشياء كلّها نعما فلا تفرقة عنده بين وجود

ولا عدم ولا عطاء ولا منع ولا يخاف عليه من التّغيير والانقلاب
لتغيّر الافعال والاسباب ما يخاف على غيره لبقاء حظّه قال ابو محمّد
عبد العزيز الجريري رضى الله عنه من رأى النّعم ولم ير المنعم فقد
حجب عن الشكر ومن رأى المنعم بغيبة النّعم فقد شكر وقال الشّيخ
ابو محمّد عبد العزيز المهدوي رضى الله عنه كلّ من لم يشاهد المنعم
فى النّعمة كانت النّعمة فى حقّه استدراجا لانّه يؤدّيه ان يسكن
اليها فاذا نزعت عنه لزم ان يتغيّر عليها ومنهم من حصل له نصيب
من الشّرف والجلالة وحظّ من الدّناءة والرّذالة وهم الّذين
فرحوا بالنّعم لكونها منّة من الله تعالى عليهم فمن حيث شهودهم
للمنّة من ربّهم شرفوا وجلّت اقدارهم وكانت احوالهم محمودة وهى
شكر منهم لائق بهم ومن حيث نظرهم لانفسهم وبقائهم مع
حظوظهم كان لهم نصيب من الدّناءة والخسّة وانحطّوا بهذا
الوصف عن مراتب الاعلين وارتقوا بالوصف الاوّل عن
احوال الادنين فخوطبوا بما خوطب به عامّة المؤمنين واوساطهم
فى الآية الكريمة الّتى ذكرها المؤلّف رحمه الله تعالى فى هذا القسم
وقد ضرب الامام ابو حامد الغزالى رضى الله عنه فى كتاب الشّكر
لهذه الاقسام الثّلاثة مثلا فقال الملك الّذى يريد الخروج الى
سفر فانعم بفرس على انسان يتصوّر ان يفرح المنعم عليه
بالفرس من ثلثة اوجه احدها ان يفرح بالفرس من حيث
انّه فرس وانّه مال ينتفع به وانّه مركوب يوافق غرضه و
انّه جواد وهذا فرح من لاحظّ له فى الملك بل غرضه الفرس
فقط ولو وجده فى صحراء واخذه لكان فرحه به مثل هذا
الفرح الوجه الثّانى ان يفرح به لا من كونه فرسا بل من جهة

ما يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى
لو وجد هذا الفرس في صحراء او اعطاه له غير ذلك الملك لم يفرح به
اصلاً اما لاستغنائه عن الفرس او لاستحقاره له بالاضافة الى
مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك الوجه الثالث ان يفرح به ليركبه
فيخرج في خدمة الملك ويحتمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب
منه ويرتقي الى درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله
في قلب الملك محل من يعطيه فرساً ويعتني به هذا القدر من العناية
بل هو طالب لان لا ينعم الملك بشيء من ماله على احد الا بواسطته
ثم انه ليس يريد من الوزارة الوزارة ايضاً بل مشاهدة الملك والقرب
منه حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب
لاختار القرب فهذه ثلاث درجات فالاول لا فيها معنى الشكر اصلاً
لان نظر صاحبها مقصور على الفرس وفرحه بالفرس لا بالمعطي
وهذا حال من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه
فهو بعيد عن معنى الشكر والثاني داخل في معنى الشكر من حيث
انه فرح بالمنعم ولكن لا من ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي
تستحثه على الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين
يعبدون الله ويشكرونه خوفاً من عقابه ورجاء لثوابه وانما
الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعم
الله تعالى من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه
والنزول في جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذه هي
المرتبة العليا وامارته انه لا يفرح من الدنيا الا بما هو
مزرعة الآخرة وتعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن
ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله لانه ليس يريد النعمة لانها

لا يدخل م

لذيذة

لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لانه جواد ومهملج بل من حيث
انه يحمله في صحبة الملك حتى يدوم مشاهدته له وقربه منه و
لذلك قال الشبلي رضي الله عنه الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة
ولذلك قال الخواص رضي الله عنه شكر العامة على المطعم والملبس
وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها
كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات
الحواس من الالوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب
يلتذ في حال الصحة الا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه وانما
يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل
الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي
الاشياء المرة حتى قيل شعر

ومن يك ذا فم مر مريض ۸ يجد مراً به الماء الزلالا ۸

فاذاً هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى عز وجل فان لم يكن ابل
فمعزو وان لم يكن هذا فالدرجة الثانية اما الاولى فخارجة عن
كل حساب فكم بين من يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس
للملك وكم من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد
نعم الله تعالى ليصل بها اليه انتهى كلام الامام ابي حامد الغزالي
رضي الله عنه وهو في غاية البيان والوضوح وهو كالتفسير لما ذكره
المؤلف رحمه الله تعالى ولذلك اوردته هاهنا بكماله وقد
اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود قل للصديقين بي
فليفرحوا وبذكري فليتنعموا بهذا تحقق صديقيتهم وعلم
ارتفاع رتبتهم على من دونهم قيل ان عتبة الغلام دخل في بعض
الايام على رابعة العدوية رضي الله عنها وعليه قميص جديد وهو

يتبختر في مشيته بخلاف ما سبق من عادته فقالت يا عتبة ما
هذا التيه والعجب الذي لم اره في شمائلك قبل اليوم فقال يا رابعة ومن
اولى بهذا التيه مني وقد اصبح لي مولى واصبحت له عبدا وقال بعضهم
كنت مسافرا الى مكة فبينما انا امشي اذ رايت شيخا بيده مصحفا
وهو ينظر فيه ويرقص فتقدمت اليه وقلت له يا شيخ ما هذا الرقص
فقال دعني عنك فقلت في نفسي عبد من انا وكلام من اتلو وبيت
من انا قاصد فاستغرني الوجد ورقصت وانشدوا في هذا
المعنى

شعرا

قوم يخالجهم زهو بسيدهم ۰ والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا برؤيته عما سواه له ۰ يا حسن رؤيتهم في حسن ما تاهوا

ويجوز ان يكون المراد بقوله وبذكري فليتنعموا بذكري اياهم في
الازل حيث لا وجود لهم والا فان الذكر المنسوب اليه محل الافات
والعلل وهو اجل رتبة من ان يكون نعيمهم بشيء ملتبس بهم

دعاء المؤلف

الله يجعل فرحنا واياكم به وبالرضا منه وان يجعلنا من اهل الفهم
وان لا يجعلنا واياكم من الغافلين وان يسلك بنا مسلك
المتقين بمنه وكرمه امين هذا دعاء حسن موافق لمعنى ما
تقدم وهو بين لا يحتاج الى تنبيه عليه والله تعالى يحقق لنا ذلك
بفضله وقال رضي الله عنه ونفع به آمين الهي انا الفقير في غناي
فكيف لا اكون فقيرا في فقري الهي انا الجاهل في علمي فكيف لا اكون
جهولا في جهلي العبد موصوف بصفات النقص وهي ذاتية له والكمال
العارض له والمنسوب اليه نقصان على التحقيق ومن ثم كان ما ذكره
المؤلف رحمه الله تعالى من كونه فقيرا في غناه وجاهلا في علمه
صحيحا مستقيما وكانه رحمه الله قصد بهذا الى الاعتراف بدوام

الاضطرار

الاضطرار ولزوم الفاقة والافتقار وانه لا استغنا له عن مولاه
عز وجل ولا ينفك من الاحتياج اليه والتعلق به والسؤال والطلب
منه في كل حال من احواله كما قال بعضهم
اني اليك مدى الانفاس محتاج ۰ لو كان في مفرقي الاكليل والتاج
وهذا منه دليل على تحققه في مقام العبودية التي اقتضتها عظمة
الربوبية وتقديمه لهذه المعاني بين يدي دعائه ومناجاته في
غاية الحسن قال لسيدي ابو الحسن رضي الله عنه ما طلبت من الله

ما طلبت شيئا الا وقدمت اساءتي امامي

شيئا الا وقدمت اساءتي امامي يريد رضي الله عنه حتى لا يطلب من الله
تعالى شيئا بوصف يستحق به العطا بل لا يكون طلبه ووجود فضله
الا بفضله وقال ابو عثمان رضي الله عنه في قوله تعالى ادعوا ربكم
تضرعا وخفية قال التضرع في الدعاء ان لا تقدم اليه فعالك
وصلواتك وصيامك وقراءتك ثم تدعو على اثرها انما التضرع
ان تقدم اليه افتقارك وعجزك وضرورتك وفاقتك وقلة حيلتك
ثم تدعو بلا علاقة ولا سبب فيرفع دعاؤك وقال الواسطي
رضي الله عنه تضرعا بذل العبودية وخلع الاستطاعة وقال
سهل بن عبد الله رضي الله عنه ما اظهر عبد فقره الى الله تعالى
وقت الدعاء في شيء يحل به الا قال الله تعالى للملائكة لولا انه
لا يحتمل كلامي لاجبته لبيك الهي ان اختلاف تدبيرك وسرعة
حلول مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون
الى عطا واليأس منك في بلا تلوين الاحكام على العباد يقتضي

لا تسكنوا في العطا ولا تيأسوا في الضرا

ان لا يساكنوا احوال الاسارة يكونون عليها ولا ييأسوا في حال ضارة
تنزل بهم من وجود الراحة والفرج وهذا محض تعلق بالله عز وجل
وهو نعت العارفين الهي مني ما يليق بلؤمي ومنك ما يليق

بكومك لتوهم العبد الذى ركب عليه يقتضى منه مبادرة مولاه بالعظائم
والكبائر وكرم المولى الذى هو متصف به يقتضى منه التجاوز والعفو
عن عبده وقبول عذره وهذا الكلام من الطف وجوه السؤال
والرغبة وهو من آداب الدعاء ويحكى ان رجلا قال لبعض الانبيآ
عليهم الصلاة والسلام قل له كم اخالفه واعصيه وهو لا يعاقبنى
فاوحى الله تعالى الى ذلك النبى قل لفلان ليتعلم انى انا انا وانت انت
الهى وصفت نفسك باللطف والرأفة بى قبل وجود ضعفى
افتمنعنى منهما بعد وجود ضعفى اللطف والرأفة صفتان
لله تعالى اتصف بهما فى الازل قبل وجود ضعف العبد وفاقته وحاجته
وهما مقتضيان لوجود آثارهما فيما لا يزال بعد وجود ذات العبد وصفاته
وهى اسباغ نعمه عليه وايصال الفضائل اليه فكيف يتصور اذ ذاك
منعه اياهما الهى ان ظهرت المحاسن منى فبفضلك ولك المنة على
وان ظهرت المساوى منى فبعدلك ولك الحجة على ظهور المحاسن
على العبد وهى انواع الطاعات والحسنات والصفات المحمودات افضل من الله
تعالى والمنة له عليه لعدم استحقاقه لذلك وظهور المساوى منه
وهى ضروب المعاصى والسيئات والاوصاف المذمومة عدل من الله
تعالى اذ له ان يفعل بعبده ما يشاء والحجة له عليه لانه رب وهو
عبد ومناجاة العبد لمولاه بهذا الكلام من احسن المناجات
وهى مقتضية لوجود اسعافه وموالاة الطافه عليه لما فيها
من الثناء على الله تعالى على بساط قربه وذكر صفاته العلية و
التعلق بها والاعتراف له بالنعم الظاهرة والباطنة ولما
فيها ايضا من رؤية ضعف النفس والاقرار عليها بالنقص و
القصور وانزالها منزلتها من الذلة والمهانة وقد قال بعضهم

تعلق شاب

تعلق شاب باستار الكعبة وقال الهى لا لك شريك فيؤتى ولا وزير
فيرشا ان اطعتك فبفضلك ولك الحمد وان عصيتك فبجهلى
ولك الحجة على فاثبات حجتك على وانقطاع حجتى لديك الا غفرت
لى فسمع هاتفا يقول الفتى عتيق من النار الهى كيف تكلنى وقد
توكلت لى وكيف اضام وانت الناصر لى ام كيف اخيب وانت الحفى
بى الوكيل والناصر والحفى اسماء الله تعالى وهى مقتضية لوجود آثارها
من وجود الكفاية والمنعة والظفر بغاية المقصود والبغية فكيف
يتصور انفكاك ذلك عن العبد عند وجود حاجته كما تقدم
فى اللطف والرأفة والضيم فى اللغة معناه انتقاص الحق والحفى
هو اللطيف ولطفه بعبده علمه بدقائق مصالحه وخفيات
ما دبره وايصال ذلك اليه برفق قال الله تعالى الله لطيف بعباده
ها انا اتوسل اليك بفقرى اليك التوسل التقرب والوسيلة ما
يتقرب به واعظم وسائل العبد الى مولاه هو تحققه بما توجبه
عبوديته وهو فقره الى الله تعالى فى كل حال من احواله فلا يرى لنفسه
حسنة يقتضى بها ثوابا ولا يدلى بحجة يستدفع بها عن نفسه عقابا
قال ابو يزيد رضى الله عنه بماذا يقدم الفقير على ربه قال وما للفقير
ان يقدم به على ربه سوى فقره وكيف اتوسل اليك بما هو محال ان
يصل اليك بين المتوسل به والمتوسل اليه نسبة تامة ووصلة
حقيقية هى التى اقتضت له وجود التوسل ولا نسبة ولا وصلة
بين الفقر الذى هو نعت العبد وبين الرب الذى له الغنى الاكبر
وايضا توسل العبد بفقره يقتضى شهوده له واعتداده به واعتماده
عليه ورؤية العبد لاحواله وسكونه اليها علة فيها والاحوال المعلولة
لا تليق بالحضرة الالهية ولا تصل الى الله تعالى بمعنى انه لا يرضاها

دعاء الشاب المتعلق باستار الكعبة

نسخه: لاحد سواك

اعظم الوسائل فى الطلب اظهار الفقر اليه تعالى

نوديت فى سرى فقيل الخزائن مملوءة من الخدمة فان اردت ... فعليك بالذلة والا فتقار ...
وسئل ابو حفص رضى الله عنه ...

وكيف التوسل بما هو محال ان يصل اليك وهو فقر عبده وبهذا ... التوسل ...

ولايقبلها فالفقر لا يصحّ التوسّل به من هذا الوجه ايضاً والى هذا
المعنى يشير ما يحكى عن سيّدى ابى الحسن الشاذلى رضى الله عنه حين
دخل على شيخه ابى محمّد عبد السّلام رضى الله عنه فقال له يا ابا الحسن
بماذا تلقى الله تعالى قال له بفقرى فقال له الشّيخ والله لئن لقيتَ
الله بفقرك لتلقينّه بالصّنم الاعظم ولا يصحّ حقيقة الفقر
الا بالغيبة عن الفقر وان كنت غنيّا بفقرك فاذا لا وسيلة الى
الله سواه ام كيف اشكو اليك حالى وهو لا يخفى عليك شكوى الحال
لا يصحّ الّا لمن هى غائبة عنه وهو غير عالم بها والله تعالى لا يخفى عليه
شئ وقد قال ابرهيم الخليل عليه السّلام حسبى من سؤالى علمه بحالى
ام كيف اترجم لك بمقالى وهو منك برز واليك الترجمة بالمقال
هى التعبير باللسان عمّا فى الضمير ليقع بذلك التّفهيم للمترجم له
والله تعالى هو الّذى انطق اللسان واطلقه بذلك فالترجمة
من الله تعالى برزت واليه مآل امرها والعبد لا مدخل له فى ذلك
فكيف ينسب اليه الترجمة ونسبة ذلك الى الله تعالى دليل على احاطة
علمه باحوال العبد فكيف يصحّ فى حقّه معنى الترجمة ام كيف
تخيب آمالى وهى قد وفدت اليك الآمال الوافدة الى الله تعالى
لا يخيبها من قبل انها فارّة اليه ومتعلّقة به ومنقطعة عمّا
سواه والله تعالى كريم جواد متفضل منعم فليثق العبد بذلك
وليكن على يقين منه وان لم يسأل ولم يطلب ام كيف لا تحسن
احوالى وبك قامت واليك من تحقق فى المعرفة رأى احواله
كلها حسنة لوجود قيامها بالله تعالى ورجوع امرها اليه وهذه
كلها انواع من التعجب عجب بها المؤلف رحمه الله تعالى نفسه من نفسه
فيما هو بصدده من سؤاله وطلبه بسبب ترقيه فى المعرفة التى

اوجبت

اوجبت له رؤية نقصه وقصوره فى احواله الاول الهى ما الطفك
بى مع عظيم جهلى وما ارحمك بى مع قبيح فعلى شهود العبد لهذا
المعنى مزيد عظيم يوجب له الحيا والانكسار فيستحسن حينئذ
منه الاعتراف بالنعم فقط الهى ما اقربك منى وما ابعدنى
عنك شهود المؤلف رحمه الله تعالى شدّة قربه الله تعالى منه لما
راى من بعد الاشيا عنه ودفعها اليه كما سيأتى من قوله قد
دفعتنى العوالم اليك وشهوده لبعده من الله تعالى من حيث
اقيم فى الطلب له والطلب للشئ دليل على فقد الطالب له وبعده
عنه فالمشاهدة الاولى اوجبت له ملازمة باب مولاه وانقطاع
طمعه عن كل ما سواه والمشاهدة الثانية اوجبت له التلطف
فى سؤال التقريب والاستغنا عن طلب القرب ومن دعاء سيدى
ابى العبّاس المرسى رضى الله عنه يا قريباً انت القريب وانا
البعيد قربك منى آيسنى من غيرك وبعدى منك ردنى للطلب
لك فكن لى بفضلك حتى تمحو طلبى بطلبك يا قوى يا عزيز
وما ارأفك بى فما الّذى يحجبنى عنك الرأفة اشدّ الرحمة
ولما شاهد رأفة ربه غاب بهذا الشهود عن رؤية نفسه
وصفاتها فلذلك لم يظهر له سبب لوجود حجابه عنه الهى
قد علمت باختلاف الآثار وتنقلات الاطوار انّ مرادك
منى ان تتعرف الىّ فى كل شئ حتى لا اجهلك فى شئ كان
المؤلف رحمه الله يقول اختلاف الآثار علىّ وتنقلات الاطوار
فىّ من الصحة والمرض والغنا والفقر والعز والذل والطاعة
والمعصية والقبض والبسط والفقد والوجد وغير ذلك
من مختلفات احوالى التى هى من شؤنك التى تنزلها بى علمت

اسلوب آخر فى الدعاء

دعاء الشيخ ابى العباس بلسان المعرفة

اسلوب آخر للدعاء

اختلاف الآثار على العارف لانه يتعرف الله فى كل شئ

منها اردتك لي ان تتعرف الي في كل شئ تعرفا خاصا في حالة خاصة
حتى اشاهد وحدانيتك وعظمتك وجلالك وكمالك بحيث لا يتصور
مني جهل مما انا قابل لمعرفته من جميع ذلك ولو كان الامر على خلاف
والزمتني حالة واحدة ارتضيتها لنفسي واختارها لكانت معرفتي
ناقصة ومشاهدتي قاصرة فانا الآن انقلب في جنة معجلة اتبوأ منها
حيثما شاء فقد استغرقني ما انا فيه من عظيم النوال وشغلني ذلك عن
الدعاء والسؤال وطلب الكون على ما ارتضيته من الاحوال فلك الحمد
على نعمك الظاهرة والباطنة والخفية والجلية قال بعضهم في الدنيا
جنة من دخلها لم يشتق الى جنة الآخرة ولا الى شئ ولم يستوحش قيل
وما هي قال معرفة الله وقال مالك بن دينار رضي الله عنه خرج الناس من
الدنيا ولم يذوقوا اطيب الاشياء قيل وما هو قال المعرفة ثم قال

ان عرفان ذي الجلال لعز ۞ وضياء وبهجة وسرور
وعلى العارفين ايضا بهاء ۞ وعليهم من المحبة نور
فهنيئا لمن عرفك الهي ۞ هو والله دهره مسرور

وقد روي انه رأى صورة حكيمين من الحكماء المتعبدين في مسجد
وفي يد احدهما رقعة فيها مكتوب اذا احسنت كل شئ فلا تظن انك
احسنت شيئا حتى تعرف الله عز وجل وفي يد الآخر كنت قبل ان اعرف
الله عز وجل اشرب واظما حتى اذا عرفته رويت بلا شرب قال في التنوير
بعد كلام ذكره وانما قلنا ان الحالة زائلة عنك لا محالة فان مراده ان
ينقلب في الاطوار ويخالف عليك الآثار ليتعرف اليك في كل حالة
خاصة بتعرف خاص فان اردت ان يسلك بك غير الكمال فكانه
يقول لك لا تطلب مني ان اقيمك في حالة واحدة فاني لا افعل ذلك معك
اتريد ان تبقى ربوبيتي معطلة الآثار ولكن سلني ان اشعرك لطفي

حيث

حيث ما اردتك وحيث ما اقمتك حتى تكون بي ولي قال الله سبحانه
وتعالى يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شان ان يمنع ويعطي
ويضع ويعلي ويقبض ويبسط ويعز ويذل الى غير ذلك من مختلفات
الآثار فكانه سبحانه وتعالى يقول لك يا عبدي لا تأس على شئ مادمت
لك ولا تفرح بشئ وانا لست لك فانا العوض عما سواي وما سواي
لا يغنيك عني ولا تكن ممن يعبدني بالعلل فتكون من عبيد الحروف
بل اعبدني لي فاني بكمال الغنا موصوف وبدوام الافضال معروف
قال الله سبحانه وتعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه
خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة
لان الذي طلبه عزلناه عنه فما دام له وهو فما طلبنا حتى نكون له ومن
عبده لما سواه فهو عبد ما سواه ومن عبده لاجل جوده ونعمائه
فهو عبد جوده ونعمائه لان من احب شيئا فهو عبد ما احبه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس
عبد الخميصة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش فكن عبد الله في
كل شئ عطاء ومنعا وعزا وذلا وغنا وفقرا وقبضا وبسطا وفقدا و
وجدا وشدة ورخاء وفنا وبقا الى غير ذلك من مختلفات الآثار و
تنقلات الاغيار انتهى كلامه رحمه الله وقد احسن فيه لا حساكله
وجزاه الله خيرا وغفر له ورضي عنه بمنه وكرمه الهي كلما اخرسني
لؤمي انطقني كرمك وكلما آيستني اوصافي اطمعتني منتك
لؤم العبد ومخالفته وعصيانه تخرس لسانه عن السؤال والطلب
كرم المولى وفضله واحسانه ينطقه بذلك واوصافه الذميمة التي
اقتضتها طبيعته وجبلته تؤيسه من حصول الاستقامة على طريق
الحق ومنن الله تعالى التي شملت البر والفاجر تطمعه في ذلك الهي

في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق الى جنة الآخره

فكان الله تعالى يقول للعبد يا عبدي

من كانت محاسنه مساوى فكيف لا تكون مساويه مساوى ومن كانت حقايقه دعاوى فكيف لا تكون دعاويه دعاوى هذا مثل ما تقدم من ان الكمال المنسوب الى العبد نقصان على التحقيق فما ظنك بنقصانه الهى حكمك النافذ ومشيئتك القاهرة لم يتركا لذى مقال مقالا ولا لذى حال حالا شهود هذا المعنى يوجب للعبد مقام الخوف والتحقق فيه فان كان ذا قول سديد وحال حميد لم يقطع ببقاء ذلك ولم يغتر بما هنالك لنفوذ حكم الحق تعالى وقهر مشيئته الهى كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادى عليها عدلك بل اقالنى منها فضلك الطاعة صفة ظاهر العبد والحالة صفة باطنه وبناؤه للطاعة هو اقامتها على الوجه المامور به من الوفا بجميع اركانها وشروطها وما يتعلق بها من حقوق وآداب وتشييده للحالة هو تزيينها وتطهيرها وصيانتها عما يكدر صفاؤها ويكسف ضياؤها فكانه لما فعل هذين الامرين راى انه تحصن بحصن حصين وآوى الى ركن متين لكن لما شاهد عدل الله هدم عليه ذلك لان مقتضاه ان يفعل ما يشا ولا يبالى باعمال العاملين فلما شاهد فضله وكرمه اقاله من ذلك بان جعل له من التعلق به والاعتماد عليه بدلا منه وعوضا عنه ونعم البدل والعوض سبحانه المتفضل المنان الهى انك تعلم وان لم تدم الطاعة منى فعلا جزما فقد دامت محبة وعزما جعل عزمه على الطاعة ومحبته لها وان لم يدم عليها فعلا احدى وسائله وذلك صحيح وكم من شخص طردوا بعده فلم يكن عنده عزم ولا فعل جزم الهى كيف اعزم وانت القاهر وكيف لا اعزم وانت الآمر استبعد من نفسه وقوع العزم منه وجعل مستند ذلك شهود

الطاعة صفة الظاهر والحالة صفة الباطن

الدائمة محبة الطاعة ... العبد للقرب ... فعلا ...

ويحكم

القهر

القهر لان من شهد قهره بطل عزمه لانه الغالب واستبعد ايضا عدم العزم وجعل مستند ذلك شهود الامر لان من شهد امره بادر الى امتثاله وتحرز من اغفاله واهماله الهى ترددى فى الآثار يوجب بعد المزار فاجمعنى عليك بخدمة توصلنى اليك شكى الى المولى عز وجل طول تردده فى الآثار وهى الاكوان واخبر انه يوجب له بعد المزار وهو البعد عن شهود التوحيد وكمال المعرفة وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا ترحل من كون الى كون ثم سأله وطلب منه ان يختصر له طريق سلوكه وتقربه عليه بجمعه من متفرقات الآثار بخدمة يظهر فيها عبوديته ويصل منها الى مولاه من غير تردد ولا طول الهى كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل اليك هذا تقبيح لاحوال المستدلين على ربهم وهم اهل النظر والاستدلال بالنسبة الى اهل المقام الآخر وهم ارباب الشهود والعيان قال ابو بكر محمد بن على الكتانى رضى الله عنه وجود العطا من الحق شهود الخلق بالحق دليل على كل شئ ولا يكون شئ دونه دليلا عليه قال فى لطايف المنن وارباب الدليل والبرهان عوام عند اهل الشهود والعيان قد تقدس الحق فى ظهوره ان يحتاج الى دليل عليه وكيف يحتاج الى دليل من نصب الدليل وكيف يكون معروفا به وهو المعرف له قال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف ام كيف يعرف بشئ من سبق وجوده وجود كل شئ وقال مريد لشيخه يا استاذ اين الله فقال له اسخطك الله اتطلب مع العين اين وقد تقدم هذا المعنى عند قوله رحمه الله شتان ما بين من يستدل به ويستدل عليه الهى عميت عين لا تراك عليها رقيبا الرقيب

تقسيم احوال المستدلين ... بنسبة اهل الشهود

لان الحق

يدل

الحفيظ فمن راى الله تعالى رقيبا عليه يعلم جميع احواله ولا يخفى عليه
شئ منها استحيى منه وهابه ان يراه على ما يكرهه منه وقد قيل اذا
عصيت مولاك فاعصه بموضع لا يراك ومن لم يكن على هذا الوصف
وغفل عن نظر الله تعالى اليه عميت عين بصيرته فبارز الله تعالى
بانواع القبايح والفضايح من غير اكتراث ولا مبالاة وقد سئل
بعضهم بم يستعين الرجل على خفض بصره من المحظورات قال بعلمه
بان رؤية الحق سبحانه له تسبق نظره الى تلك المحظورات قال الله عز وجل
وما تكون فى شان وما تتلو منه من قران ولا تعملون من عمل الا
كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه قال الامام ابو القاسم القشيرى
رضى الله عنه خوفهم بما عرفهم من اطلاعه عليهم فى جميع احوالهم وزوايا
لما يستكنونه من فنون اعمالهم والعلم بانه يراهم يوجب استحياءهم
منه وهذا حال المراقبة فالعبد اذا علم ان مولاه يراه استحيا
منه وترك متابعة هواه ولا يحوم حول ما عنه نهاه وفى حديث
عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
افضل ايمان المرء ان يعلم ان الله معه حيث كان وخسرت
صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيبا حب الله لعبده هو رحمته
له وثناؤه عليه واحسانه اليه وحب العبد لربه عز وجل طاعته
وموافقته امره وتعظيمه وهيبته والحب المضاف الى الكاف
فى قوله من حبك يحتمل اضافته الى الفاعل والى المفعول والظاهر
كونه مضافا الى الفاعل لانه ابلغ وامدح ولان محبة الله تعالى
لعبده اصل محبة العبد له قال الله يحبهم ويحبونه فمن اعطاه الله
تعالى من الحب المذكور نصيبا فقد حاز ربح الدارين وفاز بقرة
العين ومن حرمه ذلك فقد خسرت صفقته وبان غبنه

الذى يستعين به الرجل على خفض بصره من المعاصي

افضل ايمان المرء

حب الله للعبد وحب العبد لربه

وخيبته

وخيبته حكي عن بعضهم انه قال اشتريت مملوكة فسمعتها
فى شطر الليل وهى تقول الهى بحبك اياى الا ما غفرت لى فقلت لها
لا تقولى هكذا ولكن قولى بحبى اياك فقالت يا سيدى بمحبته
اياى من على بالاسلام وايقظنى لعبادته وكثير من عباده
نيام وفى بعض الكتب المنزلة على بعض الانبياء عليهم جميعهم افضل
الصلاة والسلام عبدى انا لك محب فبحقى عليك كن لى محبا وقال
زيد بن اسلم رضى الله عنه ان الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من
حبه ان يقول له اصنع ما شئت فقد غفرت لك الهى امرت بالرجوع
الى الآثار فارجعنى اليها بكسوة الانوار وهداية الاستبصار حتى
ارجع اليك منها كما دخلت منك اليها مصون السر عن النظر
اليها مرفوع الهمة عن الاعتماد عليها انك على كل شئ قدير
الآثار التى امر العبد بالرجوع اليها بعد وصوله الى صريح المعرفة
وخالص التوحيد هى المكونات التى يلزمه اذا تلبس بها حتى تكون له
فيها منفعة وحظ وسال الله تعالى ان يرجعه اليها على حالة شريفة
مضادة للحالة التى كان عليها قبل السلوك وهى كونه مكسوا بكسوة
الانوار وهى انوار اليقين مؤيدا بهداية الاستبصار وهو العلم
الراسخ المتين فاذا رجع العبد الى الآثار على هذا الاسلوب والمعيار
لم تؤثر فيه ولم يتاخذ منه لكمال حريته عنها وكان رجوعه الى مولاه
فى مآل امره مثل دخوله منها عليه فى ابتدائه وسلوكه مصون السر
عن النظر اليها بعين الاستحسان مرفوع الهمة عن الاعتماد عليها
فى نوال واحسان وقد تقدم هذا المعنى فى قوله فان نزلوا الى سماء الحقوق
وارض الحظوظ الى آخره الهى هذا ذلى ظاهر بين يديك وهذا حالى لا يخفى
عليك هذا تطارح منه على مولاه ومبالغة فى بث شكواه وتلطف فى سؤال

حكاية المملوكة فى نصف الليل

دعاء العارفين فى تعلقهم بالآثار والاسباب

لوازم الحسنة البديعة للمقام النزول بعد العروج

وسيلة ازالة قسوة القلب

اعز الاسباب للعز ذل النفس للعبد

العلم اللدني

دعاه وبمثل هذا يرجى اجابة الدعاء واستحقاق جزيل العطا وقد
قالوا ابواب الملوك لا تقرع بالايدى بل بنفس المحتاج وقال بعضهم قلت
للنهرجورى اجد فى قلبى قسوة وقد شاورت فلانا فاشار علىّ بالصوم
فلم يزل وشاورت آخر فاشار علىّ بالسهر فلم يزل فقال النهرجورى رضى
الله عنه خلطا بك احضر الملتزم اذا نام الناس وتضرع وقل تحيرت
فى امرى فخذ بيدى ففعل فزالت القسوة وقال الشاعر

ومارمت الدخول عليه حتى ** حللت محلة العبد الذليل
واغضيت الجفون على قذاها ** وصنت النفس عن قال وقيل
وذل العبد للمولى غناء ** وباب الفخر والعز الطويل

وقال ذو النون المصرى رضى الله عنه ما اعز الله تعالى عبدا بعز هو اعز
له من ان يدله على ذل نفسه وما اذل الله عبدا بذل هو اذل له من ان
يحجبه عن ذل نفسه منك اطلب الوصول اليك هذه صفة العارفين
المحققين لا يسبق نظرهم الا الى الله تعالى ولا يطلبون الا منه ولا يكون
مطلبهم الا الوصول اليه لا غير وبك استدل عليك لا بغيرك لانك
الظاهر قبل وجود كل شئ ظاهر بل بظهورك خفيت المظاهر قيل
لبعض العارفين بم عرفت ربك قال عرفت ربى بربى ولولا ربى ما
عرفت ربى قال ابو القاسم النصراباذى رضى الله عنه الاشياء ادلة
منه ولا دليل عليه سواه وقال احمد بن ابى الحوارى رضى الله عنه لا دليل
على الله سواه وانما العلم يطلب لآداب الخدمة فاهدنى بنورك اليك
وهو نور الايمان واليقين واقمنى بصدق العبودية بين يديك حتى
اكون ممتثلا لامرك مستسلما لقهرك الهى علمنى من علمك المخزون
اضافة العلم الى الله تعالى ها هنا اضافة تشريف والعلم المخزون هو العلم
اللدنى الذى اخترته عندك فلم يؤته الا المخصوصين من الاولياء كما

قال تعالى

حقايق اهل القرب

دعاء المقربين

المجذوبين

مجذوبون

قال تعالى فى شان الخضر عليه السلام وعلمناه من لدنا علما وفى حديث
ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان من
العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا انطقوا به
لا ينكره الا اهل الغرة بالله قال بعضهم وهى اسرار الله تعالى يبديها
الى امناء اوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة وهى
من الاسرار التى لم يطلع عليها الا الخواص وقال ابو بكر الواسطى
رضى الله عنه فى قوله تعالى والراسخون فى العلم هم الذين رسخوا بارواحهم
فى غيب الغيب وفى سر السر فعرفهم ما عرفهم وخاضوا بحر العلم
بالفهم لطلب الزيادة وانكشف لهم من مذخور الخزائن والمخزون
تحت كل حرف وآية من الفهم وعجائب النظر فاستخرجوا ابر الدرر
والجواهر ونطقوا بالحكمة وصنى بسر اسمك المصون المصون
المطلق هو صيانته عن رؤية الاغيار بما يتجلى لقلبه من سر الاسرار
الهى حققنى بحقايق اهل القرب حقايق اهل القرب هو الفناء فى
التوحيد والتحقق بالتجريد فيبطل فى حقهم رؤية الاسباب ويزول
من مطمح نظرهم كل ستر وحجاب كما قال سيدى ابو الحسن رضى الله عنه
فى حزبه الكبير واقرب منى بقدرتك قربا تمحق به عنى كل حجاب كما
محقته عن ابرهيم خليلك فلم يحتج لجبريل رسولك ولا السؤال له
منك وحجبته بذلك عن نار عدوه وكيف لا يحجب عن مضرة الاعداء
من غيبته عن منفعة الاحباء كلا انى اسألك ان تغيبنى بقربك
منى حتى لا ارى ولا احس بقرب شئ ولا ببعده عنى انك على كل شئ قدير
واسلك بى مسالك اهل الجذب اهل الجذب هم المجذوبون ومسالكهم
فى غاية السهولة لا تعب عليهم فيها ولا مشقة بل يجدون اللذة والحلاوة
فى اعمالهم وذلك من قبل انه اخرجهم من اسر نفوسهم وتولاهم بكلائته

ورعايته من غير مجاهدة منهم ولا مكابدة الهي اغنني بتدبيرك لي عن
تدبيري وباختيارك لي عن اختياري واوقفني على مراكز اضطراري
المنفرد بالتدبير والاختيار والمشيئة والاقتدار هو الله عز وجل فمن كان
له دعوة في شيء من ذلك فقد نازع الله تعالى في ربوبيته وخلع عن
عنقه ربقة عبوديته فلذلك سأله وطلب منه ان يغنيه عن تدبيره
واختياره وان يوقفه على مراكز اضطراره ليكون متحققا بصفاته
متعلقا بصفات مولاه وقد تقدم هذا المعنى غير مرة والمراكز مواضع
الاستقرار والثبوت وهي استعارة حسنة الهي اخرجني من ذل نفسي
ذل النفس الذي طلب الاخراج منه هو ذلها لغير الله تعالى بالطمع
والحرص وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما بسقت اغصان ذل
الا على بذر طمع وطهرني من شكي وشركي قبل حلول رمسي الشك
والشرك هما سبب وجود الطمع والحرص الموجبين لوقوع الذل
والهوان وهذه الاوصاف كلها مجانبة لحقائق الايمان والتوحيد
عافانا الله تعالى من الشك والشرك والشك ضيق الصدر عند
احساس النفس بامر مكروه يصيبها فاذا ضاق صدره بسبب ذلك
اظلم قلبه واصابه من اجله الهم والحزن وطهارته منه انما
يكون بوجود ضده وهو اليقين فيه يتسع الصدر وينشرح ويزول
عنه الحرج والضيق وبقدر احتظاء القلب من نور اليقين
يكون انشراح الصدر واتساعه وعند ذلك يجد القلب الروح
والفرح بالله تعالى وبفضله وفي الحديث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في الرضا
واليقين وجعل الهم والحزن في السخط والشك والشرك تعلق
القلب بالاسباب عند غفلته عن المسبب ونسيانه له تعلق الصيد

والشك

والشرك

بالشرك

بالشرك ويكون مبدأ ذلك هيجان الشهوة عند استيلاء ظلمة
الشك على القلب فيحلوله من الهوى فيفزع اذ ذاك الى الاسباب
التي يتوصل بها الى بغيته اذ لا يرى غيرها فيرتبك من اجل
ذلك في حبائل الشرك وطهارته منه بضده وهو نور التوحيد
الذي يقذفه الحق تعالى في قلبه فتطمئن بذلك نفسه وتسكن
عنه سورة الشره والطيش الذي اصابها وكلما قوي نور التوحيد في
قلبه كان خلاصه من الشرك اكثر فتنمحي منه الاسباب ويثبت
فيه خالص التوحيد فاذا تطهر العبد من الشك والشرك
تولاه الله تعالى بالهداية والتسديد والمعونة والتأييد وفي
اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه يا داود هل تدري
متى اتولاهم اذا طهروا قلوبهم من الشرك ونزعوا من قلوبهم
الشك بك استنصر فانصرني وعليك اتوكل فلا تكلني واياك
اسأل فلا تخيبني وفي فضلك ارغب فلا تحرمني ولجنابك
انتسب فلا تبعدني وببابك اقف فلا تطردني تعلق بالله في كل
مطلب من هذه المطالب واضرب عن الوسائط والاسباب وذلك
من تحققه بالتوحيد الذي سأل مولاه ان يحققه به بتطهيره
من اضداده ومعاني هذه الكلمات قريب بعضها من بعض قال
ابو الحسن علي بن هند الفارسي رضي الله عنه اجتهد في ان لا تفارق
باب سيدك بحال فانه ملجأ الكل فمن فارق تلك السدة فلا يرى بعدها
لقدميه قرارا ولا مقاما الهي تقدس رضاك ان يكون له علة منك
فكيف يكون له علة مني رضى الله صفة من صفاته وصفاته قديمة
ولذلك امتنع عليها سبقية العلل والقديم لا يكون مسبوقا بشيء
واذا كانت صفاته العلية منزهة عن ان تكون لها علة منه

تقدس رضى الله عز ان يكون له علة

فكيف يكون لها علة من غيره فرضى الله تعالى لا علة له ولا سبب بل رضاه
وسخطه هما سبب اعمال العاملين حسنها وسيئها رضى عن قوم فاستعملهم
استعمال اهل الرضا وسخط على قوم فاستعملهم باستعمال اهل السخط
قال ابو بكر الواسطى رضى الله عنه الرضا والسخط نعتان من نعوت
الحق يجريان على الابد بما جريا فى الازل يظهران الوسمين على
المقبولين والمطرودين فقد بانت شواهد المقبولين بضيائها
عليهم كما بانت شواهد المطرودين بظلامها عليهم فانى ينفع مع
ذلك الالوان المصفرة والاكمام المقصرة والاقدام المنتفخة انت
الغنى بذاتك عن ان يصل اليك النفع منك فكيف لا تكون غنيا
عنى الكلام فى الغنا كالكلام فى الرضا وكان المؤلف رحمه الله
تعالى قصد فى مناجاته بهذه الكلمات الى الاسترضا والاستعطاف
وطلب المسامحة والتجاوز عن اعماله المدخولة واحواله المعلولة
وذلك من احسن المقاصد للداعى الهى ان القضا والقدر
غلبنى وان الهوى بوثائق الشهوة اسرنى فكن انت النصير
لى حتى تنصرنى وتنصر بى واغننى بفضلك حتى استغنى بك
عن طلبى هذا اعتذار واعتراف والله تعالى اكرم من ان يرد عذر
من اعتذر اليه ويخيب امل من اغترف بذنبه واقر به لربه تعالى
يقال ان العبد يبتهل الى الله تعالى فى الاعتذار والحق سبحانه
وتعالى يقول له عبدى لو لم اقبل عذرك لما وفقتك بالاعتذار
وقال الكتانى رضى الله عنه لم يفتح الله لسان المؤمن بالمعذرة
الا لفتح باب المغفرة فلا جرم لما وثق بذلك وقوى رجاؤه فيه طلب
منه النصرة له على اعدائه ولم يقتصر على ذلك بل اضاف اليه طلب
النصرة به ليكون تلك النصرة بسببه او على يديه كما قال سيدى

كمال الغناية الذاتي

فايدة الاعتذار والاعتراف بذنبه

ابو الحسن

ابو الحسن رضى الله عنه واجعلنا سبب الغنا لاوليائك وبرزخا
بينهم وبين اعدائك ثم لم يقنع بذلك حتى طلب منه ان يغنيه
بما يستغنى به عن الطلب منه وهو ما يوليه من فضله العظيم
وكرمه الجسيم وهذه هى غاية السعادة كما قال سيدى ابو
الحسن رضى الله عنه والسعيد حقا من اغنيته عن السؤال
منك انت الذى اشرقت الانوار فى قلوب اوليائك حتى عرفوك
ووحدوك وانت الذى ازلت الاغيار عن قلوب احبابك
حتى لم يحبوا سواك ولم يلجؤا الى غيرك انت المونس لهم حيث
اوحشتهم العوالم سبب ايحاش العوالم لهم ما هى عليه من الفاقة
والافتقار والحاجة والاضطرار فكل واحد منها طالب لنفسه
طالب لحظه من كمال نقصه ووفاء بخسه والله تعالى غنى عزيز
حميد وهو مع ذلك لطيف بعباده عطوف عليهم متودد
اليهم رؤف بهم فلما شهدوا هذا كله مشاهدة يقين
ومعاينة باشهاده اياهم لم يتمالكوا ان اجوءوا واووا اليه
وقصروا هممهم عليه وجعلوه معتمد انسهم ونبذوا استيحاشا عن ابنا
جنسهم فحصلوا اذ ذاك على غاية النعيم وفازوا بالحظ
العظيم قال ذو النون المصرى رضى الله عنه بينما انا اسير فى
بعض البوادى اذ لقيتنى امراة فقالت لى من انت فقلت رجل
غريب فقالت وهل توجد مع الله تعالى احزان الغربة وكتب
مطرف بن عبد الله بن الشخير الى عمر بن عبد العزيز رضى الله
عنهما وليكن انسك بالله وانقطاعك اليه فان لله عبادا
استانسوا بالله فكانوا فى وحدتهم اشد استيناسا من
الناس فى كثرتهم واوحش ما يكون الناس آنس ما يكونون

سبب ايحاش العوالم للعرفاء ما هى عليهم من الفاقة

والنس ما يكون الناس اوحش ما يكونون وانت الذي هديتهم حتى استبانت لهم المعالم لما تولى الله تعالى هدايتهم الى طريق التوحيد و المعرفة بان لهم ابان لهم علامات ذلك ودلائله فعند نظرهم في تلك العلامات والادلة انشرحت صدورهم بانوار الايمان واليقين فلم يداخلهم شك ولم يخالطهم ريب والمعالم جمع معلم وكانه رحمه الله تعالى عرض في هذه الكلمات بالمطلب الذي بحصوله يستغنى عن الطلب وهو اشراق الانوار في قلبه وازالة الاغيار عن سره وايناسه له وهدايته اياه وهذه الاربعة مطالب متضمنة لاسنى الرغائب ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك قد تقدم غير مرة ان ما سوى الله تعالى عدم وظلمة وان الوجود الحق والنور المتحقق انما هو الله عز وجل فاذا كان الامر على هذا صح ما قاله المؤلف هاهنا وكان حقا الامرية فيه قال ابو علي الروذباري رضي الله عنه سألني ابو بكر الدقاق رحمه الله تعالى فقال يا ابا علي لم ترك الفقراء اخذ البلغة في وقت الحاجة فقلت لانهم مستغنون بالمعطي عن العطا فقال نعم ولكن وقع لي شيء آخر فقلت هات فدتني ما وقع لك فقال لانهم قوم لا ينفعهم الوجود اذ الله فاتهم ولا تضرهم الفاقة اذ الله وجدهم وكان ابو حمزة البغدادي رضي الله عنه يقول في مناجاته اللهم انك تعلم اني من افقر خلقك اليك فان كنت تعلم ان فقري اليك بمعنى هو غيرك فلا تسد فقري ولقد خاب من رضي دونك بدلا ولقد خسر من بغى عنك متحولا هذا بين وهو مبني على ما تقدم الان من الكلام رؤي الشبلي رضي الله عنه في المنام بعد وفاته فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني بالبراهين على الدعاوى الا على شيء واحد قلت يوما لا خسارة اعظم من خسران الجنة ودخول النار فقال اي خسارة اعظم من خسران لقائي وفي

مناجاة ابو حمزة بالفاقة

معناه انشدوا

سهر العيون لغير وجهك باطل ٭ وبكاؤهن لغير فقدك ضائع

وقال بعضهم كان عندنا رجل مكث عندنا ثلاث عشرة سنة يصلي كل يوم وليلة الف ركعة حتى اقعد من رجليه فاذا صلى العصر احتبى واستقبل القبلة ثم قال عجبت للخليقة كيف ارادت بك بدلا بل عجبت للخليقة كيف استأنست بسواك ثم يسكت الى المغرب كيف يرجى سواك وانت ما قطعت الاحسان وكيف يطلب من غيرك وانت ما بدلت عادة الامتنان هذا تعجب ممن كان على هذا الوصف وهو اعجب من كل عجب والمعنى في ذلك بين يا من اذاق احباءه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه متملقين التملق هو التلطف في التودد وترتبه على ذوقهم لحلاوة مؤانسته بين ويا من البس اولياءه ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعزين استعزازهم بعزته هو رفع هممهم عن تعلقها بغير الله تعالى تيها وتكبرا عليها وثقة منهم به وذلك لما البسهم من ملابس هيبته حتى لم يهابوا معه غيره ولم تتأله قلوبهم الى سواه ولذلك قالوا المعرفة حقر الاقدار سوى قدره ومحو الاذكار سوى ذكره وقال بعض المشايخ اذا اعظم الرب في القلب صغر الخلق في العين وقيل في معنى قوله تعالى تعز من تشاء قال بان يكون لك بك معك بين يديك انت الذاكر من قبل الذاكرين وانت البادي بالاحسان من قبل توجه العابدين وانت الجواد بالعطا من قبل طلب الطالبين وانت الوهاب لنا ثم انت لما وهبتنا من المستقرضين الحق سبحانه وتعالى له الاولية فيما ذكر وكما ذكر قال ابو يزيد رضي الله عنه غلطت في ابتداء امري في اربعة اشياء توهمت اني اذكره واحبه واعرفه واطلبه فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكري ومعرفته تقدمت على معرفتي

تعجب كل التعجب ممن يحبه ويطلب من غيره

اذا اعظم الرب في القلب صغر الخلق في العين

له تعالى الاولية في الذكر والاحسان والجود وغيرها من النعم

[هامش: دعاء الجنيد وذكره]

ومحبته اقدم من محبتي وطلبه لي اول حتى طلبته فاذا كانت له الاولية
في ذلك لم يبق للعبد وسيلة يتوسل بها سوى فضله وكرمه ومما يوافق
ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى ما حكي عن الجنيد رضي الله عنه في
مناجاته يا ذاكر الذاكرين بما به ذكروه ويا بادي العارفين بما به
عرفوه ويا موفق العابدين لصالح ما عملوه من ذا الذي يشفع عندك
الا باذنك من ذا الذي يذكرك الا بفضلك واستقراض الرب من عبده
ما وهبه له غاية في ترفيعه لقدره وابانته لشرفه ووعده مع ذلك
جزيل الثواب عليه نهاية في اكرامه له وتفضل عليه قال بعضهم ملكك
ثم اشترى منك ما ملكك ليثبت لك معه نسبة ثم استقرض منك
ما اشتراه ثم وعدك عليه من العوض اضعافا فابين فيه نعمة وان عطايا
نعمة بعيدتان ان تكونا مشوبتين بالعلل الهي اطلبني برحمتك حتى اصل
اليك واجذبني بمنتك حتى اقبل عليك لا سبيل للعبد الى وصوله الى الله
تعالى الا برحمته فلذلك طلب منه ان يطلبه بها ولا يتاتى له الاقبال عليه
الا بمنته فلذلك طلب منه ان يجذبه اليه بها وذلك لتحقق الاولية
التي ذكرناها من قبل الهي ان رجائي لا ينقطع عنك وان عصيتك
كما ان خوفي لا يزايلني وان اطعتك الخوف والرجاء حالان يتعاقبان
على قلب العبد واعتدالهما واستواؤهما هو المطلوب سواء كان العبد
في طاعة او معصية وقد مثلوا ذلك بكفتي الميزان وجناحي الطير
وهذا من اعلى مشاهد العارفين والاولياء وذلك لان منشأهما
عندهم انما هو شهود الصفات المخوفة والمرجوة وصفات الله تعالى
لا تفاوت فيها وكذلك مشاهدتها لا تفاوت فيها فان وقع فيها تفاوت
كانت مشاهدة ناقصة واحواله معلولة فلذلك يتصور وجود كمال
الخوف مع عمل العبد بالطاعة وغلبة الرجاء مع ارتكابه المعصية كما

[هامش: الخوف والرجاء حالان واستواؤهما هو المطلوب]

وصف به المؤلف نفسه قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه يكاد رجائي لك
مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني اجدني اعتمد في الاعمال
على الاخلاص وكيف احرزها وانا بالآفة معروف واجدني في الذنوب
اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وقد تقدم من
كلام المؤلف رحمه الله تعالى من علامات الاعتماد على العمل نقصان الرجاء
عند وجود الزلل ومن دعا سيدي ابي العباس رضي الله عنه الهي
معصيتك نادتني بالطاعة وطاعتك نادتني بالمعصية ففي ايهما
اخافك وفي ايهما ارجوك ان قلت بالمعصية قابلتني بفضلك
فلم تدع لي خوفا وان قلت بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تدع لي
رجاء فليت شعري كيف ارى احساني مع احسانك ام كيف اجهل
فضلك مع عصيانك ومن كلام سيدي ابي العباس رضي الله عنه
ايضا العامة اذا خوفوا خافوا واذا رجوا رجوا والخاصة متى
خوفوا رجوا ومتى رجوا خافوا قال في لطائف المنن معنى كلام الشيخ
هذا ان العامة واقفون مع ظواهر الامر فاذا خوفوا خافوا اذ
ليس لهم نفوذ الى ما وراء العبارة بنور الفهم كما لاهل الله واهل الله
اذا خوفوا رجوا عالمين ان من وراء خوفهم وما به خوفوا اوصاف
المرجو الذي لا ينبغي ان يقنط من رحمته ولا ان يويس من منته
فاحالوا على اوصاف كرمه علما منهم انه ما خوفهم الا ليجمعهم عليه و
ليردهم بذلك اليه واذا رجوا يخافون غيب مشيئته الذي هو من
وراء رجائهم وخافوا ان يكون ما ظهر من الرجاء اختبارا للعقول هل
تقف مع ظاهر الرجاء او تنفذ الى خوف ما بطن من مشيئته فلذلك
استنار الرجاء خوفهم الهي قد دفعتني العوالم اليك انما دفعته
العوالم اليه لما تضمنته من السمات الموحشة كما تقدم ولقد احسن

[هامش: دعاء ابي العباس]

من قال لا وحشة مع الله ولا راحة مع غير الله وفي هذا المعنى انشدوا
يا قرة العين سل عيني هل اكتحلت ، بمنظر حسن مذ غبت عن عيني
وقدا وقعني على بكرمك عليك اذ الكريم لا يتخطاه آمال
المؤملين ولا يتوجه نحو سواه طلبة الطالبين الهي كيف اخيب وانت
املي ام كيف اهين وعليك متكلي لما تعلق بالله تعالى وتوكل عليه
استبعد ان يخيب امله وينا له هوان يؤده تحمله الهي كيف استعز وفي
الذلة اركزتني ام كيف لا استعز واليك قد نسبتني الهي كيف
لا افتقر وانت الذي في الفقر اقمتني ام كيف افتقر وانت الذي
بجودك اغنيتني تلون في هذه الاوصاف المتضادة لما يغلب عليه من
مشاهدة ما يوجبها والذلة المثبتة فيها هي ذلة الخلقة والعبودية
والنسبة التي اشار اليها هي سر الخصوصية والافتقار بمعنى الذلة
والاستغنا مثل العزة قال بعضهم رأيت ذل كل ذي ذل فزاد ذلي
على ذلهم ونظرت الى عز كل ذي عز فزاد عزي على عزهم وقال الشبلي
رضي الله عنه لقد ذللت حتى عز في ذلي وعززت حتى ما تعزز احد
الا بي وبمن به تعززت انت الذي لا اله غيرك تعرفت لكل شيء
فما جهلك شيء وانت الذي تعرفت الي في كل شيء فرايتك ظاهرا
في كل شيء فانت الظاهر لكل شيء هذا كله قد تقدم معناه
ولفظه في كلام المؤلف رحمه الله غاية الكمال والتمام والحاصل
منه ان الظهور التام لله بكل اعتبار ثم انه عبر هنا عن ذلك
بعبارة لم يذكرها فيما تقدم وهو قوله رحمه الله تعالى ونفع
به يا من استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش غيبا
في رحمانيته كما صارت العوالم غيبا في عرشه كانه اشار
بهذا الى معنى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقوله عز وجل

تكون الدعاء في هذه الاوصاف المتضادة

دخل في ذل كل ذل ...

ثم استوى

ثم استوى على العرش الرحمن ورحمانية الله تعالى كونه رحمانا والرحمن
اسم الله يقتضي وجود كل موجود وهو مشتق من الرحمة والرحمة هاهنا
هي الرحمة العامة التي وسعت كل شيء كما وسع علمه كل شيء في قوله تعالى
مخبرا عن حملة العرش اذ قالوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ولذلك
دخل تحت مقتضى اسمه الرحمن جميع اسمائه تعالى الايجادية ويفهم
من معنى الاستوا القهر والغلبة ومقتضاهما في حق الله تعالى
ان لا يكون لغيره وجود مع وجوده ولا ظهور مع ظهوره فلا جرم لما
كان الحق تعالى مستويا برحمانيته على عرشه الذي العوالم كلها في طيه
كان العرش غيبا في الرحمانية مندرجا فيها والعوالم كلها غيبا في
العرش لانها في طيه فلا ظهور اذا للعرش ولا للعوالم وانما الظهور
التام له عز وجل محوت الآثار بالآثار كما بين العوالم والعرش
ومحوت الاغيار بمحيطات افلاك الانوار كما بين العرش و
الرحمانية ومحيطات افلاك الانوار هي اسماء الله تعالى الحسنى
والله سبحانه وتعالى اعلم يا من احتجب في سرادقات عزه عن ان
تدركه الابصار عزة الله اقتضت كون كل ما سواه محجوبا عن
رؤيته عز وجل فان العزيز معناه المنيع الذي لا يوصل اليه
يقال حصن عزيز اذا تعذر الوصول اليه وقيل العزيز الذي لا
يرتقي اليه وهم طمعا في تقديره ولا يسمو الى صمديته فهم قصدا
الى تصويره وقيل العزيز من وضلت العقول في بحار تعظيمه
وحارت الالباب دون ادراك نعته وكلت الالسن عن استيفا
مدح جلاله ووصف جماله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا احصي
ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وذكر السرادقات مضافة
الى عزه واحتجابه فيها مجاز حسن يا من تجلى بكمال بهائه

فتحققت عظمته لا سرار كمال بهائه هو محاسن صفاته واسمائه
فبظهور ذلك وتجليه بها تحققت عظمته اسرار العارفين
كيف تخفى وانت الظاهر ام كيف تغيب وانت القريب الحاضر
والله الموفق وبه استعين هذا كله بين لا اشكال فيه وقد
تقدم معناه غير ما مر من كلام المؤلف رحمه الله تعالى ورضي عنه
وغفر له وقد نجز بحمد الله ما اردناه وبلغنا الغرض الذي قصدنا
ولا حول لنا في ذلك ولا قوة الا بالله وبذلك يتبين ما عندي
في مسائل الكتاب والله تعالى الهادي الى الصواب وقد
تقدم في اول هذا التنبيه اني لم اقصد فيه الا هذا المعنى
ولم التزم كون ما ذكرناه فيه صحيح المبنى حتى يحتاج الى نصب
الادلة والبراهين على ما ادعيناه فيه وانما سقنا ذلك على
سبيل حكاية مذهب من المذاهب وللمحلى له ذلك ان يصححه
او يبطله ان احب وما وقع فيه من انواع استدلال على مطلب
من المطالب فانا في ذلك متبرع فان صح ذلك الدليل فهو المطلوب
وان بطل لم يلزم من بطلانه بطلان المدلول وبقي المذهب قابلا
للتصحيح والابطال من غير ان يتوجه على مطالبة بذلك والذي
حملني على سلوك هذا السبيل ما فيه من وجدان السلامة لي من
الخطر الذي يتعرض له كل من تكلم في طريق التصوف ممن لا
تحقق له فيه ويدعي صحة ما ينظره بعقله وفهمه وينسب ذلك
الى القوم ولعل شيا من ذلك لا يصح عنهم فيكون بذلك مفتريا
كذبا عليهم ثم فيه من سوء الادب معهم والتقدم بين ايديهم
ما لا يقوم له شئ وعند ذلك يكون الخرس والبكم وذهاب
الحس والحركة اولى به واحمد عاقبة له لتخلصه بذلك من شر لسانه

وبنانه ثم انما قصدناه من ذلك لا يمنع من حصول الفائدة
لمن اراد الله تعالى له بها ووفقه لها فعلى العبد ان يعمل على خلاص
نفسه ولا يلزمه اتباع مرضات غيره فقد قيل رضى الناس غاية
لا تدرك ونحن نرغب الى من وقع بيديه هذا التاليف وظهر
له فيه خطا او تحريف ان يصلح منه ما الفاه مختلا وان
ينتهج من الاعتذار عنه الطريقة المثلى وان ظهر له ان
يضع في ذلك تاليفا يتضمن تنبيها وتعريفا فذلك من الذي
التي ترتضى ومما لم يزل من شان من قد مضى ونحن نستغفر الله
تعالى مما يعلمه منا من التعدي والجراة فيما تعرضنا له من
بيان كلام الاولياء والراسخين من العلماء وتقرير عباراتهم
واشاراتهم من غير اطلاع منا على كنهها ولا بصيرة فيها
ونستغفره ايضا مما اقدمنا عليه من اظهار ما ستروه
واعلان ما اسروه ونستغفره ايضا مما وقع منا فيه من
ذكر احوال الاولياء ومقاماتهم وتحريضنا على سلوك طريقتهم
المستقيم مع افلاسنا من جميع ذلك وعدم احتظائنا
ونسئله مع ذلك ان لا يواخذنا بما انطوت عليه ضمائرنا
واكنته سرائرنا من انواع القبائح والمعايب التي تعلمها
منا ولا نعلمها او نعلمها ولا تسمح انفسنا بالتنقي منها والتنزه
عنها اغترارا منا بحلمه واستهانة بنظره وعلمه ونرغب اليه
جل وعلا ان يمن علينا بتوبة تمحو عنا كل حوبة حتى ينقلب
اعداؤنا عنا خائبين خاسرين داخرين صاغرين لم ينالوا
من تحقيق اراداتهم فينا مطلبا ولم يبلغوا من عدم اسعافه
ايانا بما طلبناه منه مآربا وان يشمل معنا في ذلك كل من امن



على هذا الدعاء ممن سمعه وممن دعى لنا بمثله من اخواننا المسلمين
ونتوسل اليه فى بلوغ هذا الأمل والوصول الى المبتغى الاجل بمن
صرفنا به عن تولى كل جحود وكفور واخرجنا على يديه من
الظلمات الى النور سيدنا وحبيبنا محمد خاتم النبيين وامام
المرسلين وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وعلى اله واصحابه
وازواجه وذريته الطيبين الطاهرين البررة الاكرمين
والتابعين وتابع التابعين لهم باحسان الى يوم الدين وسلم
تسليما كثيرا ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وآخر
دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل
ونستغفر الله العظيم الجليل ٥

قد تم هذا الكتاب بعون الملك الوهاب يوم السبت الثانى من شهر
صفر الخير قبيل الظهر وقد كتب بمكة المشرفة زادها الله تشريفا
وتعظيما فى سنة اثنين وثمانين ومائة بعد الالف من هجرة النبوة
على صاحبها افضل الصلوة والسلام وازكى التحية

وقد تشرف بكتابته كعبه فقير حقير مقر بذنب ومقصر
الراجي عفو ربه الكريم ابراهيم بن المرحوم فرج الخالد
التكريتي مولدا والبغدادي مسكنا والشافعي
مذهبا والبدري طريقة والاشعري عقيدة
غفر الله له ولوالديه ولمن احسن اليهما واليه
ولمشايخه ومحبيه ولكافة المسلمين آمين

مذنب خطه عسى دعوة غير خائبة ١١٨٢ يرحم الله قائلا يرحم الله كاتبه

ياخذ مقدار من الشيح المحض الاخضر من ما بين شمسي وقمر لجازيه ويدقه ويجعله
في قرعة مطينه ويقطره بناره المعلوم ثم ياخذ القاطر ويرده على ارضية جديده
ويقطره ثم يرد القاطر على ارضية جديده هكذا الى سبع مرات ثم يرفع القاطر
بعد السبع وياخذ الارضية السبع ويسحقها جيدا ويجعله في قارورة صيني
ويربط فم القارورة بالسلك ويعلقه ما بين القدر والغطا ويكون
المعلق مقدار الدواء في الماء ثم يعلق في المعلق كم قطعة رصاص حتى يرزن
ثم يجعل في الغطا خرق حتى اذا نقص من الماء شي يزيده ولكن قبل ان يغطي
القدر يحط تحت القدر نار فحم دقاق ويقاس حرارة النار يكون الماء
اذا ادخلت به اصابع يدك يتحمل او لا يتحمل ويكون النار على هذا القياس
ثلاثة ايام ولياليها ثم ينزله فاذا راه يعني تحت وفوق المعمول ظاهره
وباطنه انحل فقد كمل ثم يسحق المعمول ويسقى بالقاطر المرفوع ويقطره ويرد
القاطر على المعمول ويقطره كلما يقطر يقل الماء حتى يعدم الماء ثم يقطره
من اوله ينزل دهن فيمتشط به دقنه يبقى اسود شباب

دعاء بين الصلا للتيسير الهي من ذا الذي دعاك فلا اجبته ومن ذا الذي سالك فلم تعطه ومن ذا الذي
استعان بك فلم تعنه ومن ذا الذي توكل عليك فلم تكفه ومن ذا الذي استغاث بك فلم تغثه
واغوثاه بك استغيث ثلاثا يا حبيب الفقراء يا انيس الغرباء يا صريخ المستصرخين ويا ديان يوم الدين
اياك نعبد واياك نستعين يا غياث المستغيثين ثلاثا اغثني ونجني من كل سوء والم في الدنيا
برحمتك يا ارحم الراحمين وقال الوالي من خشي ناى مثل هاده يجي سل الله الله يعلم